بسم الله الرحمن الرحيم

العنوان: البحوث الاكاديمية المشاركة ضمن فعاليات المؤتمر العلمي الدولي السنوي التاسع لفكر الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

الناشر: جمعية العميد العلمية والفكرية – قسم النشر

الإشراف العام: السيد عقيل عبد الحسين الياسري

أ.د. شوقي مصطفى الموسوي

المتابعة والتنفيذ: م.م.ضياء محمد حسن

الإدارة الفنيـــة : م.م. علي رزاق خضير

التصميم و الاخراج الطباعي:علي عبدالحليم – احمد هاشم الحلو

عدد النسخ: ٢٥٠

١٤٤٥هـ – ٢٠٢٣ م

دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع

ISBN:978-9922-680-36-1

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٩٥٨) لسنة ٢٠٢٣

العتبة العباسية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية، مؤلف.

البحوث الاكاديمية المشاركة ضمن فعاليات المؤتمر العلمي الدولي السنوي التاسع لفكر الامام الحسن المجتبى عليه السلام. الجزء الثالث.-الطبعة الاولى.- كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، جمعية العميد العلمية والفكرية، ١٤٤٤ هـ. = ٢٠٢٣.

مجلد ؛ ٢٤ سم

يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.

ردمك : ٩٧٨٩٩٢٢٦٢٥٤٥٤

١. الحسن بن علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام، ٣-٥٠ هجري -- مؤتمرات. أ. العنوان.

LCC : BP193.12 .A836 2023

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

فهرسة اثناء النشر

المؤتمر العلمي الدولي السنوي التاسع لفكر

الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

الشريفة

-الجزء الثالث -

البحوث الاكاديمية

٧	المواعظ القرآنية في حِكَمِ الإمام الحسن المجتبى عليه السلام	أ.م.د. محمد خضير عباس الجيلاوي أ.م.د. خالد يونس النعماني
٥٣	حسنيّة الاجتباء المفهوم والمصداق ومظاهر الاجتباء	أ.د. عباس امير معارز
٧٣	دفاع أهل البيت عليهم السلام عن العقيدة الإسلامية الإمام الحسن عليه السلام أنموذجًا	الشيخ عليّ فائق العيدانيّ
٩٥	شخصية الإمام الحسن عليه السلام في مصادر المسلمين ملامح العظمة وسمو الشخصية الربانية	الباحث حسن علي الجوادي
١١٣	قراءة تحليلية في التراث المروي للإمام الحسن عليه السلام التفسير والأدعية أنموجاً	أ.د. خليل خلف بشير م.م. ستار جليل عجيل
١٣١	كرونولوجيا الإشاعة وأنسنة حياة الإمام المجتبى الحسن عليه السلام	د. مها توفيق شبيطه
١٦٣	مفهوم العقل عند الإمام الحسن عليه السلام دراسة موازِنة مع مفاهيم القرآن	م.د. رائد حاكم الكعبي
١٩١	أسلوبية الموجهات الحجاجية في خطب الإمام الحسن عليه السلام	أ.م.د. ظافر عبيس الجياشي

٢٣٥	النصوص المأثورة عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام حديث الإمام الحسن عليه السلام مع حبابة الوالبية في اثبات الإمامة اختياراً دراسة سندية في ضوء المنهج الحديثي	م.د. مصطفى صالح مهدي
٢٦٩	أثرُ القرآنِ الكريمِ في النصِ الخطابي للإمام الحَسنِ المُجتبى عليه السلام خطبة نعي الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام انموذجاً	أ.د.المتمرس عبد اللطيف حمودي الطائي
٢٨٩	اداب الإمام الحسن عليه السلام في مناظراته وحكمه	الباحث علي حميد صدام
٣٠٩	الإمام الحسن عليه السلام في مواجهة التضليل التاريخي فرائد السيرة ورد الشبهات	الباحث عمر عماد نهاد
٣٣٩	المناظرة بين الإمام الحسن عليه السلام ومخالفيه	أ.د. مهدي صالح سلطان
٣٦٣	الأداء الحجاجيّ بالأفعال الكلاميّة في عدد من النصوص المندّدة بصلح الإمام الحسن عليه السلام	د. محمد منصور حسين البياتيّ
٣٨٥	الشبهات الأموية في مرآة الفضائل الحسنية	أ.م.د. صابرين زغلول السيد
٤٢١	الحكمة الحسنية تقديم وحدة الأمة على فتنة السلطة	أ.م.د. ثريا بن مسمية

1	A Pragmatic Study of Politeness in Al-Imam Al-Hassan (Peace be upon him) Selected Sermons	Dr. Zina Abdul-Hussein Khudhair Ashammari
17	Condensed Discourse: Epistemological and Social Dimensions in Religious Sermons	Dr. Hussein Huwail Ghayadh Asst. Lect. Ali Hussein
31	Critical Stylistic Analysis of Evidentiality In Selected Speeches by Imam Hassan (PBUH)	Asst. Lect. Ali Hussein Abdulameer
53	Linguistic Markers of Sadness in English with Reference to Selected Speeches by Imam Hasan	Asst. Prof. Zainab Hussein Alwan
67	Journalistic and Historical Aspects: Ethics of Imam Al-Hassan (as) in His Sermons	Dr. Zeeshan Abbas Razvi
89	A Stylistic Account of Reporting Verbs in Forged Hadiths Referencing Imam Al-Hassan's Polygamy	Maha Al-Mohammed Haidar Ali M.H.
107	Refutation of the Suspicions of Entitlement of the Caliphate in Al-Imam Al –Hasan's Debates: Critical Stylistic Analysis	Inst. Dr. Adawyia Sattar Abood

المواعظ القرآنية في حِكَمِ

الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

أ.م.د. محمد خضير عباس الجيلاوي - أ.م.د. خالد يونس النعماني
كلية الشيخ الطوسي الجامعة / النجف الاشرف

ملخص البحث

كان الإمام الحسن عليه السلام قدوة لكل مؤمن؛ إذ تولى أعباء الإمامة ومهمات الحُكم. وقد ترك السلطة حين علم بأنها لم تعد الوسيلة النظيفة لأداء الرسالة، وأنَّ هناك وسيلة أفضل وهي الانسحاب وبَثّ الروح الرسالية في الأمّة من جديد، عبر تربية القيادات، وقيادة المؤمنين الصادقين، ونشر الأفكار والعلوم التربوية. لقد عاش الإمام عليه السلام مَرحلة هبوط الروح الإيمانية عند الناس، وبالذات في القبائل العربية التي خرجت من جَوِّ الحجاز، وانتشرت في أراضي الخير والبركة، فنسيت رسالتها أو كادت. ونظراً لأهمية الحركة الفكرية والعلمية والتربوية في حياة المجتمع، فقد تطرقنا في هذا البحث إلى قسمٍ من حِكَمِهِ عليه السلام، وقمنا بتحليلها تحليلاً علمياً دقيقاً مشفوعاً بمقارنتها مع النص القرآني، فكان القرآن الكريم المورد العذب الذي نهل منه عليه السلام، فأخذ يحاكي أسلوبه، ويترسَّم خطاه؛ ليزيّن بها مواعظه وأقواله، فيضفي عليها طابع الجزالة والرَّصانة والرَّونق والبهاء. فكانت كلماته البليغة قد عالج فيها جميعاً مزيداً من الجوانب الاجتماعية والأخلاقية والتربوية.

ولم يكن الجانب العلمي للإمام عليه السلام نظرياً بحتاً؛ بلْ كان أخلاقياً تربوياً. فقد كانت أفكاره الفقهية التي تعبّر عن روح النص الشرعي تنزع نحو التربية الأخلاقية وبناء الإلزام الذاتي عند الفرد، لاسيما فيما يتعلق بتربية الذات كطلب العلم، والإيمان، والوفاء، الأدب، والمروة، والتقوى، والحياء، والمصاحبة ونحوها من الصفات الأخلاقية التي تساهم مساهمة حاسمة وفعالّة في بناء ذات المؤمن على النقاء والطهارة والفهم النفسي الداخلي للأشياء الخارجية. وقد استثمر الإمام عليه السلام جميع الوسائل الفكرية المُتاحة في سبيل نشر الرسالة العلمية والاجتماعية والأخلاقية.

فكان عليه السلام قدوة الصلاح، وأسوة التضحيات، وجماع المكرمات. وكان يزجي بالنصائح الكافية، والعضات الشافية إلى المجتمع بين حين وحين من هذه المواعظ والحِكَم التي عليها مسحة من العلم الإلهي، وهي صغيرة الجمل إلا أنها كبيرة المعاني؛ بلْ وهي خير كلام.

وما أحوج كل مؤمن للتتلمذ على هذه الوصايا لتصبح المنظار الذي يرى من خلاله الحياة وأحداثها. ولتكون هدى يضيء له طريق الاستقامة والنجاح.

Abstract

Imam Hassan was a role model for every believer; as he assumed the duties of the Imamate and the tasks of governance. He left the authority when he learned that it was no longer a clean way to implement the mission . In time there was a better way, that is , to withdraw and re-spread the missionary spirit in the nation, through educating leaders, the leadership of true believers, and the dissemination of educational ideas and sciences. The imam lived through the stage of the decline of the faith spirit among the people, especially in the Arab tribes that came out of the Hijaz, and spread in the lands of goodness and blessing, and they forgot their message or. In view of the importance of the intellectual, scientific and educational movement in the life of society, the current study discusses his wisdom and analyzed it in an accurate scientific analysis accompanied by comparing it with the Quranic text. The Imam (peace be upon him) was an example of righteousness and an example of sacrifice and used to give sufficient advice to the society from time to time as he inherited a sense of divine knowledge man needs in such a world to illuminate his path of integrity and success.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد: فالإمام الحسن المجتبى عليه السلام كريم أهل البيت، ورابع أصحاب الكساء تربى بحضن النبوة وترعرع في كنف الرسالة، وشهد الوحي وتلقف حكمة السماء من منبعها العذب، ونشأ في حجر جده المصطفى صلى الله عليه وآله، وتربى في حضن أمه الزهراء البتول الطاهرة المطهرة بضعة النبي [وروحه التي بين جنبيه، فتلقف من حجرها الطاهر سائغ الإيمان والعقيدة الحقة، ثمَّ عكف على علم رباني آخر تلقاه من أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أخي رسول الله وصنوه وموضع سره وكهف علمه ووزيره الذي هو منه بمنزله هارون من موسى، فمن هنا تلقى الإمام الحسن عليه السلام علمه ومن تلك الشخوص القدسية بزغ نوره ومن بين تلك الحجرات الطاهرة نشأ وتربى وتمثل المعرفة الربانية والحقيقة الإلهية، وارتشف من معين الحكمة الصافي وأخذ من صنوف العلم ما لا يحصى، فكانت كلماته تسيل علماً جماً، وتنهمر منها المواعظ الفريدة وتتفجر منها النوادر العجيبة، ولا غرو في ذلك فهو ربيب طه وابن أمير المؤمنين عليه السلام وبضعة الزهراء عليها السلام.

وفقد اخترنا في هذا الموضوع ستة عشر من حِكَم الإمام عليه السلام في مختلف المجالات، وقمنا بتحليلها، ثمَّ ذكرنا الآيات القرآنية المتعلقة بتلك الحِكَم.

وقد تضمن البحث على مقدمة وتمهيد تعرضنا فيه لمعنى الموعظة والحِكمَة في اللغة والاصطلاح، ليكون مدخلاً للبحث الذي خاض في مواعظ الإمام الحسن عليه السلام وحِكَمِهِ. ثمَّ خلص البحث إلى خاتمة أبانت أهم النتائج التي توصلنا إليها.

وكانت قائمة المصادر التي نهل منها البحث حاضنة لمظان كثيرة ومتنوّعة، منها: المعجمات اللغويّة، وكتب الحديث، والتاريخ والسير، وهي التي تطلّبها موضوع البحث.

التمهيد: المَوعِظَة والحِكْمَة لغة واصطلاحاً

المَوْعِظَةُ في اللغة: مصدر الفعل وعظ.

جاء في كتاب العين للخليل الفراهيدي (ت ١٧٥هـ): **وعظ**: العظة: الموعظة.

وعظت الرجل أعظه عظة وموعظة: واتعظ: تقبل العظة، وهو تذكيرك إياه الخير ونحوه مما يرق له قلبه[١].

وقال الجوهري (ت ٣٩٣هـ): **الوَعِظ**: النصح والتذكير بالعواقب. تقول: وعظته وعظاً وعظة فاتعظ، أي قبل الموعظة. يقال: السعيد من وعظ بغيره، والشقي من اتعظ به غيره[٢].

وقال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): **الوَعِظ**: الواو والعين والظاء كلمة واحدة. فالوعظ: التخويف والعظة الاسم منه[٣].

وقال الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥هـ): **الوَعْظُ**: زجر مقترن بتخويف[٤].

وقال ابن سيده (ت ٤٥٨هـ): هو تذكيرك للإنسان بما يُلَيِّن قلبَه من ثواب وعِقاب. وَعَظْته وَعْظاً فاتَّعَظ[٥].

وقد وردت لفظ (**المَوْعِظَةُ**) في القرآن الكريم على ثلاثة عشر وجهاً، وهي كما يأتي: (أَوَعَظْتَ، أعِظُكَ، أعِظُكُمْ، تَعِظُونَ، يَعِظُكُمْ، يَعِظُهُ، عِظْهُمْ، فَعِظُوهُنَّ، تُوعَظُونَ، يُوعَظُ، يُوعَظُونَ، الْوَاعِظِينَ، مَوْعِظَةٌ).

المَوْعِظَةُ اصطلاحاً:

المَوْعِظَةُ: باب من أبواب الدعوة إلى الله تعالى، وأسلوب من أساليب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر[٦].

والموعظة الحسنة، معناها الوعظ الحسن وهو الصّرف عن القبيح على وجه الترغيب في تركه والتزهيد في فعله، وفي ذلك تليين القلوب بما يوجب الخشوع وقيل: إنَّ الحِكمة هي النبوّة والموعظة الحسنة مواعظ القرآن الكريم[٧].

والأصل في الموعظة أنها: القول الذي يلين نفس المخاطب ليستعد لفعل الخير والاستجابة له. والموعظة في معناها تدل على ما يجمع الرغبة بالرهبة والإنذار بالبشارة، ولهذا قال ابن

عطية الاندلسي (ت ٥٤٦هـ): الموعظة الحسنة: التخويف والترجئة والتلطف بالإنسان بأنْ تجله وتنشطه وتجعله بصورة من يقبل الفضائل(٨).

ويشير الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) إلى معنى لطيف في هذا حين يقول: إنَّ الموعظة الحسنة هي التي لا تخفى عليهم أنك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم(٩).

ومن الوعظ الحسن إلانة القول وترغيب الموعوظ في الخير: ﴿ **اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى** ﴾(١٠).

الحِكْمَة في اللغة:

قال الجوهري: الحُكم الحِكْمَةُ من العِلْمِ، والحَكِيمُ العالِمِ وَصاحِب الحِكْمَة. والحَكيم: المتقن للأمور. وقد حَكُمَ أي صار حَكِيماً(١١).

وقال ابن فارس: الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو: المنع، وأول ذلك الحكُم، وهو المنع من الظلم، وسميت حكمة الدابة؛ لأنها تمنعها. يقال حكمت الدابة وأحكمتها. ويقال حكمت السفيه وأحكمته إذا أخذت على يديه(١٢).

وقال الراغب الاصفهاني: **الحِكْمَةُ**: إصابة الحق بالعلم والعقل، فالحِكمة من الله تعالى: معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان: معرفة الموجودات وفعل الخيرات(١٣).

وقال ابن منظور (ت ٧١١هـ): قيل: الحَكِيمُ ذو الحِكمة، والحِكْمَةُ عبارة عن معرفة أفضل الأَشياء بأفضل العلوم. ويقال لِمَنْ يُحْسِنُ دقائق الصِّناعات ويُتقنها: حَكِيمٌ(١٤).

وقال الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) في تاج العروس: **الحِكْمَةُ**، بالكَسْر: العَدْلُ في القَضاءِ كالحُكْمِ. **والحِكْمَةُ**: العِلْمُ بحَقائق الأَشْياءِ على ما هي عَلَيْه، والعَمَلُ بمُقْتَضاها، ولهذا انقسمت على عِلْمِيَّةٍ وَعَمَلِيَّة. ويقال: هي هيْأة القُوَّة العَقْلِيَّة العِلْمِيّة. وقيل: الحِكْمَةُ: إِصابَةُ الحَقِّ بالعِلْم والعَمَلِ(١٥).

هذه أهم المعاني اللغوية التي وردت في الحِكمة وأصلها. وكلها تدور حول المنع؛ لأنها تمنع صاحبها من الوقوع فيما يذم فيه، أو ما قد يندم عليه، وتمنعه من اختيار المفضول دون الفاضل، أو المهم قبل الأهم.

وقد ورد لفظ (**الحِكْمَة**) في القرآن الكريم عشرين مرة، في تسع عشرة آية، في اثنتي عشرة سورة، وقد ورد لعدة معان. وأنَّ لفظ (**الحَكِيم**) ورد في القرآن الكريم عشرات المرات. والحكيم اسم من أسماء الله تعالى. ونسب سبحانه وتعالى الحِكمة إلى نفسه، وجعل إيتاءها من عنده. وقد ورد لفظ (**حَكِيم**) في القرآن الكريم إحدى وعشرين مرة، و(**حَكِيماً**) ست عشر مرة.

الحِكْمَةُ اصطلاحاً:

وردت كلمة (**الحِكْمَة**) في نصوص الشرع مراداً بها: الكتب السماوية من القرآن الكريم والإنجيل وغيرها. ومراداً بها أيضاً: النبوة، والهدى، والرشاد، والعدل، والعلم، والحلم والتفقه.

وتطلق الحِكمة على معان: منها المصلحة، كقولك: الحِكمة من هذا الشيء كذا. ومنها الموعظة، مثل الحِكمة ضالة المؤمن، ومنها العلم والفهم، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ** ﴾(١٦). ومنها النبوة، كقوله تعالى: ﴿ **وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ** ﴾(١٧).

وتطلق الحِكمة على الفلسفة. وقال قائل: الحِكمة هي علم الفقه. وقال آخر: هي جميع العلوم الدينية. وقال ثالث: هي طاعة الله تعالى فقط.

ومهما قيل أو يقال فإنَّ الحِكمة لا تخرج أبداً عن معنى السداد والصواب، ووضع الشيء في موضعه قولاً وعملاً، فالحَكيم هو الذي يحكم الشيء، ويأتي به على مقتضى العقل والواقع، لا بحسب الميول والرغبات، ولا يستعجله قبل أوانه، أو يمسك عنه في زمانه، أو ينحرف به عن حدوده وقيوده.

وعلى هذا فالحِكمة لا تختص بالأنبياء والأولياء، ولا بالفلاسفة والعلماء، فكل من اتقن عملاً وأحكمه فهو حَكيم فيه، سواء أكان فلاحاً، أم صانعاً، أم تاجراً، أم موظفاً، أم واعظاً، أم أديباً، أم خطيباً، أم حاكماً، أم جندياً، أم غيره (١٨).

وقال الإمام علي عليه السلام في وصيته للإمام الحسن المجتبى عليه السلام في باب الموعظة والحِكمة: (**أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وأَمِتْه بِالزَّهَادَةِ، وقَوِّه بِالْيَقِينِ، ونَوِّرْه بِالْحِكْمَةِ**) (١٩).

المواعظ القرآنية في حِكَمِ الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

قال عليه السلام في التفكّر فيما يودع الصدر: (**عَجَبٌ لِمَن يَتَفَكَّرُ في مَأكولِهِ، كَيفَ لا يَتَفَكَّرُ في مَعقولِهِ! فَيُجَنِّبُ بَطنَهُ ما يُؤذيهِ، ويودِعُ صَدرَهُ ما يُرديهِ**)(٢٠).

قال القاضي سعيد القمي (ت ١١٠٣هـ) في شرح التوحيد: اعلم! أنَّ الغذاء على نحوين: غذاء الأجسام، وغذاء الأرواح. وفي الخبر في تفسير قوله عزَّ شأنه: ﴿**وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ**﴾(٢١). وقال: إنما هو العالم وما يخرج منه من العلم، فكما أنَّ لطيف الأغذية يصير جزءاً للمغتذي ويكمل به ويسمن من أجله، كذلك العلم يصير جزءاً للنفس يتقوى به ويتكامل بسببه(٢٢). فعلى الإنسان أنْ يتزود فضلًا عن طعامه لجسمه ما هو مهم لفكره وعقله وآخرته، قال تعالى: ﴿**وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**﴾(٢٣). أي اجعلوا زادكم لمعادكم اتّقاء القبائح لا ما يتّخذ من الطعام؛ وذلك لأنَّ زاد الدنيا يخلصك من احتياج الدنيا وعذاب منقطع وزاد الآخرة ينجّيك من عذاب دائم.

وفي قول الإمام عليه السلام في المأكل فقد جاء في قوله تعالى: ﴿**فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ**﴾(٢٤).

وقال الشيرازي في تفسيره للسورة: وإذا ما أعطت السورة كل هذه الأهمية لغذاء البدن، فهي تدفع الإنسان للتحري عن سلامة غذائه الروحي؛ لأنَّ فعل التعليمات المنحرفة والتوجيهات الفاسدة الباطلة كفعل الغذاء المسموم، فهي تنخر في البناء الروحي وتعرض حياة الإنسان للخطر. ومما يحز في نفوس المؤمنين أنْ يروا قسماً من الناس وقد تكالبوا على غذاء البدن بكل دقة واعتناء، وأهملوا الغذاء الروحي فترى - مثلاً - من يقرأ أي كتاب وإنْ كان فاسد ومفسد، ويستمع لأي حديث وإنْ كان ضالاً مضلاً، من دون أنْ يضع لتوجيهاته أي ضابط بقيد أو شرط! وقد جسد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام هذا المعنى بقوله: (**عَجَبٌ لِمَن يَتَفَكَّرُ ...**) (٢٥).

إنَّ الذي يعتني بصحته لا يتناول طعاماً من يد شخص مصاب بالسل أو الجدري؛ لأنه لا يطمئن إلى سلامة الطعام ونظافته. فهناك أفراد مصابون بالأمراض الروحية والخلقية ولذلك فإنَّ أقوالهم وكتاباتهم التي تعد بمنزلة غذاءً روحياً للناس ليست مأمونة؛ وذلك لأنَّ من الممكن أنْ يلوث فساد الفكر ألسنتهم وأقلامهم أيضاً ويؤدي ذلك إلى انتشار الانحراف

والفساد في المجتمع ... فعلى الانسان أنْ ينتبه إلى علمه الذي هو غذاء روحه عمن يأخذه. فإنْ كان المعلم منحرفاً وفاسداً فلا يمكن الاطمئنان إلى سلامة أقواله وتعاليمه (٢٦).

وقد ورد لفظ الحث على التفكّر في الكتاب العزيز: ﴿ **كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ** ﴾(٢٧). ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ** ﴾(٢٨). ﴿ **وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً** ﴾(٢٩). ﴿ **فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾(٣٠). ﴿ **كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾(٣١). ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾(٣٢). ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾(٣٣). ﴿ **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾(٣٤). ﴿ **وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾(٣٥).

وقال الإمام الحسن عليه السلام أيضاً في فضل التفكّر: (**عَلَيكم بِالفِكرِ، فَإنَّهُ حَياةُ قَلبِ البَصيرِ ومَفاتيحُ أبوابِ الحِكمَةِ**)(٣٦).

إنَّ حقيقة التفكّر طلب علم غير بديهي من مقدمات موصلة إليه كما إذا تفكر أنَّ الآخرة باقية والدنيا فانية، فإنه يحصل له العلم بأنَّ الآخرة خير من الدنيا، وهو يبعثه على العمل للآخرة، فإنَّ التفكّر سبب لهذا العلم والعمل.

وقيل: التفكّر سير الباطن من المبادي إلى المقاصد، وهو قريب من النظر. ولا يرتقي أحد من النقص إلى الكمال إلا بهذا السير، ومبادئه الآفاق والأنفس، بأنَّ يتفكر في أجزاء العالم وذراته، وفي الأجرام العلوية، وفي الأجرام السفلية، وفي أجزاء الإنسان وأعضائه. وغير ذلك مما لا يحصى كثرة. ويستدل بها وبما فيها من المصالح والحكم والتغيير على كمال الصانع وعظمته وعلمه وقدرته وعدم ثبات ما سواه.

ومن هذا القبيل التفكّر في أحوال الماضين، وانقطاع أيديهم عن الدنيا وما فيها، ورجوعهم إلى دار الآخرة، فإنه يوجب قطع المحبة عن غير الله تعالى، والانقطاع إليه بالتقوى والطاعة، ولذا أمر بهما بعد الأمر بالتفكّر، ويمكن إعمام التفكّر إعماماً يشمل التدبر في معاني الآيات القرآنية والأخبار النبوية والآثار المروية عن الأئمة الأطهار والمسائل الدينية والأحكام الشرعية، وبالجملة كل ما أمر الشارع بالخوض فيه والعلم به(٣٧).

وقال عليه السلام في ذم المزاح: (**الْمِزَاحُ يَأْكُلُ الْهَيْبَةَ، وَقَدْ أَكْثَرَ مِنَ الْهَيْبَةِ الصَّامِتُ**) [٣٨].

الحديث المتقدم يتناول ظاهرة لا يكاد يخلو منها مجتمع ما، بيد أنَّ التصور الإسلامي للمزاح يتناوله من زاويتين، ايجابية، وسلبية، أما الايجابية فهي: المزاح الذي يستهدف صاحبه ادخال السرور على الآخر، بينما يتسم المزاح السلبي بأنه عدواني، أي: يستهدف صاحبه إلحاق الاذى بالآخر، أي: إنه تعبير عن نزعة عدوانية، ولذلك وسمه الإمام زين العابدين عليه السلام بأنه: (سب صغير)، ويقصد به: النزعة العدوانية التي يصدر عنها صاحب المزاح، فيتخذ المزاح بصفته مقبولاً في المجتمعات ستاراً يتقنع به للتعبير عن نزعته العدوانية، بصفة أنَّ العدوان غير مقبول اجتماعياً. المهم أنَّ الإمام الحسن عليه السلام في ذهابه إلى أن المزاح يأكل الهيبة ينظر إليه من الزاوية السلبية، وهو فضلاً عن أنه تعبير- في غالب الأحيان - عن نزعة عدوانية، إلا أنَّ الاكثار منه حتى لو كان ايجابياً يسبب استجابات سلبية تنعكس على صاحب المزاح، ألا وهي: الجرأة عليه، وتسبيبه لذهاب الهيبة أي: إنَّ ذهاب الهيبة يتنافى مع أحد دوافع الشخصية، ألا وهو: الدافع إلى التقدير الاجتماعي والتقدير الذاتي، وهذا من حيث دلالة الحديث.

والحديث المذكور يجسد عبارة فنية، هي انتسابه إلى الاستعارة، أي: أنَّ الإمام عليه السلام خلع طابعاً مادياً على سلوك معنوي، أي: خلع صفة (الأكل) - وهو مادي - على ذهاب الهيبة وهو معنوي، فالهيبة تعني: اكساب الشخصية تقديراً واحتراماً، فاذا ذهبت الهيبة، سقطت الشخصية واقترن موقعها عند الآخرين بالهوان الاجتماعي، والسؤال الآن، هو: ما النكتة البلاغية الكامنة وراء الاستعارة المذكورة؟ واضح أنَّ الهيبة مادامت تعني مظهراً للشخصية، حينئذ فإنَّ (الأكل) لهذا المظهر يعني غيابه عن الشخصية فمع أنَّ الشخصية في الحالتين لها موقع اجتماعي، إلا إنه في حالة (الهيبة) يقترن موقعها بظهور التقدير، أما في حالة (الهوان) فيقترن موقعها بعكس ذلك، من هنا تجيء استعارة (الأكل) متناسبة مع ذهاب الهيبة؛ لأنَّ المزاح هو المسبب لذهاب الهيبة، بمعنى أنه (آكل) لها، مما تتناسب ظاهرة (الأكل) مع ذهاب الطعام الذي يتغذى به الشخص، أي: التقدير الاجتماعي وحينئذ يبقى جائعاً لا وجود للتقدير حياله، وهو موت للشخصية، كما هو واضح[٣٩].

ويقول سبحانه وتعالى في كتابه العزيز في النهي عن المزاح الذي هو وجه للمرح والسعادة والتبختر وغيرها: ﴿ وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولا ﴾(٤٠).

﴿ وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾(٤١).

الصعر: ميل في العنق، والتصعير امالته عن النظر كبراً، وقال الراغب الأصفهاني المَرَحُ: شدّة الفرح والتّوسّع فيه(٤٢). وفي هذا يقول الشاعر الفرزدق في قصيدته المأثورة عن الإمام السجاد عليه السلام:

يُغضي حَياءً ويغضى من مَهابته ... فما يُكلَّمُ إلاّ حينَ يبتسمُ(٤٣)

وقد كانت هيبة رسول الله صلى الله عليه وآله في هدوئه ووقاره، فلم يكن يسمع منه ضحك أو مزاح، وفي ذلك سيرة أهل البيت عليهم السلام.

وقال عليه السلام في كيفية مصاحبة الناس: **(صاحِبِ النّاسَ مِثلَ ما تُحِبُّ أن يُصاحِبوكَ بِهِ تكن عدلاً)**(٤٤).

إنَّ المصاحبة تعني المعاشرة والملازمة، وجاء في رسالة الإمام زين العابدين عليه السلام(٤٥) وكتاب الأمالي ومن لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ): أما حق الصاحب فإنْ تصحبه بالمودة والإنصاف وتكرمه كما يكرمك، ولا تدعه يسبقك إلى مكرمة فإنْ سبق كافئته، وتوده كما يودك، وتزجره عما يهم به من معصية، وكن عليه رحمة، ولا تكن عليه عذاباً، ولا قوة إلا بالله تعالى(٤٦).

وفي آداب الصحبة لأبي عبد الرحمن السلمي (ت ٤١٢هـ) قال: الصحبة على وجوه، لكل واحد منها آداب ومواجب ولوازم، فالصحبة مع الله تعالى باتباع أوامره، واجتناب نواهيه، ودوام ذكره، ودرس كتابه، ومراقبة أسراره أنْ يختلج فيها ما لا يرضاه، والرضا بقضاء الله تعالى، والصبر على بلائه، والرحمة والشفقة على خلقه، وما ينحو نحوه من هذه الأخلاق الشريفة ... والصحبة مع الأهل والولد بالمداراة، وحسن الخلق، وسعة النفس، وتمام الشفقة، وتعليم الأدب والسنة، وحملهم على الطاعات، والصفح عن عثراتهم، والعفو عن مساوئهم، ما لم يكن إثماً ومعصية.

والصحبة مع الإخوان بدوام البشر، وبذل المعروف، ونشر المحاسن، وستر القبائح، واستكثار قليل برّهم، واستصغار ما منك إليهم، وتعهدهم بالنفس والمال، ومجانبة الحقد والحسد والبغي والأذى وما يكرهون من جميع الوجوه، وترك ما يعتذر منه.

والصحبة مع العلماء بملازمة حرماتهم، وقبول قولهم، والرجوع إليهم في المهمات والنوازل، وتعظيم ما عظم الله تعالى من محلهم إذ جعلهم خلفاً لنبيّه وورثته.

والصحبة مع الوالدين ودهما بالنفس والمال، وخدمتهما في حياتهما، وإنجاز وعدهما، والدعاء لهما في كل الأوقات ما داما في الحياة، وحفظ عهدهما بعد الممات.

والصحبة مع الضيف بحسن البشر، وطلاقة الوجه، وطيب الحديث، وإظهار السرور، والكون عند أمره ونهيه، ورؤية فضله، واعتقاد المنزلة حيث أطربك بدخول منزلك، وتكرم بطعامك(٤٧).

وفي قوله تعالى: ﴿ **وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا** ﴾ (٤٨): أي مصاحباً معروفاً، تقول صاحبه مصاحباً ومصاحبة، فالصحبة هنا بين ولد ووالدين مختلفين بالاعتقاد.

وقال ابن عاشور (ت ١٢٨٤هـ) في تفسيره للآية: المصاحبة: المعاشرة، ومنه حديث معاوية بن حيدة، أنه قال لرسول الله : من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ (٤٩). قال : ((أمك)) – قالها ثلاث مرات – ثمَّ قال : ((أبوك)) (٥٠).

وقد رفع القرآن الكريم منزلة شكر الوالدين إلى منزلة شكر الله تعالى على الرغم من أنَّ نعم الله تعالى التي يشكرها الإنسان لا تعد ولا تحصى. وإنَّ ما جاء في القرآن الكريم لا يسمح بأدنى اهانة للوالدين، ولا يجوز ذلك، وعلى الرغم من أنَّ الجهاد يعدّ من أهم الاركان الإسلامية، إلا أنَّ رعاية الوالدين تعد أهم منه، بلْ لا يجوز إذا أدى الأمر إلى أذية الوالدين، بالطبع هذا إذا لم يكن الجهاد عينياً، وإذا توافر العدد الكافي من المتطوعين له.

والمتتبع لمادة (**صحب**) ومشتقاتها في القرآن الكريم: (تصاحبني)(٥١)، و(صاحبهما)(٥٢)، و(يصحبون)(٥٣)، و(الصاحب)(٥٤)، و(صاحبكم)(٥٥)، و(صاحبه)(٥٦)، و(صاحبهم)(٥٧)، و(صاحبي)(٥٨)، و(صاحبة)(٥٩)، و(صاحبته)(٦٠)، و(أصحابهم)(٦١)، و(أصحاب)(٦٢). يجد أنها قد وردت سبعاً وتسعين مرة، وليس هناك اختلاف بين المعنى اللغوي الذي ذكره أصحاب اللغة وبين الصحبة في القرآن الكريم(٦٣)، فقد أطلقها القرآن الكريم في ما يتعلّق العشرة بين مؤمن ومؤمن، وبين مؤمن وكافر، وبين كافر وكافر.

وفي الكتب السماوية الأخرى، فقد ذكر في الكتاب المقدّس مشتقات صَحِبَ: (صَاحَبَ)،

و(صاحب)، و(صَحَبَ)، و(صاحبي)، و(صحبة)، و(صحبه)، و(مصاحبة)، و(صاحبك)، و(صاحبكم)، و(صاحبة)، و(صاحبه)، و(تصاحب)، (يصاحب)، و(يصاحبه)، و(صاحبها)، و(صاحبتها)، و(صاحباهما)، و(صاحبته)، و(صاحباتكن)، و(اصطحب)، و(أصحابهما)، و(أصحابها)، و(أصحابهم)، و(أصحابه)، و(أصحابي)، و(أصحاب) [٦٤]، ومجموع ما ذكر في الكتاب المقدس من مشتقات صحب أكثر مما جاء في القرآن الكريم. ولم يكن لها ذاك المعنى الاصطلاحي كما جاء عن العلماء المسلمين في القرآن الكريم، وليس لها أية فضيلة لصحبة الأنبيّاء عندهم.

●وقال عليه السلام في وصف التقوى: **(التّقوى باب كلّ توبة، ورأس كلّ حِكمة، وشرف كلّ عمل، بالتقوى فاز من فاز من المتقين)** [٦٥].

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ **إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفازاً** ﴾ [٦٦]. وقال تعالى: ﴿ **وَيُنَجِّي الله الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [٦٧]. وقال عليه السلام في فضل التقوى: **(فاتقوا الله عباد الله واعلموا أنه (وَمَنْ يَتَّقِ الله يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً)** [٦٨] **(من الفتن ويسدده في أمره ويهيئ له رشده ويفلجه بحجته ويبيض وجهه ويعطيه رغبته)**[٦٩] ﴿ **مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَداءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً** ﴾ [٧٠].

هذه الموعظة جامعة يسديها الإمام الحسن عليه السلام إلى الملأ المسلم ليصلح بذلك دنياهم وأخراهم، كما هو شأن الأنبياء والأئمة عليهم السلام، فإنَّ الإنسان مهما أوتي من ملكة صالحة، ونفس طيبة، لا بد أنْ يحتاج إلى الوعظ والإرشاد، فإنَّ في الوعظ جلاء القلوب، وشفاء الصدور، فيأمر الإمام عليه السلام بكلامه هذا بالتقوى، ويحذر الناس سوء العاقبة ووخامة المصير، وإنَّ الخوف من الله سبحانه واتقاء عذابه رأس كل فضيلة، وسنام كل حسنة، ومنتهى كل غاية.

والتقوى، استعملت في اللغة في معان مختلفة، واطلقت عليها كالصيانة والستر من الأذى، ومخافة الله تعالى والعمل بطاعته، والخشية، والهيبة، وغيرها فيظن القارئ في أول نظرة أنها متباينة، وكل واحدة منها قسيم للآخر، ولكن بالنظر العميق يستكشف أنها جمعاء ترجع إلى معنى واحد، وهو التحفظ عن الوقوع في المكروه، وصون النفس عن المكاره وستره عن حلول الأذى فيها، وهذا المعنى يختلف في المقامات، فتارة يحصل صون النفس وحفظها عن

المضرات بالعمل وإيجاد فعل، وأخرى يتوقف حفظ النفس وصيانتها من الآلام والأذى على ترك العمل وكف النفس عن الفعل، فمرجع الجميع إلى ما ذكر، وهذا بحسب اللغة والعرف.

وأما بحسب الشرع فلها مراتب، وأول مراتبها الذي تنعقد به العدالة هو اتيان ما أوجب الله تعالى عليه، وترك ما نهى الله تعالى عنه، والظاهر أنها عند الشارع أيضاً باقية على معناها الأول، أي اللغوي والعرفي؛ إذ صون النفس وحفظه عن سخط الله تعالى وعذابه على نحو اليقين والقطع يتوقف على العمل بما أوجب الله تعالى عليه، وترك ما حرم الله تعالى ونهاه عنه، فعلى هذا يقال: إنَّ حقيقة التقوى في اللغة والعرف والشرع، هو صون النفس عن توجه الأذى والألم إليها، والتحرز عن الضرر وما لا يلائم النفس، وهذا المعنى لا يكون مقطوعاً به للمكلف إلا إذا أتى بالواجبات وترك المحرمات(٧١).

وقد ورد الحث الأكيد على التقوى والأمر بها في كثير من الآيات القرآنية حتى ذكرت التقوى بمادتها منطوقاً ومفهوماً في القرآن الكريم في أكثر من مئتين وخمسين مقاماً(٧٢). منها: ﴿ **وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى** ﴾(٧٣). (**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى**)(٧٤). ﴿ **وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ الله لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ** ﴾(٧٥). ﴿ **لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ** ﴾(٧٦). ﴿ **لَنْ يَنَالَ الله لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ** ﴾(٧٧). ﴿ **فَأَنْزَلَ الله سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى** ﴾(٧٨). ﴿ **وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى** ﴾(٧٩). ﴿ **وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ الله هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ** ﴾(٨٠).

والآيات في الأمر بالتقوى كثيرة، منها: قال تعالى: ﴿ **إِنْ تَتَّقُوا الله يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً** ﴾(٨١).

إنَّ حقيقة التقوى هي ذلك الإحساس الداخلي بالمسؤولية، ولولا هذا الإحساس فإنَّ الإنسان لا يندفع ولا يتحرك باتجاه أي برنامج بناء(٨٢). فالتقوى هي الهدف الأسمى للهداية والانتفاع بآيات الله تعالى، كما جاء في الآية الثانية من سورة البقرة: (**هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**). وحقاً أنَّ المرحلة النهائية للتقوى تحصل بعد الإيمان والعمل طبقاً لأوامر الله سبحانه، إلا أنَّ مرحلتها الابتدائية تقع قبل كل هذه المسائل؛ لأنَّ الإنسان إذا لم يحس بالمسؤولية داخلياً، فإنه لا يسعى للتحقق من دعوة الأنبياء والتثبت منها، ولا يصغي إليها، وحتى مسألة (دفع الضرر المحتمل) التي عدها علماء

الكلام والعقائد أساس ودعامة السعي إلى معرفة الله تعالى، فإنها في الحقيقة فرع على التقوى (٨٣).

وللتقوى درجات: أولها اجتناب ذنب الشرك الذي هو أعظم الذنوب الذي معه لا يقبل الله تعالى منه شيئاً ويجعل معه أعماله هباءً منثوراً. وإنَّ التقوى ذات شعب وفروع، منها: التقوى السياسية، والمالية، والإدارية، والاقتصادية والاجتماعية.

وقال عليه السلام في الأدب والحياء والمروءة ووصف العقل: (**لا أدب لمن لا عقل له، ولا مودّة لمن لا همّة له، ولا حياء لمن لا دِين له، ورأس العقل معاشرة الناس بالجميل، وبالعقل تُدرك الدارين جميعاً، ومن حرم العقل حرمهما جميعاً**) (٨٤).

إنَّ من أوضح المصاديق على قول الإمام الحسن عليه السلام (**لا أدب لمن لا عقل له**) هو في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ** ﴾ (٨٥)؛ لأنَّ هذه الآية نزلت بحق من نادى رسول الله صلى الله عليه وآله بصوت أرفع وأجهر من صوته من خلف الحجرات؛ أي لم يطرق الباب أو بمعنى آخر لم يتصّرف بأدب، التي سبقتها الآية الكريمة: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ** ﴾ (٨٦). وهذا لا يفسّر إلا بأحد شيئين: إما نوع من استخفاف به (وهو الكفر، وإما إساءة الأدب بالنسبة إلى مقامه وهو خلاف التعظيم والتوقير المأمور به (٨٧).

أما الفهم العرفي والبديهي لهذا الفعل فانه يصدر ممن لا أدب له فكيف إنْ كان ذلك الفعل قد صدر بحق رسوله الكريم).

أما في قوله عليه السلام: (**ولا مودة لمن لا همة له**) فيأتي بيانها في الآية الكريمة الآتية: ﴿ **ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ** ﴾ (٨٨).

والأمر واضح إنَّ من لا يود شخصاً فإنه لا يعتني بأمره، فمن آذى آل بيت النبوة صلى الله عليه وآله لا يمكن بأي حال من الأحوال أنْ يكون مسلماً، فضلاً عن أنْ يكون عنده لهم مودة.

قيل: إنَّ الخطاب لقريش والمودة في القربى هي المودة بسبب القرابة، وأنَّ المراد بها هي مودة النبي لا مودة قريش، والمراد هم عترته من أهل بيته (٨٩).

أما (الهمة) فلقد وردت في قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلاَ أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** ﴾(٩٠).

والهم هنا هو السوء، ويأتي بمعنى الاقتراب دون الارتكاب(٩١). ويمكن أنْ يأتي المعنى في قوله: ولا مودة لمن لا همة له؛ أي إنَّ لا حب لمن لا يخشى على من يود، وقد تكون الإشارة إلى مودة أهل البيت عليهم السلام خاصة، وبالمعنى العام شمولاً.

أما في قوله عليه السلام: **(ورأس العقل معاشرة الناس بالجميل)**، فهي موجودة في قوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** ﴾(٩٢). وقوله تعالى: ﴿ **ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ قد جاءت على صيغة الأمر، وكذا في قوله تعالى: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾(٩٣). فالإسلام استقام بثلاث: خلق النبي صلى الله عليه وآله وسيف علي وأموال خديجة(٩٤)صلوات الله عليهم أجمعين، وبهذا تظهر الثمرة من معاشرة الناس بالجميل والقول الطيب والحسنى بكل مصاديقها.

وعن أبي الربيع الشامي قال: كنا عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام والبيت غاصٌ بأهله، فقال عليه السلام: **(اعْلَمُوا أَنَّه لَيْس مِنَّا مَنْ لَمْ يَمْلِكْ نَفْسَه عِنْدَ غَضَبِه، ومَنْ لَمْ يُحْسِنْ صُحْبَةَ مَنْ صَحِبَه، ومُخَالَقَةَ مَنْ خَالَقَه، ومُرَافَقَةَ مَنْ رَافَقَه، ومُجَاوَرَةَ مَنْ جَاوَرَه، ومُمَالَحَةَ مَنْ مَالَحَه)**(٩٥).

أما في قوله عليه السلام: **(وبالعقل تدرك الدارين جميعاً)**، فالقصد واضح أنَّ بالعقل تدرك دار الدنيا والآخرة ﴿ **وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ** ﴾(٩٦). فالمتقون في حدائق وأعناب، ولا بد أنْ يكون من صفاتهم العقل؛ لأنَّ الله سبحانه في أكثر من آية من ذكره الحكيم يصف الكافرين بالأنعام؛ بلْ هم أضل سبيلاً وغيرها من الصفات الحيوانية التي تدلل على عدم وجود العقل لغير المتقين أولغير المؤمنين بالله تعالى وكتبه، ومن هذا قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمْ الْغَافِلُونَ** ﴾(٩٧). و ﴿ **أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً** ﴾(٩٨).

أما قوله عليه السلام: (**من حرم العقل فقد حرمهما جميعاً**)، فإنها معطوفة على قوله عليه السلام وبالعقل تدرك الدارين جميعاً.

وقال عليه السلام في الوفاء بالوعد والإنجاز: (**الْوَعْدُ مَرَضٌ فِي الْجُودِ، والْإِنْجَازُ دَوَاؤُهُ**)(٩٩).

الوعد من مكارم الأخلاق، وقد نوّه الله تعالى عن الوعد في كتابه الكريم فقال: ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا** ﴾(١٠٠). وذلك أنّ إسماعيل عليه السلام وعد رجلاً، فمكث في انتظاره سنة كاملة، في مكان لا يبارحه، وفاءً بوعده، وإنه لمن المؤسف أن يشيع خلف الوعد بين المسلمين اليوم، متجاهلين نتائجه السيئة في إضعاف الثقة المتبادلة بينهم، وإفساد العلاقات الاجتماعية، والاضرار بالمصالح العامة بعكس ما دعا إليه الإمام عليه السلام في حديثه.

وإنَّ كلمة الوعد مقرونة بكل الكمالات الإلهية كما في قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ** ﴾(١٠١). ﴿ **فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ** ﴾(١٠٢). ﴿ **جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ** ﴾(١٠٣). ﴿ **وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ** ﴾(١٠٤). ﴿ **السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا** ﴾(١٠٥).

ولمّا جاء القول: إنَّ وعد الحرّ دين، فإنه مدلول الوفاء على ما وعد عند الكرماء والصلحاء والكرام في البذل والجود، والنقيض منه هو عدم الوفاء والخيانة، وجاء في حديث للرسول صلى الله عليه وآله إنَّ من آيات المنافق أنه: ((**إذا وعد اخلف**))(١٠٦)، وهي من صفات الشيطان كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾(١٠٧).

لذا كان من واجب من أوعد أنْ يفي بوعده الذي يكون له مرضاً لا يزول وقيداً لا يكسر حتى يؤديه، فيكون له بذلك الإنجاز دواء لروحه.

وقال عليه السلام: (**الإنجاز دواء الكرم**)(١٠٨). يقول الشاعر أبو الطيب المتنبي:

إذا أنتَ أكرَمتَ الكرِيم ملكته ... وَإنْ أنتَ أكرَمتَ اللَّئيم تمرّدا(١٠٩)

فالكريم يكون مدين للمكرَم حتى يرد عليه ذلك بقدر ما أكرم به؛ أي يكون مدان لمن أكرمه حتى ينجز رد ذلك، وجاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ **هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ** ﴾(١١٠). فلا يجازى الإحسان إلا برد ما أحسن به.

وقال عليه السلام: في ذم الكبر والحرص والحسد: (**هلاك المرء في ثلاث: الكِبر، والحرص، والحسد. فالكِبر: هلاك الدين وبه لُعن إبليس، والحرص: عدوّ النفس وبه أُخرج آدم من الجنّة، والحسد: رائد السوء ومنه قتل قابيل هابيل**)(١١١).

قوله عليه السلام: (**هلاك المرء في ثلاث: الكِبر...**). إنَّ الكبر من أسباب هلاك المرء ففيه أدلة قرآنية ووجدانية، فالكافرون لم يؤمنوا بما أنزل على رسوله الكريم محمد استكباراً منهم، فهم كانوا سادة قريش والعرب واستكبروا أنْ يكونوا اتباعاً للرسول الأمي وأنْ يفقدوا مراكزهم القيادية في مكة، وكذا الحال في نفاق عبد الله بن سلول الذي وجد نفسه بين يوم وليلة وقد فقد مركزه؛ لأنَّ يكون ملكاً على يثرب، فأستحب النفاق على الإيمان. أما ما جاء في كتابه الكريم في هذا الصدد في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ** ﴾(١١٢). ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً** ﴾(١١٣). ﴿ **إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ** ﴾(١١٤). ﴿ **قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَاسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنْ الْعَالِينَ** ﴾(١١٥). هذه الآيات المباركات تشير وبشكل واضح إلى أنَّ ابليس اللعين قد لُعن بسبب كبره واستعلائه على آدم عليه السلام(١١٦).

أما في قوله عليه السلام: في (**الحرص**)، فالحرص عدو النفس وبه أخرج آدم عليه السلام من الجنة(١١٧)، والحرص هنا هو الفتنة. فالحرص هو شدة الحب حتى يكون الافتتان، وفتنة الشيطان هو حب الدنيا، والمثال في الافتتان لقول الإمام الحسن عليه السلام: هو تذكرة واستشهادٌ بافتتان آدم عليه السلام. وعن أبي بصير قال: سأل طاووس اليماني أبا جعفر عليه السلام لم سمي آدم آدم؟ قال عليه السلام: (**لأنه رفعت طينته من آديم الأرض السفلى**)، قال: فلم سميت حواء حواء ؟ قال عليه السلام: (**لأنها خلقت من ضلع حي**)، يعني ضلع من آدم(١١٨). وجاء في قوله تعالى في ذم الحرص: ﴿ **وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾(١١٩).

أما قوله عليه السلام في (**الحسد**)، فالحسد رائد السوء ومنه قتل قابيل هابيل، وهي إشارة من الإمام عليه السلام إلى شر الحسد وشدة مهالكه وسوء نتائجه، ولقد جاء ذكر هابيل وقابيل في كتابه العزيز بعد أنْ قتل قابيل هابيل حسداً لأخيه، والحسد رائد الجوع(١٢٠)، ولم يعرف كيف يصنع بجثته

بقوله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾(١٢١). ووردت هذه القصة في الإصحاح الرابع من سفر التكوين(١٢٢). وحاصلها أنَّ هابيل كان راعياً للغنم وكان قابيل عاملاً في الأرض، وحدث أنْ قدم كلّ منهما قرباناً للرب، وكان هابيل قد قّدم من ابكار غنمه ومن سمانها، فنظر الرب إلى هابيل وقربانه، ولم ينظر إلى قربان قابيل، فأغتاظ قابيل جداً، فقتل أخاه هابيل(١٢٣). وهذا الاستدلال الذي أظهره الإمام عليه السلام أراد من خلاله أنْ يبين خطورة الحسد ومهالكه الاجتماعية لأول جريمة قد حصلت على وجه الأرض. وسوف نتطرق إلى الحسد في حديث آخر للإمام عليه السلام بشكل أوسع.

وقال عليه السلام في معرفة الله تعالى: **(مَن عَرَفَ اللهَ أَحَبَّهُ)**(١٢٤).

إنَّ في قوله عليه السلام: من عرف الله أحب الله، أو من عرف الله أحبه الله، وفي هذا يأتي قول رسوله الأعظم محمد صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: **((يا علي لا يعرف الله إلا أنا وأنت، ولا يعرفني إلا الله وأنت، ولا يعرفك إلا الله وأنا))**(١٢٥).

وعَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثمالي قَالَ: قَالَ لِي أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: **(إِنَّمَا يَعْبُدُ اللهَ مَنْ يَعْرِفُ اللهَ، فَأَمَّا مَنْ لَا يَعْرِفُ اللهَ فَإِنَّمَا يَعْبُدُه هَكَذَا ضَلَالاً)**، قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ فَمَا مَعْرِفَةُ اللهِ؟ قَالَ عليه السلام: **(تَصْدِيقُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ وتَصْدِيقُ رَسُولِه صلى الله عليه وآله ومُوَالاةُ عَلِيٍّ عليه السلام والِائْتِمَامُ بِه وبِأَئِمَّةِ الْهُدَى عليهم السلام والْبَرَاءَةُ إِلَى اللهِ عَزَّ وجَلَّ مِنْ عَدُوِّهِمْ هَكَذَا يُعْرَفُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ)**(١٢٦).

وعن عمرو بن أبي المقدام، عن جابر قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: **(إِنَّمَا يَعْرِفُ اللهَ عَزَّ وجَلَّ ويَعْبُدُه مَنْ عَرَفَ اللهَ، وعَرَفَ إِمَامَه مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، ومَنْ لَا يَعْرِفِ اللهَ عَزَّ وجَلَّ ولَا يَعْرِفِ الإِمَامَ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَإِنَّمَا يَعْرِفُ ويَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ هَكَذَا واللهِ ضَلَالاً)**(١٢٧).

وجاء في كتابه العزيز تفصيلاً للذين يحبهم الله عَزَّ وجَلَّ وآخرين الذين يكرههم سبحانه في عدة آيات(١٢٨). ومن آيات معرفة الله عزَّ وجلَّ: قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ تِلْكَ

آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾(١٢٩). و﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(١٣٠). و﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ﴾(١٣١). و﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾(١٣٢).

من وجهة النظر القرآنية في خلق الإنسان آيات بيّنات ودلالات واضحات تقوده إلى معرفة الله سبحانه، وهذا يعني أنَّ الإنسان لا يمكن أنْ يرى نفسه دون أنْ يرى ربّه، أو يكون عارفاً بنفسه وغير عارف بربّه، ففي القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدّث عن هذا الموضوع، يمكن تقسيمها موضوعياً إلى تسعة أقسام(١٣٣).

وفي الواقع أنّ الشرط الأَساس للإفادة من آيات معرفة الله سبحانه ودلائلها، هو التخلص من موانع المعرفة وحُجبها، لو حجبت الرّؤية العقليّة عن النَّاس لسُلب منهم إمكان إدراك الحقائق العقلية، ومن هنا فإنَّ القرآن الكريم يعدّ الأَشخاص من أُولي الأَبصار وأُولي الأَلباب وأَهل التقوى والإيمان، إذا كانوا يستفيدون من رؤية عقولهم؛ لأَجل إدراك الحقائق التي توصلهم إلى سلوك طريق الحياة الصحيح. وبناءً على ذلك فإنّ أَقلّ درجات التقوى، هي التقوى العقلية الضرورية إلى حدّ الوصول إلى أَدنى درجات معرفة الله تعالى الّتي تسهم في إزالة موانع المعرفة شرط الإفادة من التأَمل في آيات معرفة الله عزَّ وجلَّ، فإذا ارتقت التقوى العقلية بواسطة الإيمان إلى التقوى الشرعية، فإنّها تزيد من مراتب معرفة الإنسان إلى أَعلى درجات التقوى حتّى يصل إلى قمة هرم المعرفة فلا يرى في عالم الوجود شيئاً إلا الله سبحانه(١٣٤).

وجاء عن الغزالي (ت ٥٠٥هـ) فيمن أحب الله تعالى وعرفه قال: فاعلم أنَّ من عرف الله أحبه لا محالة، ومن تأكدت معرفته تأكدت محبته بقدر تأكد معرفته، والمحبة إذا تأكدت سميت عشقاً، فلا معنى للعشق إلا محبة مؤكدة مفرطة، ولذلك قالت العرب: إنَّ محمداً قد عشق ربه لما رأوه يتخلى للعبادة في جبل حراء(١٣٥).

وقال عليه السلام في عدم إجابة المتكلم قبل السلام: (**مَنْ بَدَأَ بِالْكَلَامِ قَبْلَ السَّلَامِ فَلَا تُجِيبُوه**)(١٣٦).

إنَّ السلام مبدأ من المبادئ التي عمق الإسلام جذورها في نفوس المسلمين، فأصبحت جزءاً من كيانهم، وعقيدة من عقائدهم، ولفظ الإسلام مأخوذ من مادة السلام؛ لأنَّ السلام والإسلام، يلتقيان في تحقيق الطمأنينة، والأمن والسكينة.

وتحية المسلمين التي تؤلف القلوب وتقوي الصلات وتربط الإنسان بأخيه الإنسان، هي السلام، وقد جعل الله تحية المسلمين بهذا اللفظ، للإشعار بأنَّ دينهم دين السلام والأمان، وهم أهل السلم ومحبو السلام. وما ينبغي للإنسان أنْ يتكلم مع إنسان قبل أنْ يبدأه بكلمة السلام، وهذا ما أكدّه الإمام عليه السلام في حديثه.

وعن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال رسول الإسلام: (**السَّلامُ قَبْلَ الْكَلَامِ**)(١٣٧). وسبب ذلك: أنَّ السلام أمان، ولا كلام إلا بعد الأمان.

وقال السعدي (ت ١٣٧٦هـ) في تفسيره للآية ﴿ **وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ** ﴾(١٣٨): ﴿ **وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا** ﴾ من الملائكة الكرام، رسولنا (**إِبْرَاهِيمَ**) الخليل. (**بِالْبُشْرَى**) أي: بالبشارة بالولد، حين أرسلهم الله لإهلاك قوم لوط، وأمرهم أنْ يمروا على إبراهيم، فيبشروه بإسحاق، فلما دخلوا عليه ﴿ **قَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ** ﴾ أي: سلموا عليه، ورد عليهم السلام. ففي هذا مشروعية السلام، وأنه لم يزل من ملة إبراهيم عليه السلام وأنَّ السلام قبل الكلام(١٣٩).

والسلام اسم من أسماء الله الحسنى: ﴿ **هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ** ﴾(١٤٠). وقد وردت لفظة: (**سلَام**) في القرآن الكريم تسع عشر مرة. وتحية الله تعالى للمؤمنين تحية سلام: ﴿ **تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً** ﴾(١٤١).

وتحية الملائكة للبشر في الآخرة سلام: ﴿ **وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ** ﴾(١٤٢). وأهل الجنة لا يسمعون من القول ولا يتحدثون بلغة غير لغة السلام: (**لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً إِلَّا قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً** ﴾(١٤٣). وخاطب الله سبحانه وتعالى رسله بالسلام لما له من أهمية كما في قوله تعالى: ﴿ **سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ** ﴾(١٤٤). ﴿ **سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ** ﴾(١٤٥). ﴿ **سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ** ﴾(١٤٦). ﴿ **سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِين** ﴾(١٤٧).

وقال عليه السلام في حُسن السؤال: (**حُسنُ السُّؤالِ نِصفُ العِلمِ، ومداراة الناس نصف العقل، والقصد في المعيشة نصف المؤونة**) (١٤٨).

السؤال هو مطلق الطلب، وأنَّ للسائل حقاً وهو عدم نهره أو زجره ولا الرد عليه بغلظة(١٤٩)، فمن استرشدك فأرشده ومن سألك فأجبه ولا تنهره. وقد جاء في قوله تعالى عن السائل: ﴿ **وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ** ﴾(١٥٠). المعنى يشمل الفقير علمياً والفقير مادياً، والأمر بتلبية احتياجات السائل في المجالين(١٥١). كذلك فإنَّ على السائل أو الطالب أنْ يحسن في السؤال ويتلطف بطلبه بما يقبله العقل والإنصاف مع دماثة الخلق الرفيع، فليس من المعقول أنْ يطلب السائل بما لا يستطيع المسؤول إجابته. وإنَّ السؤال هو مطلق الطلب ومنه طلب العلم، فمن أحسن في طلبه بالخير فهو نصف العلم، والسؤال والطلب هما إرادة السائل من المسؤول وأنَّ خيرهما من يريد منهما الآخرة.

وهناك آيات عديدة ورد فيها السؤال، يقول الله في كتابه العزيز: ﴿ **فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾(١٥٢). ويقول عزّ من قائل: ﴿ **عَمَّ يَتَسَاءلُونَ** ﴾(١٥٣). ويقول سبحانه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ** ﴾(١٥٤). فالسؤال مفتاح العلم وتحفيز للذهن، وقد جاءت الأسئلة بكثرة في القرآن الكريم تستدعي التأمل والتدبر.

أما في قول الإمام عليه السلام: (**ومداراة الناس نصف العقل**)، فالمداراة أنْ يكون موقف الإنسان تجاه الناس موقفاً يخدم في جلب الناس وهدايتهم إلى خطّ الإسلام والأخلاق والفضيلة بشتّى السبل المشروعة. فلو طلب كاتب ناشئ من مؤلّف قدير أنْ يقرأ مقالاً كتبه، وبعد قراءته للمقال وجد أخطاءً بعدد كلماته وذكر له أخطاءه كلّها في المرة الأولى، فإنّ هذا الشخص قد يفقد الأمل بالصعود في مجال الكتابة ويترك الأمر. أمّا إذا تعامل معه بتدبّر وعقلانية وحكمة وأخبره ببعض الأخطاء وقلّلها في عينه، ثمَّ ذكر له في المرّة القادمة أخطاء أخرى وهكذا فإنه لن يفقد الأمل، بلْ تنمو عنده قابلية أنْ يصبح كاتباً له شأنه.

ويظهر من الروايات أنَّ النبي يونس عليه السلام كان قد ترك المداراة وفعل غير ما ينبغي له (من باب الأولوية) ﴿ **فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ** ﴾(١٥٥). ونزل به ما نزل(١٥٦). وعن النبي صلى الله عليه وآله: ((**من عاش مدارياً مات شهيداً**)) (١٥٧).

وفي تفسير قوله عليه السلام: **(والقصد في المعيشة نصف المؤونة)**. فقد كان من أبرز الجوانب التي عالجها الإسلام ووضع لها القواعد التفصيلية الدقيقة وشرع لها الأحكام الشاملة التامة هو الاقتصاد أي بمعنى آخر كل ما يتعلق بمعاش الإنسان في دنياه وآخرته، ودلالة عناية الإسلام بالجوانب الحياتية والمعيشية – أي الاقتصادية – هو مقاصد الشريعة التي كان من ضمنها حفظ المال ولا شك أنَّ هذا المقصد لا يتأتى إلا بعد المرور بقنوات عديدة واستعمال أدوات كثيرة ومتنوعة، ولعل من أبرز هذه الأدوات والوسائل هو التدبير والاعتدال والتوسط والقصد في المعاش أي السير في إطار الوسطية والاعتدال، وإلى هذا النحو من الاقتصاد أشار قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً** ﴾[١٥٨]. ﴿ **وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾[١٥٩]. ﴿ **وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ** ﴾[١٦٠]. وهؤلاء المسرفين أي المتجاوزين الحد في أمورهم.

وقال عليه السلام في الحج إلى بيت الله تعالى: **(إنّي لأستحي من ربّي أنْ ألقاه ولم امشِ إلى بيته)**[١٦١].

الحياء: هو من خلق المؤمنين، والاستحياء المبالغة في الحياء ورأس الإيمان وأصل الأخلاق الحسنة، وموجب لاجتناب المعاصي، بلْ المكروهات، وينبغي العناية به. ولذلك جاء تأكيد هذه الصفة في الإنسان، وجاء في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ ... إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ** ﴾[١٦٢]. وهذه الخصلة من خصال النبي صلى الله عليه وآله؛ إذْ كان يستحي من أصحابه، وأنَّ بعض أصحابه كان يدخل بيت النبي صلى الله عليه وآله من دون إذنه، وكان يحب مجالسته قبل الطعام وبعده، والنبي صلى الله عليه وآله يحتمل ذلك ويصبر على هذه المشقة من عامة أصحابه معه، فكان يتأذى منها ولم يخبرهم بذلك، حتى لا يجرح عواطفهم. وهذا الصبر هو أنبل وأعلى صفة أخلاقية، لا تجده إلا في الأنبياء والرسل وأئمة أهل البيت عليهم السلام. والآيات التي جاء ذكرها في الاستحياء[١٦٣].

أما في قوله عليه السلام: **(ولم امشِ إلى بيته)** فالمشي إلى بيت الله تعالى هو الحج، والحج ركن من أركان الإسلام، وأعظم قربة يتقرب بها العباد، تجتمع فيه العبادة البدنية والمالية. والحجّ مشياً أفضل إلَّا مع الضعف عن العبادة فالركوب أفضل[١٦٤]. وعن ابن عبّاس قال: لّما أصيب الحسن قال معاوية: ما آسى على شيء إلَّا على أن أحجّ ماشياً، ولقد حجّ الحسن

بن عليّ خمسة وعشرين حجّة وإنّ النجائب لتقاد معه، وقد قاسم الله ماله مرتين حتى إن كان ليعطي النعل ويمسك النعل ويعطى الخف ويمسك الخف (١٦٥).

وقال القاضي النعمان المغربي في شرح الأخبار: إنَّ الحسن والحسين عليهما السلام حجا، فخرجا إلى الحج يمضيان – من المدينة – فلم يمرا براكب فرأهما يمشيان إلا نزل يمشي، فاشتد ذلك على كثير من الناس. فقالوا لسعد بن أبي وقاص: قد اشتد علينا المشي ولا يسعنا أنْ نركب وأبناء رسول الله صلى الله عليه وآله يمشيان، فجاء سعد إلى الحسن عليه السلام فقال: يا أبا محمد، إنَّ المشي قد ثقل على جماعة ممن معك من الناس، ولم يسعهم الركوب وأنتما تمشيان، فلو ركبتم لركب الناس. قال: قد جعلت على نفسي أنْ أمشي، ولكني أتنكب الطريق. فأخذا جانباً حيث لا يراهما الناس (١٦٦). فمن خلق المؤمن أنْ يستحي من ربه وأنْ يحج إلى بيته الحرام مع الاستطاعة على أقل تقدير، وجاء في كتابه العزيز: ﴿ **وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً** ﴾ (١٦٧). وقد نزلت سورة كاملة في الحج، وهناك آيات أخرى تم ذكرها في الحج (١٦٨).

وقال عليه السلام في طلب المساعدة من الناس الذين هم أهلٌ لذلك: **(لا تأتي رجلاً إلاّ أنْ ترجُوَ نَوالَه، وتخاف يده، أو تستفيد من علمه، أو ترجُوَ بَركةَ دعائه، أو تصل رحماً بينَك وبينَه)** (١٦٩).

قوله عليه السلام: **(لا تأتي رجلاً إلا أنْ ترجو نواله)**، فالمقصود من النوال هو الوصول إلى الطلب أو المراد أو الغاية أي ترجو من مجيئك له تحقيق ذلك المراد، ونقول نال الرجل مبتغاه، أي حصل مراده، وجاء في قوله تعالى: ﴿ **لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ** ﴾ (١٧٠). وهذه الآية نزلت بحق بني اسرائيل وهو من باب التوبيخ لهم على حب الدنيا وإيثار المال والمنال على دين الله تعالى (١٧١).

والمراد هنا أنْ لا نأتي رجلاً في أمر أو طلب أو حاجة حتى نعلم إنه لا يَردُنا أو يستطيع تحقيق جزء من طلبنا أو أخذ غايتنا منه.

أما في قوله عليه السلام: **(وتخاف يده)**، فهي كناية عن المسؤول لا السائل، أي من تأتيه تخاف يده من الله تعالى، هذا من جانب ومن جانب آخر فإنَّ اليد هي رمز للعطاء والكرم، وجاء ذلك الوصف في شعر الفرزدق (ت ١١٠هـ) في مدح الإمام السجاد عليه السلام بقوله:

كلتا يديْه غياثٌ عَمَّ نفعهُما تَسْتَوْكِفَانِ ولا يَعْرُوهما عَدَم
سهلُ الخليقة لا تُخشى بوادرُهُ يَزِينُهُ خِصلتانِ الحلمُ والكرمُ (١٧٢).

وقوله عليه السلام: **(تستفيد من علمه)** فإنَّ مطالب الإنسان متنوعة ومتعددة، ومنها طلب العلم، ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾(١٧٣).

وتفسير أهل الذكر في معنى الآية هو حفظ معنى الشيء، وقال الراغب الأصفهاني في المفردات: يراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أنْ يحفظ ما يقتنيه من المعرفة (١٧٤).

والمعرفة هي العلم، وقد ورد طلب العلم في موارد كثيرة حتى في الصدقات في قوله تعالى: ﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُتَّقُونَ** ﴾(١٧٥). ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنْ اللهِ** ﴾(١٧٦). ومن هذا يتضح فضل طلب العلم عند الله تعالى.

أما في قوله عليه السلام: **(أو ترجو بركة دعائه)**، فإنَّ الدعاء هو الصلة مع الله تعالى وبه يرفع البلاء وهو طريق المؤمنين، وجاء في قوله تعالى: ﴿ **رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ** ﴾(١٧٧). و﴿ **قَالُوا أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ** ﴾(١٧٨).

فالذي ترجو بركة دعائه لا بد أنْ يكون ممن تحسن به الدين والإيمان والذي لا تحسن به ذلك لا ترجو دعاءَه وكما في الآيتين الكريمتين.

أما في قوله عليه السلام:**(أو تصل رحماً بينك وبينه)**، فإنَّ الإنسان لا يصل رحماً آخر إلا أنْ يكون ممن يرجو فضله ويحسن الظن به وممن حسنت سمعته فلذلك يصل معه الرحم، وجاء في قوله تعالى: ﴿ **وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾(١٧٩).

وقال عليه السلام في ذم الحسد: **(مَا رَأَيْتُ ظَالِمًا أَشْبَهَ بِمَظْلُومٍ مِنْ الْحَاسِدِ، نَفَسٌ دَائِمٌ، وَحُزْنٌ لاَزِمٌ، وَعِبرةٌ لا تنفذ)** (١٨٠).

إنّ أوّل خطيئة كانت هي الحسد، حسد إبليس آدم عليه السلام إذ أمر أنْ يسجد له فحمله الحسد على المعصية. والحسد أشد الأمراض وأصعبها، وأسوأ الرذائل وأخبثها، ويؤدي بصاحبه إلى عقوبة الدنيا وعذاب الآخرة؛ لأنه في الدنيا لا يخلو لحظة عن الحزن والألم؛ إذ هو يتألم بكل نعمة يراها لغيره، ونعم الله تعالى غير متناهية لا تنقطع عن عباده، فيدوم حزنه وتألمه، فوبال حسده يرجع إلى نفسه، ولا يضر المحسود أصلاً، بلْ يوجب ازدياد حسناته ورفع درجاته من حيث إنه يعيبه، ويقول فيه ما لا يجوز في الشريعة، فيكون ظالماً عليه، فيحمل بعضاً من أوزاره وعصيانه، وتنقل صالحات أعماله إلى ديوانه، فحسده لا يؤثر فيه إلا خيراً ونفعاً، ومع ذلك يكون في مقام التعاند والتضاد مع رب الأرباب وخالق العباد؛ إذ هو الذي أفاض النعم والخيرات على البرايا كما شاء وأراد بمقتضى حكمته ومصلحته، فحكمته الحقة الكاملة أوجبت بقاء هذه النعمة على هذا العبد، والحاسد المسكين يريد زوالها، وهل هو إلا سخط قضاء الله تعالى في تفضيل بعض عباده على بعض، وتمنى انقطاع فيوضات الله عزَّ وجلَّ التي صدرت عنه بحسب حكمته وإرادة خلاف ما أراد الله تعالى على مقتضى مصلحته؟! بلْ هو يريد نقصه سبحانه، وعدم اتصافه بصفاته الكمالية؛ إذ إفاضة النعم منه سبحانه في أوقاتها اللائقة على محالها المستعدة من صفاته الكمالية التي عدمها نقص عليه تعالى، وإلا لم يصدر عنه، وهو يريد ثبوت هذا النقص، ثمَّ لتمنيه زوال النعم الإلهية التي هي الوجودات ورجوع الشرور إلى الإعدام يكون طالباً للشر ومحباً له. وقد صرح الحكماء بأنَّ من رضي بالشر، ولو بوصوله إلى العدو، فهو شرير. فالحسد أشد الرذائل، والحاسد شر الناس. وأي معصية أشد من كراهة راحة مسلم من غير أن يكون له فيها مضرة؟ ولذا ورد به الذم الشديد في الآيات والأخبار (١٨١). قال الله سبحانه في معرض الإنكار: ﴿ **أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ** ﴾(١٨٢). وقال تعالى: ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ** ﴾(١٨٣).

وقد وردت لفظة حسد مرة واحدة في كتابه العزيز وكذا لفظ حاسد من الآية نفسها في قوله تعالى: ﴿ **وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ** ﴾(١٨٤). وفيه أنَّ الحسد شر يصيب الإنسان المحسود من الحاسد، والحسد هو أنْ يتمنّى الحاسد زوال النعمة من المحسود حتى تصير إليه.

وجاء تفسير الآية ﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ ... ﴾ في تفسير الميزان: أنَّ الآية تشمل العائن فعين العائن نوع حسد نفساني يتحقق منه إذا عاين ما يستكثره ويتعجب منه (١٨٥).

وفي قصة عن الحسد سأورد هذه القصة عن أحد العائنين حتى نبين شر العين والحسد: كان بخراسان رجل عائن، فجلس يوماً بجماعة، فمر بهم قطار وجِمال، فقال لهم العائن: من أي جَملٍ تريدون أنْ أطعمكم من لحمه الساعة؟ فأشاروا إلى جَملٍ من أحسنها، فنظر إليه العائن، فوقع لساعته، وكان صاحب الجَمل حكيماً، فقال: من ربط جَملي فليحله، وليقل: بسم الله عظيم الشأن، شديد البرهان، ما شاء الله كان، حبس حابس، من حجر يابس، وشهاب قابس، اللهم إني رددت عين العائن إليه، وعلى أحب الناس إليه، وفي كبده وكليتيه لحم رقيق، وعظم دقيق، فيما له يليق ﴿ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ (١٨٦). فوقف الجَمل لساعته كأنه لم يكن به شيء وبرزت عين العائن (١٨٧).

فالحاسد ظالم وبظلمه ظلم نفسه، وما الله بظلام للعبيد. ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ (١٨٨). ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (١٨٩). ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٩٠).

وقال عليه السلام: في ذم الحرص والطمع: **(اجعل ما طلبت من الدّنيا فلن تظفر به بمنزلة ما لم يخطر ببالك، واعلم أنَّ مروّة القناعة والرّضا أكثر من مروّة الإعطاء وتمام الصّنيعة خير من ابتدائها)** (١٩١).

وفي الحديث: **(اعْمَلْ لدُنْياك كأنك تَعيش أَبداً، واعْمل لآخرتك كأنَك تَموتُ غَداً)** (١٩٢).

إنَّ للإنسان مساعياً في هذه الدنيا يصبو إليها، منها ما يتحقق ومنها لا يتحقق فيقول الإمام عليه السلام اجعل الذي طلبته من هذه الدنيا ولم تستطع تحقيقه ولم تظفر به وكأنَّ هذا الأمر لم يكن في خاطرك أو بالك أو سعيك أنْ تحققه من الأصل، وفي هذا توجيه لقسم الله سبحانه، والرضاء بمشيئته وعدم الاعتراض على حكمه، ويعلمنا أنَّ خير الخصال للإنسان هي القناعة والرضا وهي أفضل عند الله تعالى من العطاء والبذل عند القدرة.

وإنَّ الرضا لهو أعظم عند الله تعالى من العطاء؛ لأنَّ العطاء لا يكون إلا مع القدرة عليه، ولكن القبول والقناعة والرضا هي أعظم عند الله؛ وذلك لأنَّ الذي يعطي يكون مقتدراً في

العطاء ولا يعطي كل ما يملك، أما الذي عنده قناعة ورضا فهو يرضى بما قسم الله تعالى له على أي حال، وهذه موارد في ذكره الحكيم عن العطاء: ﴿ **قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى** ﴾(١٩٣). ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسرى** ﴾(١٩٤).

أما في قوله عليه السلام: **(وتمام الصنيعة خير من ابتدائها)** فإنَّ الأمور بخواتيمها، وجاء في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾(١٩٥). ﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِر عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى** ﴾(١٩٦). ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾(١٩٧).

وفي هذا حال ابليس اللعين الذي كان يلقب بطاووس الملائكة، ثمَّ كان في الدرك الأسفل من المعصية في النهاية.

وتمام الصنيعة خير من ابتدائها، فيها توجيه كما في قول رسول الله صلى الله عليه وآله: **((رحم الله امرءاً عمل عملاً فأتقنه))**(١٩٨).

وقال عليه السلام في فضل القرآن الكريم والرجوع إليه والتمسّك به والعمل به: **(إنَّ هذا القرآن فيه مصابيح النّور وشفاء الصّدور، فليجل جال بضوئه، وليلجم الصّفة قلبه، فإنَّ التلقين حياة القلب البصير، كما يمشي المستنير في الظّلمات بالنّور)**(١٩٩).

إنَّ مصابيح النور التي قصدها الإمام عليه السلام هي التوحيد والإيمان والهداية كما في قوله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾(٢٠٠).

والنور رمز الوحدة، والظلمة رمز التشتت، وإنَّ لفظة (نور) ترد في القرآن الكريم بصيغة المفرد، في حين تأتي الظلمة بصيغة الجمع (ظلمات). وقد يكون هذا إشارة لطيفة إلى حقيقة كون الظلام - المادي والمعنوي - مصدراً دائماً للتشتت والانفصال والتباعد، في حين يكون النور رمز التوحد والتجمع(٢٠١).

أما في قوله عليه السلام: **(وشفاء الصدور)** فلقد ورد في كتابه العزيز ست آيات مباركات عرفت بآيات الشفاء الست، ولقد وردت في كثير من الكتب للاستشفاء من الأمراض (٢٠٢). كما في قوله تعالى: ﴿**يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ**﴾(٢٠٣). ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾(٢٠٤). ﴿**وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**﴾(٢٠٥). ﴿**وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ**﴾(٢٠٦). ﴿**وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾(٢٠٧). ﴿**قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ**﴾(٢٠٨).

أما في قوله عليه السلام: **(فليجل جال بضوئه)** فالجلال هو: من التوقير والاحترام والعلو والرفعة وهو توجيه للاستنارة بنور علمه الذي ورد هنا بعنوان (بضوئه) والهداية من خلاله.

أما في قوله عليه السلام: **(وليلجم الصفة)** فإنَّ التلقين حياة القلب البصير، أما في الصفة فإنَّ هناك من جعل لله تعالى يداً وفماً، وقالوا إنَّ الله تعالى جالس على كرسي وغيرها وهو مما أخذوه من ظاهر بعض الآيات كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً**﴾(٢٠٩). ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾(٢١٠). لذا فإنَّ الإمام عليه السلام قد بين ذلك بعلمه اللدني الرسالي عما سيكون من هذه الأوصاف فأشار إلى لجم تلك الصفات البعيدة عن الذات الالهية.

أما في قوله عليه السلام: **(إنَّ التلقين حياة القلب البصير)** فهي دلالة طلب العلم، ونقول فلانٌ لقن فلاناً درساً، وكذا في التلقين عند الموت أي إنَّ لقن بمعنى عَلَّمَ.

أما في قوله عليه السلام: **(كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور)** فهو تمييز لمن يستنير بالعلم عمن يبقى في الجهل.

وقال عليه السلام في الرئاسة والوفاء والإنجاز: **المَسْؤُولُ حُرٌّ حَتَّى يَعِدَ، ومسترق المسؤول حتّى ينجز**(٢١١).

الحديث المتقدم للإمام الحسن عليه السلام، يتضمن صورة فنية هي: استعارة أو رمز، ... إنها تتحدث عن الوعد بالشيء وانجازه، وتربط ذلك بمن هو حر ومن هو عبد، ومن خلال الربط المتقدم

نبين أهمية الحديث.. فماذا يعني؟ من الواضح، أنَّ الالتزام بالوعد يجسد سمة أخلاقية رفيعة، حتى أنَّ الله تعالى وصف أحد انبيائه بصدق الوعد قبالة أوصاف متنوعة لأنبياء آخرين مثل صفة (شكور) لنوح عليه السلام و(صابر) لأيوب عليه السلام ... الخ لقد وسم الله تعالى إسماعيل عليه السلام بصدق الوعد؛ إذ قال تعالى (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا)[٢١٢]. اذن: صدق الوعد من الأهمية بمكان مادام النص القرآني الكريم خص به أحد أنبيائه ... والآن مع معرفتنا أهمية الصدق في الوعد نتجه إلى حديث الإمام الحسن عليه السلام حتى نتبين الأسرار البلاغية وراء ذلك.
حديث الإمام عليه السلام ذو شطرين، الأول منهما يقول: (الْمَسْؤُولُ حُرٌّ حَتَّى يَعِدَ) والشطر الآخر هو: (ومسترق المسؤول حتّى ينجز) ترى: ماذا نستلهم من الشطرين المذكورين؟ واضح أنَّ الحر قبالة العبد يتميز بكونه حراً في تصرفاته، بعكس العبد لا يستطيع الحراك إلا بأذن مولاه ...والآن مع هذه الحقيقة: لنتأمل كيفية صياغة الإمام عليه السلام له! لقد ذكر الإمام عليه السلام أنَّ من يتحمل مسؤولية ما هو حر بمعنى أنه يعرف كيفية التصرف وفق ما يراه من الحكمة في هذا السلوك أو ذاك ... ولكن هذا الحر إذا وعد بشيء فإنَّ حريته تسمح له بأن يعد بهذا الشيء أو ذاك لإنه حر، إلا أنَّ حريته المذكورة تتلاشى وتتحول الى الضد في حالة ما إذا لم يف بوعده، لذلك فإنَّ السمة التي سوف تنسحب عليه بعد اعطائه الوعد هي: الرق أو الاسترقاق بمعنى أنه ليس حراً في عدم الالتزام بالوعد؛ بلْ هو مسترق حتى ينجز ما وعد، وهو حر في الوعد، وعبد في الانجاز، فإذا أنجز رجع الى حريته.

اذن: ما أشد هذا الحديث الاستعاري أو الرمزي من حيث طرافته وعمقه وأهمية ما طرحه من الالتزام بالوعد[٢١٣].

إنَّ المسؤول هو صاحب الأمر أو المكلف به، وهو مسؤول أمام الله سبحانه وتعالى أولاً وأمام مسؤوليته الدنيوية بمختلف تشعباتها الرعوية والأسرية والمجتمعية وغيرها ثانياً. وجاء في قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾[٢١٤]. أي احبسوهم؛ لأنهم مسؤولون أي حتى يسأل عنهم، والسياق يدل أنَّ هذا الأمر بالوقوف، والسؤال إنما يقع في صراط الجحيم[٢١٥].

وجاء في جملة من الكتب عن قوله عما يسألون فقيل: عن ولاية أمير المؤمنين علي

بن أبي طالب عليه السلام(٢١٦).

والسياق عن مطلق السؤال، ويوم الحساب هو يوم السؤال وجاء في قوله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾(٢١٧).

وجاء في كتابه العزيز كثير من الآيات من أنَّ الله تعالى لا يخلف وعده: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنْ اللهِ قِيلاً﴾(٢١٨). ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾(٢١٩). ﴿أَلَا إِنَّ للهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٢٢٠). ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾(٢٢١).

الخاتمة

خلص البحث إلى ما يأتي:

١- تأثر الإمام الحسن عليه السلام كثيراً بأسلوب القرآن الكريم، فتمثله قولاً وحكماً ومواعظ جلية.

٢- كانت لمواعظ الإمام عليه السلام وحكمه وقعاً مؤثراً على نفوس المسلمين فتناقلوها في كتبهم جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن.

٣- إنَّ نظرة فاحصة في حكم ومواعظ الإمام الحسن عليه السلام وسبر أغوارها ومقارنتها بالقرآن الكريم لخير دليل للدارسين على أنَّ القرآن الكريم وأهل بيت النبوة صلى الله عليه وآله هما سراج واحد وصنو واحد يكمل أحدهما الآخر ولا يمكن التفريق بينهما البتة.

الهوامش

١-الخليل الفراهيدي، العين، (مادة: وعظ)، ٢/ ٢٢٨.
٢-الجوهري، الصحاح، ٣/ ١١٨١.
٣-ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٦/ ١٢٦.
٤-الراغب الاصفهاني، مفردات الفاظ القرآن، ٨٧٦.
٥-ابن سيده، المخصص، ٣/ ١٦٩.
٦-الحمد، أدب الموعظة، ٩.
٧-الخوئي، منهاج البراعة، ٧/ ١١٥.
٨-أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ٥/ ٥٣١.
٩-الزمخشري، الكشاف، ٤٣٥.
١٠-سورة طه، الآية ٤٣-٤٤.
١١-الجوهري، الصحاح، ٥/ ١٩٠١.
١٢-ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٢/ ٩١.
١٣-الراغب الاصفهاني، مفردات الفاظ القرآن، ٢٤٩.
١٤-ابن منظور، لسان العرب، ١٢/ ١٤٠.
١٥-الزبيدي، تاج العروس، ١٦/ ١٦١.
١٦-سورة لقمان، الآية ١٢.
١٧-سورة ص، الآية ٢٠.
١٨-ينظر: محمد جواد مغنية، التفسير الكاشف، ١/ ٤٢٢.
١٩-ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٦/ ٦٢.
٢٠-قطب الدين الراوندي، الدعوات (سلوة الحزين)، ١٤٤؛ المجلسي، بحار الأنوار، ١/ ٢١٨.
٢١-سورة الواقعة، الآيتان ٢٠-٢١.
٢٢-الشاهرودي، مستدرك سفينة البحار، ٦/ ٥٣٨.
٢٣-سورة البقرة، الآية ١٩٧.
٢٤-سورة عبس، الآية ٢٤.
٢٥-ينظر: الشيرازي، الأمثل، ١٩/ ٤٣٩.
٢٦-الميلاني، محاضرات محمد تقي فلسفي، الطفل بين الوراثة والتربية، ٢١٠.
٢٧-سورة البقرة، الآية ٢١٩، والآية ٢٦٦.
٢٨-سورة الأنعام، الآية ٥٠.
٢٩-سورة آل عمران، الآية ١٩١.
٣٠-سورة الأعراف، الآية ١٧٦.

٣١-سورة يونس، الآية ٢٤.
٣٢-سورة الرعد، الآية ٣؛ سورة الروم، الآية ٢١؛ سورة الزمر، الآية ٤٢؛ سورة الجاثية، الآية ١٣.
٣٣-سورة النحل، الآية ١١، والآية ٦٩.
٣٤-سورة النحل، الآية ٤٤.
٣٥-سورة الحشر، الآية ٢١.
٣٦-الديلمي، أعلام الدين، ٢٩٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٧٥/ ١١٥.
٣٧-ينظر: الشاهرودي، مستدرك سفينة البحار، ٨/ ٢٩٠.
٣٨-المطهر الحلي، العدد القوية، ٣٧.
٣٩-حديث المزاح يأكل الهيبة، إذاعة طهران، الحلقة ١٤١. / https://arabicradio.net/news
٤٠-سورة الإسراء، الآية ٣٧.
٤١-سورة لقمان، الآية ١٨.
٤٢-الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ٧٦٤.
٤٣-الفرزدق، ديوان الفرزدق، ١/ ٥١.
٤٤-الإربلي، كشف الغمة، ٢/ ١٩٥، المحمودي، نهج السعادة، ٧/ ٣٥٥.
٤٥-الإمام زين العابدين (عليه السلام)، رسالة الحقوق، ٦.
٤٦-الشيخ الصدوق، الأمالي، ٤٥٥؛ ومن لا يحضره الفقيه، ٢/ ٦٢٣.
٤٧-ينظر: السلمي، آداب الصحبة، ١١٧-١٢١.
٤٨-سورة لقمان، الآية ١٥.
٤٩-ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢١/ ١٦٠.
٥٠-الإمام البخاري، صحيح البخاري، ٧/ ٦٩، الإمام مسلم، صحيح مسلم، ٨/ ٢.
٥١-سورة الكهف، الآية ٧٦.
٥٢-سورة لقمان، الآية ١٥.
٥٣-سورة الأنبيّاء، الآية ٤٣.
٥٤-سورة النساء، الآية ٣٦؛ سورة القلم، الآية ٤٨.
٥٥-سورة سبأ، الآية ٤٦؛ سورة النجم، الآية ٢؛ سورة التكوير، الآية ٢٢.
٥٦-سورة التوبة، الآية ٤٠؛ سورة الكهف، الآية ٣٤-٣٧.
٥٧-سورة الأعراف، الآية ١٨٤؛ سورة القمر، الآية ٢٩.
٥٨-سورة يوسف، الآيات ٣٩ - ٤١.
٥٩-سورة الإنعام، الآية ١٠١؛ سورة الجن، الآية ٣.
٦٠-سورة المعارج، الآية ١٢؛ سورة عبس، الآية ٣٦.
٦١-سورة الذاريات، الآية ٥٩.

٦٢-عبد الباقي، المعجم المفهرس، ٤٠١ -٤٠٢، فقد وردت كلمة (أصحاب) ٧٧ مرة.
٦٣-الموسوي، نظرية عدالة الصحابة، ١١.
٦٤-ينظر: فهرس الكتاب المقدس.
٦٥-الفيض الكاشاني، الوافي، ٢٦/ ٢٣٤.
٦٦-سورة النبأ، الآية ٣١.
٦٧-سورة الزمر، الآية ٦١.
٦٨-سورة الطلاق، الآية ٢.
٦٩-ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ٢٣٢؛ المحمودي، نهج السعادة، ٧/ ٦٢.
٧٠-سورة النساء، الآية ٦٩.
٧١-المحمودي، نهج السعادة، ٧/ ٥٧.
٧٢-البغدادي، الشفاء الروحي، ١٥٢.
٧٣-سورة البقرة، الآية ١٩٧.
٧٤-سورة المائدة، الآية ٢.
٧٥-سورة الأعراف، الآية ٢٦.
٧٦-سورة التوبة، الآية ١٠٨.
٧٧-سورة الحج، الآية ٣٧.
٧٨-سورة الفتح، الآية ٢٦.
٧٩-سورة المجادلة، الآية ٩.
٨٠-سورة المدثر، الآية ٥٦.
٨١-سورة الأنفال، الآية ٢٩.
٨٢-الشيرازي، الأمثل، ١٣/ ١٥٦.
٨٣-ينظر: م ن.
٨٤-ابن الصباغ، الفصول المهمة، ٧١١.
٨٥-سورة الحجرات، الآية ٤.
٨٦-سورة الحجرات، الآية ٢.
٨٧-السيد الطباطبائي، تفسير الميزان، ١٨/ ٣٠٨.
٨٨-سورة الشورى، الآية ٢٣.
٨٩-ينظر: السيد الطباطبائي، تفسير الميزان، ١٨/ ٤٤.
٩٠-سورة يوسف، الآية ٢٤.
٩١-السيد الطباطبائي، تفسير الميزان، ١١/ ١٢٨.
٩٢-سورة فصلت، الآية ٣٤.

٩٣-سورة آل عمران، الآية ١٥٩ .
٩٤-المالكي، مناقب خديجة الكبرى، ٣.
٩٥-الشيخ الكليني، الكافي، ٢/ ٦٣٧ .
٩٦-سورة النحل، الآية ٣٠.
٩٧-سورة الأعراف، الآية ١٧٩ .
٩٨-سورة الفرقان، الآية ٤٤ .
٩٩-النويري، نهاية الأرب، ٣/ ٢٥٤ .
١٠٠-سورة مريم، الآية ٥٤ .
١٠١-سورة آل عمران، الآية ١٥٢ .
١٠٢-سورة إبراهيم، الآية ٤٧.
١٠٣-سورة مريم، الآية ٦١ .
١٠٤-سورة الحج، الآية ٤٧ .
١٠٥-سورة المزمل، الآية ١٨ .
١٠٦-العيني، عمدة القارئ، ١/ ٢٢٢، ١٣/ ٧.
١٠٧-سورة إبراهيم، الآية ٢٢.
١٠٨-المجلسي، بحار الأنوار، ٧٥/ ١١٣، ٧٥/ ١١٥ .
١٠٩-الواحدي، شرح ديوان المتنبي، ٢٦٦.
١١٠-سورة الرحمن، الآية ٦٠ .
١١١-ابن الصباغ، الفصول المهمة، ٧١٢.
١١٢-سورة البقرة، الآية ٣٤.
١١٣-سورة الإسراء، الآية ٦١.
١١٤-سورة ص، الآية ٧٤.
١١٥-سورة ص، الآية ٧٥.
١١٦-ينظر: الشيخ الطوسي، التبيان، ٨/ ٥٨١؛ الشيرازي، الأمثل، ١٤/ ٥٦٠ .
١١٧-السيد مهدي الصدر، أخلاق أهل البيت عليهم السلام، ٤٨ .
١١٨-الشيخ الطبرسي، الاحتجاج، ٢/ ٦٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ١١/ ١٠٠ .
١١٩-سورة الزخرف، الآية ٣٥.
١٢٠-الشافعي، مطالب السؤول في مناقب الرسول صلى الله عليه وآله ، ٣٥٩.
١٢١-سورة المائدة، الآيتان ٣٠-٣١.
١٢٢-الاصحاح الرابع، سفر التكوين، يوحنا اللاهوتي.
١٢٣-ينظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، ١/ ٥٦، الشيرازي، الأمثل، ٣/ ٦٨٠ .

١٢٤-الريشهري، موسوعة العقائد الإسلامية، ٣/ ٢٩٩.
١٢٥-المجلسي (الأول)، روضة المتقين، ٢٧٣.
١٢٦-الشيخ الكليني، الكافي، ١/ ١٨٠.
١٢٧-الحر العاملي، وسائل الشيعة، ١/ ١٢٠.
١٢٨-ينظر: سورة البقرة، الآية ١٩٥، الآية ٢٠٥، الآية ٢٢٢، الآية ٢٧٦، سورة آل عمران، الآية ٣٢، الآية ٥٧، الآية ٧٦، الآية ١٣٤، الآية ١٤٦، الآية ١٥٩، سورة النساء، الآية ٣٦، الآية ١٠٧؛ سورة المائدة، الآية ٤٢، الآية ٨٧؛ سورة الأنعام، الآية ١٤١، سورة التوبة، الآية ١٠٨، سورة النحل، الآية ٢٣؛ سورة الحج، الآية ٣٨؛ سورة القصص، الآية ٧٦.
١٢٩-سورة الجاثية، الآيات ٣-٦.
١٣٠-سورة الشعراء، الآيات ٢٣-٢٨.
١٣١-سورة فصلت، الآيتان ٥٣-٥٤.
١٣٢-سورة الغاشية، الآيات ١٧-٢٠.
١٣٣-ينظر: الريشهري، موسوعة العقائد الإسلامية، ٣/ ١٥٥.
١٣٤-م ن، ٣/ ٢٣٠.
١٣٥-الغزالي، إحياء علوم الدين، ٦/ ١٥٦.
١٣٦-ابن الصباغ، الفصول المهمة، ٧١٣؛ الإربلي، كشف الغمة، ٢/ ١٩٨. وقيل هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله. ينظر: الشيخ الكليني، الكافي، ٢/ ٦٤٤.
١٣٧-المجلسي، بحار الأنوار، ٩٠/ ٣١٣.
١٣٨-سورة هود، الآية ٦٩.
١٣٩-السعدي، تيسير الكريم، ٣٨٥.
١٤٠-سورة الحشر، الآية ٢٣.
١٤١-سورة الأحزاب، الآية ٤٤.
١٤٢-سورة الرعد، الآيتان ٢٣-٢٤.
١٤٣-سورة الواقعة، الآيتان ٢٥-٢٦.
١٤٤-سورة الصافات، الآية ٧٩.
١٤٥-سورة الصافات، الآية ١٠٩.
١٤٦-سورة الصافات، الآية ١٢٠.
١٤٧-سورة الصافات، الآية ١٣٠.
١٤٨-ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٨/ ١٠٨.
١٤٩-ينظر: السيد الطباطبائي، تفسير الميزان، ٢٠/ ٣١١.
١٥٠-سورة الضحى، الآية ١٠.

١٥١-الشيرازي، الأمثل، ٢٠/ ٢٨٤.
١٥٢-سورة النحل، الآية ٤٣.
١٥٣-سورة النبأ، الآية ١.
١٥٤-سورة المائدة، الآية ١٠١.
١٥٥-سورة الصافات، الآية ١٤٢.
١٥٦-ينظر: المداراة من طرق الهداية، http://arabic.shirazi.ir 2-4
١٥٧-الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ٣٨٠.
١٥٨-سورة الفرقان، الآية ٦٧.
١٥٩-سورة الأنعام، الآية ١٤١، سورة الأعراف، الآية ٣١.
١٦٠-سورة غافر، الآية ٤٣.
١٦١-ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ٣/ ١٨٠.
١٦٢-سورة الأحزاب، الآية ٥٣.
١٦٣-سورة البقرة، الآية ٢٦، سورة القصص، الآية ٢٥.
١٦٤-ينظر: المحقق الحلي، المختصر النافع، ٧٦.
١٦٥-ابن شهرآ شوب، مناقب آل أبي طالب، ٣/ ١٨٠.
١٦٦-شرح الأخبار، ٣/ ١١١.
١٦٧-سورة آل عمران، الآية ٩٧.
١٦٨-سورة البقرة، الآية ١٥٨، الآيتان ١٨٩؛ الآية ١٩٦-١٩٧.
١٦٩-الشافعي، مطالب السؤول، ٣٥٩.
١٧٠-سورة آل عمران، الآية ٩٢.
١٧١-السيد الطباطبائي، تفسير الميزان، ٣/ ٣٤٤.
١٧٢-الفرزدق، ديوان الفرزدق، ٨٩.
١٧٣-سورة النحل، الآية ٤٣.
١٧٤-الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ٣٢٨.
١٧٥-سورة البقرة، الآية ١٧٧.
١٧٦-سورة التوبة، الآية ٦٠.
١٧٧-سورة إبراهيم، الآية ٤٠.
١٧٨-سورة غافر، الآية ٥٠.
١٧٩-سورة الأنفال، الآية ٧٥.
١٨٠-القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٥/ ٢٥١؛ النويري، نهاية الأرب، ٣/ ٢٨٦.
١٨١-ينظر: النراقي، جامع السعادات، ٢/ ١٤٨.

١٨٢-سورة النساء، الآية ٥٤.
١٨٣-سورة البقرة، الآية ١٠٩.
١٨٤-سورة الفلق، الآية ٥.
١٨٥-السيد الطباطبائي، تفسير الميزان، ٢٠/ ٣٩٣.
١٨٦-سورة الملك، الآيتان ٣-٤.
١٨٧-الدميري، حياة الحيوان، ١/ ٢٨٨.
١٨٨-سورة هود، الآية ١٠١.
١٨٩-سورة النحل، الآية ١١٨.
١٩٠-سورة الزخرف، الآية ٧٦.
١٩١-الشافعي، مطالب السؤول، ٣٥٩.
١٩٢-العلامة الحلي، تحرير الأحكام، ٢/ ٢٤٩.
١٩٣-سورة طه، الآية ٥٠.
١٩٤-سورة الليل، الآيات ٥-٧.
١٩٥-سورة الأعراف، الآية ١٢٨.
١٩٦-سورة طه، الآية ١٣٢.
١٩٧-سورة القصص، الآية ٨٣.
١٩٨-الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل، ١/ ٥.
١٩٩-المجلسي، بحار الأنوار، ٧٥/ ١١٢، الريشهري، ميزان الحكمة، ٣/ ٢٥١٩.
٢٠٠-سورة الحديد، الآية ٩.
٢٠١-ينظر: الشيرازي، الأمثل، ٤/ ٢٠٧.
٢٠٢-ينظر: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ٥/ ١٥٨. الكفعمي، المصباح، ١٩٦.
٢٠٣-سورة النحل، الآية ٦٩.
٢٠٤-سورة الإسراء، الآية ٨٢.
٢٠٥-سورة الشعراء، الآية ٨٠.
٢٠٦-سورة التوبة، الآية ١٤.
٢٠٧-سورة يونس، الآية ٥٧.
٢٠٨-سورة فصلت، الآية ٤٤.
٢٠٩-سورة الفتح، الآية ١٠.
٢١٠-سورة الحج، الآية ٦١.
٢١١-المطهر الحلي، العدد القوية، ٣٧.
٢١٢-سورة مريم، الآية ٥٤.

٢١٣-حديث المسؤول حتى يعد، إذاعة طهران، الحلقة ١٦٧.
٢١٤-سورة الصافات، الآية ٢٤.
٢١٥-السيد الطباطبائي، تفسير الميزان، ١٧/ ١٣٢.
٢١٦-ينظر: الذهبي، ميزان الاعتدال، ٣/ ١١٨؛ ابن حجر، لسان الميزان، ٤/ ٢١٢.
٢١٧-سورة الأنبياء، الآية ٢٣.
٢١٨-سورة النساء، الآية ١٢٢.
٢١٩-سورة الأعراف، الآية ٤٤.
٢٢٠-سورة يونس، الآية ٥٥.
٢٢١-سورة إبراهيم، الآية ٢٢.

المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم.**

* الكتاب المقدس (العهد القديم)، (دار الكتاب المقدس، ١٤٠١هـ).

***المصادر:**

*الأربيلي، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت ٦٩٣هـ):كشف الغمة في معرفة الأئمة، (دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٥هـ).

*الإمام البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت ٢٥٦هـ):

*صحيح البخاري، (دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ).

* الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار، (دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ).

*الحاكم الحسكاني، أبو القاسم عبيد الله بن أحمد الحذاء الحنفي (ت ٤٩٠هـ):

*شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت، تحقيق محمد باقر المحمدي، (مؤسسة الطبع والنشر لوزارة الثقافة والإرشاد، مجمع إحياء الثقافة، ١٤١١هـ).

*ابن حجر، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت ٨٥٢هـ):لسان الميزان، تحقيق دائرة المعرفة النظامية، (مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٦هـ).

*ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني المعتزلي (ت ٦٥٦هـ):شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار إحياء الكتب العلمية، بيروت، ١٣٧٨هـ).

*الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ):وسائل الشيعة (تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة)، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (مطبعة مهر، قم، ١٤١٤هـ).

*أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الغرناطي الجياني (ت ٧٤٥هـ): تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرون، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ).

*الخليل الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ): كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (دار الهجرة، قم، ١٤٠٩هـ).

*الدميري، أبو البقاء محمد بن موسى بن عيسى بن علي الكمال (ت ٨٠٨هـ):حياة الحيوان الكبرى، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ).

*الديلمي، أبو الحسين الحسن بن محمد (ت ق ٨هـ):

*أعلام الدين في صفات المؤمنين، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (الناشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، د ت).

*الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ):ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي، (دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٢هـ).

*الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل (ت ٥٠٢ هـ): مفردات ألفاظ القرآن،

تحقيق صفوان عدنان داوودي، (منشورات طليعة النور، قم، ١٤٢٧هـ).
*الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمد بن عمر الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ): تفسير الكشاف (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، الناشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٨٥هـ).
*الإمام زين العابدين، أبو السجاد علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام (ت ٩٤هـ): رسالة الحقوق، (المكتبة الشاملة).
*السبكي، أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي (ت ٧٧١هـ): طبقات الشافعية الكبرى، (دار المعرفة، بيروت، د.ت).
*السلمي، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين الأزدي النيسابوري (ت ٤١٢هـ): آداب الصحبة، (دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، ١٤١٠هـ).
*ابن سِيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ): المخصص، (بولاق، المطبعة الأميرية الكبرى، ١٣١٦هـ).
*الشافعي، كمال الدين محمد بن طلحة (ت ٦٥٢هـ): مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، تحقيق ماجد أحمد العطية، (د مط، دت).
*ابن شعبة الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين الحلبي (ت ق ٤هـ): تحف العقول عن آل الرسول (تحفة العقول)، تحقيق علي أكبر غفاري، (مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٤هـ).
*ابن شهراشوب، محمد بن علي السروي (ت ٥٨٨هـ): مناقب آل أبي طالب، تحقيق لجنة من أساتذة النجف الأشرف، (المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ).
*الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه (ت ٣٨١هـ): الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، (مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٧هـ).
*من لا يحضره الفقيه، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، (الطبعة الثانية، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، د ت).
*الشيخ الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب (ت ٥٤٨هـ): الاحتجاج، تحقيق محمد باقر الخرسان، (مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ).
*الشيخ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن (ت ٤٦٠هـ): التبيان في تفسير القرآن، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٩هـ).
*العلامة الحلي، أبو منصور جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر (ت ٧٢٦هـ): تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية، تحقيق الشيخ إبراهيم البهادري، (المطبعة اعتماد، قم، ١٤٢٠هـ).
*العيني، أبو محمد بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى الغيتابي الحنفي (ت ٨٥٥هـ): عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت).
*الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت ٥٠٥هـ): إحياء علوم الدين، (دار الكتاب العربي، بيروت، ت).
*ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا

القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ):معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤١٤هـ).
*الفتال النيسابوري، الشيخ العلامة زين المحدثين محمد بن الفتال النيسابوري (ت ٥٠٨ هـ):روضة الواعظين، وضع المقدمة محمد مهدي حسن الخرسان، (منشورات الرضي، قم، د ت).
*الفرزدق، أبو فراس همام بن غالب التميمي (ت ١١٠هـ): شرح ديوان الفرزدق، عني بجمعه وطبعه والتعليق عليه عبد الله بن إسماعيل الصاوي، (مطبعة الصاوي، القاهرة، ١٣٥٤هـ).
*الفيض الكاشاني، محمد حسن (ت ١٠٩١هـ):
*الوافي، تحقيق ضياء الدين الحسيني، (الناشر مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام، أصفهان، ١٤٠٦هـ).
*القاضي النعمان بن محمد التميمي المغربي (ت ٣٦٣هـ):دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل البيت رسول الله عليه وعليهم أفضل السلام، تحقيق آصف بن علي أصغر، (دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٣هـ).
*القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ):الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان (تفسير القرطبي)، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ).
*قطب الدين الراوندي، أبو الحسين سعيد بن هبة الله (ت ٥٧٣هـ): الدعوات (سلوة الحزين)، تحقيق مدرسة الإمام المهدي، (مطبعة أمير، قم، ١٤٠٧هـ).
*ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر القيسي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ): قصص الأنبياء، (مطبعة دار التأليف، الناشر دار الكتب الحديثة، مصر، ١٣٨٨هـ).
*الكفعمي، تقى الدين إبراهيم بن علي الحسن بن محمد بن صالح العاملي (ت ٩٠٥هـ):المصباح (جنة الأمان الواقية وجنة الايمان الباقية)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٣هـ).
*الشيخ الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (ت ٣٢٨هـ): الكافي (الأصول من الكافي)، تحقيق علي أكبر الغفاري، (دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٨هـ).
*المجلسي، محمد باقر (ت ١١١١هـ): بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، (مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣هـ).
*المجلسي (الأول)، محمد تقي (ت ١٠٧٠هـ):روضة المتّقين في شرح من لا يحضر الفقيه، علّق عليه وأشرف على طبعه السيد حسين الموسوي الكرماني والشيخ علي پناه الإشتهاردي، (الناشر بنياد فرهنك اسلامي حاج محمد حسين كوشانپور، د مط، د ت).
*المحقق الحلي، أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن الحلي (ت ٦٧٦ هـ):المختصر النافع في فقه الإمامية، (منشورات الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، توزيع مؤسسة البعثة، قم، ١٤٠٢هـ).
*الإمام مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ): صحيح مسلم، (دار الفكر، بيروت، د.ت).

*المطهر الحلي، رضي الدين علي بن يوسف (ت ٧٠٥هـ):العدد القوية لدفع المخاوف اليومية، تحقيق السيد مهدي الرجائي، (مطبعة سيد الشهداء عليه السلام، إيران، ١٤٠٨هـ).
*ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت ٧١١هـ): لسان العرب، (نشر أدب الحوزة، قم، ١٤٠٥هـ).
*النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ):نهاية الإرب في فنون الأدب، (مطابع گوستاتسوماس وشركاه، القاهرة، د ت).
*الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري الشافعي (ت ٤٦٨هـ):شرح ديوان المتنبي،(المكتبة الشاملة).
المراجع:
*البغدادي، عبد اللطيف:الشفاء الروحي، (د.ط، بيروت، ١٤٢٠هـ).
*الحمد، محمد بن ابراهيم: أدب الموعظة(طبع ونشر مؤسسة الحرمين، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ).الخوئي، العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي (ت ١٣٢٤هـ):
*منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تحقيق السيد إبراهيم الميانجي، (منشورات دار الهجرة، قم، ١٤٠٣هـ).
*الريشهري، محمد:موسوعة العقائد الإسلاميّة، (مطبعة دار الحديث، بيروت، ١٤٢٥هـ).
*ميزان الحكمة، (دار الحديث، قم، ١٤١٦هـ).
*الزبيدي، أبو الفيض محب الدين محمد مرتضى الواسطي الحنفي (ت١٢٠٥هـ):تاج العروس من شرح القاموس (المسمى تاج العروس من جواهر القاموس)، تحقيق علي شيري، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ).
*السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت ١٣٧٦هـ):تيسير الكريم الرحمن في كلام المنان، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ).
*الشاهرودي، علي النمازي (ت ١٤٠٥هـ):مستدرك سفينة البحار، تحقيق حسن علي النمازي، (مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، قم، ١٤١٨هـ).
*الشيرازي، ناصر مكارم:الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، (طبع الحوزة العلمية، قم، ١٤٠٤هـ).
*ابن الصباغ، عليّ بن محمّد أحمد المالكي المكي (ت ٨٥٥هـ):الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة، حققه ووثّق أصوله وعلّق عليه سامي الغريري، (مطبعة سرور، قم، ١٤٢٢هـ).
*الطباطبائي، محمد حسين (ت ١٤١٢هـ): الميزان في تفسير القران (تفسير الميزان)، (الناشر جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، د.ت).
*ابن عاشور، محمد الطاهر (ت ١٢٨٤هـ): التحرير والتنوير (تفسير ابن عاشور)، (بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ١٤٢٠هـ).
*عبد الباقي، محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (مطبعة الشعب، مصر، ١٣٦٤هـ).
*المالكي، محمد بن علوي الحسني:مناقب خديجة الكبرى، (قام بنشره بعض طلبة العلم، طبع بترخيص من وزارة الاعلام).
*محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠هـ): التّفسير الكاشف، (دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١م).

*المحمودي، محمد باقر: نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د.ت).
*السيد مهدي الصدر: أخلاق أهل البيت عليهم السلام، (دار الكتاب الإسلامي، د ت).
*الموسوي، عبد الرحيم: نظرية عدالة الصحابة، مراجعة محمد هادي اليوسف وصائب عبد الحميد، (مطبعة المجمع العلمي لأهل البيت عليهم السلام في علم الدراية، (الناشر جامعة الإمام الصادق عليه السلام، قم، ١٤٢٢هـ).
*الميلاني، فاضل الحسيني: محاضرات محمد تقي فلسفي، الطفل بين الوراثة والتربية، (دار التعارف، بيروت، د ت).

حسنيّة الاجتباء المفهوم والمصداق

ومظاهر الاجتباء

أ.د. عباس امير معارز

كلية التربية / جامعة القادسية.

ملخص البحث

يستند البحث إلى فلسفة الاسم في ضمن المحدد القرآني للتسمية، وينطلق من ذلك المحدد لتقصي مظاهر تلك التسمية من حيث علاقة الاسم بالمسمى أولا، وانعكاسات تلك التسمية على سلوك المسمى.

ويؤمن البحث بأن ألقاب الأئمة وكناهم، بضمنهم الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، تستمد مرجعيتها من مستنداتها المعرفية والعلمية القادرة على استشراف علاقة حسن التسمية ومدى مناسبتها للمسمى مستقبلاً.

ويؤكد البحث ومن خلال الجانب المعرفي للتسميةِ مظهراً مهماً من مظاهر علوم أهل البيت عليهم السلام، وما يترتب على تلك العلوم من آثار منهجية وسلوكية، فضلاً عما يترتب من قدرة فائقة على الاستشراف المعرفي الذي يجيء منسجماً مع مآلات الواقع المستقبلي.

يتحفّظ البحث كثيراً على تلك التعريفات التي تحاول أن تعرّفنا بحقيقة التجلّي الحسني للإمامة، مما ورد هنا أو هناك، قديماً أو حديثاً، وذلك لأنها تستبين من حقيقة الإمامة جانباً من جوانباً دون جوانباً الأخرى، كذلك ما يتعلق بانطلاق تلك التعريفات من الفهم البشري المحدود الذي يتخطّى، في محاولته تحصيل المعرفة، عتبة الاسم وتسمية المتكلم سبحانه لآياته في الكتاب وفي الآفاق والأنفس.

ويحرص البحث بناءً على ما سبق على تقصي حقيقة الاجتباء وفلسفته في ضمن محدِّدَين من محدِّدات الاجتباء، هما: المحدِّد اللغوي والمحدِّد القرآني. وبلحاظهما يتتبع امتداد تلك الحقيقة في ذات الإمام الحسن عليه السلام، وفي سلوكه العقائدي والاجتماعي والسياسي.

وينهض، في ضوء ذلك، عقد نوع مقارنة بين الاجتباء الحسني والاجتباء القرآني، بمصاديقه النبوية، بغية الكشف عن قرآنية السلوك الحسني، لا سيما ما يتعلق بصلح الإمام الحسن عليه السلام.

Abstract

Based on the foregoing, the research is keen to investigate the reality and philosophy of selection within two determinants of selection, namely; the linguistic determinant and the Quranic determinant. In their observations, he traces the extension of that truth in the same Imam Hassan, peace be upon him, and in his ideological, social and political behavior.

- In light of this, a kind of comparison is made between Al-Ijtiba Al-Hasani and the Qur'anic Al-Ijtiba, with its prophetic credentials, in order to reveal the Qur'anic behavior, especially with regard to the reconciliation of Imam Al-Hassan, peace be upon him.

أولا؛ مفتاح الفهم ومدخل معرفته:

لعلنا لا نختلف في أن تصدير الكلمة أو العبارة بأداة الاستفهام الحقيقي، (ما) يعني مما يعني إرادة السائل الحصول على معرفة بماهيّة المسؤول عنه، أي إرادته تحصيل صورة الشيء في الذهن، وقد تكون الصورة المتحصلة لدى السائل واضحة الدلالة على مجمل الشيء المراد معرفته، ولكنه تبقى في نفسه حاجة أحياناً إلى أن يفسّر هذه الصورة المجملة بما هو أكثر تفصيلا في الدلالة على المطلوب معرفته[1]. ومهمة هذه المحاولة البحثية تبيان ذلك التفصيل، وهو يجهد في التعرّف إلى الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، استنادًا إلى إجراء نوع من النشاط الذهني في ما تستلزمه تلك المعرفة التفصيلية.

والذي نريد معرفته الآن هو، الإمام الحسن عليه السلام، بلحاظ صفة الاجتباء من حيث هي أداة تحليلية ستتفرع منها أدوات أُخرى. على أن الاجتباء أو (المجتبى) اسم لمسمّى.

ولأن ((المعنى تحت الاسم))[2]، وأن الاسم تنويه بالدلالة على المعنى، نجد أن الآصَل والأَولى أن نشرع في تحقيق معرفة علمية بمعنى اجتباء الإمامة للحسن عليه السلام، واجتباء الحسن عليه السلام للإمامة من عند عتبة الاسم، ولكن بتقديم التساؤل الآتي: تُرَى، أَتحققت الدلالة على المسمّى باسم واحد لا غير أم اختلفت عليه أسماء عدة ؟

الذي يؤكده الواقع نفسه، الذي نوّهت به كتب التاريخ والسِيَر هو اختلاف أسماء عدة على شخص الإمام، وبلحاظ أن اسم الشيء عنوانه، وأن العنوان يجمع مقاصد التسمية بعبارة في أوّل ظهور المسمّى، نخلُص مع القدماء والمعاصرين على السواء إلى أن الاسم مفتاح رئيس من مفاتيح الفهم ودليل راجح في استظهار المعرفة بالمعنون أو المسمّى[3]. فالاسم مدخل معرفة الاسم، وهو ((أول كمال يُعرِّف به المسمّى نفسَه إلى من يجهله، بالاسم))[4]. وبدلالة هذا الكمال الأول، وبربطه بما سبق من حديث في طبيعة الاسم المعرفية وعلاقته بالمسمّى نخلص إلى أن الاسم ظاهرة فلسفية أولى، والظاهرة الأولى؛ ((ليست مما يُفسّر بأمر آخر، ليست أمراً يُشَقّ من أمر آخر. إنها معطى ابتدائي، إنها مبدأ تفسير، إنها ما يُفسّر كثيراً من الأمور الأخرى))[5]. أما من حيث طبيعة العلاقة الكائنة بين الاسم والمسمى، فالاسم ((أمر يحدث عن الأثر أو يكون عنه الأثر))[6]، فالاسم

سابق لأثره وأثره مترتّب عليه مرة، وهو يتبع ذلك الأثر ويترتب عليه مرة أخرى، وهذا ما يفسر امتدادات ذلك المعطى الابتدائي المتمثل بالاسم، كما يفسر تعدد تلك الامتدادات أو الأسماء الدالة على مقاصد التسمية الداعية إلى التأمل فيها ومزاولة معانيها واستخبار مضامينها.

ولعلّنا، هاهنا، بنا حاجة إلى أن ننظر إلى هذه العُلْقة المعرفية الخاصّة بجَنْبَتَي التسمية، ولكن من طريقٍ آخر.

يقسّم القدماء الاسم على؛ اسم للذات أو لجزء من الذات أو لصفة خارجة عن الذات قائمة بها [٧]، ويوضع الاسم للذات بما هي هي مع صرف النظر عن أي شيء آخر، ومن جهة أخرى يوضع الاسم للذات بلحاظ الصفات والأفعال، والذي عندنا بناء على ما سبق، أسماء ذات وأسماء صفات، على أن ما كان من الأسماء أظهر في دلالته على الذات جُعل اسماً للذات[٨]، وما يكون من الأسماء أكثر في إظهار صفة الذات أو حالتها يُجعل اسماً للصفات، وهذا ما يوجب أن نمايز معرفيًّا بين الصفة والذات من زاوية أخرى، للبحث أن يستظهرها، ولكن بلحاظ التمايز الكائن بين أسماء الذات وأسماء الصفات، وعلى الوفق الآتي:

١-أسماء الذات محدّدة، وأسماء الصفات متعددة متكثّرة.

٢-لأسماء الذات أولية الوجود وما يترتب على تلك الأولية من صفات الظهور، أما أسماء الصفات فتحتمل البطون والخفاء لحظة أولية الوجود، ولكنها تتكشف في خلال ديمومة الوجود.

٣-أسماء الذات قائمة بذواتها، غير مفتقرة في وجودها إلى وجود أسماء الصفات، وأسماء الصفات قائمة بأسماء الذات، مفتقر وجودها إلى وجود أسماء الذات.

٤-أسماء الذات مجملة لأحوال المسمى بلا تفصيل، تشتمل طيّاً على أسماء الصفات، وأسماء الصفات مفصّلة لتلك الأحوال، تنضوي اعتباريا تحت أسماء الذات.

٥-أسماء الذات متبوعة ومؤثرة، وأسماء الصفات تابعة ومتأثرة.

٦-تتسم أسماء الذات بطابع الكلي، على حين يسم الطابع الجزئي اسماء الصفات.

ثانيا: التعرّف إلى الاسم، والتعرّف بالاسم، أو اسم الإمام وعنوانه:

لعلنا لا نجانب الحقيقة كثيراً حين نقول إن تقديمَ تعريفٍ ما لشيء يراد التعرّف إليه، يستلزم علمياً أن يستوفي الذي يقوم بالتعريف كل ما يتعلق بالطبيعة الخاصة بالشيء من جهة، وما يتعلق بالأحوال العارضة أو التي يمكن أن تعرض للشيء من جهة أخرى، ولكن تعريف شيء ما من طريق من هو أجنبي عنه لا يمكن غالباً أن يمنحنا إبانة تامة وكشفا وافيا لحقيقة الشيء. كذلك لا يمكن تعريف الشيء من غير أهله والقائمين عليه والمعنيين به، وأخيراً لا يمكن استيفاء شرائط التعريف حينما يكون المراد تعريفه أكمل وأبلغ من الذي يمنحنا تعريفاً به، فالناقص لا يعرّف الكامل، إنما الذي يعرّف الكامل حقّ تعريفه، كامل أو أقرب إلى الكمال. وهذا ما يضعنا بإزاء مشكل كبير حينما نريد التعرف إلى الهوية العقلية والعقائدية والسلوكية للإمام، وذلك لأننا بعيدون عن درْك حقيقة الإمامة، بل لأننا ناقصون من حيث إمكاناتنا العقلية وقدراتنا الأدائية وخبراتنا البلاغية واستعداداتنا النفسية والروحية والخلقية والذوقية.إلخ، بإزاء كمال الإمام وبلاغته المعنوية العالية.

وهنا، ولكي نتخطّى هذا المشكِل المعرفي ما أمكن، لا بد أن نلجأ في محاولتنا التعرّف إلى المظهر الحسَني للإمامة، إلى الطبيعة النوعية والواقعية لحقيقة الإمامة، ممثلة بالعلامة الدالة عليها، والسمة التي طبعت بها مصداقها من جهة، وممثلة بالصبغة الخاصة التي صبغ بها المصداق مفهوم الإمامة، فالمصداق الاسميُّ للإمامة (الاسم) هو الأقدر ابتداء، على تعريفنا بنفسه وهو الأكثر بيانا منّا لحقيقته و ماهيّته وأحواله. ومن ثم، لا بد من الرجوع في تحقيق معرفة بليغة بالإمامة إلى الذي أُنزِل عليه ذلك المصداق الاسميّ، أي إلى المسمّى نفسه، على أن الذي يُشترط في مدخلنا لمقاربتنا المصداق الاسمي هو حقانية المدخل وصدقيته الموضوعية والمتعالية على الفهوم البشرية القاصرة. ونقصد به هاهنا مدخل الوحي بجنبتيه: جنبة النص الكريم وجنبة النبوة ممثلة بالذي أُنزل عليه النص الكريم. وهذا ما يجعلنا نتحفّظ كثيراً على تلك التعريفات التي تحاول أن تعرّفنا بحقيقة التجلّي الحسني للإمامة، مما ورد هنا أو هناك، قديماً أو حديثاً، وذلك لأنها تستبين من حقيقة الإمامة جانباً من جوانباً

دون جوانباً الأخرى، كذلك ما يتعلّق بانطلاق تلك التعريفات من الفهم البشري المحدود الذي يتخطّى: في محاولته تحصيل المعرفة، عتبة الاسم وتسمية المتكلم سبحانه لآياته في الكتاب وفي الآفاق والأنفس، وما لتلك التسمية من مقاصد، وما تفضي إليه مدارستها من تنمية النشاط الذهني وتربيته وتمكينه من جعل مدخل الوحي_ وهو المستعد لذلك_ وسيلة أو أداة معرفية محكمة، ومنهجاً علمياً منضبطاً في تحصيل المعرفة.

ولقد قرَّ لنا في المبحث السابق، أن وضع الأسماء للمسمّيات على نحوين: فمرة يوضع لها بما هي هي مع صرف النظر عن أي شيء آخر، ومرة يوضع لها بلحاظ صفاتها وأفعالها، وقد خلصنا بناء على أنواع الممايزة بين ذينك النوعين إلى جملة محددات لكل من الوضعين. وهاهنا إجراء لتلك الممايزة...

ورد في تسمية الإمام الحسن ؏، وكنيته وألقابه؛ ((وسمّاه الله الحسن وسمّاه في التوراة شَبّراً، وكنيته أبو محمد، وأبو القاسم، وألقابه: السيّد، والأمين، والحجّة، والبرّ، والتقي، والأثير، والزكيّ، والمجتبى، والسبط الأوّل، والزَّاهد))[٩].

والواضح، مماسبق، أننا بإزاء ثلاث مفاتيح معرفية ضابطة ورائزة لتحقيق نوع معرفة بالمسمى، ألا وهي:

الاسم: (الحسن) وقد سمّاه به الله سبحانه، فهو تسمية وحي، ليس للإرادة البشرية المحدودة فيها أدنى تدخّل، ما يعني، بتذكّر ما سبق استقصاؤه في المبحث الأول، أن الاسم هاهنا يكون عنه أثر، وهو معطى ابتدائي يفسّر ما بعده، وهو اسم للذات بما هي هي مع صرف النظر عن أي شيء آخر.

الكنية: (أبومحمد) و(أبو القاسم)، وهما دليلان على المسمّى، لا بطريق المباشرة، بل بطريق التلويح الكنائي، ومفاده، أن ((يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومىء به إليه ويجعله دليلا عليه))[١٠].

اللقب: (السيّد، والأمين، والحجّة، والبرّ، والتقي، والأثير، والزكيّ، والمجتبى، والسبط الأوّل، والزَّاهد). واللقب، ((ما يسمى به الإنسان بعد اسمه العلم، من لفظ يدل على

المدح أو الذم، لمعنى فيه))[١١]. والذي يُلحظ في ألقاب الإمام، تكثّرها أو تكثّر الصفات، وفي هذا التكثّر دليل على ما للاسم الأول من آثار متعددة، بلحاظ أن أسماء الألقاب كائنة وجودياً في مرحلة لاحقة، في مقام الوجود، لمرحلة التسمي بالاسم الأول.

والمعلوم، لدى النحويين العرب، أن الاسم ينقسم على قسمين، هما: اسم العلم واسم الجنس، وأن اسم العلم هو الاسم الدال على معيّن، بحسب وضعه، بلا قرينة، كخالد وفاطمة ودمشق والنيل، فهو موضوع لتعيين المسمّى، مختص بفرد واحد من أفراد جنسه لا يتناول غيره في أولية الوضع، وإن تناول غيره لاحقاً، فمن باب الاتفاق أو المتابعة، وذلك لأن العبرة في اسمية العلم كائنة في الوضع الأول. وهو لهذا التخصيص بالمسمى يطلق عليه: العلم الشخصي ليمتاز من العلم الجنسي الذي لا يتعين بمسمى بعينه في أولية الوضع. أما أقسامه فهي: الاسم والكنية واللقب[١٢].

والذي نجهد في تأصيله هاهنا هو تبيّن العَلَم الشخصي الذي بمُجملِهَ (الاسم والكنية واللقب) لا يشارك فيه الإمام الحسن (عليه السلام) أحد من الأئمة، ومن ثم تأصيله وتشييد نوع من البناء المعرفي عليه، بعدِّه مبدأ أو أصلًا معرفيًّا لتفسير غيره من القضايا.

ولعلّ عودة سريعة إلى عَلَمية الإمام الحسن (عليه السلام)؛ اسماً وكنية ولقباً، تكشف لنا عن الآتي؛

١-إن الاسم (الحسن) اسم متعيّن للإمام الحسن (عليه السلام)، وهو أوّل من تسمّى به منهم.

٢- إن الكنية (أبو محمد) هي الأخرى اسم متعيّن للإمام (عليه السلام)، لم يُكنَّ بها أحد قبله في الإسلام،إن شاركه بها أحد لاحقا فالأمر من باب الموافقة والمتابعة.

٣-إن اللقب (المجتبى) اسم متعيّن للإمام الحسن (عليه السلام)، وإنه لم يشاركه فيه أحد من الأئمة مشاركة شهرة، ولم يسبق الإمام الحسن (عليه السلام) أحد للتسمّي بها إلا من هو بمقام نبي أو ولي أو مقرب. كذلك يتضح من مقارنة هذا اللقب بالألقاب الأخرى، أن الألقاب الأخرى للإمام(عليه السلام) قد تشخّصت للإمام بعروض العوارض العقائدية والأخلاقية اللاحقة، فهي آثار متعددة ومظاهر متوالية للاسم الأول الذي ثبتت نسبته للإمام، وأما (المجتبى) فهو لقب جامع تفتقر إليه الألقاب الأخرى أما هو فلا يفتقر إليها، فهو قائم بذاته مقيم لغيره

من الأسماء. على أن هذا المسعى لا يشترط في الأساس الذي تمّ البناء عليه أن يكون نهائياً، بحيث لا أساس غيره، وذلك لأن ((كل مبدأ يصلح لتعليل بعض الظواهر الجزئية يمكن أن يكون أساساً مباشراً لها، لا أساساً نهائياً))(١٣).

والآن، وقد عرفنا ما عرفنا، مما يتعلّق بمظاهر العِلميّة الحسنية، يتضح لنا أننا بإزاء ثلاثة أصول معرفية صالحة لتشييد ما بقي من بنيان هذا البحث، ألا وهي: الحسن، أبو محمد، والمجتبى. وهذا يعني، ونحن نطمح إلى الإفادة من هذه المفاتيح المعرفية، أننا ملزمون بمعرفة الدلالات الأصيلة لتلك الأسماء، وأن نتعرف إليها في مظانّها الأصيلة التي شكّلت الأرضية اللسانية والاجتماعية الأولى لتلك الأسماء لدى من وسم بها الإمام، ولدى الإمام نفسه على حد سواء.

جاء في معنى (حسَن) في اللغة، قولهم: الحُسْنُ ضدُّ القُبْح ونقيضه... وحسَّنْتُ الشيءَ تحْسيناً زَيَّنتُه وأَحسَنْتُ إليه وبه... وفي النوادر حُسَيْناؤُه أن يفعل كذا وحُسَيْناه مِثْلُه وكذلك غُنَيْماؤه وحُمَيْداؤه أَي جُهْدُه وغايتُه... أَحْسَنَ الرجلُ إذا جلس على الحَسَنِ وهو الكثيبُ النَّقِيّ العالي قال وبه سمي الغلام حَسَناً والحُسَيْنُ الجبَلُ العالي وبه سمي الغلام حُسَيْناً والحَسَنانِ جبلانِ أَحدُهما بإِزاء الآخر... والحَسَنُ شجر الآلاءُ مُصْطفّاً بكَثيب رمْلٍ فالحسَنُ هو الشجرُ سمي بذلك لِحُسْنِه ونُسِبَ الكثيبُ إليه فقيل نَقا الحَسَنِ وقيل الحَسَنةُ جبلٌ أَمْلَسُ شاهقٌ ليس به صَدْعٌ والحَسَنُ جمعُه(١٤).

وجاء في معنى (حمَد) في اللغة، قولهم: الحمْد نقيض الذم، وفلان يَتَحمَّد عليّ أَي يمتنّ ورجل حُمَدة مثل هُمَزة يكثر حمد الأَشياء ويقول فيها أَكثر مما فيها، وحُماداكَ أَن تفعل ذلك وحَمْدُك أَي مبلغ جهدك، والمحمَّد الذي كثرت خصاله المحمودة، وحَمَدَة النار بالتحريك صوت التهابها، والحمد يكون عن يد وعن غير يد والشكر لا يكون إلا عن يد، والحمد والشكر متقاربان والحمد أَعمهما لأَنك تحمد الإِنسان على صفاته الذاتية وعلى عطائه ولا تشكره على صفاته(١٥).

وجاء في معنى (جبى) في اللغة، قولهم: جَبَى الخراجَ والماء والحوضَ يَجْبَاهُ ويَجْبيه جَمَعَه، وجَبا رَجَعَ، والاجْتِباءُ افتِعال من الجِباية وهو استخراج الأَموال من مَظانها والجِبْوة والجُبْوة والجِبا والجَبا والجِباوة ما جمعتَ في الحوض من الماء والجِبا والجَبا ما حول البئر والجَبا ما حول الحوض، الجَبَا أَن يتقدم الساقي للإبل قبل ورودها بيوم فيَجْبِيَ لها الماءَ في الحوض ثم يوردَها من الغد، والجابية الحوض الذي يُجْبَى فيه الماء للإبل والجابِيَة الحوض الضَّخْم، والجَبَايا الرَّكايا التي تُحْفر وتُنْصب فيها قُضبان الكَرْم، والعرب تقول جَبَّى فلان تَجْبِيَةً إذا أَكَبَّ على وجهه بارِكاً أَو وضع يديه على ركبتيه منحنياً وهو قائم، وجَبَّى الرجلُ وضع يديه على ركبتيه في الصلاة أَو على الأَرض وهو أَيضاً انْكبابه على وجهه، واجْتَباه أَي اصْطفاه، واجْتَبَى الشيءَ اختاره، جبيت الشيءَ إذا خلصته لنفسك ومنه جبيت الماء في الحوض(١٦).

وهنا تتداخل المثابات والمفاتيح: (الحسْن)، و(الحمْد) و(الاجتباء)، ولكن لا على حساب التسلسال الفلسفي والمنطقي والتاريخي، فالاسم أصل سابق اللقب، والكنية بينهما. وهذا يعني أن المعاني الثلاثة السابقة تسبح بشكل دائري في فلك الإمامة، محتفظة للمعنى الأول/ (الحسنية)، بأصالته، على أن لايفوتنا أن الأصل هو أسفل الشيء، وهو الذي يفتقر إليه غيره و لايفتقر إلى غيره، وهو ما يبنى عليه غيره، وهو ما ثبت حكمه بنفسه، وهو، بعد ذلك كله، ((بدْءُ الشيءِ، أي أوّل ظهوره ونشأته))(١٧).

ثالثا: الإمامة من (الحسنية) إلى (الاجتباء)

الواقعة التاريخية التي جرى فيها حدث التسمية يؤكد أن اسم (الحسين) اشتُق من اسم (الحسَن)، وأن (الحسَن) هو الكثيبُ النَّقِيّ العالي، وبه سمي الغلام حَسَناً والحُسَيْنُ الجبَلُ العالي وبه سمي الغلام حُسَيْناً. وإذا عرفنا أن (الكُثَيْب، مشتقٌّ من (كثَب) وقد جاء في استعمال (كثَب)، قولهم؛ ((أَكْثَبَ الرجلَ سقاه كُثْبَةً من لَبَن وكلُّ طائفةٍ من طعام أَو تمر أَو تراب أَو نحو ذلك فهو كُثْبَةٌ بعد أَن يكون قليلاً وقيل كلُّ مُجْتَمِعٍ من طعامٍ أَو غيره بعد أَن يكون قليلاً فهو كُثْبَةٌ ومنه سُمِّيَ الكَثِيبُ من الرمل لأَنه انْصَبَّ في مكانٍ فاجتمع فيه))(١٨)،

إذا عرفنا ذلك خلصنا إلى مجتمع الكثيب من الرمل والتراب هو الأصل في مجتمع الجبل، وأن العلاقة بين الكثيب والجبل هي علاقة تقابل، وأن هذا التقابل من وجهة نظر منطقية، تقابل متضايفين، نحو تقابل الأبوة والبنوة(١٩). وهذا ما يقرر أن حقيقة الإمامة بدورها الحسني أصل لدورها الحسيني، مع الاحتفاظ لكل دور من الدورين بحقه في تجلية منطق المقابلة. الأمر الآخر الذي بإمكاننا أن ننتهي إليه هو أن (حُسْن) الإمامة، ضمن الحقبة التاريخية التي عاش فيها الإمام المجتبى ، هو الممهّد لتمام (الحُسْن) ضمن الحقبة الحسينية للإمامة. وهذا ما يحيلنا إلى لزوم المقابلة ثانية، ولكن بين صفتَي: (الاجتباء) و (الشهادة) في الإمامة، حيث يمثل الصفة الأولى الإمام الحسن ، على حين يمثل الإمام الحسين صفة الشهادة، لننتهي إلى اجتباء الإمامة هو الذي أسس لصفة الشهادة بنيانها على يد الإمام الحسين . فقد جاء في معنى (جبا) قولهم: ((الجَبَا أَن يتقدم الساقي للإبل قبل ورودها بيوم فيَجْبِيَ لها الماءَ في الحوض ثم يوردَها من الغد، والجابية الحوض الذي يُجْبَى فيه الماء للإبل والجابِيَة الحوض الضَّخْم، والجَبَايا الرَّكايا التي تُحْفر وتُنْصب فيها قُضبان الكَرْم))، وبمقاربة معرفية أولى، ومن خلال استنطاق ذلك الاستعمال اللغوي الجاهلي لمادة (جبا)، سيميائياً، يبدو لنا أن وصف الإمام الحسن ب(المجتبى) يستدعي، مما يستدعي، أن مهمة الإمام الحسن هي مهمة (ساقي الإبل) عينها، وأنه قد جَبَى لها ماء البقاء والنماء والحياة في (حوض الصلح)، أما (غد ورودها) فقد كان من شأن الدور التالي للإمامة، ممثلا بشهادة الإمام عطشاناً لأجل أن يورد محبيه ولكي يستبقي عقيدة جده وأبيه، من خلال تتميم (الاجتباء) بـ(الشهادة).

يجيء عدي بن حاتم للإمام عليه السلام، بعد الفراغ من الصلح مع معاوية، فيقول، مشيراً في نفس الإمام من الحزن والأسى بالغهما؛ ((يا ابن رسول الله، لوددت أني مت قبل ما رأيت، أخرجتنا من العدل إلى الجور، فتركنا الحق الذي كنا عليه، ودخلنا في الباطل الذي كنا نهرب منه، وأعطينا الدنيّة من أنفسنا...)). ويدخل عليه الخارجي سفيان بن أبي ليلى، ليقول له، بكل وقاحة وجفاء؛ ((السلام عليك يا مُذلّ المؤمنين...)) ، وكذلك فعل بشير الهمداني، وسليمان ابن صرد، وهو من هو. وفي جوابه لهؤلاء وأمثالهم ما يؤكد حرصه على اجتبائهم واجتماعهم، إذ يقول لأحد أولئك: ((يا عدي، إني رأيت هوى معظم الناس في الصلح، وكُره الحرب، فلم أحب أن أحملهم على ما يكرهون، فرأيت دفع هذه الحروب إلى يوم ما فإن الله كل يوم هو في شأن))، ويقول لمالك بن ضمرة، وقد كان أسمع الإمام أقسى ما يسمعه إمام من مأموم: ((إني خشيت أن يُجتثّ المسلمون عن وجه الأرض، فأردت أن يكون للدين ناع))[٢٠].

وهل بعد كلام الإمام ما يدعو إلى مزيد من التدليل على أن وسم الإمام بسمة (المجتبى) لقبا، لم يجيء اعتباطا، وأن من آثار هذا الاجتباء في الإمام تحقق نوع اجتباء للمأموم، وإن كان هذا الاجتباء حسيا يتمثل بالخشية من (اجتثاث المسلمين)، حيث يقابل عدم اجتثاثهم اجتباءهم...!

والمفارقة أن المفاتيح الدلالية في مادة (جبى)، ما زالت تخلص بنا إلى التوقّف كثيراً عند تلك المعرفة الاستشرافية، وذلك الزَوْي البصيري للمكان والزمان، بحيث يقاد واضع الاسم للمسمى ما سيكون عليه حامل الاسم في المستقبل. فقد جاء في استعمال كلمة (جبى) قولهم، في الاستعمال التداولي الاجتماعي الجاهلي: (والعرب تقول جَبَّى فلان تَجْبِيَةً إذا أَكَبَّ على وجهه بارِكاً أَو وضع يديه على ركبتيه منحنياً وهو قائم))، وفي هذا الاستعمال إشارة إلى نوع خضوع أو قبول وإذلال طوعي للنفس لإرادة. وهو تماماً ما حصل للإمام وهو يصالح معاوية حرصاً منه على ذلك (الكثيب) العقائدي المهدد بالزوال. هاهو يقول للائمِيهِ على الصلح: ((وأما قولك: يا مذل المؤمنين، فوالله لأن تذلوا وتعافوا أحب إليّ من

أن تعزوا وتقتلوا، فإن ردّ الله علينا حقنا في عافية قبلنا، وسألنا الله العون على أمره، وإن صرفه عنّا رضينا وسألنا الله أن يبارك في صرفه عنا))[٢١].

والآن، لنتوجه برؤيتنا المعرفية التي قرأنا بهديٍ منها علاقة الاسم بالمسمّى، وما للمسمّى من نصيب وافر من اسمه، خاصة وأن الذي سمّاه يملك قدرة فائقة في استشراف المستقبل الذي ينتظر المسمّى أول تسميته به، وبعد حين من تسميته، لنتوجّه صوب المعنى القرآني للمفاتيح الثلاثة؛ (حسن)، و (حمد)، و(جبى)...

جاء في الدلالة القرآنية، ((الحُسْن: عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه، وذلك ثلاثة أضرب:

-مستحسن من جهة العقل.

-و مستحسن من جهة الهوى.

-و مستحسن من جهة الحسّ.

والحسنة يُعبّر بها عن كل ما يسرّ من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله، والسيئة تضادّها (...) وأكثر ما جاء في القرآن من الحَسن فللمستحسن من جهة البصيرة (...) والإحسان يقال على وجهين:

أحدهما: الإنعام على الغير، يقال: أحسن إلى فلان.

والثاني: إحسان في فعله، وذلك إذا علم علماً حسناً، أو عمل عملاً حسناً (...). والإحسان أعمّ من الإنعام (...) فالإحسان فوق العدل، وذلك أن العدل أن يعطي ما عليه، ويأخذ أقل مما له، والإحسان أن يعطي أكثر مما عليه، ويأخذ أقل مما له. فالإحسان زائد على العدل، فتحرّي العدل واجب، وتحرّي الإحسان ندب وتطوّع))[٢٢].

وبمقاربة متأنية للدلالات السابقة لمادة (حسن)، نخلص إلى:

أن ثمّة، مما جرى على يد الإمام الحسن (عليه السلام)، ما هو مبهج للعقل، خاصة ما يتعلق بمناظراته التي جرت بينه وبين بني أمية، تلك المناظرات التي تركت نوادي دمشق ومحافلها مشغولة بها ترددها مقرونة بالإعجاب والإجلال، أما بنو أمية فكان لمناظراته لهم

طعم المرارة والهزيمة والاستكانة في نفوسهم(٢٣). وفضلا عن ذلك، كانت البهجة العقلية كلها تتمثل في صلحه عليه السلام مع معاوية، لمراعاة ذلك الصلح للظروف والسياقات الاجتماعية والثقافية والعسكرية والنفسية والعقائدية التي كانت تحيط بالأمة وتضغط عليها حثيثا باتجاه الصلح. ولقد كان صلح الإمام يؤسس لواقعية سياسية لا تتخلى عن المبادىء، ولا تضحي بها في الوقت نفسه، وإن كان ثمة تضحية فبالقضايا والخصوصيات الشخصية التي للقائد وليس بقضايا الأمة ومبادئها(٢٤). وهكذا نجد أن الاسم (الحسن) قد انبث في ذات المسمى، وأن المسمّى، قد تمثّل هذه السمة من سمات اسمه، وقد امتد بأثره في ما حوله، و قد صدّق رؤيا الاسم، كما صدق الأنبياء عليهم السلام رؤى آبائهم. وهو ما يكشف لنا عن جانب من جوانب العلة التي لأجلها يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في الإمام الحسن عليه السلام، الذي ما زال طفلاً، أيام كان الرسول بين ظهراني الأمة، ((لو كان العقل رجلاً لكان الحسن))(٢٥).

أما البهجة النفسية، فمؤكد أن في صفات الإمام الخَلْقية والخُلُقية ما يثير بهجة نفسية تغني كتب السيرة عن سردها ضمن هذا المقام (٢٦).

وبتتبعنا لمظهر آخر من مظاهر تلك البهجة النفسية، نتوقف عند صلح الإمام نفسه ثانية، ولكن لننظر إليه بعيون أولئك الدنيويين الحسيين ضعيفي الهمة والعزم، المتثاقلين إلى الأرض، الراضين بالقعود مع القواعد، فقد ملّ هؤلاء الحرب والتحارب، وجزعوا وطلبوا الدعة، وكان صلح الإمام الحسن بالنسبة إليهم مُبهجاً نفسياً، ومنسجماً تماماً مع ما تهوى أنفسهم الضعيفة(٢٧).

أما البهجة التي للحس بأثر منه اسماً ومسمّى فليس أدل عليها أنه لم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله منه، وأنه ورّثه، بقوله هو صلى الله عليه وآله، ورّثه هيبته وسؤده(٢٨).

أما دلالة (الحسنة) في مادة (حسن)، فالإمام عليه السلام هو الحسنة التي أحسن الله سبحانه بها لعباده، وقد كان وجوده مدعاة سرور لهم، لما يرتّبه وجوده الشريف فيهم من أثر حَسَن في أبدانهم وأحوالهم وأموالهم. ويكفي دليلاً على ذلك ما كان من أهل الكوفة، وقد عزم

الإمام على ترك الكوفة إلى يثرب، من أسى وبكاء وكآبة على رحيله، ثم ما كان بعد تركها من بلاء حلّ بها وأهلها. كذلك ما كان من أهل يثرب حين علموا بقدومه عليه السلام إليهم ليحلّ فيهم، فقد استقبله أهل يثرب مسرورين مبتهجين، ولقد كان لهم ما ظنوا، فقد عاودهم الخير الذي انقطع عنهم منذ نزح أمير المؤمنين عليه السلام عنهم(٢٩).

وأما مظهر الإحسان من مظاهر التسمية الحسنية للإمامة، فيكفي أنه أحسن إلى الأمة بتخليه عن حقّه حرصاً منه على حفظ دينها وحقن دمائها، ولو شاء لتحرّى لاكتفى بتحري العدل في الأمة، ولو تحرّاه لأعنتها بالجهاد الواجب عليها بقيامه، ولكنه تحرّى الإحسان إليها بصلح معاوية، تندبه إلى ذلك نفسه الكريمة وإيثاره حق الأمة دون حقه هو في الحكم والسلطة. وهذا ما يحيلنا إلى دلالتَي (الحمد) و(الاجتباء) في المنظور القرآني للدلالة.

جاء في مفهوم (الحمْد)، أنه ((أخص من المدح وأعمّ من الشكر، فإنّ المدح يقال فيما يكون من الإنسان باختياره، ومما يقال منه وفيه بالتسخير، فقد يُمدح الإنسان بطول قامته وصَباحة وجهه، كما يُمدح ببذل ماله، وسخائه وعلمه، والحمد يكون في الثاني دون الأول، والشُّكر لا يقال إلا في مقابلة نعمة، فكلّ شُكر حمد، وليس كل حمدٍ شكراً، وكل حمْدٍ مدح، وليس كل مدْح حمدا، ويقال: فلانٌ محمود: إذا حُمِد، ومُحمَّد: إذا كثرت خصاله المحمودة))(٣٠). وأما اجتباء اللهِ العبدَ، فهو ((تخصيصهُ إياه بفيضٍ إلهي يتحصّل له منه أنواع النِّعَم بلا سعي من العبد، وذلك للأنبياء وبعض من يقاربهم من الصديقين والشهداء(٣١). وبدلالة النص القرآني الأخير، وأن الله يفيض على من يشاء من عباده، ممن يقاربون في مقاماتهم الأخلاقية والعقدية مقامات الأنبياء بنعمه الخاصة، يختصهم بها دون غيرهم، ودون جهد منهم، ينكشف لنا معنى أن يلقّب الإمام الحسن عليه السلام بـ(المجتبى). من جانب آخر، ينكشف لنا معنى أن يكنّي رسول الله صلى الله عليه وآله، ابنه وسبطه وريحانته بأبي محمد. فالحمد ما يُستحسن من شخص علماً كان أو فعلا، مما يكون باختياره، ومما يفيض من على يديه كثيراً، دونما انتظار مقابل أو جزاء. ولقد كان الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وهو الذي لا

ينطق عن هوى، والذي لا يضع الكلمة في غير موضعها، و لا يسمي المسمّى بغير ما فيه حاضراً ومستقبلاً، كان الرسول الأكرم يستشرف بابنه ما يكون منه مما يكثر له حمده في الأرض والسماء، وفي الحاضر والمستقبل. وهذا هو اجتباؤه، فقد أفاض عليه سبحانه بنعمه ظاهرة وباطنة، وأفاض على الأمة بوساطته بنعمه الظاهرة والباطنة، وأخصّها نعمة الدين الذي ما كان له أن يبقى لولاه. والذي ترتّب على أن يكون الإمام عليه السلام (مجتبَى) من قبل الله سبحانه ومن قبل رسوله، هو أن يتمثل الإمام هذه الصفة. ولقد نمثلها حقان وهو يختص أمته ويفيض عليها بنعمته: نعمة وجود فيها، ونعمة درء القتل والتقتيل والإبادة والاستئصال عنها، على علم منه بها، لحكمة فاض الله سبحانه بها عليه.

الهوامش

١-المعجم الفلسفي، الدكتور جميل صليبا، ج١/ ص٣٠٤.
٢-لسان العرب، ابن منظور، مادة (سما).
٣-ظ؛ لسان العرب، مادة (عنن) ، والمعنى القرآني بين التفسير والتأويل_ دراسة تحليلية معرفية في النص القرآني، عباس أمير، ص١٩٥.
٤- الإنسان الكامل، عبدالكريم الجيلي، ص٣١.
٥-مشاهد روحية وفلسفية، هنري كوربان، ص ٣٨.
٦-موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، رفيق العجم، ص٥٩.
٧-التفسير الكبير، الفخر الرازي، ج٥/ ص٤١٢.
٨-ظ: حقيقة الأسماء الحسنى، أحمد الماحوزي؛ ص١٢_ ١٣. ويرى بعض الفلاسفة أن الذات هو ما يقوم به غيره، وعندهم الذات تقابل العرض فالذات يطلق على باطن الشيء وحقيقته أما العرض فيطلق على ما يطرأ عليه من تبدلات وتحولات تحدد طبيعته وتميزها... ويطلقه غيرهم على ما يكون عاماً أو على ما تصدق عليه الماهية، ويراد به حقيقة الشيء وطبيعته الخاصة، أما الصفة فيراد بها فلسفيا: ما يدل على أحوال الذات كالبياض والعلم والجهل...الخ. ظ؛ المعجم الفلسفي: ج١/ ص٥٧٩، ص٧٢٨. والصفة بعد ذلك، هي؛ ((ما تبلغك حالة الموصوف: أي ما توصل إلى فهمك معرفة حاله، وتكيّفه عندك وتجمعه في فكرك، وتقرّبه في عقلك)) الإنسان الكامل، ص٣٨.
٩-بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي: ج٤٤/ ص ١٣٥، ظ: كشف الغمة في معرفة الأئمة، أبو الفتح الإربلي؛ ج٢/ ١٤١٠ ١٤٢.
١٠- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، الدكتور أحمد مطلوب، ج٣/ ص١٥٨.
١١-التعريفات، الجرجاني، ص ١٥٨.
١٢-ظ: جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، ص ١٠٨ وما بعدها.
١٣-المعجم الفلسفي، ج١/ ص٦٣.
١٤-ظ: لسان العرب، مادة، (حسن).
١٥-ظ: المصدر نفسه، مادة؛ (حمد).
١٦-ظ: نفسه، مادة، (جبى).
١٧-ظ: المعجم الفلسفي؛ ج١/ ص٩٦- ٩٧.
١٨-لسان العرب، مادة (كثب).
١٩-المعجم الفلسفي، ج١/ ص٣١٩.
٢٠-ظ: حياة الإمام الحسن بن علي عليه السلام- دراسة وتحليل، باقر شريف القرشي؛ ج٢/ ص٢٦٦ - ٢٦٩.
٢١-حياة الإمام الحسن بن علي عليه السلام؛ ج٢/ ص٢٧٢.
٢٢-مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٢٣٦- ٢٣٧.

٢٣-ظ: بحار الأنوار، ج٤٤/ ٢٠٥- ٢١٦، وحياة الإمام الحسن بن علي عليه السلام؛ ج٢/ ص٢٩٧ وما بعدها.

٢٤-ظ: صلح الإمام الحسن عليه السلام من منظور آخر، الأسعد بن علي، ص١٢٥- ١٢٦.

٢٥-فرائد السمطين، الجويني، ج٢/ ص٦٨، و الحياة السياسية للإمام الحسن عليه السلام في عهد الرسول صلى الله عليه وآله والخلفاء الثلاثة بعده،- دراسة وتحليل، جعفر مرتضى العاملي؛ ص٩.

٢٦-ظ: بحار الأنوار، ج٤٤/ ص١٣٤- ١٦٢، وص١٨٩- ٢٠٤.

٢٧-ظ: بحار الأنوار، ج٤٤/ ص١٥-١٦.

٢٨-ظ: كشف الغمة، ج٢/ ص١٣٧، ص١٣٩.

٢٩-ظ: حياة الإمام الحسن بن علي عليه السلام؛ ج٢/ ص٢٧٨، ص٢٨٠.

٣٠-مفردات ألفاظ القرآن؛ ص ٢٥٦.

٣١-من مواضع ورود معنى الاجتباء في القرآن الكريم، قوله في يوسف عليه السلام؛((وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ))(يوسف، ٦). وقوله في يونس عليه السلام؛ ((فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ))(القلم، ٥٠). وقوله في الأنبياء عليهم السلام، ومن آبائهم وذرياتهم وأخوانهم؛ ((وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ))(الأنعام،٨٧- ٨٧). وقوله في آدم عليه السلام؛ ((ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى)) (طه، ٢٢). وقوله في من شاء من الأولياء والصالحين والشهداء والصديقين؛ ((يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ))(الشورى؛ ١٣). وظ: مفردات ألفاظ القرين؛ ص١٨٦.

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم

*الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، عبدالكريم بن إبراهيم الجيلي، تصحيح وتعليق فاتن محمد خليل، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

*بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث الربي، بيروت- لبنان، ط٣، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

*التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

*التفسير الكبير، الفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ١٤٢٢هـ- ١٩٩٥م.

*جامع الدروس العربية- موسوعة في ثلاثة أجزاء، مصطفى الغلاييني، راجعه ونقحه الدكتور عبدالمنعم خفاجة، منشورات المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط٢٨، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

*حقيقة الأسماء الحسنى، أحمد الماحوزي، مؤسسة عاشوراء، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

*حياة الإمام الحسن بن علي عليه السلام- دراسة وتحليل، باقر شريف القرشي، دار البلاغة، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

*الحياة السياسية للإمام الحسن عليه السلام في عهد الرسول صلى الله عليه وآله والخلفاء الثلاثة بعده،- دراسة وتحليل، جعفر مرتضى العاملي، دار السيرة، بيروت، ط١، ١٩٩٤م- ١٤١٤هـ.

*فرائد السمطين، الجويني، بيروت- لبنان، (دون ط. تا).

*كشف الغمة في معرفة الأئمة، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي، دار الأضواء، بيروت- لبنان، (د.تا).

*لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، (د.ط.تا).

*مشاهد روحية وفلسفية- الجزء الأول: التشيّع اثنا عشري، هنري كوربان، ترجمة وتحقيق نواف الموسوي، دار النهار للنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٦.

*المعجم الفلسفي، الدكتور جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، ١٩٨٢.

*معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، الدكتور أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

*المعنى القرآني بين التفسير والتأويل- دراسة تحليلية معرفية في النص القرآني، عباس أمير، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨.

*مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان داوودي، منشورات ذوي القربى، قم، ط٣، ١٤٢٤هـ.ق- ١٣٨٢هـ.ش.

*موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٩.

دفاع أهل البيت عليهم السلام عن العقيدة الإسلامية

الإمام الحسن عليه السلام أنموذجًا

الشيخ عليّ فائق العيدانيّ
مركز إحياء التراث التابع لدار مخطوطات
العتبة العباسيّة المقدّسة.

ملخص البحث

منذ ظهور الإسلام النبويّ الحنيف وهناك ثلة من الناس قد اتخذوا دور التشكيك في أصول الدين بدءًا من زمن الرسول محمّد صلى الله عليه وآله حتى يوم الناس هذا، وما كان من النبي وأهل بيته عليهم السلام إلّا أن يقفوا موقفًا حازمًا وجازمًا بالقول والفعل ضد مثل هذه الحركات المنحرفة والتي غايتها إبعاد البشرية عن دين الحقّ، لذا فبحثنا هذا ما هو إلّا التفاتة بسيطة إلى دفاع النبي وأهل البيت عليهم السلام عن العقائد الإسلامية الحقّة وإبراز دورهم في التصدّي لمثل هذه الحركات، وعلى هذا النحو جاء البحث مقسّمًا على مقدّمة ومبحثين وخاتمة، تناولنا في المبحث الأول دفاع أهل البيت عليهم السلام عن العقائد الإسلامية وخصوصًا أصول الدين: (التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد) مستندين بذلك إلى مناظراتهم وخطبهم واحتجاجاتهم مع المنحرفين والمشكّكين والزنادقة، وغيرهم ممّن تبنّوا هذا الخطّ.

وطرحنا في المبحث الثاني أهم المواقف التي تصدّى فيها الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ووقف فيها موقف المدافع والمحامي عن العقيدة الإسلامية؛ وذلك من خلال مناظراته واحتجاجاته مع المخالفين والمشكّكين وغيرهم، ومن ثمّ تأتي الخاتمة وتشمل أهمّ ما توصّل إليه الباحث من نتائج، فضلًا عن جملة من التوصيات.

Abstract

Since the advent of the true prophetic Islam, and there is a group of people who have taken the role of questioning the fundamentals of the religion, starting from the time of the Messenger Muhammad . There are deviant movements whose goal is to distance humanity from the religion of truth, so our research is a simple reference to the defense of the Prophet and Ahlalbayt, peace be upon them, for the true Islamic beliefs and highlighting their role in confronting such movements, and in this way the research was divided into an introduction, two sections and a conclusion. The first topic is the defense of Ahalalbayt , the second topic presents the most important positions Imam Al-Hassan Al-Mujtaba took as a defender of the Islamic faith in his debates and protests with the violators, skeptics and others, and then the conclusion comes to include the most important findings and recommendations.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمّد وعلى آله الطيبين الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين، وبعد..

منذ أن خلق الله سبحانه وتعالى هذا العالم لم يجعل هذه الخليقة دون عقيدة، أو قانون إلهي ينظم حياتها وشؤونها، لذلك أرسل الرسل بالشرائع والأديان لتحقّيق الغرض المنشود، والشواهد على ذلك كثيرة إلّا أنّ هذه الشرائع جوبهت وحوربت بشتى الطرق؛ لأنّها لا تتلاءم مع أهواء بعض الناس، ولم يكن من الأنبياء والأولياء إلّا أن يدافعوا عن تلك العقائد بكلّ الطرق، فبقيت مثل هذه الحركات المنكرة للشرائع مستمرة حتى يوم الناس هذا.

والعقيدة الإسلامية كونها القانون الإلهي والدستور الربانيّ الذي جاء به النبي محمّد ﷺ لهداية البشرية، لم يكن مجرد تعاليم دينيّة وطقوس فرضت على بني البشر للالتزام بها، ولم يكن بمعزل عن مثل هذه الحركات التي شككت بوجوده وكينونته وماهيته، فقد جابه الإسلام منذ ظهوره المشركين والمرتدين والمشككين دون هوادة، وبمختلف الأساليب التي يمكن أن تكون ناجعة بحسب ما يقتضيه الموقف؛ لذلك كان من ضمن ما فرض على المسلمين هو الدفاع عن عقيدتهم بكل ما أوتوا من قوة، سواء بالحجة الدامغة، أو بقوة السلاح، وهذا ما حصل لمن يتصفح تاريخ الإسلام.

ولمّا كان الدفاع عن العقيدة الحقّة واجب على المسلمين جميعًا فإنّ أولى المسلمين بالدفاع عن العقيدة هم أهل البيت عليهم السلام، لأنهم الأنموذج الأمثل للمسلم الملتزم الورع التقيّ العالم المدافع عن الدين، ولأنهم المعلم الأوّل للناس في كيفية التعامل مع الآخر حين الدفاع، لذلك نجدهم قد تبنوا مسألة الدفاع عن العقيدة بشتى الوسائل.

والإمام الحسن السبط عليه السلام كان من أبرز من دافعوا عن العقيدة الحقّة سواء بقوة الحجة كما في مناظراته واحتجاجاته وكذلك بقوة السلاح كما في مواقفه المشرفة التي ذكرها التاريخ، وعلى هذا قمنا بكتابة هذا البحث لتسليط الضوء على جانب من جوانب حياة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وهو جانب الدفاع عن العقيدة الإسلامية من خلال مناظراته واحتجاجاته، مقسمين البحث على

مبحثين وخاتمة، المبحث الأول استعرضنا فيه بعضًا من مناظرات واحتجاجات أهل البيت عليهم السلام عن العقيدة الإسلامية، والمبحث الثاني جاء في دفاع الإمام الحسن المجتبى عليه السلام عن العقيدة منتقين بذلك بعضًا من مناظراته خشية الإطالة، وخاتمة فيها أهم ما توصلنا إليه من نتائج.

لا يسعنا في هذا المقام إلّا أن نشكر كلّ من ساعدنا ومدّ لنا يد العون في إتمام هذه الوريقات سواء بمشورة أو ملاحظة أو تقويم، مهدين هذا العمل إلى مقام سيدنا ومولانا الإمام الحسن السبط عليه السلام آملين رضاه وشفاعته في الدنيا والآخرة، وسائلين المولى عزّ وجلّ أن يتقبل هذا العمل بقبول حسن إنّه سميع مجيب.

المبحث الأول

دفاع أهل البيت عليهم السلام عن العقيدة

لقد مرّ الإسلام الحنيف بمراحل تاريخية مهمة وصعبة خلال مسيرته بعد شهادة الرسول الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله، ومنها ما حصل في السقيفة وما تلاها من حروب داخلية وخارجية، وما تلاها من فتن وأزمات آخرها ما حدث في عهد عثمان ما أدى إلى مقتله، كل ذلك كان على مرأى ومسمع من أهل البيت عليهم السلام وخصوصًا الإمام عليّ عليه السلام لأنه معاصر لكل تلك الأحداث، فما كان منه عليه السلام أن يقف موقف المتفرج على ما يحدث، أو يغض الطرف عنه، فكان لابد له من أن يدلي بدلوه وأن يدافع عن العقيدة الإسلاميّة بشتى الطرق والوسائل التي تتناسب مع حجم الحدث الجاري.

وعلى هذا الطريق سار جميع أهل البيت عليهم السلام هو أن يدافعوا عن العقيدة السمحاء بكل الوسائل والطرق التي من شأنها درء الشبهة عن الدين ودفع الضرر عنه وكذلك إنارة الطريق للضال عن جادة الصواب، إلا أن تلك الطرق والوسائل اختلفت باختلاف الزمان والمكان ففي عهد الإمام الحسين عليه السلام كان السلاح هو الوسيلة الناجعة في الدفاع عن العقيدة في وقت أصبح فيه الكلام لا يأتي أُكله في أسماع من أشربوا في قلوبهم العجل، فكانت ثورة الإمام عليه السلام الصفعة التي أفاقت منها الأمة آنذاك، أما في عهد الإمام زين العابدين عليه السلام ومن تلاه من أهل البيت عليهم السلام فقد اتخذوا وسيلة النصح والإرشاد والتوجيه والمناظرة والاحتجاج والمحاورة في الدفاع عن العقيدة، لأن الزمان والمكان قد تغيرا في ذلك الحين فظهرت الفرق والملل والنحل والمتقولة والمتمنطقة، ومثل هذه الحركات كانت لابد أن تجابه وتقارع بالحجة والدليل و المناظرة لا بالسيف والرمح لذلك انبرى أهل البيت عليهم السلام في الدفاع عن العقيدة السمحاء بأسلوب الاحتجاج.

وسنتعرض في هذا المبحث إلى بعض مناظرات واحتجاجات أهل البيت عليهم السلام عن العقيدة الإسلامية ولكن على وفق الأصول الخمسة: **(التوحيد والعدل والنبوّة والإمامة والمعاد)**

أولاً: في التوحيد

إنّ من أهم المسائل التي دافع عنها أهل البيت عليهم السلام هي مسألة توحيد الله عز وجل وذلك حينما ظهرت فئات من الزنادقة تحاول ليّ المفاهيم الإسلاميّة ومن أهمها مسألة التوحيد، فما كان من أهل البيت عليهم السلام إلّا أن يتصدوا لمثل هذه الحركات، فقد ذكر الشيخ الكلينيّ -رحمه الله- ما دار بين الإمام الصادق عليه السلام وأحد الزنادقة في مكة حول التوحيد فقال:

«... كَانَ بِمِصْرَ زِنْدِيقٌ يَبْلُغُهُ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام أَشْيَاءُ، فَخَرَجَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُنَاظِرَهُ، فَلَمْ يُصَادِفْهُ بِهَا، وَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُ خَارِجٌ بِمَكَّةَ، فَخَرَجَ إِلَى مَكَّةَ وَنَحْنُ مَعَ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام، فَصَادَفَنَا وَنَحْنُ مَعَ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام فِي الطَّوَافِ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام: **إِذَا فَرَغْتُ مِنَ الطَّوَافِ، فَأْتِنَا**.

فَلَمَّا فَرَغَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام، أَتَاهُ الزِّنْدِيقُ، فَقَعَدَ بَيْنَ يَدَيْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام وَنَحْنُ مُجْتَمِعُونَ عِنْدَهُ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام لِلزِّنْدِيقِ: **أَتَعْلَمُ أَنَّ لِلْأَرْضِ تَحْتاً وَفَوْقاً**؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَدَخَلْتَ تَحْتَهَا**؟ قَالَ: لَا، قَالَ: **فَمَا يُدْرِيكَ مَا تَحْتَهَا**؟ قَالَ: لَا أَدْرِي، إِلَّا أَنِّي أَظُنُّ أَنْ لَيْسَ تَحْتَهَا شَيْءٌ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام: **فَالظَّنُّ عَجْزٌ لِمَا لَا تَسْتَيْقِنُ**.

ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام: **أَفَصَعِدْتَ السَّمَاءَ**؟ قَالَ: لَا، قَالَ: **أَفَتَدْرِي مَا فِيهَا**؟ قَالَ: لَا، قَالَ: **عَجَباً لَكَ! لَمْ تَبْلُغِ الْمَشْرِقَ، وَلَمْ تَبْلُغِ الْمَغْرِبَ، وَلَمْ تَنْزِلِ الْأَرْضَ، وَلَمْ تَصْعَدِ السَّمَاءَ، وَلَمْ تَجُزْ هُنَاكَ؛ فَتَعْرِفَ مَا خَلْفَهُنَّ وَأَنْتَ جَاحِدٌ بِمَا فِيهِنَّ؟ وَهَلْ يَجْحَدُ الْعَاقِلُ مَا لَا يَعْرِفُ؟**

قَالَ الزِّنْدِيقُ: مَا كَلَّمَنِي بِهٰذَا أَحَدٌ غَيْرُكَ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام: «**فَأَنْتَ مِنْ ذٰلِكَ فِي شَكٍّ، فَلَعَلَّهُ هُوَ، وَلَعَلَّهُ لَيْسَ هُوَ**»، فَقَالَ الزِّنْدِيقُ: وَلَعَلَّ ذٰلِكَ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام: **أَيُّهَا الرَّجُلُ، لَيْسَ لِمَنْ لَا يَعْلَمُ حُجَّةٌ عَلَى مَنْ يَعْلَمُ، وَلَا حُجَّةَ لِلْجَاهِلِ، يَا أَخَا أَهْلِ مِصْرَ، تَفَهَّمْ عَنِّي؛ فَإِنَّا لَانَشُكُّ فِي اللهِ أَبَداً، أَمَا تَرَى الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَاللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَلِجَانِ فَلَا يَشْتَبِهَانِ، وَيَرْجِعَانِ قَدِ اضْطُرَّا، لَيْسَ لَهُمَا مَكَانٌ إِلَّا مَكَانُهُمَا، فَإِنْ كَانَا يَقْدِرَانِ عَلَى أَنْ يَذْهَبَا، فَلِمَ يَرْجِعَانِ؟ وَإِنْ كَانَا غَيْرَ مُضْطَرَّيْنِ، فَلِمَ لَا يَصِيرُ اللَّيْلُ نَهَاراً، وَالنَّهَارُ لَيْلًا؟ اضْطُرَّا -وَاللهِ يَا أَخَا أَهْلِ مِصْرَ- إِلَى دَوَامِهِمَا، وَالَّذِي اضْطَرَّهُمَا أَحْكَمُ مِنْهُمَا وَأَكْبَرُ**. فَقَالَ الزِّنْدِيقُ: صَدَقْتَ.

ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام : **يَا أَخَا أَهْلِ مِصْرَ، إِنَّ الَّذِي تَذْهَبُونَ إِلَيْهِ وَتَظُنُّونَ أَنَّهُ الدَّهْرُ، إِنْ كَانَ الدَّهْرُ يَذْهَبُ بِهِمْ، لِمَ لَا يَرُدُّهُمْ؟ وَإِنْ كَانَ يَرُدُّهُمْ، لِمَ لَا يَذْهَبُ بِهِمْ؟ الْقَوْمُ مُضْطَرُّونَ يَا أَخَا أَهْلِ مِصْرَ، لِمَ السَّمَاءُ مَرْفُوعَةٌ، وَالْأَرْضُ مَوْضُوعَةٌ؟ لِمَ لَا تَسْقُطُ السَّمَاءُ عَلَى الْأَرْضِ؟ لِمَ لَا تَنْحَدِرُ الْأَرْضُ فَوْقَ طِبَاقِهَا، وَلَا يَتَمَاسَكَانِ، وَلَا يَتَمَاسَكُ مَنْ عَلَيْهَا ؟** قَالَ الزِّنْدِيقُ : أَمْسَكَهُمَا الله رَبُّهُمَا وَسَيِّدُهُمَا.

قَالَ: فَآمَنَ الزِّنْدِيقُ عَلَى يَدَيْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام ، فَقَالَ لَهُ حُمْرَانُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، إِنْ آمَنَتِ الزَّنَادِقَةُ عَلَى يَدَيْكَ فَقَدْ آمَنَ الْكُفَّارُ عَلَى يَدَيْ أَبِيكَ .

فَقَالَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي آمَنَ عَلَى يَدَيْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام: اجْعَلْنِي مِنْ تَلَامِذَتِكَ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: **يَا هِشَامَ بْنَ الْحَكَمِ، خُذْهُ إِلَيْكَ وَعَلِّمْهُ فَعَلَّمَهُ** هِشَامٌ ؛ فَكَانَ مُعَلِّمَ أَهْلِ الشَّامِ وَأَهْلِ مِصْرَ الْإِيمَانَ، وَحَسُنَتْ طَهَارَتُهُ حَتَّى رَضِيَ بِهَا أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام»[1].

يتبيّن ممّا سبق أنّ الإمام عليه السلام هو من بادر بالسؤال؛ وذلك لكي يعرف مدى معرفة الزنديق وعلميته حتى يخلص إلى طريقة المحاورة معه إن كانت مجدية أو لا، وكذلك لمعرفة مدى وعي المناظر فمن المعلوم أنّ أهل البيت عليهم السلام يناظرون الناس ويكلمونهم بحسب عقولهم وفهمهم وهذا هو ديدن الأنبياء والأولياء عليهم السلام، وكذا يتبين لنا أسلوب الإمام في المناظرة وما اتسمت به من الهدوء والسؤال والجواب بطريقة تجعل من الخصم مذهولًا وهذا ما حدث فعلًا حتى أعلن الزنديق إيمانه فضلًا عن طلبه أن يكون أحد طلاب الإمام عليه السلام.

ثانيًا: في العدل

وعن عدل الله سبحانه وتعالى هو ما جرى بين الإمام موسى بن جعفر-عليه السلام- مع أبي يوسف القاضي في مجلس الرشيد، بعد حديث طويل، أنّ الله تعالى عدل لا يجور في احتجاجه على خلقه، وفيه ما نصّه:

«﴿ **قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾[2]، تَبلغ الحُجة البالغة الجاهل فيعلمها بجَهلة، كما يعلمها العالم بعلمه؛ لأنّ الله عدل لا يجور، يَحتج على خلقه بما يعلمون، يدعوهم إلى ما يعرفون، لا إلى ما يجهلون وينكرون فأجازه الرشيد ورده»[3].

على الرغم من أنّ المحاورة أعلاه كانت قصيرة يسيرة إلّا أنّها تنبئك بما تحمله من معان مهمة في بيان مسألة عدل الباري جل ثناؤه، والملاحظ أيضًا فيها أنّها مناظرة بين الإمام عليه السلام وبين أحد القضاة وهذا مهم جداً؛ إذ أنّ القاضي سأل عن مسألة تخص عمله كقاض إذ إنّه مفروض عليه أن يحكم بالعدل لذا فهو يسأل عن العدل وعن عدالة الله عز وجل، ويمكن القول إنّ القاضي لم يسأل الإمام بدافع التشكيك بل بدافع المعرفة لِما أُبهم عليه، وأشكل عليه في مسألة العدالة وكيف يحكم الله يوم القيامة وهذه من الأمور المهمة آنذاك؛ لأنّ في تلك الحقبة ظهرت الكثير من الفرق التي خاضت في الكلام حول عدالة الباري عز وجل.

ثالثًا: في النبوّة

والنبوة بوصفها أحد أصول الدين فهي كانت من أكثر المسائل التي تنكّر لها غير المسلمين بقصد إنكار نبوّة النبي محمد صلى الله عليه وآله الذي يوصلهم إلى إنكار الإسلام كدين، وهذا ما ذكرته كتب التاريخ وهي أنّه قصد وفد من علماء اليهود الإمام الصادق عليه السلام ليحاججوه في الإسلام فلمّا مثلوا بين يديه انبروا إليه يطلبون منه الحجة والدليل على نبوّة رسول الله صلى الله عليه وآله قائلين: أي معجز يدل على نبوّة محمد صلى الله عليه وآله؟ أجابهم عليه السلام: «**كتابه المهيمن الباهر لعقول الناظرين مع ما أعطي من الحلال والحرام وغيرهما مما لو ذكرناه لطال شرحه**».

فقال اليهود: كيف لنا أن نعلم أن هذا كما وصفت؟ فقال لهم موسى بن جعفر عليهما السلام – وهو صبي وكان حاضراً– : **وكيف لنا بأن نعلم ما تذكرون من آيات موسى أنها على ما تصفون؟**

قالوا : علمنا ذلك بنقل الصادقين، قال لهم موسى بن جعفر عليهما السلام: **فاعلموا صدق ما أنبأتكم به بخبر طفل لقنه الله تعالى من غير تعليم ولا معرفة عن الناقلين**، فقالوا : نشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنكم الأئمّة الهادية والحجج من عند الله على خلقه»[٤].

لم تكن المناظرة السابقة بين الإمام عليه السلام وبين عامة الناس أو زنديق، بل كانت بين الإمام وبين علماء اليهود حول النبوّة، والمعلوم أنّ مثل هذه المناظرة تحتاج إلى أدلة وبراهين دامغة؛ وذلك لأنّ اليهود منكرون لنبوّة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله لذا فهم يحتاجون إلى من لديه الحجة البالغة في هذه المسألة، والجميل في هذه المناظرة أنّ الإمام الصادق عليه السلام أعطى الفرصة للإمام الكاظم عليه السلام في المناظرة ولا بد

من الالتفات إلى أنّ مهمة الدفاع عن العقيدة ليس محصورًا في أهل البيت عليهم السلام وأهل العلم فقط ولا يقتصر على عمر معين، بل هو أمر تكليفي إلى كل مسلم متمكن من أدوات مناظرته.

رابعًا: في الإمامة

وهي من المسائل التي اختلف الرأي فيها بين المسلمين ما بين مسلم مؤمن بها، وما بين منكر لها، وعلى هذا الأساس كثرت الأقاويل والمناظرات والاحتجاجات فيها، وفي إثباتها لذلك انبرى أهل البيت عليهم السلام وأصحابهم الخلص في الدفاع عن هذا الأصل العقديّ الذي ينكره المخالفون، ومن ذلك ما دار بين الإمام أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام وسالم فقال: «جئت أكلمك في أمر هذا الرجل، قال: **أيها رجل؟** قال: علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: **في أي أموره** ؟ قال : في إحداثه، قال أبو جعفر : **أنظر ما استقر عندك مما جاءت به الرواة عن آبائهم** .

قال : ثم نسبهم، ثم قال : **يا سالم، أبلغك أن رسول الله بعث سعد بن عبادة براية الأنصار إلى خيبر، فرجع منهزماً ، ثم بعث عمر بن الخطاب براية المهاجرين والأنصار، فأتى سعد جريحًا وجاء عمر يجبّن أصحابه ويجبنونه**، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **هكذا يفعل المهاجرون والأنصار، حتى قالها ثلاثاً**، ثم قال: **لأعطين الراية غدًا رجلًا كرار ليس بفرار، يحبه الله ورسوله ، ويحب الله ورسوله**، قال: نعم، وقال القوم جميعًا أيضًا، فقال أبو جعفر: **يا سالم، إن قلت إنّ الله عز وجل أحبه وهو لا يعلم ما هو صانع فقد كفرت، وإن قلت إنّ الله عز وجل أحبه وهو يعلم ما هو صانع، فأيّ حدث ترى له**، فقال: أعد عليّ فأعاد عليه السلام عليه، فقال سالم: عبدت الله على ضلالة سبعين سنة»(٥) .

في المناظرة السابقة شيء مهم هو أن سالمًا لم يكن يسأل الإمام عن الإمامة بمفهومها العام وكيف تثبت؟ بل يسأل عن شخص الإمام عليّ عليه السلام؛ وذلك لمعرفته أنّ إثبات إمامة عليّ ابن أبي طالب عليه السلام هي دلالة واضحة على إمامة أولاده من بعده، إلّا أنّ الإمام عليه السلام نبه سالمًا على أنّ المنكر لهذا الأصل كافر بدلالة قوله عليه السلام: «يا سالم إن قلت إنّ الله عز وجل أحبه وهو لا يعلم ما هو صانع فقد كفرت» على أنّ الكفر هنا ليس محصورًا بأصل الإمامة فقط، بل تعدى إلى الكفر بالتوحيد وعلم الله، وهذا دليل على أنّ الإمامة منصب إلهي لا ريب فيه، لذلك بعد أن أثبت له الإمام الباقر عليه السلام ذلك اعترف بضلالته لسبعين عامًا إذ لم يكن يؤمن بإمامة عليّ بن أبي طالب عليه السلام بقدر إيمانه بأنّه أحد الخلفاء الأربعة وانتهى.

خامسًا: في المعاد

جاء في كتاب **الاحتجاج** حديث الإمام الصادق عليه السلام مع أحد الزنادقة في مسألة المعاد في رواية طويلة نورد منها ما نصّه: «قال [أي: الزنديق] : وأنّى له بالبعث والبدن قد بلى، والأعضاء قد تفرقّت، فعضو ببلدة يأكلها سباعها، وعضو بأخرى تُمزقه هوامها، وعضو قد صار تُرابًا بُني به مع الطين حائط؟ قال: **إنّ الذي أنشأه من غير شيء، وصوره على غير مثال كان سبق إليه، قادر أن يُعيده كما بدأه.**

قال: أوضح لي ذلك؟ قال: **إنّ الروح مُقيمة في مكانها، روح المحسن في ضياء وفسحة، وروح المُسيء في ضيق وظلمة، والبدن يصير تُرابًا كما منه خُلق، وما تقذف به السباع والهوام من أجوافها، ممّا أكلته ومزّقته كلّ ذلك في التراب محفوظ عند من لا يعزب عنه مثقال ذرّة في ظُلمات الأرض، ويعلم عدد الأشياء ووزنها، وأنّ تراب الروحانيّين بمنزلة الذهب في التراب، فإذا كان حين البعث مطرت الأرض مطر النشور، فتربو الأرض ثمّ تمخض مخض السقاء، فيصير تراب البشر كمصير الذهب من التراب إذا غُسل بالماء، والزبد من اللبن إذا مخض، فيجتمع تُراب كلّ قالب إلى قالبه، فينتقل بإذن الله القادر إلى حيث الروح ، فتعود الصور بإذن المُصوّر كهيئتها، وتلج الروح فيها، فإذا قد استوى لا يُنكر من نفسه شيئًا..**»(٦).

مسألة المعاد قديمة الإنكار والأدلة على ذلك كثيرة في القرآن الكريم إلا أنّها بقيت متداولة لزمن الإمام عليه السلام وذلك بعد أن دخلت الإمة الإسلامية الكثير من الأفكار التي ألقت بظلالها على الفكر الإسلامي، لذلك هناك من أنكر المعاد وهذا ما جاء في الرواية السابقة حول المعاد، والجميل في ذلك هي أنّ السائل فصّل في سؤاله عن البدن وكيف يمكنه أن ينشأ وقد صار ترابًا، فما كان جواب الإمام له إلّا كما جاء في تفصيل السائل، وهذا يدلنا على أسلوب إشباع السؤال بالجواب عن كل فقرة فيه؛ لكي يكون الجواب شافيًا ووافيًا لا يساوره النقص ولا الغموض.

المبحث الثاني

دفاع الإمام الحسن المجتبى عليه السلام عن العقيدة

لم يكن الإمام الحسن عليه السلام بمعزل عمّا حوله من الأحداث التي جرت بعد الرسول محمّد صلى الله عليه وآله، بل تفاعل معها بما ينسجم وحجم الحدث، فضلًا عن تصديه لمن راموا التشكيك والتحريف في العقيدة، فما كان من الإمام عليه السلام إلّا أن يكون الترس الواقي والمحامي الواعي لمثل هذه التشكيكات، وسنورد هنا بعضًا من مناظرات واحتجاجات الإمام الحسن المجتبى عليه السلام تتضمّن دفاعه عن العقيدة الإسلامية الحقّة، وهي على محورين الأوّل في دفاعه عن العقيدة أصلًا -أي ما جاءت مناظرته في أصل من أصول العقيدة-، والثاني في دفاعه عليه السلام عن العقيدة ضمنًا- أي ما جاءت مناظرته على أمر ما متضمّنًا الدفاع عن العقيدة-.

أولا: في دفاعه عن العقيدة أصلًا:

جاء في **الهداية الكبرى** عن المفضل بن عمر، عن الإمام أبي عبدالله عليه السلام: (**أنّ أعرابيًا خرج من قومه حاجًا محرمًا فورد على أدحي نعام فيه بيض فأخذه واشتواه وأكل منه، وذكره أنّ الصيد حرام فورد المدينة** فقال: أين الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقد جنيت عظيمًا! فأرسل إلى أبي بكر فورد عليه وعنده ملأ من قريش فيهم عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وطلحة والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، وخالد بن الوليد، والمغيرة بن شعبة، فسلم الأعرابي.

ثم قال: يا خليفة رسول الله أفتني، فقال له أبو بكر: قل يا أعرابيّ، فقال: إني خرجت من قومي حاجًا محرمًا فأتيت على أدحي فيه بيض نعام فأخذته واشتويته فأذن لي من الحج ما عليّ فيه حلال وما علي فيه حرام من الصيد، فأقبل أبو بكر على من حوله وقال: أنتم حواري رسول الله، فقال الزبير: من دون الناس أنت خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وأنت أحقّ بإجابته.

فقال له أبو بكر: يا زبير، عليّ بن أبي طالب في صدرك، قال وكيف وأمي صفيّة ابنة عبد المطلب عمة رسول الله، فقال الأعرابيّ: ما في القوم الا من يجهد، وقال له الأعرابيّ: ما أصنع، قال له الزبير: لم يبقَ في المدينة من نسأله بعد من حضر هذا المجلس إلّا

صاحب الحقّ الذي هو أولى بهذا المجلس منهم، قال الأعرابيّ: فترشدني إليه، قال الزبير: إنّ أخباري يسومونه قوم ويحط آخرون، قال الأعرابيّ: قد ذهب الحقّ وصرتم تكرهون، قال عمر: إلى كم تطيل الخطاب يا ابن العوام، قوموا بنا والأعرابيّ إلى عليّ فلا نسمع جواب هذه المسألة إلّا منه، فقاموا بأجمعهم والأعرابيّ معهم حتى صاروا إلى أمير المؤمنين فاستخرجوه من بيته وقالوا للأعرابيّ: أقصص قصتك على أبي الحسن عليّ.

قال الأعرابيّ: فلم أرشدتموني إلى غير خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: ويحك يا أعرابي، خليفة رسول الله أبو بكر؟ وهذا وصيه في أهل بيته وخليفته وقاضي دينه ومنجز عداته ووارث علمه، قال الأعرابيّ: ويحكم يا أصحاب محمّد، والذي أشرتم إليه بالخلافة ما فيه من هذه الخصال خصلة واحدة، قالوا: ويحك يا أعرابيّ، اسأل عن مسألتك ودع عنك ما ليس من شأنك، قال الأعرابي يا أبا الحسن، يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، إنّي خرجت من قومي حاجًا محرمًا، قال له أمير المؤمنين: **تريد الحج، فوردت على أدحي فيه بيض نعام فأخذته واشتويته وأكلته**، فقال الأعرابيّ: من سبقني بالخبر إليك، فقال أمير المؤمنين: **عمّن تحدث به في المجلس مجلس أبي بكر خليفة رسول الله فكيف لا يسبق الخبر إليه**، قال له أمير المؤمنين: **فأفته يا أبا حفص، قال له أبو حفص: لو حضرت وعلمت الفتوى ما حملنا إليك.**

فقال أمير المؤمنين: **أجل يا أعرابيّ، عليك بالصبيّ الذي بين يدي معلمه ومؤدبه صاحب الرواية فإنّه ابني الحسن فاسأله فإنه يفتيك**، قال الأعرابيّ: إنا لله وإنا إليه راجعون مات دين محمّد صلى الله عليه وآله بعد موته، فحمد وتنازع أصحاب محمّد وأزبد، قال أمير المؤمنين: **حاش لله يا أعرابيّ، لم يمت أبدًا**، قال الأعرابيّ: أفمن الحقّ أن أسأل خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وحوارييه وأصحابه ولا يفتوني ويحيلوني عليك، وتحيلني وتأمرني أن أسأل الصبيّ الذي بين يدي معلمه لا يفصل بين الخير والشر؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: **يا أعرابيّ، لا تقل ما ليس لك به علم وأسأل الصبيّ فإنّه يفتيك.**

فقام الأعرابيّ إلى الحسن عليه السلام وقلمه في يده يخط في الصحيفة ومؤدبه يقول أحسنت أحسن الله إليك يا حسن، قال الأعرابيّ: يا مؤدب، يحسن للصبيّ من إحسانه وما أسمعك

تقول له شيئًا حتى كأنه بمؤدبك، قال: فضحك القوم من الأعرابيّ وصاحوا به ويحك يا أعرابيّ أوجز، قال الأعرابيّ: قد نبأتك يا حسن، أنّي خرجت من قومي حاجًا محرمًا فوردت على أدحي فيه بيض نعام فاشتويته وأكلته عامدًا وناسيًا.

قال الحسن عليه السلام: **زدت في القول يا أعرابيّ، قولك عامدًا لم يكن هذا عبثًا**، قال الأعرابيّ: ما كنت ناسيًا، فقال له الحسن: - وهو يخط في صحيفته - **يا أعرابيّ، خذ بعدد البيض نوقًا فاحمل عليها فنيقًا، فإذا أنتجت من قابل فاجعلها هديًا بالغ الكعبة كفارة لفعلك**، قال الأعرابيّ: فديتك يا حسن، :أن من الإبل ما يزلقن قال الحسن عليه السلام: **يا أعرابيّ وإن في البيض ما يمرقن.**

قال الأعرابيّ: أنت صبيّ محدّق وفي علم الله مغرق، ولو جاز أن يكون ما أقول لقلت إنك خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، قال الحسن عليه السلام: **ما ترى قومًا اختاروه فإذا أبغضوه عزلوه فكبر القوم،** وعجبوا لمّا سمعوا من الحسن، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: **الحمد لله الذي جعل في ابني هذا كما جعله في داود وسليمان فكان هذا من دلائله عليه السلام)**(٧).

الرواية السابقة فيها جملة من النقاط التي تصبّ في صلب موضوع الدفاع عن العقيدة وهي:

- سؤال الأعرابيّ عن خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، فهو لم يسأل عن شخص آخر، لأن الخليفة هو الأولى بإعطاء الإجابة والحكم الشرعي للمسألة.
- حيرة الجلّاس من أمرهم وعدم القدرة على إعطاء الإجابة والحكم الشرعي للمسألة.
- إجماع الكلّ على أنّ هذه المسألة ليس لها حل إلّا عند أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.
- ابتعاث الأعرابيّ إلى الإمام علي عليه السلام.
- اعتراض الأعرابيّ على تسمية أبي بكر خليفة وهو لا يحمل من الصفات التي نعتوا بها الإمام عليه السلام.
- اعتراض الأعرابيّ على إحالة أمره إلى الإمام الحسن عليه السلام وهو ما يزال صبياً.
- رد الإمام عليّ عليه السلام على الأعرابيّ في وصف الحسن عليه السلام بأنّه لا يفرق بين الخير والشر.
- اعتراف الأعرابيّ بقوله: (أنت صبيّ محدق وفي علم الله مغرق ولو جاز أن يكون ما أقول لقلت انك خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله).

هذه النقاط كلّها دلائل واضحة تعطيك الصورة جليّة من هم أحقّ بخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله بدءًا من قول الأعرابيّ واعتراضه على تسمية أبي بكر بالخليفة وهو لا يحمل من صفات الخلافة شيئًا ممّا قيل في حقّ الإمام علي عليه السلام، فضلاً عن إحالة الإمام عليّ عليه السلام جواب المسألة إلى الإمام الحسن عليه السلام وفي ذلك دليل قاطع على أمرين:

الأوّل: إثبات أن الثقل الثاني بعد القرآن هم أهل البيت عليهم السلام وهي تركة رسول الله صلى الله عليه وآله في أمته.

والثاني: إشارة إلى إثبات إمامة الحسن عليه السلام من بعده.

وبالجملة فإنّ هذين الأمرين فيهما دليل لا ريب فيه في إثبات أصل من أصول الدين وهو أصل (الإمامة).

وجاء في كتاب **الاحتجاج** جوابه عليه السلام على سائل فقد روى محمّد بن قيس، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليهما السلام بعد كلام طويل قال: «...قال الرجل: أنا رجل بعثني إليك معاوية متغفلًا لك، أسألك عن شيء بعث به ابن الأصفر إليه. وقال له: إن كنت أحق بهذا الأمر والخليفة بعد محمّد، فأجبني عما أسألك، فإنّك إن فعلت ذلك اتبعتك، وبعثت إليك بالجائزة، فلم يكن عنده جواب وقد أقلقه فبعثني إليك لأسألك عنها.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: **قاتل الله ابن آكلة الأكباد، وما أضله وأعماه ومن معه، حكم الله بيني وبين هذه الأمة، قطعوا رحمي، وأضاعوا أيّامي، ودفعوا حقّي، وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي، يا قنبر، عليّ بالحسن، والحسين، ومحمّد، فاحضروا .**

فقال : **يا شامي، هذان ابنا رسول الله ، وهذا ابني ، فاسأل أيّهم أحببت.**

فقال : اسأل ذا الوفرة يعني الحسن عليه السلام، فقال له الحسن عليه السلام: **سلني عما بدا لك.**

فقال الشامي: كم بين الحق والباطل؟ وكم بين السماء والأرض؟ وكم بين المشرق والمغرب؟ وما قوس قزح؟ وما العين التي تأوي إليها أرواح المشركين، وما العين التي تأوي إليها أرواح المؤمنين؟ وما المؤنث؟ وما عشرة أشياء بعضها أشد من بعض؟

فقال الحسن عليه السلام: **بين الحق والباطل أربع أصابع، فما رأيته بعينك فهو الحق، وقد تسمع بأذنيك باطلًا كثيرًا،** فقام الشامي : صدقت.

قال: **وبين السماء والأرض دعوة المظلوم، ومد البصر، فمن قال لك غير هذا فكذبه**، قال: صدقت يا بن رسول الله.

قال: **وبين المشرق والمغرب مسيرة يوم للشمس، تنظر إليها حين تطلع من مشرقها، وتنظر إليها حين تغيب في مغربها**، قال: صدقت، فما قوس قزح؟

قال: **ويحك، لا تقل قوس قزح فإنّ قزح اسم الشيطان، وهو قوس الله، وهذه علامة الخصب، وأمان لأهل الأرض من الغرق، وأمّا العين التي تأوي إليها أرواح المشركين فهي عين يقال لها: برهوت، وأمّا العين التي تأوي إليها أرواح المؤمنين فهي عين يقال لها: سلمى.**

وأمّا المؤنث فهو الذي لا يدرى أذكر أم أنثى فإنّه: ينتظر به فإن كان ذكرًا احتلم، وإن كان أنثى حاضت، وبدا ثديها، وإلا قيل له: بل على الحايط، فإن أصاب بوله الحايط فهو ذكر، وإن انتكص بوله كما ينتكص بول البعير فهي امرأة.

وأمّا عشرة أشياء بعضها أشد من بعض: فأشد شئ خلقه الله الحجر، وأشد من الحجر الحديد يقطع به الحجر، وأشد من الحديد النار تذيب الحديد، وأشد من النار الماء يطفي النار، وأشد من الماء السحاب يحمل الماء، وأشد من السحاب الريح تحمل السحاب، وأشد من الريح الملك الذي يرسلها، وأشد من الملك ملك الموت الذي يميت الملك، وأشد من ملك الموت الموت الذي يميت ملك الموت، وأشد من الموت أمر الله الذي يميت الموت.

فقال الشامي: أشهد أنّك ابن رسول الله حقًا، وأنّ عليًا أولى بالأمر من معاوية، ثم كتب هذه الجوابات وذهب بها إلى معاوية، فبعثها إلى ابن الأصفر. فكتب إليه ابن الأصفر: يا معاوية، لم تكلمني بغير كلامك، وتجيبني بغير جوابك؟ أقسم بالمسيح ما هذا جوابك، وما هو إلّا من معدن النبوّة، وموضع الرسالة، وأمّا أنت فلو سألتني درهما ما أعطيتك»[٨].

المتأمل لهذا الموقف يدرك مدى دفاع الإمام عليه السلام عن أحد أصول العقيدة الإسلامية وهو (الإمامة)، إذ أنّ معاوية حين بعث بالرجل إلى الإمام عليّ عليه السلام وليس لغيره، والهدف من وراء ذلك معروف إذ أنّ معاوية يريد أن ينكّر للرجل حقّ إمامة الأمة لعلي بن أبي طالب عليه السلام، وذلك من خلال قول الرجل: «أنا رجل بعثني إليك معاوية متغفلًا لك، أسألك عن شئ

بعث به ابن الأصفر إليه. وقال له: إن كنت أحق بهذا الأمر والخليفة بعد محمّد»، فعند سماع الإمام عليّ عليه السلام كلام الرجل بين حجم الظلم الذي وقع عليه من الأمة بعد استشهاد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إلى زمن معاوية.

وأمر آخر أشار إليه الإمام عليه السلام بدعوة بنيه وفي ذلك دليل على إيضاح ما بهم على الرجل فقال له عليه السلام: «**هذان ابنا رسول الله وهذا ابني**».

والمناظرة كانت جملة من الأسئلة التي كانت عند الرجل والتي يمكنه من خلال طرحها والإجابة عنها يصل إلى نتيجة مفادها أن المجيب عن هذه الأسئلة هو أحق بإمامة الأمة من بعد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله.

علمًا أن بعض الأسئلة هي ممّا هو مشاع تسميته بين الناس وهو غير صحيح كـ(قوس قزح)، فضلًا عن باقي الأسئلة.

وما كان من الإمام الحسن عليه السلام إلّا أن أجابه عن جميع أسئلته بكل تفصيل ووضوح بناء على ما أوكله له الإمام عليّ عليه السلام إجابة الرجل.

إنّ المناظرة المذكورة آنفاً تنبئك عن أنّ فيها دفاعاً عن العقيدة وإثباتاً لأعلمية أهل البيت عليهم السلام، وبذلك يكون هناك إثبات لهم بأنهم أئمّة الأمة، وهذا يفضي إلى نتيجة مفادها أن في ذلك دليل على إمامتهم كأصل من أصول الدين.

والملفت للنظر أنّ الإمام علياً عليه السلام أناط الإجابة للإمام الحسن عليه السلام لتحقيق أمرين الأول: هو أنّ وجوب الدفاع عن العقيدة منوط بجميع أبناء الأمة، والثاني: إثبات أحقّية إمامة الحسن عليه السلام من بعده.

ثانيا: في دفاعه عن العقيدة ضمنًا

منها ما جاء في كتاب **المناقب** لابن شهرآشوب في المفاخرة بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية فقال: «اخبار ابن أبي حاتم: أنّ معاوية فخر يومًا فقال: أنا ابن بطحاء مكة، أنا ابن اعزها جودًا، وأكرمها جدوداً، أنا ابن ساد قريشًا فضلًا ناشئًا وكهلًا.

فقال الحسن بن عليّ: **أعليّ تفخر يا معاوية! أنا ابن عروق الثرى، أنا ابن مأوى التقى، أنا ابن من جاء بالهدى، أنا ابن من ساد أهل الدنيا بالفضل السابق والحسب الفائق، أنا ابن من طاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله، فهل لك أب كأبي تباهيني به؟ وقديم كقديمي تساميني به؟ تقول نعم أو لا؟** قال معاوية: بل أقول لا وهي لك تصديق. فقال الحسن عليه السلام:

الحق أبلج ما يحيل سبيله * والحق يعرفه ذوو الألباب»[٩]

إن النبوّة أصل من أصول الدين كما هو معروف لدى المسلمين جميعًا وإن طرق الإثبات لهذا الأصل اختلفت بين أهل البيت عليهم السلام فكل أثبته بطريقته، وهنا يمكن القول بأن المفاخرة السابقة بين الإمام عليه السلام وبين معاوية ليس مفاخرة لإثبات نسب؛ لأنّ نسب الإمام معروف ونسب معاوية معروف أيضًا، إلّا أنّ الفرق هنا هي أنّ معاوية تفاخر للنسب بما هو نسب أمّا مفاخرة الإمام عليه السلام جاءت مفاخرة إثبات وبيان حق إلهي وإثبات أصل من أصول الدين، إذ بيّن الإمام عليه السلام من خلال نسبه أن هناك مسألة مرتبطة بالنسب وهي (الطاعة والمعصية) فبطاعة الرسول صلى الله عليه وآله طاعة لله سبحانه وفي معصيتِهِ معصيَتُهُ سبحانه، ففي ذلك إثبات للنبوّة والجميل بأن أسلوب الإمام في الإثبات جاء بطريقة جميلة وبعبارة مبسوطة مسجوعة مفهومة لا رين عليها؛ وذلك ليتسنى للجميع فهم هذه المفاخرة والمراد منها.

وفي رواية أخرى مفاخرة أيضًا بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية ذكرت في كتاب **المناقب لابن شهرآشوب** فقال: «قال معاوية للحسن بن عليّ: أنا أخير منك يا حسن، قال: **وكيف ذاك يا ابن هند**، قال: لأنّ الناس قد أجمعوا عليّ ولم يجمعوا عليك، قال: **هيهات هيهات لشر ما علوت يا ابن آكلة الأكباد المجتمعون عليك رجلان بين مطيع ومكره، فالطايع لك عاص لله، والمكروه معذور بكتاب الله وحاشى لله أن أقول أنا خير منك فلا خير فيك، ولكن الله برأني من الرذائل كما برأك من الفضائل**»[١٠].

الدفاع عن الحق هو ممّا فرضه الإسلام على المسلمين جميعًا دون تفريق بينهم لا بعمر ولا جنس ولا قوة ولا ضعف، فأين ما يوجد حق وجب الدفاع عنه، فكيف والحق هنا متشخص بشخص الإمام (عليه السلام) وهو يحاور معاوية ويناديه بـ(**ابن هند**) ووصفها بـ(**آكلة الأكباد**) للدلالة على وضاعة النسب وفي ذلك دلالة على التحقير أيضًا، وعلى بيان مدى العداوة التي تجذرت منذ ظهور الإسلام حتى يوم الإمام (عليه السلام)، الدلالة الأهم هي أنّ الإمام (عليه السلام) أكد من خلال كلامه بأن الطاعة لمعاوية ليس حقّة بل هي معصية لله تعالى، وفي ذلك دليل على بطلان اجتماع الأمة عليه فضلًا عن بطلان أحقيته بالخلافة وهذا البطلان يفضي إلى نتيجة مفادها أن إمامة الأمة في أهل البيت (عليهم السلام) وهذا يعد دفاعًا وإثباتاً لأصل الإمامة في العقيدة.

الخاتمة

ومن خلال ما تقدّم في المبحثين السابقين توصل الباحث إلى ما يأتي:

١-لم يكن الدفاع عن الشريعة والعقيدة بشكل عام حديث عهد بل نشأ وظهر بظهور شرائع الأنبياء الذين سبقوا النبي محمّد صلى الله عليه وآله؛ لأنّ ظهور شرائعهم جعلهم في مواجهة مباشرة مع منكريهم لذا فصار لزامًا عليهم سلام الله عليهم أن يقفوا يدافعوا عن معتقدهم الذي جاؤوا به.

٢-إن الدفاع عن العقيدة الإسلامية على وجه الخصوص لم يكن مقتصرًا على النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، بل هو فرض عين على كل مسلم ومسلمة، إذا ما تم إنكار العقيدة أو شُكِّك بها، أو انحرفت عن مسارها السليم فلا بدّ من المواجهة والدفاع بكل الوسائل المتاحة.

٣- كانت مناظرات أهل البيت عليهم السلام في الدفاع عن العقيدة مختلفة باختلاف السائل فإن كان زنديقًا اختلف الأسلوب عمّن كان عالمًا ولكنه منكر لبعض المسائل، وكذلك عمّن كان عالمًا لكنه اشتبهت عليه بعض المفاهيم، وهذا دليل ودرس مهم في كيفيّة التعامل والتحاور مع كل شخص بحسب فهمه وادراكه ومعلوماته.

٤-تميز أسلوب أهل البيت عليهم السلام بقوة الدليل والتفصيل في المسألة لتغطية جميع الجوانب التي ربما تكون خافية على السائل وبذلك فتكون الإجابة هي احتواء للمقابل، ومن ثمّ اقناعه بما جاء من أجله أو بما انكره أو شكك فيه.

٥-من الأشياء التي لوحظت هي اعطاء أهل البيت عليهم السلام فرصة الإجابة لبنيهم عليهم السلام كما جاء مع الإمام الكاظم عليه السلام، وكذلك ما جاء في المناظرة الأخيرة للإمام عليّ عليه السلام وإجابة الإمام الحسن عليه السلام فيها، وهذا يدل على أن الدفاع منوط بجميع المسلمين ممن يمتلكون الحنكة والدراية والدليل القاطع في إقناع الخصم.

٦-لم يكن الإمام الحسن عليه السلام بمعزل عما يدور حوله وما حاكه معاوية من مكائد تحاول النيل منه عليه السلام وسحب البساط من تحته وتشتيت جمعه، إلّا أنّ الإمام عليه السلام واجه وجابه ذلك بالدليل القوي والحجّة البالغة خصوصًا فيما رأيناه في مسألة المفاخرة بالنسب فوجدنا الإمام ينسب نفسه وكيف ينسب معاوية؛ لبيان الأشرفيّة فضلًا عن بيان مدى الحقد الموروث ضد أهل البيت عليهم السلام.

الهوامش

١-الكافي: ١/ ٧٢-٧٤ ب: حدوث العالم وإثبات المحدث ح١.

٢-سورة الأنعام: ١٤٩.

٣-وسائل الشيعة: الحر العامليّ: ٢٧/ ١٠٣-١٠٤.

٤-بحار الأنوار: المجلسي: ١٠/ ٢٤٤-٢٤٥.

٥- الاحتجاج : الطبرسي : ٢ / ٦٤.

٦-الاحتجاج: الطبرسي: ٢/ ٩٧-٩٨.

٧-ينظر الهداية الكبرى: الخصيبيّ: ١٨٧-١٨٩.

٨-الاحتجاج: الطبرسّي: ١/ ٣٩٩-٤٠١.

٩-مناقب آل أبي طالب: ٣/ ١٨٦.

١٠-مناقب آل أبي طالب: ٣/ ١٨٦.

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم.
*الاحتجاج: للشّيخ أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطّبرسيّ (ق٦هـ)، تحقيق: الشّيخ إبراهيم البهادريّ، والشّيخ محمّد هادي بِهْ، إشراف: الشّيخ جعفر السّبحانيّ، الناشر: دار الأُسوة، ط٤، ١٤٢٤هـ.
*بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار: للشّيخ محمّد باقر المجلسيّ (ت١١١١هـ)، الناشر: مؤسّسة الوفاء- بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.
*تفصيل وسائل الشّيعة إلى تحصيل مسائل الشّريعة: للشّيخ محمّد بن الحسن الحرّ العامليّ (ت١١٠٤هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التّراث- قم، ط٢، ١٤١٤هـ.
*الكافي: للشّيخ محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكلينيّ الرّازيّ (ت٣٢٨هـ أو ٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاريّ، الناشر: دار الكتب الإسلاميّة- طهران، ط٣، ١٣٨٨هـ.
*مناقب آل أبي طالب: لمحمّد بن عليّ بن شهرآشوب (ت٥٨٨هـ)، تحقيق: لجنة مِنْ أساتذة النّجف الأشرف، الناشر: المكتبة الحيدريّة- النّجف الأشرف، ط/ ١٣٧٦هـ.
*الهداية الكبرى: للشيخ الحسين بن حمدان الخصيبيّ (ت٣٣٤هـ)، الناشر: مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان، ط٤، ١٤١١هـ.

شخصية الإمام الحسن (عليه السلام) في مصادر المسلمين

ملامح العظمة وسمو الشخصية الربانية

الباحث حسن علي الجوادي
مركز الدراسات والمراجعة العلمية
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
العتبة العباسية المقدسة.

ملخص البحث

الكتابة عن سيرة ائمة أهل البيت (عليهم السلام) تعد خطوة جادة على المستوى الأيماني للإنسان، وخطوة معيارية في نشر الحقيقة التي أراد الله تعالى أن تنشر وسط المجتمع الإنساني، وكلما اعرض الانسان عن هذه الحقائق تعرض الى تدهور كبير، وفي اعتقادنا ان ما يتعرض له البشر اليوم من مآسي ومشكلات كثيرة سببها غياب الحقيقة الإلهية والأخلاق الربانية والمنظومة التشريعية والعقدية، فلو تحققت لما وصل حال الناس إلى ما وصل اليه اليوم من فساد وتردي اخلاقي هائل ينذر بكارثة إنسانية على جميع الأصعدة والمستويات، وبعض ملامح الكارثة حاصل فعلاً ولا يمكن نكرانه، ومنها يتضح ان ابعاد الشخصيات الربانية الملهمة عن المجتمع الانساني وتغييب افكارهم يؤثر تأثيراً سلبياً كبيراً، وتأتي الابحاث والمؤتمرات لتقرأ الشخوص المؤثرة والمباركة في مسيرة الانسان محاولة منها لإحياء سيرة هؤلاء العظام ودفع المجتمع الانساني للتأمل اكثر والتعرف ومن ثم التزود، ولذلك امامنا مرحلتين: الاولى: التعريف بالشخوص المؤثرة والملهمة والمقدسة. والثانية: عرض مواعظ ومضامين ووصايا الائمة والانبياء الكرام (عليهم السلام) ومن هنا فان دعم المؤتمرات اشبه بالفرض الأكيد من خلال المساهمة والمشاركة، ولذا امتثلت ـ مع كثرة الالتزامات والاشغال ـ للمشاركة في هذا المؤتمر المهم عن امامنا المجتبى الحسن بن علي (عليه السلام)، وقد جاء البحث بعنوان (شخصية الإمام الحسن (عليه السلام) في مصادر المسلمين) تعرضت فيه الى بيان الملامح العامة عن شخصية الإمام الحسن (عليه السلام) ولا سيما في المصادر المتنوعة للمسلمين من مختلف توجهاتهم والوانهم، وقد توصل البحث الى العديد من المشتركات بين ما يقوله ويعتقده الشيعة الإمامية حول شخصية الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) من مودة ومحبة النبي الاكرم (صلى الله عليه وآله) له وبيان موقعه ولا سيما في التدليل على سمو شخصيته وانه ليس بشخصية هامشية في حياة المسلمين بل يمثل حلقة وصل في نظام الحجة الالهي، كل ذلك كان عن طريق الاتيان بالشواهد والنصوص التي ذكرت حول شخصية الإمام الحسن (عليه السلام) وتحليلها بصورة دقيقة بجوانبها المختلفة.

Abstract

Writing about the biography of the imams of Ahlalbayt (peace be upon them) is a serious step on the level of faith and dissemination of the truth that Allah want to spread . The more man exposes these facts, the more he knows the true facts . In the article , are there two stages: the first: the definition of influential, inspiring and holy people. The second: the presentation of the sermons, contents and commandments of the imams and prophets (peace be upon them) . The research study arrives at certain findings and recommendations .

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

السفر في التاريخ يحتاج الى مؤونة التدقيق والفهم التحقيقي كي يخرج الباحث بنتيجة صحيحة، ويسهم اسهاماً فاعلاً في معالجة عوالق التاريخ التي غالباً ما تشكل عقبة كبيرة امام الفهم الصحيح للحقائق التي نقلت الى الناس ، لذلك فالسفر في متون النصوص والمقارنة فيما بينها أضحت وظيفة للباحثين لا يمكن الاستغناء عنها، فكم من بحث علق لسنوات وقد حلّ بعد دراسة مستفيضة في المتون التاريخية ، والدراسات التاريخية تأخذ اثرها الواضح في المنظومة العقدية لأي مجتمع، لا سيما المجتمع الذي تتعدد فيه الطوائف وتختلف فيه الانظار وتتعدد فيه التوجهات ، ويتضح ويستبين اثر القراءة التحقيقية اكثر في الموضوعات التي لها مساس في الفكر الديني، ومن ذلك قراءة سيرة الصالحين والاولياء ، مثل قراءة سير أهل البيت عليهم السلام في المصادر المتنوعة ، ولا سيما قراءة هذه السيرة بما فيها من جوانب متعددة، في مصادر عامة المسلمين، فالباحث الإمامي لا يكتفي في قراءة ما دون عن الائمة عليهم السلام في متون الشيعة الإمامية فسحب، بل ينبغي له ان يبحر في المتون الاسلامية، ويقرأ ويميز ويستوضح المشتركات ويبرز الخصال العامة والعناصر المتفق عليها بين المذاهب، ولذا عمدنا في هذا البحث الى دراسة موجزة عن ملامح شخصية الإمام الحسن عليه السلام في متون المسلمين من سائر المذاهب عدا الإمامية، كي نقف على حقائق مهمة ولنرى التوافق او الاشتراك في اغلب المتون الاسلامية والمصنفات النصية والفكرية ، لانها حركة فكرية لها آثارها على المستوى العقدي والفكري ومن ثم لها ملامحها على الواقع الاجتماعي ايضاً ، ولذا جاء البحث بعنوان (شخصية الإمام الحسن عليه السلام في مصادر المسلمين - ملامح العظمة وسمو الشخصية الربانية -) وتوزع على مبحثين، جاء المبحث الاول بعنوان: الإمام الحسن عظمة من المهد ، وحمل المبحث الثاني عنوان: الرسول الكريم صلى الله عليه وآله يؤسس لموقع الإمام الحسن عليه السلام في الأمة، مع خلاصة موجزة .

جاء البحث إسهاماً خاصاً للمشاركة في المؤتمر العلمي الدولي السنوي التاسع لفكر الإمام الحسن عليه السلام.

المبحث الاول: الإمام الحسن عظمة من المهد

جرى نهر الكوثر وصب فراته العذب في الخامس عشر من شهر رمضان المبارك، في السنة الثالثة للهجرة، وحينها استبشر اهل الاسلام بالوليد المبارك، واستبشر اهله بما فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله واطمئن سائر الخلق بان نسل النبوة لم ينقطع وبانت علامات البشر والسرور على كل الذين ينتظرون طلعة نور السبط الذي انار بولادته دنيا الاسلام، ويستشف من ولادة الإمام السبط عليه السلام انها تحمل رمزية كبيرة، وتعدّ علامة فارقة ومؤثرة لأنه عليه السلام يمثل الوريث الحقيقي لعلم الرسول صلى الله عليه وآله ولإمامته وحجته في الامة وحفيده الشرعي المتصل به لحماً ودماً:

١ـ الشبه بالنبي الاكرم صلى الله عليه وآله:

من كمال فضل الله على الإمام الحسن بن علي ان جعله اشبه الناس بجده الخاتم فتكامل البعد النوري بالبعد الوراثي، وهذه الميزة الاولى التي حاز عليها الفتى الاول في الاسلام بعد أبيه عليه السلام، لانّ الشبه بخاتم الانبياء صلى الله عليه وآله يعدّ في حد ذاته فضيلة ولا سيما إذا كان الذي يشبهه من ذريته، وتسجل للإمام المجتبى انه أوّل من حاز على شرف شبه جده صلى الله عليه وآله وهذه ميزة إضفائية من الله تعالى اختص بها قبل غيره، وتلحق بها ميزة اخرى حازها الإمام المجتبى، إذ شكل حلقة الوصل بين الإمامة والنبوة، فكان الحفيد الاول في الاسلام، وقد حاز على عناية جده الخاتم صلى الله عليه وآله.

٢ـ التسمية من النبي صلى الله عليه وآله:

إن مصادر المسلمين اتفقت على ان الذي باشر بتسمية الإمام الحسن عليه السلام هو جده رسول الله صلى الله عليه وآله كما تتفق على أن هذه التسمية قد عللها صلى الله عليه وآله قائلاً: (إنّما سمّيتهم بأسماء ولد هارون شبّر وشبير ومشبّر)[١]، ويقصد بهما الحسن والحسين والمحسن[٢]، ويمكن ملاحظة عدة من الأمور:

أـ تنم هذه العناية الفائقة والتدخل المباشر من لدن النبي الاكرم صلى الله عليه وآله عن منزلة الإمام الحسن عليه السلام وسمو شخصيته المباركة، وانه لا شك احد الحجج ومصادر المعرفة الربانية للبشر، والهادي الى رسالة رب العالمين.

ب ـ إن تعليق النبي الاكرم ﷺ وتعليله على اسم الإمام الحسن عليه السلام من أنّه اسم ابن نبي الله هارون (شبّر) نفسه يكشف عن موقعية الإمام علي عليه السلام في المنظومة الاسلامية وقربه من الوحي الالهي والرسالة الخاتمة، لانّ اصرار النبي ﷺ في كل حادثة تخص الإمام علي عليه السلام بالأنبياء عليهم السلام تكشف عن صلة هذا الرجل المكرم بالإسلام وهذه طريقة فاعلة في بيان قرب الإمام من الاسلام قد مارسها النبي ﷺ مراتّ عدة، وزاد هذه المرة حين بين موقع الإمام الحسن عليه السلام حين سمّاه باسم الولد الاكبر لنبي الله هارون عليه السلام وليس المراد من ذلك تبيين القرابة النسبية لأنها ابين من الشمس وأوضح من الامس، فإيضاح النبي الأكرم ﷺ ليس متناولاً الجانب العائلي، فلا حاجة له أن يضرب بنبي الله هارون مثلاً من هذه الحيثية، مما يعني أن لهذا الربط دلالات مقدّسة اراد بها تنبيه الأمة وإرشادها إلى سمو هذه الشخصية وشأنها الكبير في الاسلام، وإبلاغ المجتمع الإسلامي.

٣ـ عقّ عنه رسول الله ﷺ:

روى المسلمون في مصادرهم الحديثية والتاريخية عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ: عقّ عن الحسن والحسين كبشاً كبشاً(٣)، وصارت سنة بعد ولادة الإمام الحسن عليه السلام وعدت من سنن الاسلام الاجتماعية المؤكّدة وفي النظام العائلي ولها دلالاتها الاحترازية والوقائية للمولود الى جانب دلالتها الاجتماعية في التعبير عن الفرح واضفاء مزيدٍ من التواصل والتوادد الاجتماعي، من جهة استحباب توزيعها للفقراء والمحتاجين، والعقيقة، ذبيحة تذبح عن المولد ، والتحق بهذه الميزة، ميزة اخرى من جهة السنة والاستحباب وهي حلق الرأس والتصدق بوزنه فضة، فقد روى جمهور المسلمين في مصنفاتهم، أن رسول الله ﷺ عق عن الحسن والحسين يوم السابع، وحلق رأسهما ، وأمر أن يتصدق بزنته فضة ، فوزن شعر أحد الحسنين فوجده ثلثي درهم(٤).

خصائص الإمام الحسن عليه السلام التي حاز عليها

هناك جملة من الخصائص والمميزات امتاز بها الإمام الحسن عليه السلام عن غيره من الناس وحاز على ملكات وصفات ميزته عن سائر الخلق بما فيهم الصالحين والاخيار نوجز تلك الخصال بما يلي:

الأوليات:

١ـ أول مولود يحقق الاخبار الغيبي لسورة الكوثر؛ إذ إنه وعد الله لنبيّه وللناس بأنّ نسل النبي وعقبه لم ينقطع ويبتر.

٢ـ الإمام الوحيد الذي كانت ولادته في شهر رمضان المبارك في الخامس عشر منه.

٣ـ أول حفيد لرسول الله صلى الله عليه وآله.

٤ـ أول من حاز على تسمية رسول الله صلى الله عليه وآله.

٥ـ أول من سمي بـ(حسن) إذ لم يسبق ان سمي في العرب ولا في غيرهم شخص بهذا الاسم الشريف.

٦ـ أول من كناه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله من أهل البيت عليهم السلام بأبي محمد.

٧ـ أول من حاز على الإمامة من أبناء الإمام علي عليه السلام.

٨ـ أوّل من تقصده الناس لكرمه في زمانه وتلك حقيقة صرح بها القاصي والداني.

٩ـ اول من تشرف بشبهه للنبي الاكرم صلى الله عليه وآله اذ اتفق كما ذكر أهل السير من الفريقين بأنّ الحسن عليه السلام كان أشبه الناس بجده الأكرم صلى الله عليه وآله.

١٠ـ أوّل من عقّ عنه في الإسلام، فقد اتفق أهل السلام على هذه الحقيقة.

خصائص:

١١ـ عقد الصلح بين المسمين كي يحفظ دمائهم ويحفظهم من الفتنة التي تكسر شوكتهم وتفرقهم وتشتتهم ، فبادر الى التهدئة والصبر وتحمل نتائج الامر، فان خيانة معاوية للعهود والمواثيق كانت متوقعة الا ان الإمام الحسن عليه السلام اثبت لكل المسلمين من يصون العهد ومن يخونه ويفهم عروة المسلمين الوثقى، وقد اتفقت مصادر علماء الاسلام على ذلك فقد روي: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصلي بالناس وكان الحسن بن علي يثب على ظهره إذا سجد ففعل ذلك غير مرة قالوا له إنك لتفعل بهذا شيئا ما رأيناك تفعله بأحد قال إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين .. فلما ولي لم يهرق في خلافته محجمة من دم(٥).

١٢ـ امتاز الإمام الحسن بن علي عليه السلام بزيارته وحجه لبيت الله المكرم ماشياً في العديد من السنين مع توفر الابل والمحامل، لكنه أصرّ على ارساء هذا الجانب الروحاني في العلاقة مع الله تعالى وتعظيماً لبيته الحرام.

١٣ـ حاز الإمام السبط الشهيد على لقب سيد شباب اهل الجنة ، وما في ذلك من دلالات واسرار ، بعضها تبين والبعض الآخر ليومنا هذا لم يعرف، والحق انّه من خصائص الإمام السبط بالاشتراك مع أخيه سيد الشهداء عليه السلام.

١٤ـ تسيد الإمام الحسن عليه السلام وحاز على مقام السيادة قبل ان يحكم او يقود الناس، وهذه الحيازة افاضة من جده رسول الله صلى الله عليه وآله للنص المعروف فقد روى العامة في كتبهم عن أبي بكرة قال : صعد النبي صلى الله عليه وآله المنبر فقال : إن ابني هذا سيّد(٦).

١٥ـ لم يتعلم الإمام المجتبى عليه السلام عند الناس ابداً كما يتعلم سائر التلاميذ والمتعلمين، وانما كان معلمه الاول هو الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله ومن ثمّ والده الإمام علي عليه السلام وما تلاقاه من امه الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام، وهذه ميزة لا يحوز عليها سوى المعصوم، فان كل الناس يتلقون علمهم بالطريقة المعروفة، تلميذ يدب بين اساتذة من هنا وهناك حتى يصل ويشتد عوده ويصير العالم او الفقيه وهكذا، لانّ اهل البيت عليهم السلام يستقون علمهم من الله تعالى عبر واسطة الفيض جدهم الخاتم صلى الله عليه وآله، والناس هي من تفتقر الى علمهم فيحتاجون اليهم، وهذا المعنى متوافق مع عصمتهم ومصدر علمهم عليهم السلام.

١٧ـ اختص الإمام الحسن المجتبى بالقاب عدة منها: السبط ، السيد ، المجتبى ، الزكي ، التقي.

١٨ـ أوّل من دخل الكساء اليماني مع رسول الله صلى الله عليه وآله.

المبحث الثاني: الرسول الكريم صلى الله عليه وآله يؤسس لموقع الإمام الحسن عليه السلام في الأمة

ان المتتبع للنصوص الواردة في كتب المسلمين يتضح لديه ان النبي الاكرم صلى الله عليه وآله قد اولى الإمام المجتبى عناية خاصة جداً، وميزه من دون ابناء المسلمين بمميزات لم يحظ بها غيره على مدار حياته الكريمة في المجتمع الاسلامي، ويظهر من دقائق تلك النصوص ان الجد الاعظم صلى الله عليه وآله كان يقصد من تلك العناية تنبيه الناس لموقع الإمام الحسن عليه السلام واثبات حجيته من بعد رحيله بوصفه خليفة وامام للمسلمين، وتتأكد امامته وخلافته بعد رحيل امير المؤمنين عليه السلام واستشهاده، ونسعى في هذا البحث ان نورد بعض الاحاديث والروايات التي تبين عظمة المجتبى عليه السلام ومن خلال التأمل فيها وتحليل مضامينها.

١ـ **حديث الحب**: روى المسلمون في كتبهم عدداً من النصوص الموضحة لمنزلة الإمام الحسن عند جده الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وفي طليعة تلك النصوص ما رواه المحدّثون من العامة وفي مقدمتهم مسلم في صحيحه عن البراء قال: (رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله واضعا الحسن بن علي على عاتقه وهو يقول اللهم إني أحبه فأحبه)[٧] وزاد في رواية ابي هريرة(اني احبه فأحبه واحبب من يحبه) التي رواها مسلم ايضاً في صحيحه، وروي بصيغة اخرى ايضاً واضاف في رواية عبارة (فليبلغ الشاهد الغائب) هذا من حيثية الجانب اللغوي، واما من حيثية سلوكية نجد ان عدة افعال رافقت هذا النص، نجد ان النبي صلى الله عليه وآله قال هذا النص مرة وهو يصلي فارتقى الإمام الحسن عليه السلام على كتفه وهو ساجد فتحرك بلطف وهدوء كي لا يوقعه ويتأثر او يصيبه مكروه، وهذا السلوك في غاية الدقة من الناحية التربوية والاخلاقية كما ان فيه رسائل عدة ويمكن اجمال التحليل بالنقاط الآتية:

أـ ان اعلان الجد عن حب الحفيد اذا كان امراً اعتيادياً فلا يقتضي ان يعلنه امام الناس في كل مرة، وشخصية مثل النبي الاكرم صلى الله عليه وآله لا يؤكد مسألة الا وتستبطن قضايا مهمة تتناسب وحجم هذا الاعلان، كما ان رسول الله صلى الله عليه وآله ليس من دأبه ان يتعاطف بصورة مبالغ فيها مطلقاً، وانما يتعامل مع كل قضية بخطورتها وقوتها وأهميتها، ولم يرد من ذلك بيان التعاطف الرحمي والنسبي فحسب، بل من باب بيان منزلة الإمام المجتبى عليه السلام وقدسيته وحجيته على

الخلق في الظرف الذي يتولى فيه امامة المسلمين، ويشهد لذلك إضافة ابي هريرة الذي نقل صيغة اخرى لهذا الحديث تعليقاً للرواية يدعي أنه تعلق بالإمام الحسن عليه السلام وانه احبه بسبب سلوك النبي صلى الله عليه وآله والنصوص التي نقلها بحقه.

ب ـ لو لم تكن هنالك ميزة خاصة يمتاز بها الحسن بن علي عليه السلام عن سائر ابناء المسلمين لما وجدنا النبي الاكرم صلى الله عليه وآله يصرّ على اعلان محبته لسبطه الحسن عليه السلام والا فما وجه اعلان الحب والتحدث به مع الناس! اليس هذا يعني أن للحسن عليه السلام مميزات ومؤهلات لا توجد في غيره.

ج ـ ان هذا النص وغيره من النصوص المهمة، فيه جنبة حجاجية دقيقة، إذ إن الشيعة عندما يحتجون بمثل هذه الأحاديث على بيان منزلة الإمام الحسن عليه السلام وتعيينه إماماً للمسلمين يتفقون في انها نقلت وكان المجتبى وقتها في طفولته، فلا يجازف النبي صلى الله عليه وآله في مدح الإمام وبيان سمو شخصيته، ولا سيما وان بعض هذه الاخبار تضفي عليه ابعاداً مقدسة.

٢ـ سيادة الحسن عليه السلام: في النص المروي في صحاح ومسانيد عامة المسلمين، لقب أضفاه النبي صلى الله عليه وآله للإمام الحسن عليه السلام في صغره، فقد روي عن الحسن ، أخبرني أبو بكرة : أن (رسول الله صلى الله عليه وآله) كان يصلي ، فإذا سجد ، وثب الحسن بن علي على ظهره ، أو على عنقه ، فيرفعه رسول (الله صلى الله عليه وآله) رفعا رفيقا لئلا يصرع ، فعل ذلك غير مرة ، فلما قضى صلاته ، قالوا : يا رسول الله ! رأيناك صنعت بالحسن شيئاً ما رأيناك صنعته بأحد . قال : (إنه ريحانتي من الدنيا ، وإن ابني هذا سيد ، وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين) وعلق عليه الذهبي قائلاً: هذا حديث حسن من حسنات الحسن(٨). ويمكن ملاحظة عدة من الاشارات حول هذا النص:

أـ إن هذا النص هو محل اتفاق بين المسلمين وان صدوره لا شبهة فيه، وعلى هذا الاقرار تثبت عدة من الحقائق تقع في مقدمتها ان الإمام الحسن عليه السلام من الائمة الذين تثنى لهم وسادة الحكم والملك ومن جهة له مرجعية السيادة في شؤون الدين وهذه هي الاهم قطعاً من الامرة والقيادة الظاهرية، فقد لا تبسط يد امام من الائمة الكرام لكنه يؤدي دور الهداية بصور واشكال مختلفة حسب ما تقتضيه طبيعة الظروف والتحديات.

ب ـ هذا النص يخبر عن شرح النبي الاكرم صلى الله عليه وآله للمسلمين حال امته وانها ستفترق

لكن الذي يهون الفتنة ويمنع الدم هو ولده الحسن، وهذا هو اخبار عن حكمة وحنكة الإمام الحسن عليه السلام كما ان فيه توضيحاً لمن يعيش عصر الإمام الحسن كي يلتحق به دون غيره، لان الرسول صلى الله عليه وآله في هذا النص كان في غاية الدقة اذ لم يذكر الطرف الآخر للمعادلة، واكتفى بذكر طرف الحق، لان الانسان معني باتباع الحق ومعرفة الحقيقة لان الباطل حتماً سيصدها وان اتخذت الاطار الديني وما شاكل، وتلك حركة عظيمة في مسار الدعوة والتبليغ وكشف الحقائق من لدنه صلى الله عليه وآله.

٣- **حديث الانتساب والفخر**: روى المسلمون في مصادرهم عدة روايات يفخر بها النبي صلى الله عليه وآله بان الإمام الحسن واخيه الإمام الحسين من ابنائه عليهم السلام فقد روي عن أسامة بن زيد قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة وهو مشتمل على شيء ، فلما فرغت من حديثي قلت : ما هذا الّذي أنت مشتمل عليه ؟ فكشف فإذا حسن وحسين على وركيه ، فقال : (هذان ابناي وابنا ابنتي ، اللّهمّ إنّي أحبّهما فأحبّهما وأحبّ من يحبّهما)(٩) ، ونورد هنا عدة من الملاحظ على هذا النص الرائع :

أ- ان النص يشير إلى دعاء النبي صلى الله عليه وآله توجه بّه الى ربه بأن يحب من أحب السبطين الحسن والحسين عليهما السلام ولا ريب ان دعاء النبي صلى الله عليه وآله مستجاب ولا شك في ذلك مطلقاً عند جميع المسلمين، فهنا بشارة لمن أحبهما، مما يكشف عن مستوى القداسة الذي عليه السبطين عليهما السلام.

ب - يتضح من عبارة (هذان ابناي) افتخار النبي صلى الله عليه وآله بالحسن والحسين عليهما السلام حين بين للسائل ان هؤلاء من صلبه عن طريق ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام بقوله: (وابنا ابنتي) وكان الناس يعرفون ذلك لكنه اكد مرة اخرى بقوله: (اللهم اني احبهما فاحبهما) وهذا الافتخار من لدنه صلى الله عليه وآله مدعاة للتأمل في شخصيته الإمام السبط من جميع المسلمين.

ج - ان الحديث هذا هو معادلة إيمانية وضعها النبي الاكرم صلى الله عليه وآله للناس ، طرفها الاول (هذان ابناي) وطرفها الثاني (وأحبّ من يحبهم) ومن الطرف الاول والثاني تكون النتيجة متضمنة للحقيقة التي يكتنزها النص مفادها ان الإمام الحسن عليه السلام ضمن نسق ولاة الامر، والائمة الصالحين، لان الطرف الاول يبين قرب الحسن من جده، والطرف الثاني يبين قرب الحسن من الله تعالى، وهنا تصبح القضية اعتقادية وليست مسألة اخلاقية او عاطفية عائلية فحسب، وهذا

هو الموافق لعدد من الآيات القرآنية التي تقع في مقدمتها آية المودة والحب ، اذ يقول تعالى في محكم كتابه العزيز ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾(١٠)، فجعل حب أهل بيته أجر رسالته التي تحمّل من اجلها اعباء كثيرة ومتاعب جليلة ومخاطر فادحة، فأجر هذه الرسالة العظيمة لا بد ان يوافق عظمتها، ولا بد ان يتوافق مع اهداف هذه الرسالة الكبرى، يصعب اداؤه وتحمله، ويحتاج الى وعي لادراكه وحزم وعزم، واذا تأملنا الامر بدقة متناهية نجد ان الرسالة لا يعادلها الا من يكون مثلها او على نسقها وبثقلها حتى يؤثر في الناس كما أثرت الرسالة ، ويكون الجزء الآخر للوحي الالهي بصورته البشرية، كما كان هو ﷺ ومواصلة المسير يحتاج الى قادة ربانيين ورجال صالحين وائمة هاديين مهديين، وتعين هذا الامر بأهل البيت عليهم السلام لذا نجد اصرار النبي الاكرم ﷺ بتعظيم امر الائمة واعلاء شأنهم ودعوة الناس لحبهم والمودة لهم .

وهنا لا بد من وقفة جادة لكل مسلم ومسلمة، الم يفكر الناس ولا سيما الذين لا يعتقدون بامامة أهل البيت عليهم السلام في هذه المعادلة؟

لم جعل النبي الاكرم ﷺ اجر رسالته وتعبه مودة أهل البيت عليهم السلام ؟

هذه الرسالة التي بذل فيها جهداً كبيراً وتعذب ايما عذاب وتأذى بسببها كثيراً تكون مقارنتها بأهل البيت عليهم السلام ، فهل يقارنها بالحب العاطفي؟ ام وراء هذا الاعلان ما هو اكبر، اذ ان هذا الحب والودّ ليس من باب القرب من شخوص ذرية النبي ﷺ بل الانجذاب اليهم وطاعتهم والسير على نهجهم.

حين يدعونا النبي الخاتم ﷺ لمحبة ائمة اهل البيت الاطهار عليهم السلام فهي رسالة بانهم قادة الحق، لان الانسان حين يحب سيطيع، ولا طاعة بلا حب ومودة، فالمودة هي من تقود الانسان الى التعلق والعناية والطاعة ، ولذلك نجد أن الذين احبوا اهل البيت عليهم السلام قد ارتقوا بهم وعاشوا بقربهم وتمسكوا بهديهم يوم افترقت الامة ، فكان الحب هو العنصر الدافع نحو الائمة الاطهار.

٤ـ سيادة الحسن الابدية: اتضح من النص أن للإمام الحسن عليه السلام سيادة في الدنيا وقد تحقق ما اخبر به النبي الاكرم ﷺ ولم يكتفِ بهذا الاخبار فحسب، بل اخبر عن سيادة الإمام الحسن عليه السلام واخيه الحسين عليه السلام الابدية في جنة الله عز وجل، وأخرج أحمد

وأبو يعلى وابن حبان والطبراني والحاكم والضياء عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)(١١). وهذا النص من النصوص المتفق عليها ليس فقط عند علماء الإمامية بل عند سائر الفرق والمذاهب الاسلامية الأخرى وهو حديث مشهور معروف يتضح منه عدة من النقاط:

أ- اعلن الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله عن سيادة الإمام الحسن عليه السلام في الآخرة وقد صدر هذا الحديث وعمر الإمام الحسن بن علي عليه السلام سنوات قليلة ولم تكن مثل هذه الحقائق والغيبيات تصدر من اي شخص على سبيل التعاطف او التكهن، بل انها صدرت من جده الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله ولم يقلها في حق ايّ احد غير الإمام ولا سيما في مقتبل عمره.

ب - إن اعلان السيادة في الآخرة الإمام الحسن عليه السلام بوصفه سيد شباب اهل الجنة هو بحد ذاته اعلان لسيادة الإمام الحسن عليه السلام في الدنيا وسمو منزلته ومقامه من باب اولى، اذ سيادة الاخرة تكشف عن سمو الشخصية وتكاملها، لانّ الآخرة ما هي الا انعكاس لأعمال الانسان وحركته في الحياة الدنيا.

ج - ان هذا النص لوحده يلزم جميع المسلمين بالإقرار بإمامة الإمام الحسن بن علي عليه السلام والاذعان له والالتفاف حوله والأخذ منه ، ويظهر ذلك بحسب الدلالة من لفظة (سيد) التي صيغت منها موضوعة السيادة ، والجمع بين حديث (إن ابني هذا سيد) و (الحسين والحسين سيدا)(١٢). نخرج بنتيجة قطعية ان للإمام الحسن سيادة في الدنيا وسيادة في الآخرة، فالسيادة الدنيوية يقرها الحديث الاول واما السيادة الأُخروية فيقرها الحديث الثاني.

٥- **محور الرضا الالهي**: اتفق اتباع اهل البيت عليهم السلام تبعاً للائمة الكرام من أن الإمام المعصوم هو مظهر رضا الله تعالى عز اسمه، وغضبه وسخطه ، وفي ذلك يدخل كل من يرضى عنه الإمام او يغضب عليه ، وهذا هو الاعتقاد الراسخ لدى الإمامية تبعاً لنصوص واردة في هذا المضمون ، بيد أن بعض مصادر الفرق الاسلامية العقدية لا تقرّ هذا الامر وربما زاغت كثيراً في اتهام الإمامية بعقيدتهم بسبب هذا الاهتمام وغيره، ولكن روى غير واحد من محدثي علماء عامة المسلمين نصوصاً تدل على ما تذهب اليه الإمامية في اعتقادها باهل البيت عليهم السلام

ومن ذلك ما اخرجه الحاكم في مستدركه عن سلمان (عليه السلام) قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول:(الحسن والحسين ابناي من أحبهما أحبني ومن أحبني أحبه الله ومن أحبه الله ادخله الجنة ومن أبغضهما أبغضني ومن أبغضني أبغضه الله ومن أبغضه الله أدخله النار) وعلق الحاكم عند ايراده للحديث الشريف قائلاً: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه(١٣).

٦ـ **سلوة النبي (صلى الله عليه وآله) ومهجته**: ورد في نصوص كثيرة ان الإمام الحسن (عليه السلام) كان سلوة ومهجة النبي الاكرم (صلى الله عليه وآله) والمقرب من روحه وقلبه ، وهذا محل اتفاق بين علماء المسلمين فقد جاء في كتب التاريخ والحديث عن أنس: سئل رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أي أهل بيتك أحب اليك؟ قال: الحسن والحسين، وكان يشمهما ويضمهما اليه(١٤).

في هذا النص دلالات واشارات بليغة في رفعة مقام الإمام الحسن واخيه الحسين(عليهما السلام) التي منها:

أ ـ ان النبي الاكرم (صلى الله عليه وآله) اظهر حب الحسن والحسين (عليهما السلام) على سائر أهل البيت (عليهم السلام) وذلك لعنايته الفائقة بهما من ثم تستبطن مقولته هذه دفع المجتمع للعناية بالحسن (عليه السلام) لأنه حجة وليس شخصية اعتيادية ، لان مقتضى الحب المتواصل من الجد للحفيد هو تبيان حاله وايضاح مقامه.

ب ـ ان عبارة يشمهما ويضمهما اليه، توضح عمق اثر السبطين في نفس رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكأنها رسالة للامة لما يتعرض له وما يلاقياه من ظلم واضطهاد.

ان هذا التفاعل من النبي (صلى الله عليه وآله) تجاه الإمام الحسن (عليه السلام) لا يمكن تفسيره بانّه تفاعل عاطفي بين الجد والسبط، وانما هو تفاعل اسمى من ان يرتبط ببعد عائلي نسبي فحسب، فان ظاهرة التفاعل معروفة في الاجتماع البشري، لا تزيد اكثر مما ينبغي وان رجحت شيء على شيء كان لهدف وغاية، فالمعهود في العلاقات الاجتماعية ان الجد لا يحتفي بحفيده وسبطه اكثر مما هو معروف ومعهود، اذن هذه الحفاوة الكبيرة من لدن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) تجاه سبطه الحسن (عليه السلام) انما كانت من اجل القاء الحجة على المجتمع وبيان موقع السبط من الاسلام وليس من شخص النبي الاكرم (صلى الله عليه وآله) فحسب، والعجيب ان بعض الناس لم يهتموا لمثل هذا الامر، فأضاعوا الدين والدنيا.

خلاصة موجزة

خلص البحث الموجز الى ان مصادر المسلمين حوت ما يوافق اعتقاد الشيعة الإمامية في اعتقادهم بالإمام الحسن عليه السلام وتوصل إلى أن شخصية الإمام الحسن عليه السلام شخصية فريدة في اوائل التاريخ الاسلامي من خلال عناية النبي الاكرم به منذ ولادته وحتى طفولته والسنوات التي عاشها الإمام المجتبى مع جده الاكرم صلى الله عليه وآله اكرامه وتقديره وكان ذلك امام الناس ولا سيما الصحابة والشخصيات المؤثرة في المجتمع الاسلامي ، وظهرت جملة من المضامين التي عليها اتفاق المحدثين والعلماء ومن ذلك:

اتفق المسلمون على ان الحسن المجتبى قد اعتنى به النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وقد اوضح هذا الامر للناس جميعاً، وما ذلك إلا رسالة في تعظيم الوليد.

اتفق المسلمون على ان انباء رسول الله صلى الله عليه وآله عن مميزات الإمام الحسن عليه السلام وعلو مقامه كلها قد تحققت نحو الإمامة والخلافة والسيادة والنجابة والشهامة والخلق والحكمة.

ولعل اهم نتيجة خرج بها البحث هي: ان جميع النصوص التي طرحت والمضامين التي تخص الإمام الحسن عليه السلام هي من مصادر علماء المسلمين بمختلف مذاهبهم وطرقهم ولم استعن بمصدر من علماء الإمامية قديماً او حديثاً.

الهوامش

١-مسند الإمام أحمد بن حنبل (ط الرسالة)، الإمام أحمد بن حنبل، ج ٢، ص ١٥٩.
٢-ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، ج ٥، ص ٩٤.
٣-التمهيد، ، ابن عبد البر، ج ٤ص ٣١٤.
٤-إمتاع الأسماع، المقريزي، ج ٥، ص ٣٥٧.
٥-الإصابة، ابن حجر العسقلاني، ج ٢،ص ٦٤.
٦-أسد الغابة ، ابن الأثير، دار الفكر، ط١، ١٩٨٩م، بيروت لبنان، ج ١، ص ٤٨٩.
٧-صحيح مسلم، مسلم النيسابوري ، ج ٧ ، ص ١٣٠
٨-سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ١٣، ص ١٩١.
٩-تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، ج ٤،ص ٣٥.
١٠-سورة الشورى: ٢٣.
١١-الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، ج ٤،ص ٢٦٣.
١٢-علق شعيب الارنؤوط على الحديث قائلًا: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير يزيد بن مردانبة فقد أخرج له النسائي وهو ثقة.
١٣-المستدرك، الحاكم النيسابوري، ج ٣،ص ١٦٦.
١٤-سير اعلام النبلاء: الذهبي ، ج٣، ص٢٥٢.

المصادر والمراجع

*الـدر المنثـور في التفسـير بالمأثـور، جـلال الديـن السـيوطي
*تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي
*سير أعلام النبلاء، الذهبي
*صحيح مسلم، مسلم النيسابوري
*إمتاع الأسماع، المقريزي
*التمهيد، ، ابن عبد البر
*أسد الغابة ، ابن الأثير، دار الفكر، ط١، ١٩٨٩م
*الإصابة، ابن حجر العسقلاني
*المستدرك، الحاكم النيسابوري
*مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل(ط الرسالة)،

قراءة تحليلية في التراث المروي للإمام الحسن عليه السلام
التفسير والأدعية أنموجاً

أ.د. خليل خلف بشير
جامعة البصرة / كلية الآداب / قسم اللغة العربية
م.م. ستار جليل عجيل
مديرية تربية ذي قار

ملخص البحث

هـذا بحـث يتنـاول قـراءة تحليليـة لـتراث فكـري لشـخصية إسـلامية مـن أهـل بيـت أذهـب الله عنهـم الرجس، وطهّرهـم تطهـيرا انبثـق مـن دوحـة النبـوة، وشـجرة الرسـالة ريحانـة مـن ريحانتـي النبـي وسـيّد مـن سـيدي شـباب أهـل الجنـة، وإمـام مـن أهـل العصمـة، وقـد ركّـز البحـث عـلى شـقين مـن نتاجـه الفكـري همـا : تفسـيره القـرآن الكريـم، وأدعيتـه المباركـة مسـلطين الضـوء عـلى نماذجـه الـواردة في المصـادر وظاهـرة أسـلوبية في أدعيتـه هـي ظاهـرة التكـرار.

Abstract

The present article deals with an analytical reading of the intellectual heritage of an Islamic personality from Ahlalbayt void of vice and abomination . He is the imam Al-Hassan from the pedigree of the prophethood, Muhammed , the youth of paradise and from the people of infallibility. In the study , are there two chapters : the first tackles the Glorious Quran interpretation and the second does the supplications to highlight its models and the stylistic phenomenon : the phenomenon of repetition.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، وبعد فهذا بحث يتناول قراءة تحليلية لتراث فكري لشخصية إسلامية من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيرا انبثق من دوحة النبوة، وشجرة الرسالة ريحانة من ريحانتي النبي وسيّد من سيدي شباب أهل الجنة، وإمام من أهل العصمة، وقد ركّز البحث على شقين من نتاجه الفكري هما : تفسيره القرآن الكريم، وأدعيته المباركة مسلطين الضوء على نماذجه الواردة في المصادر وظاهرة أسلوبية في أدعيته هي ظاهرة التكرار.

على أننا بذلنا جهدنا ،وأعملنا فكرنا لنضع هذا البحث بالمستوى المطلوب معتذرين الى راعي البحث – الإمام الحسن – إن وقع في البحث خطأ أو خلل أو سهو أو ما شاكل ذلك سائلين الله تعالى أن ينفعنا في يوم ﴿لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ الشعراء/ ٨٨-٨٩.

مدخل : تراث الإمام الحسن المروي

لعلّ ما خلّفه الإمام الحسن عليه السلام من تراث فكري وإنساني وعلمي بوساطة النصوص التي أُثرت عنه من خطب، ورسائل، ووصايا، واحتجاجات، وأحاديث، وحكم في فروع المعرفة المختلفة تكشف عن تنوع اهتمامه عليه السلام، وسعة علمه، وإحاطته بمتطلبات المرحلة التي كانت تعيشها الأمة المسلمة في عصره المحفوف بالفتن والمخاطر والدواهي التي قلّ فيها من يعي طبيعة المرحلة ومتطلباتها إلا من كان محفوفاً برعاية الله وتسديده[1]، ومن تراثه الفكري الذي لم يُسلط عليه الضوء تفسيره القرآن الكريم ،وأدعيته.

الإمام الحسن والقرآن الكريم

كان الإمام الحسن عليه السلام من أهل بيت شهد نزول الوحي فكان بدء حياته مع القرآن ،وكان وحي السماء وآيات التنزيل تطرق سمعه وفكره وقلبه قبل أن تطرق سمع الآخرين وفكرهم وقلبهم حتى أنه إذا آوى الى فراشه قرأ سورة الكهف [2]، وكان عليه السلام لا

يقرأ آية من كتاب الله (فيها) (يا أيها الذين آمنوا) إلا قال: لبيك اللهم لبيك، ولم ير في شيء من أحواله إلا ذاكر الله سبحانه [٣]، وقد أدّبه الله تعالى بالقرآن ورباه على منهج كتابه، وهذا ما صرح به عليه السلام فعن أنس : حيت جارية للحسن بن علي عليه السلام بطاقة ريحان فقال لها : أنت حرة لوجه الله فقلت له في ذلك فقال : أدبنا الله تعالى : فقال : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا ﴾ الآية [٤] وكان أحسن منها إعتاقها [٥].

وكان يدعو إلى اتخاذ القرآن إماماً فهو القائل : ((ما بقي في الدنيا بقية غير هذا القرآن فاتخذوه إماماً يدلكم على هداكم وإن أحق الناس بالقرآن من عمل به وإن لم يحفظه وأبعدهم منه من لم يعمل به وإن كان يقرؤه))[٦]؛ لذا يكون القرآن سائقاً وقائداً الى الجنة فينبغي العمل بحلاله وحرامه قال الإمام الحسن عليه السلام: ((إنّ هذا القرآن يجيء يوم القيامة قائدا وسائقا يقود قوما إلى الجنة أحلوا حلاله وحرموا حرامه وآمنوا بمتشابهه ويسوق قوما إلى النار ضيعوا حدوده وأحكامه واستحلوا محارمه))[٧]. ويرى عليه السلام أن في القرآن ((مصابيح النور وشفاء الصدور، فليجل جال بضوئه وليلجم الصفة فإن التلقين حياة القلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور))[٨].

ويرى أيضاً أنّ إجابة الدعاء مقترنة بقراءة القرآن الكريم كما يقول الإمام الحسن عليه السلام : ((من قرأ القرآن كانت له دعوة مجابة إما معجلة وإما مؤجلة))[٩] .

وجهده القرآني من أبرز آثاره العلمية فكان لتفسيره وتأويله الأثر الكبير في فضح الطغاة والظالمين فعملت السلطة على طمس الحقائق، وهذا ما جعل الإمام الحسن عليه السلام يتصدى بقوة من أجل الحفاظ على الدين الحنيف مع ما كان يعانيه من تعتيم وتغييب لشخصه وآثاره، وقد جاء الشيء الكثير من الإشارات القرآنية في خطبه ومراسلاته وحجاجه مع الخصوم آخذا بنظر الاعتبار حال أولئك المنافقين ومدى مطابقة المقال للمقام الذي فيه[١٠].

نماذج من تفسيره القرآن الكريم

أما آراؤه في التفسير فقد منع التفسير بالرأي اعتماداً على قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في قوله : ((من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ))[١١] فالتدبر في القرآن الذي يحث عليه الإمام لا

يعني التصدي لتفسيره من الجميع من غير شروط أو ضوابط ومؤهلات، ((فلابد من الدخول إلى فعل التدبر عبر قنواته الصحيحة كي لا ينحرف المتدبر بمداليل الآيات إلى مقاصد بعيدة عن روح النص وحقيقته، ويكون ذلك من خلال الاستعانة بقراءات المفسرين المؤهلين في هذا المجال، والانتقال معهم إلى أسرار النص القرآني ومعارفه الإلهية العظيمة))[١٢].

ويمكن تلمس نماذج من تفسيره النصوص القرآنية بالآتي:

١-تفسيره قوله تعالى ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ ﴾ الإسراء / ٦٤) : روى سفيان الثّوريّ عن واصل، عن الحسن، عن ابن عباس ((أنه جلس الحسن بن علي ويزيد بن معاوية بن أبي سفيان يأكلان الرطب فقال يزيد: يا حسن إني مذ كنت أبغضك، قال الحسن: اعلم يا يزيد أن إبليس شارك أباك في جماعه فاختلط الماءان فأورثك ذلك عداوتي؛ لأن الله تعالى يقول: «وشاركهم في الأموال والأولاد» وشارك الشيطان حربا عند جماعه فولد له صخر، فلذلك كان يبغض جدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه))[١٣].

٢-وصح عنه عليه السلام إنّه خطب النّاس فقال في خطبته: أنا من أهل البيت الّذين افترض الله مودّتهم على كلّ مسلّم، فقال: (قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً)[١٤] واقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت[١٥].

والملاحظ أنّ الإمام قد اعتمد السياق في تحديد دلالة (الحسنة)، ((مما يجعل هذه الدلالة منسجمة من دون تعسف في التفسير مع مضمون الجزء الأول من الآية، وهو الحث على مودة آل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه))[١٦] فلم يقف الإمام عند مفردة المودة، وإنما أشار الى جزئية ((يمكن أن تكون هي بداية في اكتساب الأعمال، وهو اكتساب الحسنة المرتبطة بتلك المودة ...، وبهذا المعنى تكون المودة هي أولى الحسنات التي يُثاب عليها المؤمن وبحسبها تكون الزيادة ومضاعفة الأجر))[١٧]، وثَمّ من يرى أنّ دلالة الحسنة حملت معنى العموم، وليس ذلك بصحيح إذ إن ذكر الحسنة جاء بعد المودة، وقد ألبس التأخير في السياق المفردة دلالة التبعية والتخصيص بمن شملهم حكم المودة، وقد أعطى الارتباط بين الحسنة والمودة لوناً من ألوان التخصيص الدلالي بوساطة قرينة السياق القرآني للآية

المباركة، ولعل اتفاق الصيغة من جهة الأفراد والتعريف والتأنيث في (الحسنة) و (المودة) تعد قرائن لفظية تعزز من وحدة الموضوع في عائدية اللفظتين على أهل البيت عليهم السلام فتشكل دافعاً على حبهم الذي هو من أعظم الحسنات وأسماها[١٨].

٣-وفي تفسير قوله : ﴿ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ ﴾ الفتح / ٢٩ روي عن الإمام الحسن عليه السلام قال : استوى الإسلام بسيف عليّ عليه السلام[١٩].

٤-وسئل عن تفسير قوله : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ القمر / ٤٩ ، فقال : ((يقول عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ لأهل النّار بقدر أعمالهم ﴾))[٢٠]، وهنا يعمد الإمام عليه السلام إلى جعل عبارته التفسيرية بمنزلة المكمل للآية الكريمة، ((مرتكزاً في ذلك إلى حقائق تاريخية تمتد إلى زمن النزول، وإلى مفاهيم عقائدية تتعلق بتجسم أعمال الإنسان يوم القيامة على هيئة عذاب أو نعيم، بل أن تفسيره في هذا الموضع يُعد مما يُستشهد به في هذا المجال، ومن مصادر التأسيس لمفهوم تجسم الأعمال))[٢١].

٥-وفي تفسيره (وَأَدْبَارَ السُّجُودِ) في قوله تعالى ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴾ ق/ ٤٠ يرى أنّها الرّكعتان بعد المغرب اللتان تؤديان تطوّعاً[٢٢].

٦-وفي تفسير قوله : (شَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ – البروج / ٣) يذكر أنّ الشاهد محمد صلى الله عليه وآله والمشهود يوم القيامة معتمداً في ذلك منهج تفسير القرآن بالقرآن كما يتضح من الرواية التي مفادها ((أن رجلاً دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فإذا رجل يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال فسألته عن الشاهد والمشهود فقال: نعم الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة . فجزته إلى آخر يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله فسألته عن ذلك فقال نعم : أما الشاهد فيوم الجمعة وأما المشهود فيوم النحر . فجزتهما إلى غلام كأن وجهه الدينار وهو يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله فسألته عن ذلك فقال : نعم أما الشاهد فمحمد صلى الله عليه وآله وأما المشهود فيوم القيامة ، أما سمعته سبحانه يقول ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾[٢٣] وقال ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴾[٢٤] فسألت عن الأول فقالوا ابن عباس وسألت عن الثاني فقالوا ابن عمر وسألت عن الثالث فقالوا الحسن بن علي عليهما السلام ...))[٢٥]، وكان قول الحسن أحسن[٢٦]،

وهنا ينتهج الإمام منهجاً تفسيرياً واضحاً ينتمي الى مدرسة تفسيرية أصيلة هي مدرسة تفسير القرآن بالقرآن عبر رصف الشواهد القرآنية التي تعضد ما يذهب إليه على أنّ تفسيره عليه السلام لمعنى الشاهد والمشهود وعودتهما على المصطفى صلى الله عليه وآله، وأنه شاهد في يوم القيامة، وهذا المعنى قد يتفق مع دلالة الصيغة في شاهد ومشهود التي جاءت بصيغة النكرة عبر الإبهام في الوصف مما يدخل الموصوف في باب المبالغة في كثرة المشاهد، وتعظيم الشاهد وتكريمه بعلو المنزلة[٢٧] فقد انطلق الإمام عليه السلام في تحديده لمفهومي (الشاهد والمشهود) من القرآن نفسه بطريقة((يجعل لها المشتغلون بالدراسات القرآنية ومناهج التفسير منهجاً تفسيرياً منفرداً هو (تفسير القرآن بالقرآن)، ويعدُّونه من أهم المناهج وأفضلها لأنه يستند إلى معطيات الكتاب العزيز، بصورة وصفها إمام الهداية أمير المؤمنين عليه السلام بجملةٍ بليغةٍ ودالةٍ))[٢٨]، قوله قاصداً القرآن الكريم: ((كتاب الله تبصرون به، وتنطقون به، وتسمعون به وينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض. لا يختلف في الله، ولا يخالف بصاحبه عن الله. قد اصطلحتم على الغل فيما بينكم))[٢٩].

٧-وفي تفسير قوله تعالى (قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ – البروج / ٤) :ذكر المتّقي الهنديّ أن الإمام الحسن عليه السلام فسّر (أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ) بالحبشة[٣٠].

٨-وسئل عن تفسير قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ – البقرة / ٢٠١ ﴾ قال : هي العلم والعبادة في الدنيا ، والجنة في الآخرة[٣١]. فقد نبه الإمام في هذا إلى ما يغفل عنه أكثر العامة إذ لا حسنة أعلى من العلم والمعرفة ، وعبادته سبحانه في الدنيا، وثمرة المعرفة هي الطاعة والعبادة[٣٢].

٩-وقد أشار في واحدة من خطبه الى معنى قوله تعالى ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ – هود/ ١٧ ﴾ في قوله ((فكان أبي عليه السلام أول من استجاب لله (تعالى)، ولرسوله صلى الله عليه وآله وأول من آمن وصدق الله ورسوله، وقد قال الله (تعالى) في كتابه المنزل على نبيه المرسل: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ فرسول الله الذي على بينة من ربه، وأبي الذي يتلوه، وهو شاهد منه))[٣٣]، وقد ألمع الفخر الرازي في وجه من الوجوه التي فسرت النص بقوله ((ن المراد هو علي بن أبي طالب عليه السلام ، والمعنى أنه يتلو تلك البينة وقوله : (منه) أي هذا الشاهد من محمد وبعض منه ، والمراد منه تشريف هذا الشاهد بأنه بعض من محمد عليه السلام))[٣٤].

أدعية الإمام الحسن عليه السلام

الدُّعـاءُ لغـةً هـو ((أَنْ تُميـلَ الـشَّيءَ إليـكَ بصـوتٍ وكلامٍ يكـونُ منـكَ))(٣٥). والدُّعـاءَ هـو الاستغاثةُ والرغبةُ إلى اللهِ عزَّ وجل، يُقالُ: دعاهُ دُعاءً ودعوًى، ودُعاؤهُ سُبحانَهُ يكونُ على ثلاثةِ أوجه: فوَجهٌ منها توحيدُهُ والثناءُ عليهِ، كقولِكَ : يا اللهُ، لا إلهَ إلا أَنتَ، وكقولِكَ: ربَّنا، لَكَ الحمدُ، والوجهُ الثاني مسألةُ العفوِ والرحمة وما يُقَرِّبُ منهُ، كقولِكَ: اللهُمَّ اغفِرْ لنا، والوجهُ الثالثُ مسألةُ الحظِّ من الدنيا، كقولِكَ : اللهُمَّ ارزُقني مالاً وولَدا(٣٦).

والدُّعاءُ اصطلاحاً :هو طلبُ الفعلِ من المَدعُوِّ على سبيل التضرُّعِ، وهو بمنزلةِ الأمرِ والنهي في الجزمِ والحذفِ عند المُخاطبة، وإنَّما قيلَ: دُعاءٌ وطلبٌ لأَجلِ معناهُ؛ لأَنَّكَ تطلُبُ إلى مَنْ أَنتَ دونَهُ(٣٧) وعُرِّفَ بأَنَّهُ: ((كلامٌ إنشائيٌّ، دالٌّ على الطلب مع خُضوعٍ، ويُسَمَّى سُؤالًا أيضاً))(٣٨).

ويعدّ الإمام الحسن عليه السلام غصناً من غصون الشجرة العلوية، وفرعاً من فروع الدوحة الهاشمية،

وتعدّ الأدعية من سنن أهل البيت عليهم السلام تعلموها من جدهم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وعلّموها الأمة الإسلامية كوسيلة من وسائلهم الكثيرة في الدعوة الى الله ،وتوجيه المجتمع الى الخير والعدل والفضيلة فضلاً عمّا تحمله من الحمد لله، والتقديس له، والشكر على نعمائه، وتنزيهه عن أوصاف المشبهين، وأوهام المجسمين فهي تفيض بالتعاليم الأخلاقية، والمعارف السامية، والآداب العالية(٣٩).

ولما كان الدعاء من خصائص أئمة أهل البيت عليهم السلام فقد وردت لكل منهم أدعية كثيرة تربو على الحصر – ومنها أدعية الإمام الحسن عليه السلام حاملةً من التقديس لله ، والخضوع والتذلل بين يديه ،وتعدّ موسوعة من المعارف، والآداب، والأخلاق، والعرفان، والكمال (٤٠).

ويبدو أنّ ما وصل إلينا من أدعية الإمام الحسن عليه السلام قليل إذا ما قورن بما وصل إلينا من أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام وغيره من الأئمة عليهم السلام، ولعل ذلك يرجع إلى أسباب عدة منها (٤١):

١ -الاضطراب الشديد زمن معاوية، وممارسته الاضطهاد الذي تجاوز الحدود على الشيعة بحيث كان الناس يتجنبون إظهار التشيع ناهيك عن ابتعادهم عن نقل الروايات عن الإمام الحسن عليه السلام وبقية الأئمة عليهم السلام.

٢-ظهور بعض الأفراد الذين قدّمت الحكومة لهم الدعم والمساعدة فصاروا مصادر ومراجع للأحاديث النبوية في ذلك الزمان نحو : عبد الله بن الزبير ،وعبد الله بن عمر ،وعبد الله بن عمرو بن العاص.

٣-إن نهضة تدوين الأحاديث وحفظها عند الشيعة إنما بدأت في أواخر حياة السجاد (عليه السلام)،واستمر ذلك حتى بدأت تقل وتضعف في عصر الإمام الجواد (عليه السلام).

وللأئمة دعوات مأثورة في صحف مشهورة في مناسبات معلومة ،وأوقات تمارس فيها في الصباح والمساء والأيام والليالي والشهور كأدعية ليلة الجمعة أو رجب أو رمضان ،وقد تنوعت أدعية الإمام الحسن (عليه السلام) فشملت الاستسقاء والإفطار والزوال ،والدعاء على الظالم ، وعند باب المسجد فضلاً عن قنوتات ،وحجابات ،وأحراز له(٤٢).

التكرار لغة : التكرار في اللغة مشتق من الكر ،ويأتي بمعنى الرجوع الى الشيء ،والإتيان به مرة بعد أخرى ويأتي أيضاً بمعنى الإعادة والعطف. جاء في لسان العرب ((الكَرُّ : الرجوع،يقال : كَرَّه وكَرَّ بنفسه ، يتعدّى ولا يتعدّى ،والكَرُّ : مصدر كَرَّ عليه يَكُرُّ كرًّا وكُروراً وتَكْراراً : عطف الكر : الرجوع .يقال : كَرَّه وكَرَّ بنفسه ، يتعدّى ولا يتعدّى .والكَرُّ : مصدر كَرَّ عليه يَكُرُّ كرًّا وكُروراً وتَكْراراً : عطف .وكَرَّ عنه : رجع ، وكَرّ على العدوّ يَكُرُّ ؛ ورجل كَرَّار ومِكَرّ ، وكذلك الفرس .وكَرَّرَ الشيء وكَرْكَره : أَعاده مرة بعد أُخرى والكَرّةُ : المَرَّةُ ، والجمع الكَرَّات ،ويقال : كَرَّرْتُ عليه الحديث وكَرْكَرْتُه إذا ردّدته عليه ،وكَرْكَرْتُه عن كذا كَرْكَرةً إذا رَدَدْته ،والكَرُّ : الرجوع على الشيء ، ومنه التَّكْرارُ))(٤٣).

التكرار اصطلاحاً : عرّفه البلاغيون بـ ((أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه،سواء أكان اللفظ متفق المعنى أم مختلفاً أو يأتي بمعنى ثم يعيده))(٤٤) ،وهي ظاهرة فنية خبرها الأدباء والبلغاء قديماً وحديثاً ،وتنطلق أهميتها من الحقيقة النفسية الذاهبة الى أنّ تعلم السلوك يعتمد في أحد عناصره على التكرار(٤٥).

ويؤتى بالتكرار لأغراض يقصدها المتكلم فقد يقصد به التوكيد اللفظي أو المعنوي ،وقد يراد منه تقرير المعنى في ذهن السامع ،والترغيب والترديد والتلذذ بالذكر والدعاء والتنبيه والتنزيه ،وقد يرد في مقام الوعد والوعيد أو في مقام التعظيم والتهويل(٤٦).

أنماط التكرار في أدعية الإمام الحسن عليه السلام

١-تكرار الفعل : قد يكون تكرار الصيغة الفعلية نفسها الحاحاً برغبة غامرة في انجاز وشيك للدعاء كما نجد ذلك في دعاء الإمام الحسن عليه السلام :((اللهم اني أتقرب إليك بجودك وكرمك، وأتقرب إليك بمحمد عبدك ورسولك، وأتقرب إليك بملائكتك المقربين وأنبيائك ورسلك، ان تصلي على محمد عبدك ورسولك وعلى آل محمد، وان تقيلني عثرتي، وتستر على ذنوبي، وتغفرها لي، وتقضي لي حوائجي، ولا تعذبني بقبيح كان مني، فان عفوك وجودك يسعني، انك على كل شيء قدير))[٤٧] ولا تخفى دلالة الحب المتضمَّنة في تكرار الفعل (اتقرب) بوصفها ايقاع الحاحٍ صوتي لإنجاز أمنيات[٤٨] كامنة في النفس الإنسانية منها إقالة العثرة،وستر الذنب،وقضاء الحوائج ،واللطف بالعبد – وإن كان مذنباً – بعفو الخالق وجوده.

٢-تكرار المصدر : ويحمل المصدر دلالة على الحدث كليّة بمعنى استجمعت الحدث بتمامه، في حين الفعل تكون دلالة الحدث فيه جزئية، أي أن الحدث جزء منه لا كله، فهو يتشكل من الحدث والزمن فالزمن يشترك مع الحدث في صناعة الدلالة الفعلية، فضلاً عن المُحدِث لها، وعلى ذلك تكون للمصدر القوة والفاعلية في إظهار الحدث أكثر ممّا للفعل، فضلاً عمّا للمصدر من الثبوت دون الفعل، لأنّ المصدر اسم، والاسم أثبت من الفعل[٤٩] كما في تكراره للمصدر (سبحان) في قوله ((سبحان من هو مطلع على خوازن القلوب، سبحان من هو محصي عدد الذنوب، سبحان من لا يخفى عليه خافية في السماوات والأرض، سبحان المطلع على السرائر عالم الخفيات، سبحان من لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، سبحان من السرائر عنده علانية، والبواطن عنده ظواهر، سبحان الله وبحمده))[٥٠] فقد صدّر كل جملة بالمصدر (سبحان).

٣-تكرار الصفات : وفي بعض أدعيته نلمح كثرة الصفات كثرة ملفتة للنظر مما يشكل ظاهرة تؤدي دلالات كثيفة وعميقة في تحقق الدعاء واستجابته في تكرار الموصوفات والصفات عندما اجتمع عند علي بن أبي طالب عليه السلام قوم فشكوا إليه قلة المطر، وقالوا : يا أبا الحسن ادع لنا بدعوات في الاستسقاء ، قال : فدعا علي عليه السلام الحسن والحسين فقال

للحسن عليه السلام ادع لنا بدعوات في الاستسقاء فقال الحسن عليه السلام :((اللهم هيج لنا السحاب، تفتح الأبواب بماء عباب، ورباب بانصباب وإسكاب يا وهاب اسقنا مغدقة مونقة فتح أغلاقها، ويسر أطباقها، وعجل سياقها بالأندية في بطون الأودية بصوب الماء يا فعال اسقنا مطراً قطراً طلاً مطلاً مطبقاً طبقاً عاماً معماً دهماً بهماً رجماً رشا مرشا واسعاً كافياً عاجلاً طيباً مباركاً سلاطحا بلاطحا يناطح الأباطح ، مغدودقا مطبوبقاً مغرورقاً واسق سهلنا وجبلنا ، وبدونا وحضرنا حتى ترخص به أسعارنا ، وتبارك لنا في صاعنا ومدنا ، أرنا الرزق موجودا والغلاء مفقودا آمين رب العالمين))[٥١]، والملاحظ في هذا النص قدرة الإمام التعبيرية وتمكنه اللغوي من صياغة الكلمات المناسبة ووضعها في مكانها المناسب فقد تدرج في وصف الماء النازل من السماء (مطر- قطر- طل) ثم ذكر صفاته (مطلا- مطبقا - طبقا- عاما- معما- دهما- بهما- رجما- رشا- مرشا-واسعا- ...الخ)

وقوله ((يا باطنا في ظهوره، ويا ظاهرا في بطونه، يا باطنا ليس خفي، ويا ظاهرا ليس يرى، يا موصوفاً لا يبلغ بكينونته موصوف، ولا حد محدود، يا غائبا غير مفقود، ويا شاهدا غير مشهود، يطلب فيصاب، ولم يخل منه السماوات والأرض وما بينهما طرفة عين، لا يدرك بكيف، ولا يؤين بأين ولا بحيث. أنت نور النور، ورب الأرباب، أحطت بجميع الأمور، سبحان من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، سبحان من هو هكذا ولا هكذا غيره))[٥٢]، ويظهر في هذا النص الدعائي الثنائيات المتضادة (الباطن في ظهوره، والظاهر في بطونه) و (الغائب غير المفقود ،والشاهد غير المشهود) لغرض إطالة النص وتنسيقه وتزويقه بكثرة التضادات التي يُظهر فيها واقع حال الداعي وعظمة المدعو ، وقد أظهرها الإمام الحسن عليه السلام بأسلوبٍ لطيف وبارع، يتحسس فيها السامع صدق العبارة مع جزالة في اللفظ وقوّة في السبك ،كلّ ذلك لإظهار حقيقة هذه المسألة التي يريد طرحها وتوكيدها بكثرة التضادات وبتعداد صفات متتابعة لإظهار ذلك بشيءٍ من الدقة والأهمية[٥٣].

الخاتمة

يمكن تلمس نتائج هذا البحث بالنقاط الآتية :

١-إن ما تركه الإمام الحسن عليه السلام من تراث فكري وإنساني وعلمي بوساطة النصوص التي أُثرت عنه من خطب، ورسائل، ووصايا، واحتجاجات، وأحاديث، وحكم في فروع المعرفة المختلفة تكشف عن تنوع عنايته عليه السلام، وسعة علمه، وإحاطته بمتطلبات المرحلة التي كانت تعيشها الأمة المسلمة في عصره المحفوف بالفتن والمخاطر والدواهي.

٢-كان الإمام الحسن عليه السلام من أهل بيت شهد نزول الوحي فكان بدء حياته مع القرآن، وكان وحي السماء وآيات التنزيل تطرق سمعه وفكره وقلبه قبل أن تطرق سمع الآخرين وفكرهم وقلبهم.

٣-اتضح من أقواله أنه منع تفسير القرآن بالرأي، ومن نماذجه التفسيرية أنه كان يفسّر القرآن بالقرآن، ويفسّر بالمأثور عن أهل بيته عليهم السلام.

٤-شكّل النص القرآني إطاراً مرجعياً لكل مواقف الإمام في تعاطيه مع الأحداث الصعبة التي مر بها، فكان لتفسيره وتأويله الأثر الكبير في فضح الطغاة والظالمين فعملت السلطة على طمس الحقائق، وهذا ما جعل الإمام الحسن عليه السلام يتصدى بقوة من أجل الحفاظ على الدين الحنيف مع ما كان يعانيه من تعتيم وتغييب لشخصه وآثاره.

٥-إن الدعاءَ نتاجٌ أدبيٌّ فنيٌّ إسلاميٌّ راقٍ لم يلقَ من الاهتمام من الباحثين في النتاج الإسلامي الشّيءَ الكثيرَ، ولم يوضع عند الباحثين من ضمن الأنواع الأدبية الفنية، لذا لابد من وضع الدعاء من ضمن الأنواع الأدبية الفنية، وعلى الأقل الإسلامية العربية لأهميته وشرفيته التي لا تضاهى.

٦-وقف البحث على دلالات التكرار في أدعية الإمام الحسن ،وقد دلّ تكرار الفعل في الجملة الدعائية على تكرار الحدث في سبيل تحقق الدعوات ،ودلّ المصدر إظهار الحدث أكثر ممّا للفعل، فضلاً عمّا للمصدر من الثبوت دون الفعل، لأنّ المصدر اسم، والاسم أثبت من الفعل كما في تكراره للمصدر (سبحان)،وكذا في تكرار الموصوفات والصفات فقد دلّت دلالات كثيفة وعميقة في تحقق الدعاء واستجابته.

٧-أظهر البحث في النص الدعائي ثنائيات متضادة؛ لغرض إطالة النص وتنسيقه وتزويقه بكثرة التضادات التي يُظهر فيها واقع حال الداعي وعظمة المدعو، وقد أظهرها الإمام الحسن ﴿عليه السلام﴾ بأسلوبٍ لطيف وبارع، يتحسس فيها السامع صدق العبارة مع جزالة في اللفظ وقوّة في السبك ،كلّ ذلك لإظهار حقيقة هذه المسألة التي يريد طرحها وتوكيدها بكثرة التضادات وبتعداد صفات متتابعة لإظهار ذلك بشيءٍ من الدقة والأهمية.

٨-أثبت البحث قدرة الإمام التعبيرية وتمكنه اللغوي من صياغة الكلمات المناسبة ووضعها في مكانها المناسب فقد تدرج في وصف الماء النازل من السماء (مطر- قطر- طل) ثم ذكر صفاته (مطلاً- مطبقاً – طبقاً- عاماً- معماً- دهماً- بهماً- رجماً- رشاً- مرشاً-واسعاً- ...الخ).

الهوامش

١-ينظر : أعلام الهداية الإمام الحسن المجتبى / لجنة التأليف في المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت ٤/ ١٩٤.

٢- ينظر : العترة والقرآن / الشيخ علي الكريمي الجهرمي ٨٩.

٣- ينظر : فلاح السائل / ابن طاووس ٢٦٩.

٤- الآية هي ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ الله كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً ﴾ النساء / ٨٦)

٥-بحار الأنوار/ المجلسي ٤٣/ ٣٤٣.

٦-إرشاد القلوب ، الحسن بن محمد الديلمي ١/ ٧٩،**وموسوعة كلمات الإمام الحسن / لجنة ال**حديث في معهد باقر العلوم عليه السلام **٢١٣.**

٧- إرشاد القلوب ١/ ٧٩.

٨-بحار الانوار ٢٥/ ١١٢.

٩-الدعوات (سلوة الحزين) / قطب الدين الراوندي ٢٤.

١٠-ينظر: الإمام الحسن المجتبى وتفسيره للقرآن الكريم/ د. عبد الحي عبد النبي زبيك العبادي ٣٠.

١١-ورد الحديث في مصادر كثيرة منها : الجامع الصغير / السيوطي ٢/ ٦٢٩،وكنز العمال / المتقي الهندي ٢/ ١٦.

١٢- القرآن الكريم في كلمات الإمام الحسن عليه السلام/ د. علي مجيد البديري، بحث منشور في مجلة ينابيع **https:// alhikmeh.org/yanabeemag/?p=7995**

١٣-بحار الأنوار ٤٤/ ١٠٤.

١٤-سورة الشورى / الآية ٢٣.

١٥-ينظر : بحار الأنوار **٢٣/ ٢٣٢.**

١٦- القرآن الكريم في كلمات الإمام الحسن عليه السلام/ د. علي مجيد البديري، بحث منشور في مجلة ينابيع **https:// alhikmeh.org/yanabeemag/?p=7995**

١٧- الإمام الحسن المجتبى وتفسيره للقرآن الكريم ٢١-٢٣.

١٨- ينظر: المصدر نفسه ٢١.

١٩-ينظر : بحار الأنوار ٣٦/ ١٨٠،وموسوعة كلمات الإمام الحسن عليه السلام ٢١٦.

٢٠-التوحيد / الشيخ الصدوق

٢١- القرآن الكريم في كلمات الإمام الحسن عليه السلام/ د. علي مجيد البديري، بحث منشور في مجلة ينابيع **https:// alhikmeh.org/yanabeemag/?p=7995**

٢٢-فقه القرآن / قطب الدين الراوندي ١/ ٨٦.

٢٣-سورة الأحزاب / الآية ٤٥.

٢٤- سورة هود / الآية ١٠٣.

٢٥-الحدائق الناضرة / المحقق البحراني ٩/ ٣٥٣.

٢٦-مطالب السؤول في مناقب آل الرسول / محمد بن طلحة الشافعي ٣٣٩.

٢٧- ينظر: الإمام الحسن المجتبى وتفسيره للقرآن الكريم ٢٤-٢٥.
٢٨- القرآن الكريم في كلمات الإمام الحسن عليه السلام/ د. علي مجيد البديري، بحث منشور في مجلة ينابيع https:// alhikmeh.org/yanabeemag/?p=7995
٢٩- نهج البلاغة، ٢/ ١٧.
٣٠- ينظر : كنز العمال ٢/ ٥٤٩.
٣١-ينظر : فتح الباري / ابن حجر ١١/ ١٦٢.
٣٢-ينظر : مفاهيم القرآن (العدل والإمامة)/ الشيخ جعفر السبحاني ١٠/ ٣١٩.
٣٣-الأمالي/ الشيخ الطوسي ٥٦٢.
٣٤- تفسير الرازي / الفخر الرازي ١٧/ ٢٠١.
٣٥-معجم مقاييس اللغة / ابن فارس ، مادة (دعو) ١/ ٤٠٩.
٣٦- ينظر : لسان العرب ، مادة (دعا) ٢/ ١٢٧٩-١٢٨٠.
٣٧-ينظر : المقتضب / المبرد ٢/ ١٣٢.
٣٨- كشاف اصطلاحات الفنون / محمد علي التهانوي ٢/ ١٤٢.
٣٩-ينظر : أئمتنا – سيرة الأئمة الاثني عشر / علي محمد علي دخيل ١/ ٣٧٥.
٤٠-ينظر : الصحيفة الحسنية المباركة /
٤١-ينظر : الدعاء والمناجاة عند الإمام الحسين ، الشيخ محسن باغبان ،مجلة نصوص معاصرة ،س٩،ع ٣٢-٣٣،خريف وشتاء ٢٠١٤م – ١٤٣٥هـ،ص ١٩٥.
٤٢- ينظر : الصحيفة الحسنية المباركة ١٤٦-١٧٦.
٤٣-لسان العرب / ابن منظور ،مادة (كرر) ٥/ ١٣٥،وينظر : المعجم الوسيط / مجموعة من المؤلفين ،مادة (كرّ) ٧٨٢.
٤٤-أساليب المعاني في القرآن / السيد جعفر باقر الحسيني ٤٩٥.
٤٥- ينظر : البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي / د. محمود البستاني ٧٠.
٤٦-ينظر : جواهر البلاغة / السيد أحمد الهاشمي ١٩٨-٢٠٠،وأساليب المعاني في القرآن ٤٩٧-٤٩٩.
٤٧-صحيفة الإمام الحسن / الشيخ جواد القيومي ٥٤.
٤٨-ينظر : البناء الأسلوبي في أدعية الأئمة المعصومين ١١٢.
٤٩- ينظر : دلالات الأفعال والمصادر والمشتقات في أدعية الإمام علي عليه السلام في الصحيفة العلوية، رسالة ماجستير، الباحثة هدى عبد الغني نايف ،آداب البصرة ،٢٠١٤م،ص ٩٣-٩٤.
٥٠-الدعوات (سلوة الحزين) ٩١.
٥١-بحار الأنوار ٨٨/ ٣٢٢.
٥٢-إقبال الأعمال / السيد ابن طاووس ١/ ٣٨٢.
٥٣-دعاء الإمام علي عليه السلام دراسة نحوية أسلوبية ،رسالة ماجستير ،محمد إسماعيل عبد الله ،كلية التربية، جامعة بابل ،٢٠٠٥م، ص ١٦١.

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم.
*أئمتنا – سيرة الأئمة الاثني عشر، علي محمد علي دخيل، ط٣، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، مطبعة ستار،١٤٢٩هـ.ق -٢٠٠٨م.
*أساليب المعاني في القرآن ،السيد جعفر السيد باقر الحسيني ، ط٢ ،مؤسسة بوستان كتاب (مركز الطباعة والنشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي)،١٤٣٠ق -١٣٨٨ش.
*أعلام الهداية – الإمام الحسن المجتبى ،لجنة التأليف في المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت ،ط٥ ،مطبعة : مجاب ،المجمع العالمي لأهل البيت ،١٤٣٠هـ.
*إقبال الأعمال ،السيد ابن طاووس ،تح/ جواد القيومي الاصفهاني ،ط١ ، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي ، رجب ١٤١٤ه.
*الإمام الحسن المجتبى وتفسيره للقرآن الكريم- دراسة تحليلية، د. عبد الحي عبد النبي زيبك العبادي، ط١، الرافد للمطبوعات، بغداد، ٢٠٢٢م-١٤٤٣هـ.
*بحار الأنوار، العلامة المجلسي، تح: علي أكبر الغفاري، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت ، لبنان، ١٤٠٣ - ١٩٨٣م.
*الأمالي، الشيخ الطوسي، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعث الناشر : دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع - قم ، ١٤١٤م.
*البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي، د. محمود البستاني، ط١، مطبعة : سليمان زاده، دار الفقه للطباعة والنشر ،١٤٢٤هـ.ق -١٣٨٢هـ.ش.
*البناء الأسلوبي في أدعية الأئمة المعصومين ،أحمد محمد أحمد ،رسالة ماجستير، كلية الآداب – جامعة البصرة ،٢٠١٠م.
*تفسير الرازي، فخر الدين الرازي، مكتبة أهل البيت، (د.ت).
*التوحيد ،الشيخ الصدوق ،تح / السيد هاشم الحسيني الطهراني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ،(د.ت).
*الجامع الصغير، جلال الدين السيوطي ،ط١ ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، سنة الطبع : ١٤٠١ - ١٩٨١م.
*جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ،السيد أحمد الهاشمي ،إشراف صدقي محمد جميل،ط٢، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر ،مطبعة أمير، ١٣٨٤هـ.
*الحدائق الناضرة، المحقق البحراني ،تح/ محمد تقي الإيرواني ،مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ،(د.ت).
*دعاء الإمام علي عليه السلام- دراسة نحوية أسلوبية،رسالة ماجستير ،محمد إسماعيل عبد الله ،كلية التربية، جامعة بابل ،٢٠٠٥م.
*الدعاء والمناجاة عند الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ محسن باغبان ،مجلة نصوص معاصرة ،س٩،ع ٣٢-٣٣،خريف وشتاء ٢٠١٤م – ١٤٣٥ه.
*الدعوات (سلوة الحزين)، قطب الدين الراوندي،تح/ مدرسة الإمام المهدي عليه السلام ،ط١ ، المطبعة : أمير – قم ، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام – قم، ١٤٠٧هـ.
*دلالات الأفعال والمصادر والمشتقات في أدعية الإمام علي عليه السلام في الصحيفة العلوية ،رسالة ماجستير، الباحثة هدى عبد الغني نايف ،آداب البصرة ،٢٠١٤م.
*صحيفة الحسن عليه السلام، جمع الشيخ جواد القيومي، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة

المدرسين بقم المشرفة ،١٣٧٥ش.
*الصحيفة الحسنية المباركة – أدعية وسيرة الإمام الحسن عليه السلام ،محمد علي علي دخيل، ط١، دار المرتضى، بيروت، لبنان،١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
*العترة والقرآن، الشيخ علي الكريمي الجهرمي، دار القرآن الكريم، قم ،١٤١٣هـ.
*فتح الباري، ابن حجر، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت – لبنان،(د.ت).
*فقه القرآن، قطب الدين الراوندي، تح / السيد أحمد الحسيني، ط٢، مكتبة آية الله العظمى النجفي المرعشي، ١٤٠٥هـ.
*فلاح السائل، ابن طاووس، مكتبة أهل البيت الألكترونية، (د.ت).
*القرآن الكريم في كلمات الإمام الحسن عليه السلام، د. علي مجيد البديري، بحث منشور في مجلة ينابيع https: / / alhikmeh.org /yanabeemag /?p=٧٩٩٥
*كشاف اصطلاحات الفنون ،الشيخ محمد بن علي التهانوي الحنفي ،وضع حواشيه : أحمد حسن بسج ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٩٨م.
*كنز العمال، المتقي الهندي ،تحقيق : ضبط وتفسير : الشيخ بكري حياني ، تصحيح وفهرسة : الشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة - بيروت – لبنان، ١٤٠٩ - ١٩٨٩م.
*لسان العرب ،محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ،ط١ ،مراجعة :د. يوسف البقاعي وإبراهيم شمس الدين ونضال علي ،مؤسسة الأعلمي،بيروت،١٤٢٦هـ - ١٩٨٥م.
*مطالب السؤول في مناقب آل الرسول عليهم السلام، محمد بن طلحة الشافعي، تح / ماجد بن أحمد العطية، (د.ت).
*معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، وضع حواشيه : إبراهيم شمس الدين ،ط٢ ،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،٢٠٠٨م-١٤٢٩هـ.
*المعجم الوسيط، قام بإخراجه (إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجار ،ط٢ ،مكتبة المرتضوي ،مطبعة باقري،(د.ت).
*مفاهيم القرآن (العدل والإمامة) ،الشيخ السبحاني، مكتبة أهل البيت عليهم السلام، (د.ت).
*المقتضب ،أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٦هـ)،تح/ محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ،بيروت ،لبنان ،١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
*موسوعة كلمات الإمام الحسن عليه السلام ،لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، ط١، المطبعة : الآثار – قم، الناشر : دار المعروف، ربيع الثاني ١٤٢٣هـ.
* نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، جمع الشريف الرضي، تحقيق : شرح : الشيخ محمد عبده، ط١،تحقيق : شرح : الشيخ محمد عبده، سنة الطبع : ١٤١٢ - ١٣٧٠ ش.

كرونولوجيا الإشاعة وأنسنة حياة

الإمام المجتبى الحسن عليه السلام

د. مها توفيق شبيطه

فلسطين.

ملخص البحث

عندما نكتب عن شخصية بحجم الإمام المجتبى عليه السلام، فإننا نستدرك ما تعرض له من ظلم، وما تم قُذف به من إشاعات مغرضةٍ بحقه، وهو القمة السامقة في النسب، والأخلاق، والورع، والتّقى، وهو روح لا تعرف أن تطأطئ للباطل رأساً، فالظروف السياسية والتحديات التي واجهها وعلى أكثر من صعد، مثلت حياة الإمام المجتبى عليه السلام، وهي جبهة للصراع بين الحق والباطل، صراع قائم على مبدأ الشرعية والتوازن، فأئمة أهل البيت لم يكن هدفهم الحكم بأي ثمن كان، وهذا ما حصل مع المجتبَى عندما تخلى عن الإمامة في الصلح مع معاوية، حيث تمتع بحظوة من الإدراك والفطنة في العلم والثقافة، ما فاق غيره من بني جلدته، فقد كان حاد الذكاء، قادراً على أنسنة سياسته، بتأكيده القيم الإسلامية التي تحد من الفساد والاستبداد للنظام السياسي، بفضل هذه الحصافة، خاض معركة الوعي الإنساني، من خلال حفاظه على المشروع الإسلامي، صاداً ثلةً من الأراجيف التي كان يغلب عليها طابع الجهل، لتأليب الرأي العام ضده، في ظرف تاريخي حرج، سادته تيارات دِينية، وفِكرية، وعقدية، لإبعاد قواعده الشعبية الملتفة حوله في محاولة منهم لإضعاف الإمام المجتبى عليه السلام.

Abstract

When writing on a figure such as Imam Al-Mujtabah there should be a reference to the coercing ways and rumours he incurs though he is towering in pedigree , ethics , sapience , piety , he is a man beyond submission . The political circumstance and challenge he faced forms the life of Imam Al-Mujtaba "peace upon him" , here is the battle between truth and falsehood, it is based on the principle of legitimacy and equity . Ahalalbayt imams never desire to rule as it happened that the imam Al-Hassan set a treaty of peace with Muawiyah, as he enjoyed a higher level of understanding and acumen in science and culture than others of his kind. Preserving the Islamic project is to nourish man , and to suppress a number of rumors of ignorance in attempts to turn public opinion in a critical historical circumstances led by different intellectual and ideological waves to alienate him from his bases around him to thwart Imam Al-Mujtaba "peace upon him".

المقدمة

منذ بدئ الخليقة وجد الصراع، الذي يستهدف أعماق الإنسانية، ويؤثر في كيان البشرية، وإذا كانت الحروب، والأزمات، والكوارث، والنكبات تستهدف بأسلحتها الفتاكة الإنسان من حيث جسده وبناؤه، فإن هناك حرباً سافرة، مستترة، تتولد على ضفاف الحوادث والملمات، وتتكاثر في زمن التقلبات والمتغيرات، وهي أشد ضراوة وفتكاً؛ لأنها تستهدف الإنسان من حيث عمقه وعطاؤه، وقيمه ونماؤه، ألا وهي حرب الشائعات.

استتبعت هذه الحرب ثورة عارمة على القيم والمورثات الدينية التي غرست في عقول الناس، وكان ينظر لها على أنها مقدسة، وصالحة لتنظيم حياة الناس في كل زمان ومكان، وجالبة للسعادة، إلا أن الزمن اختلف، وأصبح ينظر للإنسان بأنه مصدر المعرفة، وبذلك أُحلت الأنسنة مكان القداسة، والكراهية بدل المحبة، والغدر بدل الثقة، ونرى اليوم أنّ الإنسان أصبح تائهاً فاقداً لإنسانيته وهويته الحقيقية(غوزي،٢٠١٥)، ناهيك أنّ اهتماماته أصبحت متشابهة فاقدة للتميّز، كما أن العقول باتت نقمة على أصحابها، ممتنعة عن التفكير الحر، تتخذ التبعيّة في كل شيء، وابتعدت عن التأويل الحر في تفكيرها، عدا عن انتشار داء العنصرية، والهوس بالتصنيفات غير المجدية، وإشاعة التمييز، والطبقية المغرضة، وهذا أنسى الإنسان نفسه، فنسي أن يهتم بها «كونه إنسانًا»، نحن مع التغيير، ومع أنسنة العقل الإسلامي، لتوظيفه في فهم واقعنا المتجدد، بعيداً عن التأويلات والتعصب والتحيز، مع الأنسنة التي من شأنها أن تكون طريقًا جديدًا لإصلاح النفس البشرية، وتوجيهها بالاتجاه الصحيح؛ بعيداً عن القيود التي كبلتها لقرون، ففي صلاحها أيضاً صلاح المجتمعات كافة، وبذلك نَعبر بالثورة الإنسانية الجديدة لعصرٍ جديد يجمع بين الإصلاح الديني، والتربوي، والثقافي؛ والذي هو أساس التنمية والنهضة لأي مجتمع، وإدراك أنّ الصراعات التي يمر بها الإنسان سواء في حياته، أو في مجتمعه، ما هي إلا نتاج الانغلاق، والتعلق بتأويلات طغت عليها الفردانية، والمصلحة الشخصية، مبتعدين عن قيم أنارت ثقافتها العالم لأكثر من أربعة عشرَ قرناً من الزمان.

حضارتنا الإسلامية منبع التشريع للأحكام الدنيوية، والتشريعات السماوية، تُمثل مصدر قلق في انتشارها للحضارات الأخرى، من خلال بنائها الاجتماعي المتين، الذي شكّل موقفاً حازماً للكثير من المفاسد الدنيوية، وعلى رأسها الشائعة، لِما لنشرها وبثها بين أفراد المجتمع من آثار سلبية على تماسك المجتمع المسلم، وتلاحم أبنائه وسلامة لُحمته، والحفاظ على بيضته، بل لقد عدَّ الإسلام ذلك سلوكاً مرذولاً منافياً للأخلاق النبيلة، والسَجايا الكريمة، والمُثل العليا التي جاءت بها، وحَثّت عليها شريعتنا الغراء، من الاجتماع والمحبة والمودة والإخاء، والتعاون والتراحم والتعاطف والصفاء، فكم أفسدت من أُمم ومجتمعات، وهل الشائعة إلا نسف لتلك القيم؟ ومعول هدم لهذه المثل؟! (قانه،٢٠٠٩)

لم ينصف التاريخ الإسلامي الحقيقة في غالبيته المطلقة، كونه كتب بحروف وأقلام مأجورة لأنظمة طاغية، تنوعت بتنوع الخلافة التي تواترت على الدولة الإسلامية، ما أدى الى تأثر أصحاب النفوس الضعيفة، بما يُكتب، دون التمعن بجذوره، أو الرجوع إلى حقيقته، أكثر من أربعة عشرَ قرناً مرت على الأمة، وما زال غالبية المؤرخين متأثرين من قريب، أو بعيد بالدعايات والروايات التي كتبت، ويساعدون في تكريس الظلم الذي وقع على أهل البيت.(كريم،٢٠١٦)

الإمام المجتبى الحسن عليه السلام من الشخصيات التي لها النصيب الأكبرُ من الظلم، وعظيم الابتلاء، فعندما نتحدث عن الابتلاء يتبادر إلى أذهاننا المجتبى عليه السلام، إلا أن البلاء بإساءة الأصحاب، وخذلان الأحباب، لهو البلاء الأصعب على النفس، والأشد وجعاً عليها من طعن الرماح، والأقسى ألماً من عميق الجراح، فعندما نقرأ سيرته نجد أن حياته واجهت حرباً من الشائعات، قبل وبعد تسلمه الإمامة، لعدم قدرة مناصريه، والموالين له قبل أعدائهِ على التحليل السياسي في تلك الحقبة الزمنية التي كانت حبلى بالصراعات، والحروب، والفتن الداخلية والخارجية، ولتكالب مَنْ حوله على الكراسي والمناصب، فُعمق بَصيرته ووعيه بما يحدث حجب عن مناصريه فهم آلية مهادنته لمعاوية بن أبي سفيان.(العاملي، ١٩٨٤)

فأنشبت الشائعاتُ مخالبَها في حياة الإمام المجتبى عليه السلام، وتوالت تباعاً في بداية تسلمه،وروجها ضِعاف النفوس، والمغرضون من الأعداء، بغيةَ هدم صرح الدعوة الإسلامية، ممثلةً بآل البيت، للنيل من أصحابِها، والتشكيكِ فيها.(جعفر،٢٠١٩)

لعلنا في هذا البحث المتواضع ننتصر للجوانب الإنسانية في حياة الإمام المجتبى عليه السلام، والذي أسهم بحياته لعلو منزلة الإسلام والمسلمين، بتكريسه الجزء الأهم من حياته، لبناء الإنسان المسلم، بعد أن سُلبت الإمامة منه، من قِبل بني أمية، هذا الإنسان الذي راهَن عليه المجتبى عليه السلام، بأن يحقق له الحلم الآمن، بمجتمع إسلامي قوي ينهض من سباته لينفض الظلم عنه، من خلال استثمار المُنجز المعرفي الذي سعى لتبنيه، متفائلاً ببزوغ مجتمع إسلامي حضاري، يؤهله لبناء أنسنة جديدة تُعالج أعطاب النماذج التاريخية ،التي آلت بالكثير من الدمار والقتل، ومنهم عظام الأئمة، وانتهت بشهادة الإمام المجتبى عليه السلام.

أهمية البحث:

عند محاولة اختياري لموضوع الكتابة عن حياة الإمام المجتبى عليه السلام، في سياق المؤتمر السنوي التاسع لفكر الإمام المجتبى عليه السلام (الإمام المجتبى عليه السلام في مواجهة التضليل التاريخي «فرائد السيرة ورد الشبهات)، لمعت في ذهني فكرة الكتابة عن أنسنة حياة الإمام المجتبى عليه السلام، من باب عدّ الأنسنة ركيزة روحية، تؤدي دوراً في زيادة قدرة الإنسان على مواجهة التحديات في كل مرحلة من مراحل العمر، وهذا الأمر كان متجسداً في شخص بحجم المجتبى عليه السلام، وهو مَنْ طالَب إعمال العقل والفكر، من خلال إعادة تدريسه للكثير من صحابته ومرافقيه، خوفاً عليهم، بعد أن تناولتهم الفتنة من قِبل بني أمية، لذا اختار الإمام المجتبى عليه السلام بعد أن سكن المدينة المنورة أن يلتف على الرسالة التي بُعثت لسيد المرسلين محمد صلى الله عليه وآله، ليبقى النور ساطعاً جلياً، بعيداً عن الشبهات التي حاول بنو أميّة إبرازها، ليبعدوا الأمة عن خليفتها، لكن المجتبى اختار أن يكون مُعاديا للخرافات، والتضليل بعيداً عن الشبهات، التي شكلت الحجةَ في كثير من الأحيان، لنقده ولتعرية ما يحيط بحياة آل البيت، نحن مع الأنسنة التي لا تُغيب العقل والفكر، لكن بحدود لا تصل لرفض امتلاك الحقيقة المطلقة، أو التي ترفض عِصْمة آل البيت عليهم السلام، والتشهير بهم.

ومن هنا يكمن أهمية البحث من كونه محاولة جادة لتتبع كرونولوجيا الشائعة التي شكلت في مجملها الحمل الأكبر لخسارة الإمام المجتبى عليه السلام للإمامة، وتسليمه بالصلح مع بني أمية، ولربط هذه المحاولة بالنزعة الإنسانية التي طغت على حياة المجتبى، إيلاءً منا لشخصية بحجم الإمام المجتبى عليه السلام، لما لها من جوانب إنسانية عظيمة أثرت، ولا زالت تؤثر في الكثير من الشباب المسلم، بل أصبحت أيقونةً لتحمّل المعاناة والخذلان والمحن، فقد تَحمل في حياته النقد، والتجريح، والإيذاء النفسي، ما لم يتحمّله أحد، وترك فينا كثيراً من آثار التضحية، والفداء والعطاء اللا متناهي.

لكنّ لينه، وبديع خُلقه، وقوةَ بصيرته، وحُلمهُ المتسامي، قد أعطى المجال لِمَنْ كانَ حوله بتشويه سمعته، وإثارة الشائعات والشبهات حوله، وتسفيه شخصيته، فمن يشعر بالظلم، لا يستطيع إلا أن يناصر من ظلم، وكفلسطينية عايشنا الظلم لقرون وعقود طويلة، ومررنا بالخذلان تصاعداً وتنازلاً، لذا نشعر بمرارة ما مرَّ به الإمام المجتبى عليه السلام، فمن جمع في شخصيته شرف النبوة، والإمامة، وشرف الحسب والنسب، وتعايش مع إرهاصات نشر الإسلام، وجاهد، وشارك في تحمل المسؤولية في مواجهة الناكثين والفاسقين، أولى بنا مناصرته ضد من وقف بوجهه، واضطهد حقّهُ، حيث استعمل بنو جلدته الشائعة؛ التي تُعد من الوسائل الأكثر فتكاً بفكر الإنسان، وتجعله ينقاد إلى ما يريده الخصوم، بهدف إضعاف الروح المعنوية للطرف المستهدف، فما زالت الشبهات، وسوء الظنّ حتى يومنا هذا تشوب تاريخ حياة ريحانة الرسول صلى الله عليه وآله وسيد شباب أهل الجنة، الإمام الحسن عليه السلام، فقد زُرعت لتعكير صفاء تاريخ هذه الشخصية الإسلامية الفذة، والفريدة التي لا مثيل لها، وهنا تظهر إشكالية بحثنا التي تدور حول شخصية لها من الكاريزما، والحضور الذي يطغى على الِغياب، فمن تربىّ في أحضان جده رسول الله صلى الله عليه وآله، وتغذى من بيت الإمامة، وتميز بالكرم والحلم، لا يمكن إلا أن يكون سيد شباب أهل الجنة.

نستطيع أن نستخلص السؤال الذي نعبر به عن امتناننا لشخصيةِ بعظمة الإمام الحسن عليه السلام لافتدائه أمة المسلمين بحقن دمائهم: كيف ساهَمَت الإشاعةُ في أنسنةِ حياةِ الإمام المجتبى عليه السلام.

ماذا تعني الكونولوجيا؟

لكلمة «كرونولوجيا» أي نظام تسلسل الأحداث، الذي هو أولاً، وقبل كل شيء، نظام طبيعي لتتابع الأيام المقسمة على أسابيع، وشهور وفصول وسنين وقرون، ويؤكد (رفاس،٢٠١٤) أن لكل أمة من أمم البشر تاريخاً تحتاج إليه في معاملاتها، وفي معرفةِ أوقات أزمنتها، وتنفرد به دون غيرها من بقية الأمم، وهذا يعني أنه يوجد العديد من التواريخ، يبدأ كل واحد منها، كأي كرونولوجيا عادية من حدث تاريخي أولي معين.

والكلمة في أصلها اليوناني ذات مقطعين، هما كرونوس، أو خرونوس، وتعني زمن، ولوغوس وتعني علم، وثمة العديد من التفرعات في شأن الزمن فيما يتعلّق بأنساق المعرفة والتجريب الإنساني المختلفة، مثل الموسيقا والفنون والكيمياء، وهي كلها ضرورية لفهم أي علم من حيث تطوره وتسلسله، وكيف تأثر بالحركة التاريخية، سواء داخل العلم، أو الفن نفسه، أو فيما يتعلّق بالأطر الخارجية في أشكاله كافة من موضوعات التاريخ والسياسة، والحِراك الكوكبي.(عباس،٢٠١٨)

ولهذا التسلسل الزمني تأثير على الإنسان، الذي يشكّل الانطلاق نحو الكينونة التي تُمكن من بناء نقاط القوة لدى الفرد؛ ليكون فاعلاً، بدلاً من أن يدور في أفلاك الوهن.(عوض الله،١٩٩١)

وإذا ما جاز الحديث عن التسلسل الزمني «الكرونولوجيا» بوصفه العمود الفقري للكتابة التاريخية، أمام الحقائق المتعلقة بالمكان، التي تعد بمنزلة المسرح الذي تُؤدَّى عليه أحداثُ التاريخ، ولكن يجب التنبيه إلى أن المسألة المتعلقة بالمكان والزمان، ليست أمراً يسيراً، بحيث يمكن المرور عليهما سريعاً، والمكان والزمان هما محصلةُ اجتماعية، ومثل إعادة تكوين الماضي، فهما مرتبطان بمفهوميْ السلطة والعقل، وهذان المفهومان هما تماماً «كالماضي» بناءات فكرية كثيرًا ما يتم تداولها بوصفها جزءاً من خطاب خفي في تشكيل السلطة السياسية، في الوقت نفسه، الذي يتم فيه إنكار التيارات المنافسة، التي تطالب بالزمان والمكان نفسيهما، وفي السياق الراهن، لا يمكننا أن نفصل هذه الآراء عن الصراع الدائر بين المذاهب الدينية المختلفة.(الشيخ،٢٠١٩)

ما معنى الإشاعة؟

الإشاعة أو الشائعة (Rumeur) ظاهرة اجتماعيّة بالغة الأهميّة، ويضاعَفُ من هذه الأهميّة شيوعُها في كلّ زمان ومكان، وإنّها مسلكُ مألوفُ من مسالك الجماعات، وتُعد الشائعات، وسيلة مؤثّرة من وسائل الدعاية السوداء، وأداة رئيسة من أدواتها؛ لأنّها تعملُ على بث الذعر، والكراهيّة، وتحطيم الروح المعنويّة، وإثارة عواطف الجماهير، وبلبلة أفكارهم، وخاصّة في أوقات الحروب والأزَمات، حيث يستولي على الناس الخوفُ والرعب.(عزّت، ١٩٨٣،ص:١٣)

هي موجودةٌ وُمؤثرة في أغلب الحضارات والثقافات عبر التاريخ؛ ليست وليدَة اليوم، إنها أحاديث يومية يتناولها الناس، ولها أهدافٌ وأغراض، ووسائل نقلٍ، حسب المجتمع، والبيئةِ التي تسُود فيها، فبعض المجتمعات القديمة تنتشر فيها أمورُ السحر والخرافة، كالصين ومصر، وبعض المجتمعات تنتشر فيها الفلسفةُ، كاليونان، والإشاعة قديمةٌ قِدَم الجنس البشري، ومنذ القدم عرَف رجال الدين ورجال السياسة، ورجال الحرب الأقوال، والأفعال التي تدفع الإنسان وتحركه، ففي مصر القديمة استعمل تحتمس الثالث الحيلة، والخديعة والمفاجأة في حروبه، خاصة عند فتح يافا في فلسطين، وفي الصين القديمة استعمل الشائعاتِ كثيرٌ من العرَّافين والعسكريين، وفي اليونان القديمة استخدموا الشتائم، والتشهير للتأثير على الروح المعنوية للعدو، ولقد أدت الشائعةُ إلى موت سقراط، بتهمة أنه كان يفسد أخلاق الَشباب في أثينا، ويدفعهم إلى التمرد والعصيان، (لكيالي،وآخرون،١٩٨٣)،ويعد المغول من أشهر مَنْ استخدم الشائعات في العصور الوسطى؛ فقد كانت الشائعات سببًا رئيسياً في انتصاراتهم؛ لِما أحدثته من رعبٍ في نفوس المسلمين. (عقيل،٢٠٠٨، ص:٢٦-٢٨)

لذا تُعد من أخطر الحروب المعنوية، والأوبئة النفسية، بل من أشد الأسلحة تدميراً، وأعظمها وقعاً، وتأثيراً، وليس من المبالغة في شيء إذا عُدت ظاهرة اجتماعية عالمية، لها خطورتها البالغة على المجتمعات البشرية، وأنها جديرة بالتشخيص والعلاج، وحرية بالتصدي والاهتمام لاستئصالها والتحذير منها، والتكاتف للقضاء على أسبابها وبواعثها، حتى لا تقضي على الروح

المعنوية في الأمة التي هي عماد نجاح الأفراد، وأساس أمن المجتمعات واستقرارها، وركيزة بناء أمجاد الشعوب والحضارات.(بدر،١٩٧٧ ، ص:١٣٤)

ينبغي على المجتمع المسلم أن يكون مجتمعاً متماسكاً متعاضداً، كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى، والإسلام وضع الأسس والقواعد التي تضمن مجتمعاً قوياً حصيناً ضد الأخطار الخارجية، وكذلك متيناً في جبهته الداخلية، لا تكاد تظهر فيه الفتن والقلاقل حتى تخمد نارها، وتنطفئ قبل أن تستشري وتستفحل، ومن أخطر الأسباب التي هي مدعاة لتكدير صفو المجتمعات، وزلزلة أمنها وأمانها انتشار الإشاعات، وشيوع الأخبار الكاذبة بين أفرادها.(قطب،١٩٩٨)

كما تؤدي دورًا خطيرًا في مختلف البيئات، والمجتمعات الإنسانية، قديمًا وحديثًا؛ لذا فإنها تؤثر على الأمن والاستقرار في المجتمع، خاصة في أوقات الأزمات والكوارث الطبيعية أو الإنسانية، وكلما زاد الغموض زاد حجم الشائعات وعظُم انتشارها، وتأخذ الشائعات أشكالًا مختلفة تبعًا للأوساط التي تنتشر فيها، وهي تهدِّد تماسك المجتمع وأمنه، وتحرِّك الانفعالات والعواطف لدى الجماهير، وتتنوع خطورة الشائعات مثل أهدافها وأغراضها، فلها أخطار سياسية، واقتصادية، وعسكرية، واجتماعية، ونفسية (الكيلاني، ١٩٨٥ ، ص:٥٣) ، وتبدأ أخطار الشائعات من الفرد الذي يقوم بترويج الشائعة؛ بوصفه إنساناً مهزوز الشخصية، يسعى من خلال الترويج للشائعات إلى تعويض جوانب النقص في شخصيته، كما يتحلى بصفة الكذب، ومعلومٌ خطورةُ الكذب في أي مجتمع، والشائعة لها القدرةُ على تفتيت المجتمع، والصف، والرأي الواحد، وتعمل على تضارب الآراء، فيصبح المجتمع الواحد والفئة الواحدة أمام الشائعات فئاتٍ متعددة، وتظهر خطورة الشائعات على عقل الإنسان، من خلال الأكاذيب، والترويج للأفكار الهدّامة، التي تجعل الإنسان أمامها في حيرة من أمره، بين التصديق والتكذيب، وخطورة الشائعات أيضًا على الدِّين، بالتشكيك في أصول الدين، وأحكام الشريعة، وبث الشبهات، والتأويل المذموم، وتكمن أيضًا خطورة الشائعات في زعزعة الثقة بين أفراد المجتمع، وقيادته الفكرية والعلمية، وذلك من خلال التشكيك في النيات، حتى تخلو الساحة من القيادات العلمية، والسياسية، والاجتماعية التي يحترمها المجتمع.(جعفر،٢٠١٩)

الإشاعة أو الشائعة معناهما واحد، والشائعة مفردة شائعات؛ وهي الخبر الذي ينتشر غير متثبت فيه (مقاييس اللغة، ٣/ ١٦٧) قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النور:١٩)، أي: أن يشيع خبرها؛ لأن الشيوع من صفات الأخبار والأحاديث، كالفشو، وهو اشتهار التحدث به.

يقول ابن منظور: (شاعَ الشيب: ظهرَ وتفرّق، وشاعَ الخبرُ في الناس شَيْعاً وشَيَعاناً، فهو شائع: انتشرَ وافترقَ وذاعَ وظهر، وأشاع ذِكرَ الشيء: أطارَه وأظهره، وقولهم: هذا خبر شائع، وقد شاعَ في الناس، معناه قد اتّصل بكل أحد فاستوى علم الناس به ولم يكن علمه عند بعضهم دون بعض، والشاعة: الأخبار المنتشرة، وفي الحديث: «أيّما رجلٍ أشاعَ على رجل عوْرةَ ليشينهُ بها»، أي: أظهرَ عليه ما يعيبه.(ابن منظور، لسان العرب،ج٨،ص:١٩١)

والإشاعة تُعَدُّ مِنْ أَهَمِّ أَسَالِيبِ وَوَسَائِلِ الْحَرْبِ النَّفْسِيَّةِ؛ لِأَنَّهَا تُسْتَعْمَلُ بِفَاعِلِيَّةٍ وَقْتَ الْحَرْبِ وَكَذَلِكَ وَقْتَ السِّلْمِ فِيمَا يُعْرَفُ بِالْحَرْبِ الْبَارِدَةِ، وَتَتَمَيَّزُ بِشِدَّةِ تَأْثِيرِهَا عَلَى عَوَاطِفِ الْجَمَاهِيرِ، وَقُدْرَتِهَا الْكَبِيرَةِ عَلَى الِانْتِشَارِ، وَفَاعِلِيَّتِهَا الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَبْدَأُ مِنْ وُصُولِهَا إِلَى الْمَكَانِ الْمُوَجَّهَةِ إِلَيْهِ، وَتَخْتَلِفُ الْإِشَاعَاتُ عَنِ الْأَسَالِيبِ الْأُخْرَى، فِي أَنَّ الْوَسِيلَةَ الَّتِي تَحْمِلُهَا وَتَنْقُلُهَا وَتَزِيدُ مِنْ حِدَّتِهَا هِيَ الْمُجْتَمَعُ الْمُسْتَهْدَفُ نَفْسُهُ، فَمَا أَنْ تَصِلَ الْإِشَاعَةُ إِلَى بَعْضِ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْتَهْدَفِ حَتَّى يَقُومَ بِرِوَايَتِهَا وَتَرْوِيجِهَا إِلَى كُلِّ مَنْ يَعْرِفُ.(المفلح، ١٩٩٥)

بَلْ لَا يَقْتَصِرُ الْأَمْرُ عِنْدَ حَدِّ الرِّوَايَةِ، أَوِ النَّقْلِ فَقَطْ، يَتَعَدَّى الْأَمْرُ إِلَى أَنَّ الشَّخْصَ الَّذِي يَنْقُلُ الْإِشَاعَةَ غَالِبًا مَا يُضِيفُ إِلَيْهَا وَيُبَالِغُ فِيهَا، وَرُبَّمَا اخْتَلَقَ أَجْزَاءً كَثِيرَةً مِنْ تَفَاصِيلِهَا، مِمَّا يَجْعَلُ الْفَائِدَةُ مِنَ الْإِشَاعَةِ أَعْظَمَ وَأَقْوَى مِنْ أَيِّ وَسِيلَةٍ بِالنِّسْبَةِ لِمُوَجِّهِ الْإِشَاعَةِ؛ لِأَنَّ الْجُمْهُورَ الْمُسْتَهْدَفَ قَدْ حَمَلَ عِبْءَ نَقْلِ الْإِشَاعَةِ إِلَى كُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ، مِمَّا سَاعَدَ عَلَى سُرْعَةِ نَقْلِهَا.(الهمص وشلدان،٢٠١٠)

الاشاعة في الإسلام:

لم تمر الدعوة الإسلامية بسلام، ومن دون ردود فعل مضادّة وعنيفة وشرسة، فمنذُ أن جهرَ رسول الله صلى الله عليه وآله بالدعوة إلى الله، وعالنَ قومه بضلال ورثوه عن آبائهم، قرّر

المشركون ألاّ يألوا جهداً في محاربة الإسلام، وإيذاء الداخلين فيه، وانفجرت مكّةُ بمشاعر الغضب، وظلّت عشرة أعوام تعدّ المسلمين عصاةَ ثائرين، فَزلزَلت الأرضَ من تحت أقدامهم، واستباحت دماءهم، وأموالهم، وأعراضهم، وصاحَبَ كلّ ذلك حرب عاتية من الشائعات المغرضة، والسخرية والتحقير؛ لتخذيل المسلمين، وتوهين قواهم المعنويّة، وتحطيم نفسيّاتهم، فرُميَ النبي ﷺ وصحابته بتُهم هازلة، وشتائم سفيهة، وأُشيعت حولهم الافتراءات، والأباطيل للحط من مكانتهم لدى الجماهير .

هذه الأباطيلُ قاومتها الشريعةُ بحرب شديدة من خلال إعطاء الحاكم حق النظر في إنزال العقوبة المناسبة على مثيري الإشاعات، ومروِّجيها التي تضر بأمن الأمة، بل قد قال طائفة من العلماء بأن له الحق في قتلهم؛ انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا * مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا * سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا ﴾ الأحزاب: ٦٠ - ٦٢؛ (الشثري،٢٠٠٢،ص:٢٤-٢٧)

هذا الحرص من القرآن الكريم كان قوامةُ توعية المسلمين، وتكوين الحسّ السياسي والإعلامي لديهم، لصيانة الرأي العام الإسلامي، وتحصينه من التأثّر بالإشاعات، والأكاذيب، والأراجيف التي يبثّها المندّسون، والمنافقون والخصوم؛ ليكوّن المناعة الفكريّة والنفسيّة، ويُفوّت الفُرص على أولئك المخرّبين، فتثبّت الأُسس والموازين اللازمة للإنسان المسلم، ليتمكّنَ من فحص وتمييز الإشاعة، والدعاية الكاذبة وفرزها، والوقوف بوجهها (مؤسسة البلاغ،١٩٩٢).

وكمسلمين ندرك جلياً أن الإشاعة مبنية على سوء الظن بالمسلمين، والله عز وجل يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [الحجرات:١٢] وقد أخرج الشيخان في صحيحيهما أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ﴾ كما نهى الإسلام أتباعه أن يطلقوا الكلام على عواهنه، ويلغوا عقولهم عند كل شائعة، وتفكيرهم عند كل ذائعة، أو ينساقوا وراء كل ناعق، ويصدقوا قول كل دعي مارق. (الجابري،٢٠١٩)

الإسلام لا يرضى الضرر أو ضِرار، ومن النصوص الدالة على حرمة إشاعة الكذب والإضرار بالناس: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ {النحل:١٠٥}، فلا شك أن في الإشاعة ترويعاً للمسلم وتخويفاً له، حتى سمي صاحب الخبر الكاذب فاسقاً، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات:٦)، كما وصف مطلق الإشاعة بمحب للشر، كالمرجفين الذين في قلوبهم مرض، فزادهم الله مرضاً، والذي يحب الشر للناس ليس مؤمناً، كما نص الحديث « لا يؤمنُ احُدكم حتى يحبّ لأخيهِ – أو قال: لجاره- ما يحب لنفسه».(الإمام مسلم: ١/ ٦٧-٤٥)

كَيْفَ تَعَامَلَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مَعَ الْإِشَاعَاتِ؛

* بِالرَّدِّ الْحَاسِمِ السَّرِيعِ الَّذِي يُبَيِّنُ الْحَقِيقَةَ بِكُلِّ وُضُوحٍ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨].

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: ١٣].

* بِتَنْمِيَةِ إِيمَانِ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَقْوِيَةِ رَوَابِطِهِمْ بِاللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَبِوَضْعِ حَدٍّ فَاصِلٍ وَاضِحٍ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥].

*وَبِالتَّحْذِيرِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ وَالْأَعْدَاءِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠].

*وَبِالتَّحْذِيرِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَأَشْبَاهِهِمْ، الَّذِينَ يَسْعَوْنَ دَوْمًا لِبَثِّ الْإِشَاعَاتِ الَّتِي تُفَتِّتُ الصُّفُوفَ، وَتُفَرِّقُ الْمُؤْمِنِينَ، وَتُبْعِدُهُمْ عَنْ هَدَفِهِمْ، وَتَفُتُّ فِي أَعْضَادِهِمْ وَعَزَائِمِهِمْ: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٩].

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ٤٧].

*وبالتَّحْذِيرِ مِنْ تَرْدِيدِ الْإِشَاعَاتِ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ أَوْ وَعْيٍ وَإِحَاطَةٍ بِأَبْعَادِهَا وَأَهْدَافِهَا: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللهِ عَظِيمٌ * وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمُ اللهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [النور: ١٥-١٧].

معنى مصطلح الأنْسنة:

عندما خلق الله الإنسان سخر له الكون، وعدّه المركز، ومسؤولاً عن نفسه، وبذلك جعل الحياة تتحرك في مداره، وأهلُه ليكون خليفته على الأرض، لكن هذه الخلافة قائمة على الإدارة لكل ما يحتاج إلية من تدبير، ورعاية لبناء الأرض وتعميرها، وقد منحَ الله سبحانه وتعالى الإنسان قوة المعرفة التي يستطيع من خلالها استيعاب كل ما حوله من الظواهر والموجودات، وأعطاه عقلاً يدرك به الخير والشر، والصلاح والفساد، لكن اختيار الخلافة تقوم على أسس منسجمة مع إنسانية الإنسان، لذا كانت الخلافة مسئوليةً لَمِنْ يحملها(فضل الله،٢٠٠١، ص:١٩٤)، ليُحقق من خلالها الأهداف التي من أجلها كان وجوده، بذلك ينسجم الإنسان مع معنى إنسانيته وحقيقة جوهرها، بإزالة حالة التضاد بين الأنسنة، والمعتقد الديني «الإسلام»، وبذلك يستشعر الإنسان مركز القوة الذي فتحه الله سبحانه وتعالى له، مستنداً بتفكيره على الوعي بذاته، وقدرات الله عز وجل، راداً ضعفه الإنساني أمام الله، بوصفه مصدر قوته الذي لا يزول إلا بقدرته سبحانه وتعالى.

تم استخدام كلمة "الأنسنة"، أو أنسنة الحياة، وأحياناً "النزعة الإنسانية"، بما يقابل كلمة humanizationالانكليزية وليس كلمةHumanism ، ترد كلمة Humanism في القواميس الفلسفية، والسياسية كمصطلح فلسفي، اختلف بل تنوع الكتاب في بيان معناه ودلالته، لكنهم يرجعونه إلى معنى واحد أساسي هو مركزية الإنسان، وغالباً ما يعطونَهُ معنى مقابلاً للدين أو لله، وهناك من يرى أن هذه النزعة هي من نتائج الاحتكاك الأوروبي الإسلامي، سواء في الحروب الصليبية أم في الأندلس.(صالح،٢٠٠٥، ص:٧٥)

هذا الترافق في مصطلح الأنسنة تزامن مع بداية التغيرات السياسية، والاجتماعية، والثقافية التي ظهرت إبان القرن التاسع عشر في أوروبا، وقد تَمثل ذلك في الثورة على القيم، والعادات التي أقرتها الكنيسة، مما مثل انقلاباً واضحاً في منظومة القيم، والقوانين والقيود التي كانت الكنيسة، ورجال الدين يفرضونها على المجتمع الأوروبي، فالدين آنداك كان محور الاهتمام، والمتحكم الوحيد في فرض القوانين، وفي كل أنماط الحياة الاجتماعية، لذلك لم يكن من الغريب أن يظل الإنسان الأوروبي تحت رحمة الكنيسة، ورجال الدين، فتتحكم في كرامته، وتسلب أمواله، وتتغير حياته بكلمة واحدة من رجال الدّين الذين كانت لهم العصمة، والسلطة المطلقة في كل ما يقرره من أحكام، وعقوبات، وباسم الكتاب المقدس. (شريعتي،٢٠٠٦، ص:١٠)

هذا الانفتاح الذي حظي به الأوروبي، كنا بعيدين عنه كمجتمعات إسلامية، فلقد غيبنا بسبب التأويل والفتاوى التي دمرت انتماءنا لديننا الحنيف، للأسف أضحى يلفنّا سياج من العتمة في ظل أنظمة سياسية إسلامية، لا تقوى على اتخاذ قرار ينصف إنسانها، أو تستثمر إمكانياتها لرفعة مواطنيها، واستقرارهم في المجالات كافة، فالرهان على بقاء المواطن العادي داخل حدود بلادنا الإسلامية، يخضع للكثير من التصورات المتضاربة، لعلنا نشهد تراجعاً وصل حداً، يرفض الكثير منا مجاراته، أو الوقوف في فخ استيعابه، لذا يشكل الانسحاب من فهم الفضاء العام واستيعابه، حالة خطرة، فقد تم تغييب إدراكنا لتأثير الدين، ووجوده في حياة الإنسان المسلم، حتى صارت حياتنا تقودها مؤسسات، أو جماعات تنشئ معرفتها وقراءتها وفهمها للدين، بناء على مصالحها الفردية، والتي هي طموحات، وأهواء سلطوية، اتخذت أوضاعاً جديدة.

لكن الأنسنة التي أحاول البحث في تفاصيلها تختلف عمّا ورد عن الأنسنة التي تّم تعريفها، من إحلال الرؤية الإنسانية للعالم والإنسان، والتي كان شرطها الأول: تحرير عقل الإنسان، وفتحه على التأويل الحر والمختلف، ففي الأنسنة يكون محور الاهتمام هو الإنسان، والإنسان الفرد الحر المتميز، حيث تعتمد علاقة جديدة بين الإنسان والنص، والإنسان والعالم، وتكون الأسبقية فيها للإنسان، أي إن الإنسان هو مرجعية ذاته، وهو الذي يؤول النص بعيداً عن

محدداته القبلية، ويعيد تشكيل العالم بما يتناسب وإرادته الحرة (كحيل،٢٠١١،ص:١٥)، الأنسنة التي اردت الكتابة عنها، تتداخل في حياتنا كمسلمين، أنسنة تتغلغل في تفاصيل يومنا، تشاركنا همومنا وأفراحنا، تعبر عن إنسانيتنا، وأنسنة الدين جزء من الأنسنة بصورة عامة، ويكمن تصورها في أنها تؤنس الإنسان وتعيده إلى إنسانيته، والإنسانية تكبر كلما انفتح الإنسان على ربه، فعند الانفتاح يدرك الإنسان صلته برب العالمين، وبذلك يشعر بأنه جزء منه، وليس وحده، وبذلك تتجسد العبودية لرب العالمين في حركة إنسانيتنا تجاه أنفسنا أولاً، وتجاه الحياة، وهكذا يتكامل الإنسان مع العالمين، وتتكاملُ طاقاتهُ وتتوازن، وبذلك تكبر قصة الحياة بمشاريعها وقضاياها لتكبر الحياة وتقوى.

ظهرت بوادر النزعة الإنسية في الأدبيات الفلسفية القديمة، التي تمحورت في القرن الرابع الهجري، التي تركزت حول الإنسان في المجال العربي الإسلامي، وهذا ما ندعوه بالأنسنة العربية، بمعنى وجودها في العصر السحيق في القدم، تمثلت بتيار فكري يهتم بالإنسان، وكل تيار يتمحور حول الإنسان وهمومه، ومشاكله، يعد تياراً إنسياً، أو عقلانياً، أو علمانيا(اركون،٢٠٠٠، ص:٦٠٥)، بذلك يشبه النزعة الإنسية الغربية التي ظهرت في عصر النهضة، وما زالت مستمرة إلى الآن.

انبثاق الفكر الأنسانوي في الحضارة الغربية، الذي يعلي من شأن الإنسان، ويجعله المؤسّس لقيمه، والمنتج للحقيقة، كان جزءاً من عصر الإصلاح الديني، حيث أصبح الإنسان محمور العناية، والأنسنة من حيث أنها تحرير للذات الإنسانية في وعيها لذاتها وللعالم، وتحريرها للإنسان من الرؤية اللاهوتية بإحلالها له في موقع المركز من الوجود، بجعل العقل الإنساني في مرتبة الحاكم الأول، وصاحب السلطة في كل ما يتعلق بمعارفه وإنجازاته وآماله. (كحيل،٢٠١١، ص:٥٢)

بناءً على ذلك، يحصل الإنسان سواء انتصر أو انكسر على مدح وثناء الناس، وتميل إليه قلوبهم، بعكس الإنسان الأول الذي خطط وأعد واستعد، فيبقى عادة من دون مدح وثناء من قبل الناس، تماماً كالبذرة تحت التراب، فإنها تتحرك، وتتحركُ إلى أن تظهر من تحت التراب

وتنمو، ويشتد عودُها، وتخضر ثم تورق وتزهر وتعطي ثمارها، والناس لا يرون إلا الثمرة، وربما نسوا فضل البذرة، أما قبل نموها فلا يظهر شيء منها، فإن البذر تحت التراب لا يظهر منه جمال ولا رائحة ولا لون ولا نضارة ولا طعم، مع أن كلّ هذه تترتب على حركة البذرة تحت التراب.(خوري،٢٠١٧)

أنسنه حياة الإمام المجتبى.

تشابكت المصطلحاتُ والمفاهيمُ التي تنتهك القيم الإنسانية والدينية، وحدث هذا نتيجة نزعة عرفت ب«نزعة الأنسنة» التي ظنت أنها تستطيع تخليص الإنسان من سطوة الإله، والاحتياج له، والاستغناء بالعلم والمعرفة، وأرادت بذلك أن تبني رؤيتها الكونية بعيداً عن نور الوحي الإلهي، من غير التفاف إلى الدين، وأن تقدم للإنسان بديلاً للتصورات الدينية، ولكنها للأسف لم تقدم للبشر السعادة والرضى، لأننا أمام سعادة مختلفة؛ لأن الزمن اختلف، فهو زمن المعارك، ما أن فتحت لا تنتهي على الإسلام والمسلمين، فالأنسنة التي تتجسد مضامينها في نبذ كل ما هو ضد قيم الإنسان والإنسانية، وتأخذ في تبعاتها القيم الدينية، تسعى إلى الانفتاح على كل ما هو كوني(عبيد وأبو زيد،٢٠٢٠)، يبعد الإنسان عن القيم الروحية، التي تسمو بفِكره وجسده، هذه السجالات التي أغدقت على البشرية، تتصل بالظروف العقدية الثقافية، لتشتت الإنسان عما يحيط به، ولننحو نحو الممارسة الأنسية في السياقات الإسلامية، لكننا أمام مفارقة كبيرة لحضارة تجسدت على أرض الواقع، وضربت جذورها الأرض لأكثرَ من أربعةَ عشر قرناً من الزمن، وأعطتنا نماذجَ لقادة عظام، رسّخوا بفكرهم، وسلوكهم المفاهيم الإسلامية، وردوا الشبهات عن رسالة عمقت كل المعاني الإنسانية، وعملت على تهذيب النفوس، بغيةَ تأسيس أمة مؤمنة وواعية بالعقيدة، والواقع السياسي للوصول إلى دولة العدل الإلهي.(خياط، ٢٠٢٠، ص:١٠٦)

الحياة تمثل جبهة الصراع بين الحق والباطل، ولكلّ جبهته، بوسائلَ وأدواتِ تؤيد ايدولوجياتها وخطواتها، وأحياناً تباركها، وأحياناً أخرى تقدسها، وتصبغها بصبغة شرعية، ومن جهة أخرى تهاجم الأعداءَ وتطعُن بالخصوم وتلصقُ بهم كثيراً منَ التهم، والافتراءات كنوع من الحرب الباردة، بخلط الأوراق على الناس، لتزييف الحقائق، وإشاعةِ الأمور والمفاهيمِ

المغلوطة، والعمل على انتشارها على نطاق واسع لإضعاف جبهة العدو، ومنذ القدم فطن البشر إلى أهمية هذا السلاح في تحقيق الأهداف، والمصالح المرجوة منه إذا ما استُثمر استثماراً صحيح، وبالإمكانيات المتاحة، وبحسب متطلبات كل عصر. (السويدان، ١٩٨٤)

رغم الصعوبات التي تضعنا أمام تجربة الكتابة عن سيرة الأئمة والتي نواجهها، ليس رغماً عنا، ولكن لأنها تجربة ثرية بالكثير من الأحداث، والمواقف، والمعلومات، والتي منحت لسيرنا الذاتية المعلومة المغلفة بقالب من المناقبية، فغياب الدراسات التحليلية، وفقدان المعلومة عن شخصية كالمجتبى حالمة وزاهدة، جعلنا نستنطق النصوص التاريخية لاكتشاف ما تم أغفاله عن حياة مفعمة بالإنسانية، ومحبة للعلم بأنواعه وأشكاله، ولنهضة حضارة تمت محاربتها ومحاصرتها، لذا كان همُّ سبْطِ الرسول الكريم، رصَّ صفوفِ الأمة للحفاظ عليها، متماسكةً اجتماعياً ودينياً.

فالروايات حول وصف الإمام المجتبى عليه السلام بأنه: سيّد وكريم وحليم وزاهد، ذو سكينةٍ ووَقارٍ وحشمة، جَواد مَمدوح ومن كبار الأجواد، وله الخاطر الوقاد، والسيّد المُحبَّب، والحكيم المقرَّب، كما قيل عنه سيّداً سخيّاً حليماً خطيباً، تنوعت بتنوع المؤلفين والأقطار، فكيف لا يكون كذلك، وهو سبْطُ الرسول؟ وابن البتول فاطمة الزهراء ؟.

عندما نكتب عن شخصية بحجم الإمام المجتبى عليه السلام، نستدركُ ما تعرضَ له من ظُلم وقهْر، من خلال قذفه بشائعات مغرضة، وهو القمة السامقة في النسب والأخلاق والورع والتقى، وهو روح لا تعرف أن تطأطئ للباطل رأساً، إذ واجَه المجتبى الكثيرَ من التحديات، وعلى كافة الصّعُد، التي مثلّت صراعاً بين الحق والباطل، وسادها العنف والاستبداد، لكن أئمة أهلِ البيت لم يكنْ هدفُهم الحكمَ بأي ثمن كان، وهذا ما حصل مع المجتبى، عندما تخلّى عن الإمامةِ في الصلح مع معاوية، فحصافتهُ وسعةُ إدراكه مكنته من التمتع بقدرةٍ عاليةٍ على فهم الظروف السياسية، التي تلتْ عهد خلافة والدِه الإمام علي عليه السلام، فالأنسنة السياسية التي تمتّع بها كان لها الحظوة الكبرى التي تمنع الفساد، والاستبداد لنظام سياسي، خاضَ معركةَ الوعي السياسي للحفاظ على المشروع الإسلامي، صاداً ثلة من الأراجيف التي كان يغلبُ عليها طابعُ الجهل لتأليب الرأي العام ضده، في ظرف سياسي حرج، ساده تعدد التيارات الدينية والفكرية والعقدية، لإبعاد المجتبى عن قواعده الشعبية الملتفة حوله .

القواعد التي خانته وتعمدت الإساءة إليه، واستخدمت بعض الأساليب المعتمدة التي تمتلئ بالأقاويل والخرافات، وتطلق الشائعات والأراجيف، وتعمل على نشرها في عامة الناس، التي يغلب عليها طابع الجهل والبساطة، كما قامت بوضع الأحاديث لإسباغ الصفة الشرعية عليها، فالصراع والتناحر كان على أشده في ظرف سياسي صعب، على أمة الإسلام التي لم تكد تستقر بعد مواجهة المارقين، فضلاً عن محاولة الأمويين ترسيخ دعائم دولتهم على خلفية الحراك الداخلي، من الأمويين وأتباعهم، من خلال حياكة المؤامرات والدسائس التي حاولوا فيها الانتقاص من شخصية الإمام المجتبى(البدري،٢٠١٢)، فاتبعوا الحِيَل والمكائد بإطلاق سلاح الشائعات، لتأليب الرأي العام ضد الإمام الحسن(عليه السلام)، في ظرف تاريخي حرج، لتعدد التوجهات والتيارات الدينية والفكرية والعقائدية والسياسية، وانعكاساتها على الأمة الإسلامية، فعمد القاسطون، والمارقون إلى تشويه سمعة الإمام لإبعاد الموالين له، محاولة منهم، لإضعاف خط الإمام، الذي حرّفه بنو أمية وفق أهوائهم ومصالحهم، وقاموا باتهام الإمام بالعديد من الافتراءات والتهم، ووضعوا فيها الأحاديث المكذوبة، وغالطوا الحقائق، وخلطوا الأوراق على عوام الأمة، ليشككوا بالإمام.

هو الإمام الثاني من سلسلة الأنوار الإلهية، وهو ابن أمير المؤمنين البكر، وابن سيّدة نساء العالمين الزهراء البتول (عليها السلام)، ولد يوم الخامس عشر من السنة الثالثة للهجرة في المدينة المنوّرة، وقد سمّاه النبيّ (صلى الله عليه وآله) بالحَسنَ، ولم يكن هذا الاسمُ معروفاً عند العرب، وهو الترجمةُ الحرفيةُ لاسم «بشر» ابن النبي هارون (عليه السلام)، كما أنّ الحسين (عليه السلام) هو الترجمة الحرفيّة لاسم «بشير» ولد النبيّ هارون (عليه السلام) أيضاً، ورَدَ في حقّه العديدُ من النصوص التي تدلّ على إمامته ومكانته عند الله وعند رسوله، فهو المشمول بآية التطهير وآية المباهلة، وآية المودّة في القربى، وفي الحديث عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) «اللهم إني أحبّه فأحبّه» و «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة» و «الحسن والحسين ريحانتاي من الدنيا فمن أحبّني فليحبّهما، ومن أبغضهما أبغضني، ومن أبغضني أبغضه الله وأدخله النار»، وقال (صلى الله عليه وآله) عنه وعن أخيه: «أمّا الحسن فله هيبتي وسؤددي، وأمّا الحسين فله جرأتي وجودي».(الشيخ،٢٠١٥)

نشأ الإمام الحسن عليه السلام في أجواء خاصة تملؤها المحبة، والحنان والرعاية الفائقة من لدن جده المصطفى صلى الله عليه وآله، ناهيك عن العناية الكبيرة، الذي بذلها أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب وفاطمة الزهراء عليهما السلام في تنشئته ورعايته، وهذا كله من سابقِ لطف الله وحكمته في اصطفاء أوليائه وحججه على خلقه، إلا أن الناظر إلى هذه الأجواء الخاصة يرى بوضوح العلاقة التي ربطت رسول الله صلى الله عليه وآله بالإمام الحسن عليه السلام ابتداءً من ولادته، فقد تلقاه صلى الله عليه وآله بيديهِ المباركتين وسماه، وأذّنَ بأذنه اليمنى، وأقام بأذنه اليسرى. (الزنجاني،٢٠٠٨، ج٦، ص٣٩١)

الحاجة إلى المحبّة، أو الشعور بها حاجة أساسيّة للإنسان، وخصوصاً في مرحلة الطفولة، والحبّ الذي يشعر به الطفل، له تأثير كبير على جميع جوانب شخصيّته الفكريّة، والعاطفيّة والسلوكيّة، ويكون تأثير المحبّة أكثر إيجابيّة، حينما يكون المحُبّ هو رسول الله صلى الله عليه وآله ومنْ فوقه الله تعالى، ويكون المحبوب هو الحسن عليه السلام المنحدر من سلالة طاهرة، والمُهيّأُ من قبل الله تعالى ورسوله؛ ليكون إماماً مفترض الطاعة، وحجّة على الإنسانيّة إلى يوم القيامة، وقد تواترت الروايات على تأكيد هذا الحبّ بعد التصريح به من رسول الله صلى الله عليه وآله في مناسبات عديدة. (الحسيني،٢٠٠٥)

عاش مع جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله سبع سنين، كان يشملهُ فيها بالرعاية والعناية والاهتمام، ولم يلبث أن فقد أمّه الزهراء عليها السلام بعد جدّه بشهور قليلة لم تتجاوز السنة على أكثر الروايات، وقد كان لهذين الحدثين أثرٌ كبيرٌ في حياة الإمام عليه السلام بقي يظهر عليه لمدة طويلة من حياته المباركة، وبقي مع أبيه ثلاثين سنة؛ أي إلى حين استشهاده بعدما ضربه اللعينُ عبدالرحمن ابن ملجم وهو في محراب الصلاة، في شهر رمضان المبارك، من سنة أربعين للهجرة، وبايعت الناس الإمام الحسن عليه السلام بالخلافة بعد أبيه، وتسلّم الإمام الحسن عليه السلام الإمامة في ظرفٍ عصيبٍ جداً. (الحائري، ٢٠١٣)

بذلك هو تربى في مدرسة التوحيد، وشاهد الرسول الكريم صلى الله عليه وآله الذي هو أكمل إنسان ضمه هذا الوجود، يقيم في كل حقبة من الزمن صروحاً للعدل، ويشيد دعائم الفضيلة والكمال، قد وسع الناس بأخلاقه، وجمعهم على كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة، فتأثر السبْطُ بذلك، وانطلق يسلك خطى جده في نصح الناس وإرشادهم.

لذا كانت سياسة الإمام الحسن (عليه السلام) مكملةً، لسياسة جده النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، فكانت تتسم بسياسة اللاعنف والنهضة، والسلام فضلاً عن الحكم الرشيد، فسياسة الإمام المجْتبى (عليه السلام) كانت نبراساً، والأرض الخصبة التي خططت لقيام ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) على الظلم.(الشيرازي،٢٠١٧)

وفضلاً عن أن الإمام حجة الله على أرضه، وكل عمل يقوم به هو بأمر الله تعالى، وفي صالح الإسلام والمسلمين، فإنّ الإنسان يمكنه، وبقليل من المطالعة، والتحليل السياسي لذلك الزمان الذي عاشه الإمام الحسن (عليه السلام)، وبمعرفةِ الشرائط الاجتماعية، والدينية، والسياسية الحاكمة في مجتمع ذلك اليوم، أن يعرف صواب موقف الإمام الحسن (عليه السلام)، ودوره العظيم، الذي كان حساساً جداً، ومناسباً تماماً، فقد قام (عليه السلام) بواجبه الشرعي بأفضل صورة من أجل الحفاظ على الإسلام والمجتمع الإسلامي.

عاصر الإمام الحسن (عليه السلام) خضم الصراعات السياسية، والاتجاهات العقدية المنحرفة بعد وفاة جده المصطفى (صلى الله عليه وآله)، حيث انحرفت الأمةُ عن خطها الرسالي، وابتعدت عن قيادتها الحقيقية والشرعية، نتيجة لبروز التيار السياسي الأموي، الذي حاول وبكل الوسائل الخبيثة تشويه، معالم الخط الأصيل وطمسه، وذلك على وفق دراسات وخطط اتخذت الطابع الديني، وسيلة في عملية التوغّل والتدرج في نفوس الأمة، وقد اتخذت هذه الممارسات أشكالاً مختلفة، من الاطروحات المنحرفة، وقد تجذّر وتعمّق هذا الخط في جسد الأمة الإسلامية علناً على الأرضية الاجتماعية، والسياسية، وراحَ يتلاعبُ بمقدراتها، وطاقاتها، وبشكل سافر.(الشيرازي،٢٠١٧)

كيف ساهمت الإشاعة في أنسنة حياة الإمام المجتبى؟

يمكن القول إن الأنسنة عبارة عن اتجاه فكري، وأسلوب فلسفي لحياة البشر، فما بالك بإمام كان من أزهد، الشخصيات الإسلامية وأتقاها، التي جاءت بعد أشرف البشر سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله)، فقد استهدفت حياته تحرير الإنسان المسلم من ربقة الأباطيل، القائمة على تعطيل فاعلية الطاقات الإنسانية، ودفعه إلى الاستغراق في الشهوات والنزوات، إلى إنسان منسجم مع إنسانيته وحقيقة جوهرها، بذلك يظهر الإنسان المسلم بصورة حضارية غير متناقض مع ذاته، بل منفتح مع بيئته الإسلامية، وهنا كان الفضل والدور للمجتبى، في تحرير العقل

الإسلامي من حبه للسلطة، والتمسّك بها، وكذلك تقديسه للمال والجاه، إلى نقله الإنسان في إطار آخر من الالتزام الديني، فقد بنى المجتبى في الإنسان بعد أن سيطر معاوية على الخلافة الإسلامية، صروحاً علمية بعيدةً عن التحريف، والتزوير للكثير من الأحاديث النبوية؛ فالإسلامُ يرفض التقليد في عالم الفكر، ويعطي للإنسان حرية الاختيار ما بين الخير والشر، وهذا شكّلَ عنصراً أصيلاً في معنى إنسانيته.(باشا،٢٠١٧)

من المعلوم وجداناً أنّ الأذية والخذلان حينما تقع من القريب تكون مرّة، ومؤذية إلى درجة عالية جداً، وقد لا تتصور، وواضح أن الإنسان يعيش لقيم ومعانٍ سامية بها، يحقق إنسانيته، وأهليته ليكون عنصراً من عناصر المجتمع البشري، إلا القلة من الأراذل الذين لا يعيرون لمثل هذه المعاني أيَّة قيمة، فالإنسان لا يستطيع أن يعيش وسط مجتمع لا يعرف مكانته ويقدر موقعه، ويستهدف هدفه، أو يلتقي معه في تصوراته حول الحياة والمجتمع، والطبيعة البشرية تطلب الحاجة إلى التقدير الاجتماعي من قِبلِ الآخرين، وهو مما تطمعُ به نفس الإنسان.

فالإشاعةُ إذا ما تجسدت بالفتن والأباطيل، تكون أعظم إثماً، وأشدّ ضرراً، إن تعلقت بأولي الأمر من الحكام أو العلماء؛ لأن إثارة الشبهات حول هؤلاء الأشخاص يفتح على المجتمع أبواباً عديدة من الفوضى، والمخاطر التي لا تدمر هؤلاء الأشخاص فحسب؛ بل تدمر ما يحملونه من مسؤولية، وهذا بدوره يؤدي إلى تمرد العامة عليهم، ومن ثم تحل الفوضى في المجتمع، خصوصاً إن كانوا من طائفة الحكام، فما بالك، إن كان المجتبى نفسهُ، والذي شكّل رأس الهرم الإسلامي في حقبة من أصعب الحقب التي مرت على الأمة الإسلامية، والتي كانت حبلى بالأحداث والحروب.(العنكوشي،٢٠١٦)

مثّلت الإشاعةُ العَامِل الأساسيّ لِما تعرض لهُ المجتبى من إيذاء سواء النفسي، أم الجسدي، والإنسان إذا ما واجه ظلماً أو قهراً يهب للدفاع عن نفسه، ويضحّي من أجل كرامته بكل القيم الأخلاقية التي اكتسبها عبر الزمن، فالكرامة، والشرف، والاحترام، قيم لا يقدر على خسارتها، إلا قليل الأصل، أو عديم الشرف، فمن به ذلة أو ضعة لا يستطيع التعايش بين الآخرين.

والإشاعة تُعد خبراً، أو مجموعة أخبار زائفة تنتشر في المجتمع انتشاراً سريعاً، وتتداول بين رعاعِ العامة، ودائماً ما تكون أخباراً شيقة، أو مثيرة، وتفتقر عادة إلى المصدر الموثوق(جعفر،٢٠١٩)، وقد ردّ القرآن الكريم على هذا اللون من الإشاعة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾(سورة النور،١٩)، وللشائعات آثار مدمّرة فقد تقضي على مجتمعات كاملة، لاسيما إذا ما دعمتها أطراف وتوجهات تدخل في حساب مصالحها، فهي تجعل من الصواب خطأ، ومن الخطأ صواباً، وعادة ما تسيطرُ على عقول المجتمع، وقد يصعب إبطالها أحياناً بعد أن تستشري في المجتمع، وتتمكن من قناعاتهم(نصر،١٩٦٧)، ولفداحةِ هذا السلاح المدمر، عرّفنا به قليلاً فالشائعات كانت إحدى الأسباب الخطيرة التي أدّت إلى تفكك المجتمع الكوفي، وجيش الإمام الحسن عليه السلام الذي عسكر في (النخيلة) لمواجهةِ جيش معاوية.

استعمال معاوية أساليب ماكرة في حربه مع الإمام المجتبى، أبرزها:

*بث الإشاعة في جيش الإمام الحسن عليه السلام المتمركز في النخيلة، فكان معاوية يشيع بأن الحسن عليه السلام يُكاتبُ معاوية على الصلح، فلِم تقتلون أنفسكم؟ وقد أحدث ذلك تمرداً كبيراً، وقد أوصل رسالة ماكرة أخرى إلى قائد الجيش، «عبيد الله بن العباس» بأن الحسن عليه السلام راسلني في الصلح، وهو مسلّم الأمر إليّ فإنْ دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعاً، وإلا دخلت وأنت تابع، كما أغراه بالمال فاستجاب لمعاوية، وفرَّ من جيش المجتبى، ومعه ثمانية آلاف من ذوي الأطماع والأهواء.

*وقام قيس بن سعد بن عُبادة بقيادة الجيش بوصية من الإمام الحسن عليه السلام وهدّأ الأوضاع في المعسكر، كما أشاعَ معاوية في المدائن أن القائدَ الجديد قيس بن سعد قد صالح هو الآخر معاوية، وألحقها بإشاعة ثانية أن قيساً قُتل، فأثّر ذلك أثراً عظيماً بأصحاب النفوس الضعيفة. (العاملي،٢٠٠٥)

*وإلى جانب الشائعات، عَمدَ معاويةُ إلى أسلوب الرشوةِ بإعطاء الأموال الكبيرة، والوعود بالولاية على مصر من الأمصار، أو القيادة على جيش، وحتى وصل الأمرُ إلى الوعد بتزويج إحدى بنات معاوية لمن يقتل الحسن عليه السلام (ابن حجر العسقلاني،١٩٠٩)، وهذا غاية في التدني الاخلاقي، وخساسةُ في النفس لتضلّ عن الحقّ.

كيف عالج الإمام المجتبى عليه السلام حرب الاشاعات؟

*من الصعب مواجهة مثل هذه الأساليب الماكرة التي تستهدف الإنسان، وتفرغه من محتواه العقلي، والروحي، والأخلاقي، وتتعقّد أكثر فأكثر حين يبلغ الانحراف مستوى مؤثراً في قناعة المخدوعين، وضعفاء النفوس، وقد اتخذت السياسة الأموية أساليب عدة لرسم منهج بديل عما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله.

لذلك واجه المجتبى الكثير من الأذى من قبل المقربين منه، فأصحابه كانوا من أوائل من وَجّه له النقد، والتقريع على إبرامه الصلح مع معاوية، على الرغم من تيقنهم، بأن الصلح كان لمصلحتهم جميعاً، ولاضطرار المجتبى عليه، مع محاولته تفاديه بكل الطرق، إلا أن خيانة المقربين منه اضطرته لعقد الصلح مع معاوية.(اليوسف،٢٠١٩)

وهنا تَمَثل الحلم الذي تمتع به الإمام المجتبى عليه السلام، إذ حاول امتصاص غضب من بقي إلى جانبه، لكن عباراتهم القاسية التي تَقطر سماً، مثل قول سفيان بن أبي ليلى للمجتبى:» السلام عليك يا مذل المؤمنين!!!» فرد عليه المجتبى عليه السلام، قائلا: ما أذللتهم، ولكن كرهت أن أفنيهم، واستأصل شأفتهم لأجل الدنيا».(آل ياسين،١٩٢٩)

* فضح سياسة معاوية وعدها لا إسلامية؛ فقد أشّر الإمام الحسنَ عليه السلام إلى عدوانية معاوية بإرسال الجواسيس، وأنه شمت باستشهاد أمير المؤمنين عليَ عليه السلام وهذه ليست من شيم ذوي العقل الراجح، وفي ذلك كله فضح لمعاوية.

لذلك عدّ الصلح أنسب الحلول للطرفين، لكن الذين عاشروا الإمام الحسن عليه السلام لم يعيروه أهميةً، ولم يعطوه موقعه المناسب في نفوسهم، وليت الأمر وقف عند هذا الحد، بل تعداه إلى التعدي عليه والتجسس لأعدائه، وتخذيله، وبيع أسراره، وتجاوز الأمرُ إلى محاولةِ تقييده، وتسليمه إلى عدوه، والشعور، والإحساس بمرارةِ كل هذا، أو قساوته لا يمكن تصوره.

*كما دعا الإمام الحسن عليه السلام معاوية إلى مبايعته، وطاعته، والدخول فيما دخل فيه المسلمون، وفي ذلك فضح للمنهج الأموي المخالف للخليفة الشرعي، فهو الذي حاربَ كذلك أمير المؤمنين علياً عليه السلام بعد أن بايعه الناس، وهذا خروج ثان منه على البيعةِ الشرعية.

* هدد معاوية الإمام الحسنَ عليه السلام بقوله:(فاحذر أن تكون منيتك على أيدي رعاع من الناس، وإن أنت أعرضت عما أنت فيه، وبايعتني وفيّتُ لك بما وعدت، ثم الخلافة لك من بعدي).(القرشي،٢٠١١)

خوف المجتبى على أمته من الفناء، وحرصُهُ على إبقاء حضارتنا الإسلامية زاخرة بالمعرفة، بعيدة عن التحريف، أجبرت المجتبى أن يقبل بألا ممكن، فقد اعتبرت المرحلة التي صالح فيها الإمام الحسن عليه السلام مُعاوية بن أبي سفيان من أصعب مراحل حياته عليه السلام، وأكثرها تعقيداً وحسّاسية، وأشدها إيلاماً، بل إنّها كذلك، وعلى مدى حياة أهل بيت رسول الله عليهم السلام، وقد غدى صلح الإمام عليه السلام منْ أهم الأحداث في التاريخ الإسلامي، بما استبطنت من موقف بطولي للإمام المعصومَ عليه السلام، وبما أدّى إليه من تطورات واعتراضات وتفسيرات مختلفة طوال القرون السالفة، وحتى عصرنا الحاضر، وألّف الباحثون المسلمون في توضيح الصلح وتحليله كتباً عديدة، وأصدر الأعداء والأَصدقاء أحكامَهم بشأنه.

* تأكيد إمامته عليه السلام وَشرعية مواقفه: في اجتماع الإمام عليه السلام بمعاوية في الكوفة بعد الصلح، وكان على غير رغبة من الإمام عليه السلام؛ لأنه رأى باطل معاوية قد استحكم، وجوره قد انتصر، فخطب معاوية بشكل قاس على الناس، وقال قولته الشهيرة: (وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم) وأخذ يسبّ ويشتم.

*الاتهامات التي يراد بها إسقاط الإمام عليه السلام، وتشويه سمعته في أعين الناس البسطاء، وأنه لا خبرة له بالحرب، ولا بالسياسة، ولا بالإدارة.

*هي عدم صلاحيته وكفاءته للخلافة، وقيادة الأمة الإسلامية، وهذا واضح في جنبات بحثه، وقد صرح بالسبب الذي دعاه إلى أن يعتقد بذلك بعد أن بيَّنَ بعض الروايات الدالة على شبه الإمام عليه السلام بجده المصطفى جسدياً ، قائلاً : «إلا أنه مهما كانت درجة التشابه الظاهري مع النبي صلى الله عليه وآله فإن الأخبار تدلّ على أن الحسن كانت تنقصُه القوةُ المعنوية، والشجاعة، والضبط النفسي، والقابليةُ العقلية لقيادة شعبه» (دونالدسن،١٩٩٠،ص:٨٩)

إنّ مسألة هدنة الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية، كانت من أعظم الأمور التي ابتُليت به الشيعة، فقد رفض كبارُ الشيعة هذا الأمر، وعاتبوا الإمام الحسنَ عليه السلام على مثل هذه الخطوة، وبعضهم جعل يشنع عليه، ولهذا يجب على الباحث أن يحيط بحيثيات هذه القضية إحاطة من جميع النواحي، وبخاصة أنها صدرت من شخصية مهمة، لها شأن كبير في الإسلام ليكون رأيه قريباً من الصواب، وبعيداً عن الخطأ، لاسيما إذا علم أنه من أهل البيت عليهم السلام الذين سياستهم كانت لا تتذرع بالوسائل التي شجبها الإسلام في سبيل الوصول إلى الحكم، وفي تحليل أسباب هدنة الإمام الحسن بن علي عليه السلام نعلم عظم شخصيته، وثبات مواقفه.

ومما زاد الطينُ بلة هو خيانة الجيش وخذلانهِ، نتيجة إغراءات معاوية، فغدروا بالإمام وانسحبوا من معسكره في غلس الليل، وخذّلوا عشائرهم وجبّنوهم من البقاء(اليعقوبي،١٩٩٣،ص:١٢١-١٢٢) تحت راية الإمام الحسن عليه السلام وفتحت باب الخيانة، والغدر ومهدت السبيل للالتحاق بمعاوية.

*التهمة الكبرى الأخرى التي لصقت بالإمام الحسنَ عليه السلام من دونِ وجه حق، وافتراء عليه، أنه رجلُ مزواجُ، ومطلاق حتى بلَغَ من تزوجهن المائة، وسمّي المطلاق، وخلق لعليّ أعداءً خطرين»، (دونالدسن،١٩٩٠،ص:٨٩) كان للحسن ستون زوجة، وعدد كبير من السرايا فنقرأ أن عدد نسائه الشرعيات بلغ الستين عدا السرايا، أو اللواتي تمتّع بهن، وقد ذكر أن عددهن كان بين الثلاثمائة والتسعمائة وقد طلّق كثيراً منهن فسمي بالمطلاق، وقد بلغتْ علياً عدة شكايات من أناس بارزين في أنّ الحسن كان يتزوج بناتهم ولا يلبث أن يطلقهن، وكان الجواب الوحيد لعلي هو أن لا ينكحونه بناتهم»(كريم،٢٠١٦)

لكثرة ما كتب عن أزواج الإمام الحسن عليه السلام:أن قالوا إنه إنما تزوج بهذه الكثرة إجابة لداعي الهوى، واشباعاً للشهوة، وما عرفوا أن الإمام بعيد كل البعد عن الانقياد لهذه الغرائز، فهو سيد شباب أهل الجنة، وهنالك من فند زواج الإمام: إنه لا مانع بحسب الشريعة الإسلامية المقدسة من كثرة الزواج، فقد ندب الإسلام إليه كثيراً: تناكحوا تناسلوا حتى أباهي بكم الأمم يوم القيامة ولو بالقسط، فقال: حتى يخرج مني من يكاثر به النبي صلى الله عليه وآله، إنما تزوج

بهذه الكثرة لتقوى شوكته، ويشتد أزره بالمصاهرة على الأمويين الذين بذلوا جميع جهودهم للقضاء على الهاشميين، وتحطيم كيانهم، ومحو ذكرهم، وهنالك من تحدث: إن أولياء النسوة كانوا يعرضون بناتهم على الإمام، ويلحون عليه بالتزويج بهن لأجل التشرف به، والتقرب إليه فهو سبْط النبي (صلى الله عليه وآله)، وسبطه الأكبر، ليَحظوا بالعز، والشرف بمصاهرة الإمام .

لا يُجافي الإمام المجتبى (عليه السلام) سنة جده، ولا يسلك أي مسلك يتنافى مع شريعته؛ إنها لو صحت لكان للإمام من الأولاد جمع غفير يتناسب معها، والحال أن النسابين، والرواة لم يذكروا للإمام ذُرِّيّة كثيرة، فإن الرقم القياسي الذي ذكر لها اثنان وعشرون ولداً، ما بين ذكر وأنثى، ولو كان الإمام (عليه السلام) كثير الأزواج، لكان له من الأصهار، ما يتناسب مع تلك الكثرة.

ولو كان الإمامَ (عليه السلام) كثير الزواج، والطلاق، كما يقولون لقالوا له: أنت لا تصلح للخلافةِ، لأنك مشغول بالنساء، لاتخذوه وسيلة للتشهير به، وجابهوه به عند اجتماعهم به فسكوتهم عنه، وعدم ذكرهم له، مما يدل على عدم واقعيته، وصحته.

*التهمة التي تُعد قاسمه للمجتبى، ادّعاؤهم أن الإمام المجتبى (عليه السلام) لم يكن على علاقة جيدة مع أبيه، وأخوته، قائلاً: «وبعد وفاةِ فاطمة في شرخ صباها لم تكن علاقته مع أبيه وأخوته على أحسن ما يرام»(دونالدسن،١٩٩٠،ص:٩٠)، العلاقة بين الإمام الحسن (عليه السلام)، وأبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، كانت على أحسن ما يرام، ولم تكن علاقة والد وولد، بل كانت علاقة معلم، وتلميذ، وهذا واضح تماماً من خلال الوصية الخالدة التي تركها لولده الحسن (عليه السلام)، بعد منصرفه من صفين.

وفي قوله الإمام (عليه السلام)،أما إني أمرتك وعصيتني، ثم أمرتك فعصيتني! فقالَ (عليه السلام): لا تزال تحن حنين الأمة! ما الذي أمرتني به فعصيتك! قال: أمرتك حين أحاط الناس بعثمان أن تعتزل، فإن الناس إذا قتلوه طلبوك أينما كنت حتى يبايعوك، فلم تفعل، ثم أمرتك لما قتل عثمان ألا توافقهم على البيعة حتى يجتمع الناس، ويأتيك وفود العرب، فلم تفعل، ثم خالفك هؤلاء القوم، فأمرتك ألا تخرج من المدينة، وأن تدعهم وشأنهم، فإن اجتمعت عليك الأمة فذاك، وإلا رضيت بقضاء الله، فقالَ (عليه السلام): والله لا أكون كالضبع تنام على اللدم حتى يدخل إليها طالبها.(ابن أبي حديد،١٩٥٩،ص:٢٢٦)

ومن التهم التي لا يستطيع أحد تخيلها، قال علي لابنه الحسن عليهما السلام عندما رآه يتوضأ: أسبغ الوضوء، فقال: قد قتلتم أمس رجلاً (كذا) كان يسبغ الوضوء، فقال علي عليه السلام: لقد أطال الله حزنك على عثمان!!! (البلاذري، ١٩٩٦، ج٣، ص:١٢) وهي من الروايات التي يتهم بها الحسن والده علي عليهما السلام.

الإمام الحسن عليه السلام لا يمكن أن يخرج عن طاعة أبيه البتة، لأنه يراه هو الإمام الشرعي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، كما أن المتصديين لقضية عثمان، والثائرين عليه إنما كانوا هم كبار الصحابة، مثل عمار بن ياسر، ومحمد بن أبي بكر، وأعيان الصحابة من المهاجرين والأنصار، وحينئذ كيف يتمكن الإمام الحسن عليه السلام أن يقف أمام وجوه كبار الصحابة.

هذه خلاصة الخزعبلات التي تُصور الحسنَ عليه السلام، من أكبر العاقين لأبيه، ومن أكبر المنحرفين، ليس عن أبيه فحسب، بل عن الإسلام، وتُصور علي بن أبي طالب عليه السلام الشخصية الضعيفة التي لا خبرة لها بالحرب، والأمور الإدارية، والسياسية، ويتهالك على الدنيا والمناصب والشهرة.، هذا هو علي الموجود في هذه الروايات، وهذا هو الحسن بن علي الموجود في هذه الروايات كذلك، ولكنهما غير علي بن أبي طالب عليه السلام نفس النبي، وابن عمه صلى الله عليه وآله ووصيه وزوج ابنته، وأبو ولديه.

الخاتمة

يساءل هذا البحث موضوعاً رئيساً، فيما كتب عن شخصية تتميّز بالحلم، والتسامح والزهد والعطاء اللامتناهي، وهو الإشاعة التي احتلت موقعاً أساسياً في حياة المجتبى، بسبب الأسوار التي صنعها التعصب القبلي، وفرضتها هيمنة السلطة على العقل الإسلامي الغض، بإجباره أن يكون تابعاً في ظل ممارسة العنف والإلغاء، بحيث أعْطتْ صورة منحرفة عن الإسلام والمسلمين، وفي هذا البحث تم إلقاء الضوء على شخصية المجتبى، الذي كافح من أجل فك الانغلاق الفكري للمسلمين(البركة،٢٠١٧،ص:٣)، بعد أن أصابهم الجهل، والتحريف، ليحرر العقل من القيود التي كبّلتهُ، من خلال استلهام الكثير من التجارب التي مَرَ بها الإمام المجتبى عليه السلام.

مثّل الإمام المجتبى عليه السلام، ثقافة إنسانية متنوعة في ظاهرها، متكاملة في باطنها، أو مضمونها، فوجوده تميز بالقيمة والمعنى، حيث احتوى فكرة على حديقة متنوعة، فيها كل أنواع العلوم والمعارف والمبادئ، التي كونت إنساناً متميزاً بثقافته، وحلمه، وزهده، يَرى الإنسانية كلها في كيانه، ويُعاين الكون من داخله.

وقد أدرك المجتبى عليه السلام القوة الفاعلة في الإنسان، التي أرشدته إلى رؤية نفسه في الآخر، وإلى معرفة نفسه من خلال الآخر، وزهده بالدنيا من أجل سعادة أكبر، وهي الآخرة بنعيمها، للاجتماع مع الأحبة من أهله، هذه المحبة التي جعلته يتيقن بوجود الإنسان في جامعة شاملة تدعى الأنسنة، وهي شعوره بوجود الكثرة في الوحدة، وبوجود الأفراد في الإنسان.

لا أستطيع القول بأني تبحرت في شخصية المجتبى، ولكن حاولت أن أنهل، ولو القليل مما كتب عنه، فتأملت ما دار في تلك الحقبة الزمنية من أحداث جسام، وأتساءل كيف أبدع المجتبى سَبْط رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه، وأصبح كياناً شاملاً، ساعياً لتوطيد دعائم عقلانيته المتسامية بمزيد من الوعي، والحكمة، والمنطق.

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم.
*السنة النبوية.
*ابن أبي حديد(١٩٥٩)، شرح نهج البلاغة،ج١، ط١، دار احياء الكتب العربية،ص:٢٢٦.
*ابن منظور(١٩٩٧)، لسان العرب، بيروت: دار صادر،ج٨،ص:١٩١.
*الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، ١/ ٦٧-٤٥).
*أركون، محمد(٢٠٠٠)، قضايا في نقد العقل الديني، ط٢، بيروت، دار الطليعة،ص:٦٠٥.
*آل ياسين، المجاهد الشيخ راضي(١٩٢٩)، صلح الحسن عليه السلام،ط٤، بيروت: منشورات الشريف الرضي.
*باشا، أحمد فؤاد(٢٠١٧)، بحوث ومراجعات في: ترشيد الفكر العلمي، ط١، القاهرة: نيوبوك للنشر والتوزيع، ص:١١-١٥.
*بدر، أحمد (١٩٧٧)، الرأي العام : طبيعته وتكوينه وقياسه ودوره في السياسة العامّة ، القاهرة ، ص: ١٣٤.
*البدري، سامي(٢٠١٢)، الإمام الحسن في مواجهة الانشقاق الأموي، ط١، قم، ص:٢٤٠-٢٤١.
*البلاذري، احمد بن يحيى(١٩٩٦)، أنساب الأشراف، تح: سهيل زكار ورياض الزركلي، بيروت: دار الفكر، ج٣،ط١،ص:١٢.
*بركة، سامي الكامل(٢٠١٧)، إشكالية الأنا والآخر بين الحضارتين الإسلامية والغربية، مجلة رواق الحكمة، ع(١)، جامعة الزاوية، ليبيا.
*الجابري، ابتسام بنت بدر(٢٠١٩)، ظن السوء بمن سلم من الأنام في ضوء الكتاب والسنة بإجمال، الرياض، المكتبة العربية.
*جعفر، هاني كمال(٢٠١٩)، اثر الشائعات في تفكيك المجتمعات وسبل المواجهة والاستقرار في الشريعة الاسلامية _دراسة فقهية تقويمية_ ورقة بحثية مقدمة للمؤتمر العلمي السادس القانون والشائعات، كلية الحقوق، جامعة طنطا.
*الحائري الشمري، حسن(٢٠١٣)، قبس من نور الإمام الحسن عليه السلام: دراسة موضوعية في حياة الحسن المجتبى عليه السلام، ط١، كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة.
*الحسيني، شهاب الدين(٢٠٠٥)، تربية الطفل في الاسلام، مركز الرسالة: سلسلة المعارف الاسلامية(٨)، ط٢.بيروت، لبنان.
*خياط، ندى بنت حمزه(٢٠٢٠)، مصطلح الانسنة وتجلياته في الفكر المعاصر(دراسة تحليلية نقدية)، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، م(٢٨)، ع(٦)،ص:١٠٥-١٣١.
*خوري، جنيد محمد(٢٠١٧)، عيون الحكم والعبر- مختارات من اقوال وكتابات الحكماء- الجزء الأول، ط٣، القاهرة: دار الآفاق العربية للنشر والطباعة والتوزيع.
*دونالدسن،دوايت .م(١٩٩٠)، عقيدة الشيعة، تعريب: ع. م.،بيروت: مؤسسة المفيد، ط ٢،ص٨٩.
*رفاس، نورالدين(٢٠١٤)، الفكر الغربي والتأويل» قراءة في كرونولوجيا المفهوم»، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، مجلد ٢٠١٤، ع(١٣)، ص: ١٦٥-١٧٧.
*السويدان، فهد(١٩٨٤)، الصراع بين الحق والباطل في سورة الكهف، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام ، السعودية.
*شريعتي،علي محمد(٢٠٠٦) الانسان والاسلام، بيروت: دار الامير للثقافة والعلوم،ط١،ص:١٠.
*الشثري، سعد بن ناصر(٢٠٠١)، مقاصد الشريعة ووسائلها في المحافظة على ضرورة العرض من خلال محاربة الشائعات، ندوة: اساليب مواجهة الشائعات،

اكاديمية نايف للعلوم الامنية، الرياض.
*الشيخ، عبدالرحيم(٢٠١٩)، الزمن الموقوت: نكبة فلسطين ومسارات التحرير، مجلة الدراسات الفلسطينية، مج(٣٠)، ع(١١٨)، رام الله، ص:١٦-٢٦.
*الشيخ، عبدالستار(٢٠١٥)، فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وأم الحسنين عليهما السلام،ط١، دمشق: دار القلم.
*الشيرازي، اية الله العظمى السيد محمد الحسيني(٢٠١٧)، ثورة الإمام الحسن، ط١، كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة.
*صالح، هاشم(٢٠٠٥)، مدخل الى التنوير الاوروبي، بيروت: دار الطليعة، رابطة العقلانيين العرب، ط١، ص:٧٥.
*عباس، ريام صالح(٢٠١٨)، الكرونولوجيا في التشكيل النحتي للحداثة وما بعد الحداثة، مجلة جامعة بابل، العلوم الانسانية، مجلد(٣٦)، ع(٦).
*عبيد، حسن حميد و أبو زيد، أحمد(٢٠٢٠)، البعد الديني للأنسنة رؤية نقدية من منظور إسلامي، مجلة الانبار للعلوم الاسلامية، ج٢، مج(١١)، ع(٤٣)، بحث(١٨)، ص:٧٤٤-٧٨٦.
*العاملي، علي الكوراني(٢٠٠٥)، جواهر التاريخ(سيرة الإمام الحسن عليه السلام)، ج٣، ط١، دار الهدى للطباعة والنشر.
*العاملي، جعفر(١٩٨٤)، الحياة السياسية للإمام الحسن عليه السلام في عهد الرسول صلى الله عليه وآله والخلفاء الثلاثة بعده، دراسة وتحليل، بيروت: دارة السيرة.
*العسقلاني، ابن حجر(١٩٠٩)، تهذيب التهذيب، القاهرة، دار الكتاب الاسلامي، ٧/ ١٧.
*- عزّت، محمد فريد محمود (١٩٨٣)، بحوث في الإعلام الإسلامي ، جدّة، ص : ١٣.
*عقيل، حسين(٢٠٠٨)، اسهامات معلم التربية الاسلامية بالمرحلة الثانوية في مواجهة الاشاعات: من وجهة نظر مشرفي التربية الاسلامية وميري المدارس الثانوية بمكة المكرمة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة ام القرى، السعودية،ص:٢٦-٢٨.
*-العنكوشي، حليم(٢٠١٦)، اللامعيارية لدى المناهضين والمشككين في الإمام الحسن عليه السلام قبل وبعد الصلح-دراسة تحليلية، مجلة العميد، مج(٥)، ع(٥ والخاص)ص:٢٥٦-٢٨٤.
*عوض الله، مها حسن(١٩٩١)، المكان في الرواية الفلسطينية(١٩٤٨-١٩٨٨)، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، اربد، الاردن.
*غوزي، مصطفى(٢٠١٥)، نزعة الانسنة باعتبارها تعقلاً وقدرة على الفعل(الجزء الأول)، مجلة لوغوس، ع(٣+٤)، ص:١٥٤.
*فضل الله،محمد حسين(٢٠٠١)، حوارات في الفكر والسياسة والاجتماع، اعداد وتنسيق نجيب نور الدين،ط١، بيروت: دار الملاك، ص: ١٩٤.
*قانه، حسينه(٢٠٠٩)، الاعلام الاسلامي في مواجهة العولمة، دراسة وصفية تحليلية في الصراع بين القيم-قناة الرسالة الفضائية نموذجا-، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية والاعلام، جامعه الجزائر.
*القرشي، باقر شريف(٢٠١١)، حياة الإمام الحسن ٢/ ٦٣، دار البلاغة للطباعة والنشر.
*قطب، محمد(١٩٩٨)، واقعنا المعاصر، ط١، القاهرة: دار الشروق.
*كحيل، مصطفى(٢٠١١)، الانسنة والتأويل في فكر محمد أركون، الرباط: منشورات الاختلاف، ط١،ص:١٥.
*كريم، زينب كامل(٢٠١٦)، اشكاليات في حياة الإمام الحسن عليه السلام، مركز احياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد.

*الكيالي، عبد الوهاب وآخرون (١٩٨٣)، (موسوعة السياسة) ٣: ٤٢٣ ، بيروت .
*الكيلاني، موسى زيد (١٩٨٥)، الإعلام السياسي والإسلام، بيروت ، ص : ٥٣.
*المفلح، مبارك(١٩٩٥)، الاشاعة ومخاطرها التربوية من منظور اسلامي، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الاردن، ص: ٦٠.
*مقاييس اللغة، ٣/ ١٦٧، والمفردات في غريب القرآن،ص:«٤٧٠»، والمصباح المنير١/ ٣٢٩، ولسان العرب ٨/ ١٨١، والمعجم الوسيط١/ ٥٠٣.
*مؤسّسة البلاغ(١٩٩٢)، مرتكزات أساسيّة في الإعلام القرآني، طهران ،ص:٢٦.
* نصر، حرب(١٩٦٧)، الحرب النفسية، ج١(معركة الكلمة)، ط٢، القاهرة: دار القاهرة للطباعة والنشر.
*الانصاري الزنجاني، اسماعيل(٢٠٠٨)، الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء عليها السلام، مسند أحمد بن حنبل، ج٦، ص:٣٩١.
*الهمص، عبدالفتاح وشلدان، فايز(٢٠١٠)، الابعاد النفسية والاجتماعية في ترويج الاشاعات عبر وسائل الاعلام وسبل علاجها من منظور اسلامي، مجلة الجامعة الاسلامية «سلسلة الدراسات الانسانية»، مج(١٨)، ع(٢)، ص:١٤٥-١٧٤.
*اليعقوبي ،أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (١٩٩٣)، تاريخ اليعقوبي،تحقيق: عبد الأمير مهنا،بيروت: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،ج ٢،ص ١٢١ - ١٢٢.
*اليوسف، عبدالله أحمد(٢٠١٩)، صلح الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، الدوافع والخيارات والدلالات والفوائد، ط٢، مركز الإمام الحسن عليه السلام للدراسات التخصصية

مفهوم العقل عند الإمام الحسن عليه السلام

دراسة موازنة مع مفاهيم القرآن

م.د. رائد حاكم الكعبي

المديرية العامة لتربية محافظة النجف الأشرف

ملخص البحث

يروم هذا البحث الكشف عن مفهوم العقل عند الإمام الحسن عليه السلام في خطابه وسيرته، فقد أورد الإمام عليه السلام في أقواله اشارات ومقولات ومواعظ تؤكد أهمية العقل وبيان فضله وشرفه، هذه الأهمية تأتي لما للعقل من دور كبير في رسم ملامح الإنسان الصالح، وبنائه بناءً علميًّا وعمليًّا محكمين. يقوم البحث على تحليل هذه المفاهيم وموازنتها مع مفاهيم العقل في القرآن الكريم. وقد انتظم البحث على المقولات المباشرة للعقل، وعلى المقولات غير المباشرة للعقل كالقلب والحكمة والفكر وغيرهما، وكذلك يبحث عن العقل بوصفه سلوكًا (تعقلًا) يغذي التصرفات ويهذبها، ويبحث عن العقل بوصفه قيمة حجاجية أو نسقاً برهاناًي منطقياً لرد خصومه والمعاندين لبيعته.

Abstract

The current research study aims to reveal the concept of reason according to Imam Al-Hasan , peace be upon him, in his speech and his biography. Its construction is scientifically and practically robust. The research is based on analyzing these concepts and in line with the concepts of the mind in the Glorious Quran. The research was organized on the main categories of the mind, and on the indirect statements of the mind, such as the heart, wisdom, thought, and the like . It is to search for the mind as a behavior , reason, that nourishes and refines actions , and searches for the mind as an argumentative value or a logical proving system to repel its opponents and those who persist in objecting his fealty .

أهمية الموضوع وأسبابه:

تنبع أهمية الموضوع من عدم وجود بحث أو دراسة مخصصة بشرح كلمات الإمام الحسن عليه السلام عن العقل ومقولاته، وإن وجدت شروح أو تعليقات على بعضها فهي كتب متفرقة، والأغلب دُونت من دون شروح أو وتوضيح، فجاء هذا البحث ليشرح خطاب الإمام حول العقل وما حمل من مضامين وأفكار ورؤى.

التمهيد: مقولات العقل ومساراته:

مفهوم العقل:

ليس بغريب على القارئ أنَّ هناك كمًّا هائلًا من التعريفات والتوصيفات بُذلت وما زالت لتحديد مفهوم العقل، كلٌّ بحسب مجاله واشتغاله؛ فمنها فلسفية ومنها فكرية (ابستمولوجيا) ومنها اجتماعية أخلاقية، ومنها أنثروبولوجيا وغير ذلك، فمن الصعب تحديد مفهوم العقل وحجْره في مجال خاص.

ففي اللغة ورد «العقل بمعنى: الحِجْر والنُّهى ضد الحمق»[1]، وقال الخليل: «العقل نقيض الجهل... ورجل عَقُول، إذا كان حسَنَ الفَهم وافر العَقل».[2]، « وقيل سُمِّي العقل عقلًا لأنه يمنع صاحبه عن التورط في المهالك»[3]، وأورد العسكري: «أنَّ العقل هو العلم الاول الذي يزجر عن القبائح وكل من كان زاجره أقوى كان أعقل»[4].

في القرآن الكريم

لم ترد لفظة (عقل) بصيغتها المباشرة، وإنما جاءت بصيغ عدة منها: يعقلون، تعقلون، عقلوه، نعقل، ويعقلها، وردت فيما يقارب الخمسين موقعًا من القرآن الكريم، ومعظمها تشير إلى التمييز بين الحق والباطل، وضرورة إدراك الحق والباطل، على حقيقتهما، وذلك من خلال التفكّر في ملكوت السماء والأرض ومخلوقات الله تعالى الأخرى[5]، وعجز الإنسان أمام نواميس الطبيعة وقوانينها، والتعقّل والتعلّم والتذكّر، والتدبّر والتفهّم، والتأمّل في أخبار الأمم السابقة[6]، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ الله لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(البقرة:٢٤٢) ﴿وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(النحل:١٢)، وهذه نقطة تلفت النظر، فيبدو إن

القرآن الكريم يهتم بـ(عمل العقل وآثاره) وليس بالعقل بحد ذاته[٧]، جاء ذلك في استعماله مصطلحات وكلمات العمل الفكري في آياته، من عقل وفكر، وإدراك، وشعور وإحساس، وكان مشفوعًا بـ(حركة)، ولم يكن استعمالًا تعريفيًّا، وهذا يقود إلى تأسيس مفاهيم وتصورات ورؤى، ويكاد أن يكون بعيدًا عن المجاز؛ فالقرآن يطرح جملة آيات لإجراء العقل عليها عبر نشاطاته المتنوعة، والآية ليست أمرًا غامضًا أو خفيًّا، بل هي حقيقة محسوسة، كأن تكون أرضًا، أو تكون علاقة بين شيء وشيء، أو تكون تجربة اجتماعية، أو تكون تشريعًا، الأمر الذي يساهم كثيرًا في تأسيس رؤية عن نظرية العلم في القرآن الكريم[٨].

فالعقل في القرآن الكريم هو فعل وسلوك كما هو السمع والإبصار، هذا الفعل أو السلوك الذي يطّلِع به الإنسان على الأشياء في نفسه وفي أفقه، مَثَله مثل البصر بالنسبة للمبصرات، فليس البصر مستقلًّا بنفسه، وإنّما هو فعل معلول العين، وكذلك العقل، هو فعل معلول لذاتٍ حقيقة، وهذه الذات هي التي تَميَّز بها الإنسان في نطاق الممارسة الفكرية، ألا وهي القلب، فالعقل للقلب كالبصر للعين[٩]، فالقلب هو حامل العقل، قال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ (الأعرف:١٧٩).

بهذا الفعل أراد الله تعالى أن يقولَ للإنسان: اقرأ كتاب الكون، وانطلق بعقلك لتعي كلَّ آيات الله في الكون والسُّنن والظواهر، لتطّلع على أسرارها، فتنفتح من خلال العقل على الله سبحانه وتعالى، لأن الإنسان كلما فهم أسرار الكون أكثر، عرف الله تعالى أكثر، وهناك آيات صريحة القول بأن الله تعالى أنزل القرآن كي يصنعَ للإنسان عقله، وأن ينمّيه ويطوره في حركة حياته في مجالاتها كلها[١٠]، ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف: ٢).

في الفلسفة:

عرض الفلاسفة - بشكل عام- نموذجين من التفكير بالعقل؛ الأول: التفكير (في العقل)، والثاني: التفكير (بالعقل)؛ فالتفكير (في العقل) يجعل من العقل موضوع التفكير، مشكلة التفكير، العقل هنا مسلط على العقل، على ذاته، على هويته، فهو أقرب إلى البحث الأنطولوجي(الوجود)، أما التفكير (بالعقل) فيعني أنك تتحدث عن العقل كأداة تفكير، أو

تعبير عن ممارسة العقل لوظيفته في الحياة، التي هي التفكير في الكون والطبيعة واللغة والأفكار، بمعنى هو الجانب التطبيقي للعقل، وهنا يدخل إلى حيز المجال المعرفي(الأبستمولوجي)(١١).

تحدثت لنا الفلسفة اليونانية وفيما بعد الإسلامية عن عقول عدّة، فقالوا: (العقل العملي والعقل النظري) و(العقل بالقوة والعقل بالفعل) و (العقل بالمَلَكة والعقل الهيولاني) وغيرها من العقول، لكن الجرجاني قدّم خدمة كبيرة في تعريف الكثير من هذه العقول بصيغتها القديمة، فقال: «العقل: جوهر مجرد عن المادة في ذاته، مقارن لها في فعله، وهي النفس الناطقة التي يشير إليها كل أحد بقوله: أنا، وقيل: العقل: جوهر روحاني خلقه الله تعالى متعلقاً ببدن الإنسان، وقيل: العقل: نور في القلب يعرف الحق والباطل، وقيل: العقل: جوهر مجرد عن المادة يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف وقيل: قوة للنفس الناطقة، وهو صريح بأن القوة العاقلة أمر مغاير للنفس الناطقة، وأن الفاعل في التحقيق هو النفس والعقل آلة لها، بمنزلة السكين بالنسبة إلى القاطع، وقيل: العقل والنفس والذهن، واحد، إلا أنها سميت عقلاً لكونها مدركة، وسميت نفساً لكونها متصرفة، وسميت ذهناً لكونها مستعدة للإدراك. وما يعقل به حقائق الأشياء، قيل: محله الرأس، وقيل: محله القلب»(١٢)، هذه التعريفات تثبت أن العقل عضو كسائر الأعضاء في الإنسان، لكنه غير مادي، وله وظيفة خاصة به، هي إدراك الغائبات أو العلاقات أو النتائج.

التعريف الأخلاقي للعقل:

شاع في التراث العربي والمأثور الإسلامي أن العقل في طياته وتضاعيفه لا يعدو النزعة الأخلاقية؛ فالعقل سلوك معاملاتي في كثير من التراث الأدبي للعرب، ومن ثَمَّ فالعقل يظهر بالمعاملة، فقد سُئل إعرابي عن العقل متى يُعرف؟ قال: إذا نهاك عقلك عمّا لا ينبغي فانت عاقل، ويقال: أَجَل الأشياء أصلًا وأحْلاها ثمرةً، صالحُ الأعمال، وحُسن الأدب، وعقل مُسْتَعمل»، ومما يُؤكَد هذا قولُ الشاعر:

أَلم تَرَ أنَ العقلَ زينٌ لأهْله ... وأنَ كمالَ العقْل طولُ التجاربِ(١٣)

فالعاقل بهذا المعنى الأخلاقي من يكون متوازنًا مع الأحداث، ويحسن التعامل مع الأشياء، ولا يجري مع هواه ، ويمسك نفسه في الغضب، وما إلى ذلك من السلوكيات والأخلاقيات المحمودة.

العقل في التراث الروائي الإسلامي

روي عن النبي محمد صلى الله عليه وآله: «قوام المرء عقله، ولا دين لمن لا عقل له»[١٤]، وعنه صلى الله عليه وآله: «قَسّم الله العقل ثلاثة أجزاء، فمن كُنّ فيه كَمُل عقله، ومن لم يكن فلا عقل له: حسن المعرفة بالله، وحسن الطاعة لله، وحسن الصبر على أمر الله»[١٥]، وقال الإمام علي عليه السلام: «ما عُبد الله بشيء أفضل من العقل[١٦]»، وقال عليه السلام: ثلاث يمتحن بها عقول الرجال، هن: المال، والولاية، والمصيبة[١٧].

سنكتفي بهذا القدر من الأحاديث؛ لأن ما يروى من هذا القبيل كثير، وهي تؤكد معرفة الله تعالى وطاعته، وترك المحرمات، والابتعاد عن النقائص، والتدبير وإصلاح الأمور، والاعتدال في الحياة والعلم، والابتعاد عن كل عمل غير ملائم، والاستقامة واتباع الحق.

والملاحظ أن هذه الأحاديث لم تتعرض لتعريف ماهوي للعقل، ويبدو أنها لم تكن صدفة؛ وذلك لأن المخاطَب لا يستطيع أن يعي ماهية العقل بشكل دقيق، فليس من السهل إدراك مراد النبي أو الإمام في هذا التعريف. ومن جانب آخر، كان تأكيد أهمية الجانب الوظيفي للعقل أكثر فائدة ونفعًا من وضع الحدود له.

مفهوم العقل عند الإمام الحسن عليه السلام

روي عن الإمام الحسن عليه السلام بعض الحِكم والمقولات التي تكشف عن جوانبَ من العقل وأنظمته، فالعقل عنده آلة تقود إلى بناء الإنسان بناءً رصينًا، وتنظيم علاقته مع ربه ومع الآخرين، فمما ورد عنه عليه السلام: **(العَقل: حِفظُ قَلبِكَ ما استَودَعتَهُ)**[١٨]، وفي رواية أخرى: **(ما العقل؟ قال عليه السلام: حفظ القلب كلّما استوعيته)**.

بلا شك أنّ العقل والقلب أداتان من أدوات المعرفة، فبالعقل نمسك الأشياء المعنوية كالأفكار والتصورات والمعاني، ونحبسها في القلب، فالعقل/ القلب هنا عملية حفظ لهذه الاشياء، لكن هل المراد من الحفظ عملية (استذكار واسترجاع) فقط؟ جواب الإمام من خلال هذا النص: لا ؛ لأن الحفظ الذي أراده عليه السلام هو حفظ مع استيعاب ووعي وإدراك وفهم، فليس من المعقول أن يحفظ الإنسان الأشياء القبيحة. فالإمام عليه السلام جعل العقل –هنا– بمعنى التقييم، لأن المعرفة قُسمت في العصر الحديث كما عند (ديفيد بلوم) إلى مستويات: (التذكر،الفهم، التطبيق،

التحليل، التركيب، التقويم)، ويعد التقويم أعلى مستويات المجال العقلي في هذا التصنيف[١٩]، فالإنسان مرّت عليه تجارب في الحياة أفاد منها معرفةً، ثم فهم هذه المعرفة وحلّلها إلى عناصرها الأولية بحسب تجربته أو تجاربه، ثم ركّبها بصورة جديدة، ثم قيّم هذه التجارب أو الحصيلة من تجاربه، والمهم بعد كلّ هذا بحسب ما يريده الإمام ﷺ الإفادة من هذه المعرفة في الحياة والتجارب الجديدة التي تواجهه، وهو المعبّر عنها بـ(الوعي / كلما استوعيته).

فالإنسان العاقل في نظر الإمام هو من يكتسب الأفكار والمعارف ويفهم كيف يستوعبها، وكيف تصرف في المسار السليم، لأن العقل قادر على أن ينهى عن القبيح.

هذه النظرة تتماشى مع قوله تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ (الحج: ٤٦)

فالمراد بالعقل في كلامه تعالى هو الإدراك الذي يتم للإنسان مع سلامة فطرته، وهو حثٌّ على أن يتفكر في نفسه في سبب هلاك الأمم البائدة، ويستحضر الحجج في ذلك فيتذكر أن الذي وقع بهم إنما وقع لشركهم بالله وإعراضهم عن آياته واستكبارهم على الحق بتكذيب الرسل فيكون له قلب يعقل به ويردعه عن الشرك والكفر هذا إن وسعه أن يستقل بالتفكير[٢٠].

وقد أشار السيد الشهيد الأول محمد باقر الصدر في صدد توضيح هذه الآية، وقال على الإنسان أن يقاوم النظرة العفوية والاستسلامية للأحداث، فكان الإنسان يفسّر التاريخ على أنه مجموعة من الأحداث المتراكمة فسّرها بطريقة عفوية أو بطريقة القضاء والقدر، القرآن نبّه الإنسان إلى أن هذه الأحداث لها قوانين وسُنن، وعلى الإنسان التفكّر والتعقل فيها[٢١].

ومما يطالعنا قوله ﷺ: **(العقل: التجرع للغصة حتى تنال الفرصة)**[٢٢]، ينبني هذا الحديث بحسب الاصطلاح الأصولي والفلسفي أيضًا بما يسمّى (العقل العملي) (ما ينبغي أن يعمل)؛ والإمام ﷺ يبيّن مفردة من مفردات العقل العملي، وهي ينبغي على الإنسان أن يصبر ويتحمل ولو كانت بعض الأمور مُرّة وغصصاً، لكي يصل إلى الغايات العظيمة، والفرص الثمينة.

فالإمام ﷺ ينطلق من نقطة جوهرية ملازمة للإنسان العاقل، وهي تحمل (الغُصَّة)؛ والغصة هي الشدائد أو الضغوط، فمعلوم أن الحياة قد تُعرّض الإنسان لضغوط لا يستطيع – ما لم

يستخدم عقله العلمي- تحملها، الإمام يدعو إلى الصبر وتحمل الشدائد حتى تنال الفرصة، وهنا يضعنا الإمام في نظام عقلي عملي يفرض علينا التفكير في ذواتنا، وفهم أنفسنا وحاجتها النفسية والجسدية؛ فالتجرّع للغصة تعطي استعدادًا داخليًّا للنفس على تكوين شخصية قادرة على تحمل الشدائد أو التماسك عند الإخفاق، ومن ثَمَّ تعطي قدرة للإنسان بالاستمتاع بالحياة والتعامل مع المشكلات والضغوط تعاملاً أفضل. وبعكس هذا قد يصاب الإنسان بأمراض الصحة العقلية كالاكتئاب والقلق.

هذا المرونة والتحمّل تجعل الإنسان العاقل ينتهز الفرصة مرة أخرى، فالفرصة تتكرر دائمًا في الحياة، وقد حثّ القرآن في مواطنَ كثيرة على الصبر وتحمل الشدائد إلى أن يفرج الله تعالى، من ذلك قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ (آل عمران: ٢٠٠) وقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾ (آل عمران: ١٨٦).

وفي رواية أخرى يقول عليه السلام: (**العقل: التجرّع للغصّة ومُداهنة الأعداء**)[٢٣]، فهذا الحديث أخصُّ من الحديث السابق؛ لأنه يتناول مفردة من الفرص، فالفرص كثيرة، فالإمام يتناول فرصة الفوز والانتصار السياسي والإداري الناتج عن ادارة ملف التعامل مع الأعداء، فمرّةً نتسّلح، ومرّةً نجهز الجيوش، ومرّة نقيم اتفاقيات دولية، ومرّةً نحارب، المهم تحديد المناسب للظرف الحالي، الذي نعيشه، وإن كان ذلك يسبب صعوبات وغصص، فالعقل يقول تحَمَّل الغصص من أجل أن تصل إلى ما تريد.

والمداهنة أن تظهرَ خلاف ما تضمر[٢٤]، وهنا يضعنا الإمام عليه السلام أمام حكمة سياسية، تقتضي مسايرة الأعداء، فالعقل السياسي الحصيف ينظر ويكشف ويخطط لعدوه؛ فإذا ما كان العدو لا يمكن مواجهته، أو تكمن خطورة في مواجهته تضرُّ بالمقابل أو بالمصلحة العامة، ينبغي مسايرته باستعمال طرائق أخرى غير المواجهة، تنفتح بانفتاح عقل القائد واستراتيجيته، وهذا طبعًا ألا ينافي الثوابت الشرعية.

والمداهنة قسمان: مرة مع الأعداء وتعني ادارة الملف السياسي بحنكة، ومرة مع الإخوان والأصدقاء الفساق العاصين، الذين لم يخرجوا بمعصيتهم عن الإسلام إلى الكفر، ولا تصح

مداهنتهم، أي قبول المنكر منهم، بل يجب ردّ المنكر وبيان معصيتهم، أما الأعداء فالمداهنة تعني الانتقال من حالة الحرب إلى حالة السلم والهدنة.

لذلك نرى القرآن الكريم يصوّر هذا التعامل مع الكفار، فتارة يقول: ﴿**لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ**﴾ (الكافرون:٢)، وتارة يقول: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ**﴾ (آل عمران : ١١٠)، فالقرآن عبّر بلفظة (أُمة) مع أن بعض أفرادها عاصين، ولكنهم ليسوا كفارًا، فالعقل يفرّق في التعامل مع الاثنين، فيقول: لا بدَّ من المداهنة مع الأعداء، إن اقتضت الظروف ذلك، ولا يصح المداهنة مع المسلم العاصي.

ومن كلام له قال: (**لَا أَدَبَ لِمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ، وَلَا مُرُوة لِمَنْ لَا هِمَّة لَه، وَلاَ حَيَاءَ لِمَنْ لَا دَيْنَ لَهُ، وَرَأس الْعَقْل مُعَاشَرَة النَّاسِ بِالْجَمِيل، وبالعقل تُدْرَك الدَّارَان جَمِيعًا، وَمَنْ حُرِمَ مِنْ الْعَقْلِ حرمَهُمَا جَمِيعًا**)[٢٥] يربط الإمام بين العقل والأدب في حكمته هذه، وإذا ما عرفنا أن العقل كامن في الإنسان، وغير ظاهر، فإنّ الأدب هو تجلٍّ من جوانبه الظاهرة، فالإمام يجعل من العقل مبعثًا للقيم ومعيارًا تبنى عليه فلسفة الأخلاق، وكلاهما مرتبط بالآخر بعلاقة تلازم وتضايف؛ فمن يتجرد من العقل لا أدب له، والعكس صحيح أيضًا. فالإمام عليه السلام ينفي نفيًا مؤكدًا بلا النافية للجنس وجود أدب بلا عقل. والأدب في فكره لا يخرج عن تصورات العرب له، بكونه «مَلَكَةٌ تَعْصِمُ مَنْ قامتْ به عمَّا يَشِينُه... وهو رِيَاضَة النَّفْسِ ومَحَاسِن الأَخلاق»[٢٦]، بمعنى هو مراعاة الضوابط في التعامل، كيف نتعامل مع الناس؟ فإذا راعى الإنسان الضوابط والقوانين والأعراف، فهو مؤدبٌ، والعقل هو مقنن لهذه الضوابط، فيقرر ما يجب فعله وما يجب تركه، فمن لا عقل له لا يعرف الضوابط، فكيف يكون له أدبًا؟

هذه الملكة ينميها العقل، ويوجه صاحبها توجيهًا سليمًا، فإذا فُقد العقل أعطى صورة لإنسان لا روح فيه، ولا يرتضيه الناس، ومن فقد الأدب إنهار ذلك البناء العقلي للإنسان. وهنا يمكن القول بأن الإمامَ عليه السلام جعل العقلَ مبدأ والأدب غاية، مبدأ يسعى منه الإنسان لخدمة مجتمعه وصلاحه.

ومن القضايا المهمة في هذا النص، أن الإمام عليه السلام يعطى تصوره عن تنظيم العلاقات الاجتماعية، فقد سلط الضوء على قضايا اجتماعية مهمة كالمروءة والحياء، لكن الجامع لتنظيم تلك العلاقات هو معاشرة الناس بالجميل، وقد جعلها رأس العقل، وهو لم يتطرق إلى مجتمع بعينه، أي لم يحصره بالمجتمع الإسلامي، وإنما انفتح على المجتمع الإنساني عامة، فالعقل هنا هو المشرّع أو المنظم لتلك العلاقات، والرأس هنا بمعنى الأصل أو الأساس، أو المركز، الذي لا قيمة للباقي من دونه. فالإمام يريد أن يبرز الجانب التنظيمي للدين من خلال العقل، فالدين الإسلامي جاء لتنظيم حياة البشر الدنيوية، كيف تعيش بسلام، بعدالة، بسعادة... فالأصل الذي ينطلق منه كل هذا التنظيم والتشريع هو العقل، ومن يريد أن يعيش سعيدًا في الدنيا، عليه بالعقل، ومن يعش سعيدًا في الدنيا سيكون سعيدًا في الآخرة.

وهذا الفرق بين المدرسة الإسلامية والمدارس الأخرى عند بني البشر، الإسلامية تنظم حياة الإنسان على وفق العقل، لا على وفق التجارب البشرية.

لذلك ترى أعقل الناس هم الأنبياء، إذ فازوا في الدنيا بالثناء والذكر الحميد، وفي الآخرة برضا الله سبحانه وتعالى وهو الفوز الأكبر. ولنا في رسول الله أسوة حسنة؛ فبواسطة عقله وأدبه أصبح محط أنظار السماء والأرض. قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)

(قال في خطبة له: اعلموا أن العقل حرز والحلم زينة والوفاء مروءة والعجلة سفه والسفه ضعف، ومجالسة أهل الدنيا شين، ومخالطة أهل الفسوق ريبة، ومن استخف بإخوانه فسدت مروءته ولا يهلك إلا المرتابون وينجو المهتدون الذين لم يتهموا الله في آجالهم طرفة عين ولا في أرزاقهم فمروتهم كاملة وحياؤهم كامل يصبرون حتى يأتي لهم الله برزق ولا يبيعون شيئًا من دينهم ومروءتهم بشيء من الدنيا، ولا يطلبون منه شيئا منها بمعاصي الله، ومن عقل المرء [و] مروءته أن يسرع إلى قضاء حوائج إخوانه، وإن لم ينزلوها به والعقل أفضل ما وهبه الله تعالى للعبد إذ به نجاته في الدنيا من آفاتها وسلامته في الآخرة من عذابها)[٢٧]

جعل الإمامُ عليه السلام العقلَ حرزًا (درع حصين) يقي الإنسان ويحفظه من مخاطر الحياة؛ فالحياة تحتاج إلى عقل سليم يتأمل كل ما يحيط به، يكتشف أسرارها، وينفتح على معانيها، وهو أفضل

ما وهبه الله تعالى إلى بني آدم، لكن هذه الهبة لم تكن اعتباطًا – حاشا لله- وإنما ليكونَ حجةً عليهم، فبه يثيب وبه يُعاقب، وبه نجاة الدارين.

لكن كيف ينجو الإنسان بعقله؟ الأفكار الخاطئة تقتل صاحبها، القرارات غير المدروسة تقتل أيضًا، فالإنسان المتعقّل تصدر منه مواقف عقلانية ايجابية، بمعنى أنه متحرزٌ بعقله. إذن حكمة الإمام عليه السلام تجعل من العقل أمنًا فكريًا يحصن الإنسان في دنياه. أما نجاته في الآخرة، فهي نتيجة لمقدمات جاءت في دنياه، فمن تحصن بالعقل من الأفكار المنحرفة والسلوكيات الخاطئة، سيسلم من عذاب الآخرة، فالعقل حاكم على كل قضايا الإنسان الدينية والدنيوية. قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**﴾ (الاسراء: ٧٠)

وقال عليه السلام: (**عَجِبْتُ لِمَنْ يَتَفَكَّرُ فِي مَأْكُولِهِ كَيْفَ لا يَتَفَكَّرُ فِي مَعْقُولِهِ، فَيُجَنِّبُ بَطْنَهُ ما يُؤْذيهِ، وَ يُودِعُ صَدْرَهُ ما يُرْدِيهِ**)[٢٨].

مقولة الإمام هذه تصوّب نظرها نحو طريق يصل به الإنسان الى الكمال، ومن ثَمَّ القرب من رضوان الله تعالى، الطريق هو طريق التفكّر واكتساب العلم والمعرفة؛ فالإمام يتعجب من اهتمام الإنسان بما يأكله وما يتبع ذلك من الاهتمام والاختيار والذوق والنظافة، ولا يهتم بما يغذي عقله من معلومات ومعارف، فيشبع بطنه ولا يُشبع عقله، فهو دعوة إلى بناء الجانب العقلي والفكري للإنسان.

وليس بخافٍ أنَّ «الانسان –أي انسان- يفطر على قوىً ثلاثة وهي القوى التي تبعث النفس نحو العمل وهي، الشهوية، والغضبية، والنطقية الفكرية فأما الشهوية فهي التي تبعث الانسان نحو استجلاب المنفعة بالأكل والشرب والنكاح واللبس ونحوها، واما الغضبية فهي التي تبعث نحو دفع الضرر والدفاع عن النفس عند مواجهة الخطر بكل أنواعه، واما النطقية الفكرية فهي التي تؤلف القضايا والقياسات وتنتهي الى التصورات والتصديقات التي تنتهي بالتالي الى الحكم في ما يواجهه الإنسان في عالم حضوره وذهنه»[٢٩]

فذات الإنسان إذاً مركبة من قوىً ثلاثة، مودوعة في جسمه وعقله، تسير كلها بنظم خاصة ولو اختلت هذه النظم بإفراط أو تفريط، زيادة أو نقيصة خرج المركب عن حدّه وبطلت الغاية في أصل التركيب، والغاية هي سعادة الانسان المندرجة تحت كماله(٣٠)، لكن قيمة الإنسان تكمن بارتقائه المعرفي والعقلي والروحي. والإمام عليه السلام في هذا يحرص على بناء انسان صالح متكامل، وإذا ما تحقق هذا فسينتج مجتمعًا نموذجيًا.

فالمعرفة الصحيحة هي قوت العقل، فإذا اكتنزها العقل تحولت إلى مادة تفكير، وبذلك ينشط العقل وينتعش، أما إذا لم يتزود العقل بهذه المعارف الصحيحة، فإنه يبور، بمعنى يصيبه الخمول الفكري، فيركض وراء التكرار والاجترار(٣١)، فلا يخوض في قضايا عميقة وجديدة واستشرافية.

وهذه هي نظرة القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**وَنَفْس وَمَا سَوَّاهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا* قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا* وَقَدْ خَابَ مَن دَسّاهَا**﴾ فيقول المفسرون: حين اكتملت خلقة الإنسان وتحقق وجوده، علّمه الله سبحانه الواجبات والمحظورات. وبذلك أصبح كائناً مزيجاً في خلقته من «الحمأ المسنون» و«نفخة من روح الله»، ومزيجاً في معرفته ما هو «الفجور» وما هو «التقوى». أصبح بالتالي كائناً يستطيع أن يتسلق سلّم الكمال الإنساني ليفوق الملائكة، ومن الممكن أن ينحط لينحدر عن مستوى الأنعام ويبلغ مرحلة (بل هم أضلّ). وهذا يرتبط بالمسير الذي يختاره الإنسان عن إرادة. فالله سبحانه قد منح الإنسان قدرة التشخيص والعقل، والضمير اليقظ بحيث يستطيع أن يميّز بين «الفجور» و«التقوى» عن طريق العقل والفطرة(٣٢).

قال الإمام الحسن عليه السلام : أوصِيكُم بِتَقْوَى الله، وإدامةِ التَّفَكُّرِ، فَإِنَّ التَّفَكُّرَ أَبُو كُلِّ خَيْرٍ وَأُمُّه (٣٣)

وفي وصية أخرى يقول: (**عليَكُم بالفِكرِ؛ فإنّهُ حَياةُ قَلبِ البَصيرِ ومَفاتيحُ أبوابِ الحِكمَةِ**)(٣٤)

ومن كلامه عليه السلام: (**إن هذا القرآن فيه مصابيح النور وشفاء الصدور، فليجل جالٍ بضوئه، وليلجم الصفة قلبه، فإن التفكير حياة القلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور**) (٣٥)

ثلاث وصايا أطلقها الإمام لإعمال الفكر، مرة يجعله أبًا لكل خير، وأخرى يجعله مفتاحًا لأبواب الحكمة، وأخرى يجعله نورًا يستنير به المؤمن في ظلماته.

في الوصية الأولى يبدأ الإمام بتقوى الله تعالى، فهي أساس سعادة الإنسان في دنياه

وآخرته، فحقيقة التّقوَى: «أن يجعل العبد بيْنه وبيْن من يخافُه ويَحذَره وِقايَةً يتّقي مِنه، فتقوَى العبد لِربّه أن يجعل بيْنه وبيْن غضب الله وسُخطُه وِقايَة مِن الأقوال والأفعال تقيّة مِن ذلِك. ويَدخُل في التّقوَى الكامِلة فعل الواجِبات وترُك المُحرّمات والشُّبهات وفِعل المُستحبّات وترُك المكروهات وذلِك أعلى درجات التّقوَى»[٣٦]. فالتقوى هي طريق الإيمان بالله والاعتقاد به وبآياته ورسله، لكن الإمام يربط ما بين التقوى والتفكّر؛ لأن التفكير بعظمة الله وصفاته وكمالاته إذا كان عن طريق العقل فهو أعظم الإيمان.

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللهَ**﴾ (النساء: ١٣١) فالتقوى هي دعوة لكل الأمم السابقة واللاحقة.

ثم يوصي عليه السلام بإدامة التفكّر؛ فكل قوة جعلها الله تعالى في الإنسان، هي لغاية ونتيجة، وعلى الشخص أن يُعمِل هذه القوة وإلا فهو يكون المسؤول عن حرمان نفسه من الخيرات والبركات التي تحصل له بواسطتها، فالتعقّل والتفكّر هي من أعظم النعم التي وهبها الله تعالى للإنسان[٣٧]، فالإمام يريد أن يضعَ حدًا فاصلًا بين العاقل والجاهل، فقيمة الإنسان بما يحمله من أفكار، وبواسطته يتجاوز حدود الحيوانية والصغائر، عن دون العقل والتفكّر ينحط الإنسان أسفل سافلين، قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾ (الملك: ١٠).

فالفرق بين الجاهل والعاقل في الافكار، هذا لديه ثروة من الأفكار وهذا بلا أفكار، هذا يتألق بالأفكار وذاك يتدنى بجهله، أفكار المرء تُكبر من مقامه ، فلا تاريخ ولا تقدم ولا رقي بلا تفكير وأفكار صالحة، فالنبي محمد صلى الله عليه وآله خلق أمة عظيمة بأفكاره، والفكر العربي مدين له أو لحركته، ولولاه لما وجد الفكر العربي، فقبل الإسلام لم يتبلور للعرب فكر خالص واضح المعالم[٣٨]، فالشعوب قادرة على تحقيق المنجزات العظيمة إذا امتلكت أفكارًا عظيمة.

الحكمة في معانيها المتعددة تعني: الفهم والعلم والكلام الموافق للحق وصواب الأمر وسداده، ووضع الشيء في موضعه، وهي صناعة نظر يستفيد بها الإنسان تحصيل ما عليه الوجود كله في نفسه، وما عليه الواجب مما ينبغي أن يكسبه فعله، لتشرف بذلك نفسه، وتسعد للسعادة القصوى بالآخرة وذلك بحسب الطاقة الإنسانية[٣٩].

وهنا ربط بين الفكر والحكمة، فلكي يكون العقل نافعًا لا بدَّ ألّا يتخلى عن الجانب

الأخلاقي، وإلا تحول العقل إلى سلعة ربحية نفعية، وربما قاتلة للإنسان « فالحكمة هي التي يمكن أن توجهنا وتحمي العقل من أعدائه الذين صنعهم بنفسه، وعندما يتخذ العقل والحكمة مسارات مختلفة، فلن يوجد مسار للسير[٤٠]».

كلام الإمام عليه السلام لا يخرج عن مفاهيم القرآن الكريم حول التفكّر، ﴿**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**﴾ (البقرة: ٢١٩).

وقال الإمام الحسن عليه السلام (**إذا طلبتم الحوائج فاطلبوها من أهلها قيل: يا بن رسول الله ومن أهلها؟ قال: الذين قصَّ الله في كتابه وذكرهم فقال: (إنّما يتذكر أولوا الألباب) قال: هم أولوا العقول**)[٤١]

يسلط الإمام عليه السلام الضوء على الأشخاص الذين يحق لنا أن نطلب الحاجة منهم، هم ليس كل الناس وإنما العقلاء. لماذا العقلاء؟ لأنهم الأقرب لتقدير الأمور من غيرهم، فالعاقل من يُحسن التصرف ووضع الأمور في محلها، وهو التقي والصالح والزاهد في دنياه – كما مرَّ- فلا يكون بالضرورة نفعيًّا، وإنما يحكمه الجانب الأخلاقي والعقلاني، وهو أكثر من غير انفتاح على الآخر، وعلى المجتمع.

فقد ورد أن فقيرًا جاء إلى الإمام عليه السلام " يشكو حاله ولم يك عنده عليه السلام في ذلك اليوم شيء فعز عليه الأمر واستحى من ردِّه فقال عليه السلام له: إني أدلك على شيء يحصل لك منه الخير، فقال الفقير يا بن رسول الله ما هو؟! قال عليه السلام اذهب إلى الخليفة فان ابنته قد توفيت وانقطع عليها وما سمع من أحد تعزية بليغة فعزِّه بهذه الكلمات يحصل لك منه الخير، قال يا بن رسول الله حفظني إياها، قال عليه السلام قل له **الحمد لله الذي سترها بجلوسك على قبرها ولم يهتكها بجلوسها على قبرك**، وحفظ الفقير هذه الكلمات وجاء إلى الخليفة فعزاه بها، فذهب عنه حزنه وأمر له بجائزة وقال له :

أكلامك هذا؟

لا: وإنما هو كلام الإمام الحسن.

الخليفة: صدقت فإنه معدن الكلام الفصيح وأمر له بجائزة أخرى"[٤٢]

فالإمام بعقله نفع الفقيرَ حتى وإن لم يكن له ما يعطيه. وبذلك تكون طلب الحوائج من غير العقلاء حَمْقًا؛ لأن فوت الحاجة خير من طلبها إلى غير أهلها وإن من يسأل غير المستحِق حاجة حطَّ لنفسه مرتبتين، ذلّ السؤال وذل الردّ، ورفع المسؤول فوق قدره، فالسؤال لا يخلو من ذلٍّ

حتى وإن كان مقرونًا بنجاح (٤٣)، وهذه الحكمة والفلسفة لطالب السؤال عليه أن يعي الأشخاص الذين يستحقون الطلب، وهي في الوقت ذاته تعريف بأصحاب العقول، لأنه موضع ثقة السائل.

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾. (الزمر: ٩)

ومن ضمن ما حاجج به بني امية يقول عليه السلام: **(وأما أنت يا عُتبة فما أنت بحصيف فأجيبك؛ ولا عاقل فأعاتبك؛ وما فيك من خير يرجى ولا من شر يتقى وما أنت وأمك إلا سواء فأما وعيدك لي بالقتل أفلا قتلت الذي وجدته على فراشك وشركك في عرسك؛ ولو كنت قاتلا أحدا لقتلته ثم أمسكتها عندك من بعد ما كان من بغيها ما كان؛ ووالله ما ألومك على سبك عليا؛ وقد قتل خالك مبارزة؛ واشترك هو وحمزة في قتل جدك فقتلاه)** (٤٤)

في هذا النص يخاطب الإمام عليه السلام على سبيل المناظرة- عتبةَ بن أبي سفيان، ويصفه بأنه غير حصيف ولا عاقل، وبذلك أراد أن يضع عليه السلام شرطًا للمناظرة القولية، هذا الشرط يقتضي مناظرة العقلاء، وأصحاب الفهم الثاقب، لأن المناظرة هي فن قولي يعتمد على «مباحثة عقلية تتم بجانبين في مهاد خلافي، هدفها الكشف عن الحقيقة والصواب» (٤٥) فتحتاج الى إنسان عاقل صاحب بصيرة وفهم، فمن لم يمتلك عقلًا لا تجوز مناظرته ولا مجادلته، لأنه لا يستطيع تجميع الأفكار ولا مراجعتها، فلا يستطيع الوصول إلى الصواب، وقد ردّ الإمام بذلك كل ما ادّعى به عتبة من قتل بني عبد المطلب لعثمان.

وقد ربط الإمام عليه السلام بين العقلاء والعتاب، فالعقلاء يعاتبون، لأن طبيعتهم العقلية تتقبل الآخر، وتتقبل النقد والمناقشة، فهم يتميزون بقوة النفس والحجة، ويعدّون العتاب وسيلة بناء وتقويم وتوجيه، أما الجهلاء فلا يعاتبون؛ لأنهم لا يتقبلون الرأي الآخر، وقد سُئِل حكيمٌ: «ما لكم لا تعاتبون الجهال؟ فقال: إنّا لا نكلّفُ العمْيَ أن يبصروا، ولا الصمَّ أن يسمعوا» (٤٦)، لذلك ترك الإمام محاججة عتبة، وقدّم له بعض البراهين الواقعية والتاريخية.

هذه النظرة تتماشى مع نظرة القرآن الكريم، من اقتران العلم أو العقل في المحاججة، قال تعالى:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ (آل عمران: ٦٥-٦٦)

وقال عليه السلام: **(الحمد لله الذي كان في أوليته وحدانياً، وفي أزليته متعظماً بالإلهية متكبراً بكبريائه، وجبروته، [خلق جميع] ما خلق على غير مثال كان سبق مما خلق،... وبعث فيهم النبيين مبشرين ومنذرين ليهلك من هلك عن بيِّنة، ويحيى من حي عن بينة وليعقل العباد عن ربهم ما جهلوه فيعرفوه بربوبيته بعد ما أنكروه، والحمد لله الذي أحسن الخلافة علينا أهل البيت)**(٤٧)

وصية الإمام تدعو الى التعقّل والتدبّر بمعرفة الله وتوحيده، فهي أساس الفكر والتعقّل، فلا تفكير بدون معرفة الله تعالى، وأعظم ثمرة للعقل هي معرفته سبحانه وتعالى، الإمام يريد من العباد أن يتفكروا ويتأملوا فيما أمر الله تعالى به، فلا يجهلونه ولا ينكرونه، وهو كلام يشمل أمرين: الأول معرفة الله تعالى وربوبيته وتوحيده، والأخرى: معرفة ما أراده الله تعالى، من الواجبات، وأهمها معرفة أصول الدين الخمسة، التي صرّح الإمام عليه السلام على اثنين منهما؛ وهما: (التوحيد، والإمامة)، الإمام جعل الخلافة حقًا لهم، وهي دعوة للعباد للتأمل والتعقل في هذا الحق وارجاعه الى مستحقيه.

وكذلك نراه يؤكد أحقيتهم بالخلافة مع مقتضى القرآن الكريم فمن خطبة له، يقول: **(أيها الناس اعقلوا عن ربكم ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين * ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم﴾ فنحن الذرية من آدم والأسرة من نوح والصفوة من إبراهيم والسلالة من إسماعيل وآل من محمد صلى الله عليه وآله نحن فيكم كالسماء المرفوعة والأرض المدحوّة والشمس الضاحية وكالشجرة الزيتونة لا شرقية ولا غربية التي بورك زيتها النبي أصلها وعلي فرعها ونحن والله ثمرة تلك الشجرة فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا ومن تخلف عنها فإلى النار هوى)**(٤٨)، الإمام عليه السلام في هذا النص يتطرق إلى أهم مسألة في التراث الإسلامي بعد وفاة الرسول محمد صلى الله عليه وآله وهي مسألة الخلافة؛ التي أصبحت من أشدِّ المسائل مبعثاً على النظر والتدقيق في الوقائع من جهة وفي القرآن من جهة أخرى، ولعلَّها أول المسائل التي تمرّس بها الفكر وتكوّن عبرها(٤٩). فقد دار حولها جدل مذهبيّ ومناقشات عقليَّة واسعة، الشيعة ترى أن الخلافة منصِبٌ إلهي، يختاره الله تعالى بسابق علمه، بينما ترى المذاهب الأخرى أن الرئاسة قائمة على الانتخاب والشورى(٥٠)، الإمام يدعو إلى إعمال العقل

في هذه المسألة، وهو يحاجج بالقرآن الكريم، بوصفه أعلى مراتب الحِجاج، وأكثرَ اقناعًا في القصد، الإمام استعمل النص القرآني لأنه يريد اشراك المخاطَب في المسألة التي يريد الإمام إظهارها، لأن القرآن هو دستور المسلمين جميعًا، وكذلك يريد اشغال فكره، لعله يؤدي إلى استقطابه، فالعقل حاضرٌ في هذا النص بوصفه وسيلةً أو طريقًا يصل به الإنسان لمعرفة الصحيح في الايمان والمذهب والعقيدة، ولقد نصّ العديد من أئمة أهل البيت على أنّ المقصود من (آل ابراهيم) هم نبي الإسلام والمصطفين من أهله أيضًا، لأن لفظة (الآل) تطلق على الأهل(٥١)، ولأن الله تعالى يصطفي المطهرين المعصومين لا الملوثين بالكفر والفسق(٥٢)، فالتعقّل والتدبّر في آيات القرآن يوصلان المرء إلى بناء عقيدة راسخة وصحيحة.

بعض جوانب التعقل عند الإمام الحسن عليه السلام

التعقّل هو مجال العقل العملي، بمعنى هو الخاصية العملية الأخلاقية للعقل، ويقصد به جودة الرويّة وإتقان الرأي وحصافته؛ فينبغي التمييز بين العقل النظري و العقل العملي، فمجال العقل النظري في الضروريات، بينما مجال العقل العملي هو الممكنات، أي التصرفات والأفعال؛ فالتعقل هو فن معالجة ما يتعدد من اختيارات ومن إمكانيات يمليها الواقع، فالتعقل هو انفتاح على الوجود والحياة. «فالإنسان المتعقل هو الذي يعتمد العقل في حياته لكي تكون أخلاقيته مطابقة لنمط تفكيره العقلي»(٥٣)، فهو يتكشف في الروح الأخلاقية، ومن ثم يؤدي إلى بلوغ السعادة(٥٤).

الإنسان المتعقل يعرف ماذا يفعل، ويدرك أبعاد المشكلة الزمنية والمكانية، يهتم بترتيبية الأفعال، ويميز بين ما هو ضروري، وما هو غير ضروري، ويعي التأثير إن كان آنيًا أم مستقبليًّا، ويفقه الموازنة بين الأولويات، ودائمًا ما يبحث عن المصلحة العامة أولًا ثم المصلحة الفردية. يعيش اللحظة ويستشرف المستقبل.

الإمام الحسن حياته كلها تعقّل؛ لأن المعصوم موفّق في جميع أفعاله، ولا بد من التسليم بصحتها، لكننا سنختار بعضًا منها على سبيل ربط البحث نظريًّا وعمليًّا، ومن يريد الاستزادة فليراجع سيرة الإمام الحسن في الكتب التي خُصصت لدراسة حياته.

من النماذج المختارة قوله في خطبة له: (**حِينَ صَالَحَهُ مُعَاوِيَةُ بِالنُّخَيْلَةِ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: قُمْ فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّكَ تَرَكْتَ هَذَا الْأَمْرَ وَسَلَّمْتَهُ إِلَيَّ فَقَامَ الْحَسَنُ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ أَكْيَسَ الْكَيْسِ التُّقَى وَأَحْمَقَ الْحُمْقِ الْفُجُورُ وَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي اخْتَلَفْتُ فِيهِ أَنَا وَمُعَاوِيَةُ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ حَقُّ امْرِئٍ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنِّي وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ حَقًّا هُوَ لِي فَقَدْ تَرَكْتُهُ إِرَادَةَ إِصْلَاحِ الْأُمَّةِ وَحَقْنِ دِمَائِهَا وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**)[٥٥]

جوهر هذه الخطبة قائم على فعل التعقّل، « فالإمام بعدما رأى ضعف معنويات عسكره، وافتراق أصحابه فتح وثيقة مع معاوية ليشترط هو ما يريده، ويفسح المجال أمام التفكير والتلاقي والحوار، وإبعاد شبح الصراع العسكري ولو مؤقتًا»[٥٦]، فالإمام وقع بين أمرين: القتال أو الصلح، ورأى أن الصلح هو الأفضل، عبر استعمال العقل، الذي يتأسس على مبدأ المفاضلة بين أمرين: (الحرب والسلم)، (الخلافة الحقيقية والخلافة الشكلية)، (عقل بالتقى وحمق بالفجور)، (خير وشر)، فالإمام لا شك سيختار السلم، لأن الحرب ليس فعلًا جميلًا في الحياة ما دام هناك خيار غيرها. وسيختار الخلافة الحقيقية؛ « لأن الخلافة بعد حصولها للإمام لا تخرج عنه بقوله. ولا تزول إلا اختيارًا، فأما مع الإلجاء والإكراه، فلا تأثير له[٥٧]، وقد ربط الصلح بالعقل والتقى، إذ ترك الإمام الحكم إلى تفكّر المخاطب، لمعرفة من هو أحق بها، بغير اعتراف صريح له، فقد أضاف كلمة حق إلى امرئٍ وهي نكرة غير معينة كنوع من عدم الإقرار له بالخلافة، ثم يختتم الإمام بآية يستبطن منها الفتنة التي حصلت، ويستشرف مآلات الصلح وزيف معاوية، «إذ نال ما أراد ومهّد للثورة الحسينية، فبعد مضّي أيام على توقيع معاهدة الصلح أسقط معاوية القناع عن وجهه فبدأ يعترف بنواياه... ألا وإنّي كنت منّيت الحسن وأعطيته أشياء، وجميعها تحت قدمي، لا أفي بشيء منها»[٥٨]، فالإمام يستشرف نتائج الصلح مستقبليًّا بقوة بصيرته وتعقّله للأمور، وربط الأسباب بنتائجها، فالعقل هو الهادي إلى هذا الربط، من خلال النظر إلى مواقف معاوية وسلوكه وغاياته.

ومما يتصل بجانب التعقّل الحِلمُ، ويُعرّف بأنه: «حبس النفس حتى تخضع لسلطان العقل، تطمئن لما يأمرها به»[٥٩] فهو ضبط النفس والطبع من هيجان الغضب[٦٠]، وذلك من خلال

سعة الصدر، وهو من نتائج العقل الذي يزن الأعمال – في حسنها وقبحها- بميزان النتائج السلبية والإيجابية، فيدفع الإنسان إلى الإيجاب ويبعده عن السلب(٦١)، فهو دليل عقلانية الفرد، فلا يكون الإنسان حليماً ما لم يكن راجحَ العقل، فمما يروى عن حلم الإمام الحسن وهو كثير نختار منه هذا النص: « **أن شاميًا رآه راكبًا فجعل يلعنه والحسن لا يرد فلما فرغ أقبل الحسن عليه السلام فسلّم عليه وضحك، فقال: أيها الشيخ أظنك غريبًا، ولعلك شبّهت؛ فلو استعتبتنا أعتبناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا أحملناك، وإن كنت جائعًا أشبعناك، وإن كنت عريانا كسوناك، وإن كنت محتاجًا أغنيناك، وإن كنت طريدًا آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حرّكت رحلك إلينا وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك، لأن لنا موضعًا رحبًا وجاهاً عريضًا ومالاً كثيرًا، فلما سمع الرجل كلامه، بكى ثم قال: أشهد أنك خليفة الله في أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالته وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إلي والآن أنت أحب خلق الله إلي وحوّل رحله إليه، وكان ضيفه إلى أن ارتحل، وصار معتقدًا لمحبتهم**»(٦٢). حِلم الإمام عليه السلام في هذا النص هو علاج مشكلة، إذ حاول عليه السلام أن ينفذَ إلى عقل الشامي وقلبه، ليقلبَ لديه الموازين، ويؤثر في سلوكه ويجعل منه محبًّا للإمام ولأبيه وعقيدته، فكمال عقل الإمام وحِلمهِ لم يجعلا من كلام الشامي دافعًا للعقوبة والانتقام، بل نجحا في امتصاص غضب الشامي، وبذلك نجح الإمام في تهذيب سلوك الشامي. هذا السلوك هو سلوك القادة الذين يريدون بناء الأمة بناءً سليمًا، ولذلك قال الإمام علي عليه السلام: «**مَن حَلم ساد، ومن ساد استفاد**(٦٣)». وبذلك يخطُّ منهجًا في التسامح والتعايش مع الآخر.

الصمت بوصفه فضاءً للعقل:

كثيرًا ما قُرن الصمت بالحكمة والوقار والسلام والأمان بل والعلم والفكر والفطنة، وهو سمة العقل الناضج والفكر الناشط، فهناك علاقة جدلية بين تمامية العقل وقلة الكلام، والصمت في محله فضيلة(٦٤). الإمام الحسن عليه السلام تكلّم كثيرًا في حياته، في خطبه، واحتجاجه، وفي نصحه، وغالبًا ما يتحف مستمعيه بفكرة أو نصيحة، لكنه في مواضع فضّل الصمت والسكوت والتأمل قبل جوابه، بمعنى ترك فرصة للعقل أن يفكر ثم يجيب، فمما روي عنه أنه جاءه

رجل وقال: «**يا بن رسول الله صف لي ربك حتى كأني أنظر إليه، فأطرق الحسن بن علي عليه السلام مليًّا، ثم رفع رأسه، فقال: الحمد لله الذي لم يكن له أول معلوم ولا آخر متناه، ولا قبل مدرك ولا بعد محدود، ولا أمد بحتى ولا شخص فيتجزأ، ولا اختلاف صفة فيتناهى فلا تدرك العقول وأوهامها، ولا الفكر وخطراتها ولا الألباب وأذهانها صفته، فتقول: متى ولا بدئ مما، ولا ظاهر على ما، ولا باطن فيما، ولا تارك فهلا، خلق الخلق فكان بديئاً بديعاً، ابتدأ ما ابتدع، وابتدع ما ابتدأ، وفعل ما أراد، وأراد ما استزاد، ذلكم الله رب العالمين**»[٦٥]، فلم يتسرع الإمام بالإجابة، فأطرق رأسه مليّا بمعنى صمت لكي يتأمل ويفكر في الجواب المناسب، فليس هنا سرعة الإجابة مطلوبة وإنما في عرض وإقناع المقابل بالإجابة.

وقد يكون الصمت محمودًا لاسيما إذا كان متماهيًّا مع الحِلم، «**قال رجل من أهل الشام قدمت المدينة بعد صفين فرأيت رجلًا حضرنا فسألت عنه فقيل الحسن بن علي عليهما السلام فحسدت عليًا أن يكون له ابن مثله فقلت له أنت ابن أبي طالب قال أنا ابنه فقلت له بك وبأبيك فشتمته وشتمت أباه وهو لا يرد شيئًا فلما فرغت أقبل علي، قال: أظنك غريبًا ولعل لك حاجة فلو استعنت بنا لأعناك...**»[٦٦]، فعدم رد الإمام على ذلك الرجل، هو نوع من الصمت في الموقف الذي يتطلب رد فعل عنيف، لكن الإمام حكّم عقلَهُ ولم يرد عليه، وترك أيضا للعقل فسحة من التفكير والتأمل قبل الرد عن طريق الصمت، «فالإنسان عندما يصمت يكون في حوار مع نفسه، متحدثًا في فكره»[٦٧].

وقد ورد عنه أحاديث وحكم حول الصمت، منها: «**نعم العون الصمت في مواطن كثيرة وإن كنتَ فصيحًا**»[٦٨]، «**الْمِزَاحُ يَأْكُلُ الْهَيْبَةَ، وَقَدْ أَكْثَرَ مِنَ الْهَيْبَةِ الصَّامِتُ**»[٦٩]، «**كفاك من لسانك ما أوضح لك سبيل رشدك من غيك**»[٧٠]. «**وسئل عليه السلام عن الصمت فقال: هو ستر الغي، وزين العرض وفاعله في راحة، وجليسه آمن**»[٧١]، فمجمل هذه الحكم تنصّ على أن الإمام يوصي العقلاء بقلة الكلام- تبعًا للموقف والغاية- فليس الصمت ناجح في كل المواقف، خاصة إذا كان الحديث فيها يستوجب التفصيل، يوصيهم بالخلاصة في الكلام والإيجاز المفيد، وترك ما لا فائدة منه، وترك اللغو والمزاح، فانه ينافي فضيلة الصمت، وعلى الإنسان أن يكون منصتًا جيدًا، قبل أن يكون متكلمًا جيدًا.

النتائج والخلاصة

كشفت هذه الدراسة عن بعض مقولات الإمام الحسن عليه السلام عن العقل والفكر والتعقل، وخلصت إلى النتائج الآتية:

١-العقل عند الإمام عليه السلام هو الفكر الموافق للطاعة الالهية، وأما ما كان موافقًا للمعاصي والآثام فليس بعقل.

٢-العقل عند الإمام لم يفارق المفهوم الأخلاقي الذي سار عليه القرآن الكريم، والسيرة النبوية.

٣-ربط الإمام العقل بالإيمان بالله تعالى ومعرفة ربوبيته.

٤-العاقل عنده من يكون حسن المعاشرة وحليمًا.

٥-العاقل هو المتقي الحليم، الصابر.

٦-أظهر البحث بعض جوانب التعقّل عند الإمام، كالصمت واتخاذ القرارات الصائبة.

٧-بالعقل أظهر أحقيته بالخلافة، وكشف أباطيل بني أمية.

الهوامش

1-لسان العرب، مادة (عقل)، ابن منظور، تعليق، خالد رشيد القاضي، دار صبح، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٦، ٩/ ٣١٩.
2-مقاييس اللغة، لابن فارس، تح، عبد السلام محمّد هارون، مكتب الإعلام الإسلامي: ٤/ ٦٩.
3-لسان العرب: ٩/ ٣٢٠.
4-الفروق اللغوية، ابو هلال العسكري، تح، محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر:٨٣.
5-ينظر: العقل العربي وإعادة التشكيل، عبد الرحمن الطريري، سلسلة كتاب الأمة، قطر، ١٤١٣هـ، ط١: ٣٥.
6-ينظر: مصطلح العقل في القرآن الكريم ووسائل الحفاظ عليه، باي زكوب عبد العالي، ياسر طرشاني، مجلة التراث العالمي، ٢٤/ ١٢/ ٢٠٢٠.
7-ينظر: العقل- قراءات في اشكالية العقل عبر المدارس الفلسفية المتنوعة، غالب حسن الشابندر، دار العارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، العراق- النجف، ط١، ٢٠١٤: ٢٨.
8-العقل- قراءات في إشكالية العقل عبر المدارس الفلسفية المتنوعة: ٢٩.
9-العمل الديني وتجديد العقل، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٩٧: ١٨.
10-ينظر: العقل في القرآن الكريم، السيد محمد حسين فضل الله: : ١٠،١٤ .
11-ينظر: العقل- قراءات في إشكالية العقل عبر المدارس الفلسفية المتنوعة: ٣١.
12-التعريفات، الجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٩٨٣م: ٥٢.
13-العِقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، تح: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣، ٢/ ١١١.
14-بحار الأنوار، العلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء، ١٤٠٣ هـ.ق: ١/ ٩٤.
15-ميزان الحكمة، محمد الريشهري، دار الحديث، قم ، ط١، : ٣/ ٤٣١.
16-المصدر نفسه: ج٣/ ٢٠
17-المصدر نفسه: ٣/ ٤٣٤.
18-موسوعة كلمات الإمام الحسن: اعداد لجنة الحديث في معهد تحقيقات باقر العلوم، منظمة الإعلام الإسلامي، دار المعروف، قم، ٢٠٠٢: ٣٣٥، ٣٤٠.
19-ينظر: تصنيف الأهداف التربوية، ديفيد بلوم، وآخرون، تر، محمد محمود الخوالد، وصادق ابراهيم، دار الشروق، جدة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٩٨٥: ٢٢.
20-ينظر: تفسير الميزان، الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٩٩٧: ١٤/ ٣٩٠.
21-ينظر : المدرسة القرآنية ، الشهيد السيد محمد باقر الصدر ، دار الكتاب الإسلامي، ط٢، ٢٠١٣: ٥٦.
22-ميزان الحكمة: ٣/ ٤٠٧.

٢٣-موسوعة كلمات الإمام الحسن: ٣٤٣.
٢٤-لسان العرب:٤/ ٤٢٣، مادة (دهن).
٢٥-موسوعة كلمات الإمام الحسن: ٣٣٤.
٢٦-تاج العروس من جواهر القاموس المؤلف، الزَّبيدي ، تح: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية: ٢/ ١٢.
٢٧-موسوعة كلمات الإمام الحسن: ٣٤٤-٣٤٥.
٢٨-موسوعة كلمات الإمام الحسن : ٣٢٦.
٢٩-التربية الروحية في فكر الإمام أمير المؤمنين ﵇، أم علي مشكور، مقال منشور في دار الزهراء الثقافية وعلى الرابط: https://www.darolzahra.com/articles/623
٣٠-التربية الروحية في فكر الإمام أمير المؤمنين ﵇.
٣١-العقل: قراءات في اشكالية العقل عبر المدارس الفلسفية المتنوعة: ٢/ ٢٢٧.
٣٢-الأمثل في تفسير كتابِ الله المُنزَل، نَاصر مَكارم الشِيرازي، مطبعة أمير المؤمنين ﵇، ط١،: ٢٠/ ٢٣٧.
٣٣-أعلام الهداية الإمام الحسن َالمجتبى ﵇، لجنة تأليف، المجمع العالمي لأهل البيت، ط٢، ١٤٢٥ق ه : ٤/ ١٩٥.
٣٤- موسوعة كلمات الإمام الحسن ﵇ : ٣٢٦.
٣٥-المصدر نفسه: ٢١٣-٢١٤.
٣٦-تقوى الله وإدامة التفكّر، السيد مهدي الجابري الموسوي، مركز الرصد العقائدي، التابع للعتبة الحسينية، منشور على الرابط : https://alrasd.net/arabic/contemporary/301
٣٧-التفكير، آية الله السيد عبد الحسين دستغيب، دار المحجة البيضاء، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦: ١٠٣.
٣٨-الفكرانية، محمد بن عبد الرحمن بن مرحبا، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥: ١٥،١٧.
٣٩-المعجم الفلسفي، جميل صليبا، منشورات ذوي القربى، قم، ط١، ١٣٨٥: ١/ ٤٩١/ ٤٩٢.
٤٠-عندما يفترق العقل عن الحكمة، إبراهيم كالن، صحيفة ديلي صباح، ترجمة وتحرير ترك برس، نشر بتاريخ ٢٧ يونيو ٢٠١٩، وعلى الرابط: https://www.turkpress.co/node/62444
٤١-موسوعة كلمات الإمام الحسن : ٣٢٨-٣٢٩.
٤٢-حياة الإمام الحسن ﵇- دراسة وتحليل، باقر شريف القرشي، دار البلاغة، ط١، ١٤١٣: ١/ ٣٠٢.
٤٣-ينظر: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، للحافظ أبي حاتم البستي، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٧٧: ١٤٦-١٤٧.
٤٤-موسوعة كلمات الإمام الحسن ﵇: ١٥٧.
٤٥-بلاغة الإقناع في المناظرة، عبد اللطيف عادل، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ط١، ٢٠١٣: ١٣٠.
٤٦-أدب الدنيا والدين، لأبي الحسن الماوردي، تح، محمد كريم راجح، دار اقرأ، بيروت، ط٤، ١٩٨٥: .٤٧
٤٧-موسوعة كلمات الإمام الحسن: ١٠٠
٤٨- موسوعة كلمات الإمام الحسن: ٦٤. والآية : آل عمران: ٣٣.
٤٩-الشعر والفكر عند العرب من أواسط القرن الثاني حتى أوائل القرن السادس، سعيد عدنان، مطبعة

تموز، دمشق، ط١، ٢٠١١: ٢٥ .

٥٠-ينظر: النزعة العقلية في شعر التشيع في العصر العباسي، صفاء علي محمد، رسالة ماجستير، جامعة بابل، ٢٠١٤ : ٤١ .

٥١-ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تح، صفوان عدنان داوودي الناشر: دار القلم، دمشق، بيروت، ط٤، ٢٠٠٩: ٩٨.

٥٢-تفسير الأمثل: ٢/ ٤٧٥.

٥٣-المدينة والأخلاق في خطاب الفارابي، موسى عبد الله، دار ابن النديم، الجزائر، ٢٠١٣: ٢٨.

٥٤-فصول منتزعة، الفارابي، تح، متري النجار، دار المشرق، بيروت، ١٩٧١ : ٦٢ .

٥٥-موسوعة كلمات الإمام الحسن عليه السلام: ١٣٧ .

٥٦-خطب الإمام الحسن عليه السلام- دراسة لغوية في ضوء المناسبة، د. مهدي صالح سلطان، اصدارات مركز الإمام الحسن للدراسات التخصصية، العتبة الحسينية المقدسة، ط١، ٢٠٢٠: ١٢٣ .

٥٧-تنزيه الأنبياء، الشريف المرتضى، تعليق: علي أكبر الغفاري، انتشارات مدرسة شهيد عالي مطهري، ايران، ط١، ١٤٢٢هـ: ٢٦٥ .

٥٨- خطب الإمام الحسن عليه السلام- دراسة لغوية في ضوء المناسبة: ١٥٢ .

٥٩- موسوعة أخلاق القرآن، الدكتور أحمد الشرباصي، دار الرائد العربي، ط٣، بيروت، ١٤٠٧هـ، ١/ ١٨٢ .

٦٠-مفردات ألفاظ القران: ٢٥٣ .

٦١-العقل في سيرة النبي صلى الله عليه وآله، الفقيه المرجع محمد حسين فضل الله، إصدار المركز الإسلامي الثقافي، لبنان، ط١، ٢٠١٤: ١١٠ .

٦٢-موسوعة كلمات الإمام الحسن: ١٠٧ .

٦٣-العِقد الفريد : ٢/ ٥٨ .

٦٤-العقل، قراءات في اشكالية العقل عبر المدارس الفلسفية المتنوعة: ٢/ ١٧٥-١٧٦ .

٦٥-موسوعة كلمات الإمام الحسن: ٢٠٩ .

٦٦-موسوعة كلمات الإمام الحسن: ١٠٦ .

٦٧-في فلسفة اللغة، كمال يوسف الحاج، دار النهار، بيروت، ١٩٦٧: ١١٣ .

٦٨-موسوعة كلمات الإمام الحسن: ٣٤٤ .

٦٩-المصدر نفسه: ٣٣٦ .

٧٠-المصدر نفسه: ٣٣٦ .

٧١-المصدر نفسه: ٣٣٤ .

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم

*أدب الدنيا والدين، لأبي الحسن الماوردي، تح، محمد كريم راجح، دار اقرأ، بيروت، ط٤، ١٩٨٥.

*أعلام الهداية الإمام الحسن المجتبى، لجنة تأليف، المجمع العالمي لأهل البيت، ط٢، ١٤٢٥ق هـ.

*الأمثل في تفسير كتابِ الله المُنزَل، نَاصِر مَكارم الشِيرازي، مطبعة أمير المؤمَنين عليه السلام، ط١.

*بحار الأنوار، العلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء، ١٤٠٣ هـ. ق.

*بلاغة الإقناع في المناظرة، عبد اللطيف عادل، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ط١، ٢٠١٣.

*تاج العروس من جواهر القاموس المؤلف، الزَّبيدي، مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

*التربية الروحية في فكر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، أم علي مشكور، مقال منشور في دار الزهراء الثقافية وعلى الرابط: https://www.darolzahra.com

*تصنيف الأهداف التربوية، ديفيد بلوم، وآخرون، تر، محمد محمود الخوالد، وصادق ابراهيم، دار الشروق، جدة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٩٨٥.

*التعريفات، الجرجاني ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

* تفسير الميزان، الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٩٩٧.

*التفكير، آية الله السيد عبد الحسين دستغيب، دار المحجة البيضاء، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦.

*تقوى الله وإدامة التفكّر، السيد مهدي الجابري الموسوي، مركز الرصد العقائدي، التابع للعتبة الحسينية، منشور على الرابط.: https: / /alrasd. net /arabic /contemporary

*تنزيه الأنبياء، الشريف المرتضى، تعليق: علي أكبر الغفاري، انتشارات مدرسة شهيد عالي مطهري، ايران، ط١، ١٤٢٢هـ.

*حياة الإمام الحسن- دراسة وتحليل، باقر شريف القرشي، دار البلاغة، ط١، ١٤١٣.

*خطب الإمام الحسن عليه السلام – دراسة لغوية في ضوء المناسبة، د. مهدي صالح سلطان، اصدارات مركز الإمام الحسن للدراسات التخصصية، العتبة الحسينية المقدسة، ط١، ٢٠٢٠.

*روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، للحافظ أبي حاتم البستي، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٧٧.

* الشعر والفكر عند العرب من أواسط القرن الثاني حتى أوائل القرن السادس، سعيد عدنان، مطبعة تموز، دمشق، ط١، ٢٠١١.

*العِقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، تح: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣.

*العقل العربي وإعادة التشكيل، عبد الرحمن الطريري، سلسلة كتاب الأمة، قطر، ١٤١٣هـ، ط١.

*العقل في القرآن الكريم، السيد محمد حسين فضل الله، اصدار المركز الإسلامي الثقافي، لبنان، ط١، ٢٠١٣.

*العقل في سيرة النبي صلى الله عليه وآله، الفقيه المرجع محمد حسين فضل الله، اصدار المركز الإسلامي الثقافي، لبنان، ط١، ٢٠١٤.

*العقل- قراءات في اشكالية العقل عبر المدارس الفلسفية المتنوعة، غالب حسن الشابندر، دار العارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، العراق- النجف، ط١، ٢٠١٤.

*العمل الديني وتجديد العقل، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٩٧.

*عندما يفترق العقل عن الحكمة، إبراهيم كالن، صحيفة ديلي صباح، ترجمة وتحرير ترك برس، نشر بتاريخ ٢٧ يونيو ٢٠١٩، وعلى الرابط: https: // www.turkpress.co

*الفروق اللغوية، ابو هلال العسكري، تح، محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

*فصول منتزعة، الفارابي، تح، متري النجار، دار المشرق، بيروت، ١٩٧١.

*الفكرانية، محمد بن عبد الرحمن بن مرحبا، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥.

*في فلسفة اللغة، كمال يوسف الحاج، دار النهار، بيروت، ١٩٦٧: ١١٣.

*لسان العرب، مادة (عقل)، ابن منظور، تعليق، خالد رشيد القاضي، دار صبح، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٦.

*المدرسة القرآنية، الشهيد السيد محمد باقر الصدر، دار الكتاب الإسلامي، ط٢، ٢٠١٣.

*المدينة والأخلاق في خطاب الفارابي، موسى عبد الله، دار ابن النديم، الجزائر، ٢٠١٣.

*مصطلح العقل في القرآن الكريم ووسائل الحفاظ عليه، باي زكوب عبد العالي، ياسر طرشاني، مجلة التراث العالمي، ٢٤/ ١٢/ ٢٠٢٠.

*المعجم الفلسفي، جميل صليبا، منشورات ذوي القربى، قم، ط١، ١٣٨٥.

* مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تح، صفوان عدنان داوودي الناشر: دار القلم، دمشق، بيروت، ط٤، ٢٠٠٩.

*مقاييس اللغة، لابن فارس، تح، عبد السلام محمّد هارون، مكتب الإعلام الإسلامي.

*موسوعة أخلاق القرآن، الدكتور أحمد الشرباصي، دار الرائد العربي، ط٣، بيروت، ١٤٠٧هـ.

*موسوعة كلمات الإمام الحسن عليه السلام: اعداد لجنة الحديث في معهد تحقيقات باقر العلوم، منظمة الإعلام الإسلامي، دار المعروف، قم، ٢٠٠٢.

*ميزان الحكمة، محمد الريشهري، دار الحديث، قم، ط١.

*النزعة العقلية في شعر التشيع في العصر العباسي، صفاء علي محمد، رسالة ماجستير، جامعة بابل، ٢٠١٤ .

أسلوبية الموجهات الحجاجية

في خطب الإمام الحسن عليه السلام

أ.م.د. ظافر عبيس الجياشي

كلية التربية الأساسية / جامعة المثنى.

ملخص البحث

إنّ الهدف الرئيس من النصّ الحجاجي هو توجيه المتلقي للاقتناع بالفكرة المطروحة، بل لعله الهدف الوحيد الذي يقصده الخطيب عندما يطرح فكرة ما، ولذا تدرس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم، فاللغة حجاج محض، والحجاج توجيه صرف، والخطاب الحجاجي يتميز عن باقي الخطابات الأخرى بكونهِ خطاباً مبنياً، وموجَّهاً، وهادفاً، وقد كان للإمام الحسن عليه السلام دور مؤثر تجلّى من خلال دراسة اسلوبية الموجهات الحجاجية، فهو يهدف الى تجاوز الآلية اللغوية؛ ليبرز قيم العلامة اللغوية في ذاتها، تارة عبر المعنى المباشر، وأخرى من الإيحاء بالمعنى وعدم المباشرة، واقتناص لازم المعنى، والتأثير في متلقيه، وهذا الأمر تمّ له حين استعمل أدواته استعمالاً مناسباً مراعياً المقام الذي يفرض عليه أن يختار له الحرف الموحي، واللفظ المناسب المؤثر.

Abstract

The main objective of the argumentative text is to direct the recipient to be convinced of the proposed idea, and perhaps it is the only goal that the preacher intends, when he conveys an idea. Discourse techniques indicate that the mind refuses to accept the theses in question , or increases the acceptance of these theses . The language is pure argumentation that is a sheer discourse : the argumentation discourse is highly distinguished as structured, directed, and erudite . For the imam Al-Hassan there is an effective role manifested in the stylistic study on the argumentative parameters that aims to exclude the linguistic mechanisms to show the linguistic sign sometimes with the explicit meaning and sometimes with insinuation , implicit . It is to capture the meaning to convince the recipient , such could be achieved when using the devices professionally to consider the context that stipulates a signifying letter and effective convenient utterance .

المبحث الأول/ مهاد تنظيري (الأسلوبية، الحجاج، الموجهات)

تمثل **الأسلوبية** نوعاً من الحوار الدائم بين المبدع والمتلقي من خلال نصٍّ معين بالإفادة من معطيات اللسانيات الحديثة، فهي ما يلقيه المتكلم من الصور اللفظية المنتظمة على وفق النظام اللغوي الخاص، ومن ثم تأثيرها متآلفة مع مجموع الظروف المحيطة، والعوامل المؤثرة نفسياً واجتماعياً في ذات المتلقي وميزتها أنها بحث في تمييز فنية الكلام عن بقية مستويات الخطاب؛ لتولد اللامنتظر من خلال المنتظر وبذلك تكون مرتبطة بتأثير الكلام على المتلقي، ونابعة أصلاً من تأثير الفكرة والحدث وظروفه وعوامله وكل ما يحيط به في نفس المتكلم(١) .

وللمبدع دوره في الدراسة الأسلوبية، فهو يهدف الى تجاوز الآلية اللغوية؛ ليبرز قيم العلامة اللغوية في ذاتها، وهذا يتأتى من المعنى المباشر تارة، وأخرى من الإيحاء بالمعنى وعدم المباشرة والتعدد واقتناص لازم المعنى، بالاستجابة مع عناصره، وقد ترجع القيم الأسلوبية في النص إلى كلمة تثري المعنى وتضفي عليه دلالات تثير المتلقي وتعرقل عملياته الذهنية وتستوقفه لاستحضار متعلقاتها متذوقاً ،وملاك هذا الأمر بيد المبدع، حين يستعمل أدواته استعمالاً مناسباً مع الالتفات إلى المقام الذي يفرض أن يختار له الحرف الموحي، واللفظة الدالة فليس الإبداع إلا نتاج قوى اجتمعت فيما بينها جميعاً وتوافرت في شخص المبدع، وليس لواحدة منها الفضل على الأخرى(٢).

فالتعبير عن الأفكار أو الكلام قسماً من أقسام الاتصال إذ يعتمد على متكلم يوجه رسالة إلى متلق، والرسالة غايتها نقل الأفكار، وعن طريقها يحاول المبدع أن ينشئ علاقة تواصليةً مع المتلقي ليؤثر فيه ؛ إذ إن جانب التأثير في القارئ هو أحد جوانب العملية الإبلاغية في فعالية الإيصال، وكأنها تدور بين المرسل والمستقبل وبالعكس للأخذ والعطاء، عن طريق النص الذي يعد من أشكال التواصل التي تجسّدها اللغة، فليس النص إلا تجلي من أبدعه؛ لأنّ الإبداع غالباً ما يكشف تفكير المبدع، فالمبدع هو امتداد لأسلوبه إذ ((يغدو الأسلوب هو ذاته شخصية صاحبه وهو حد من التمازج تختلط فيه تلقائية الأسلوب والذات المفرزة له))(٣) .

أمّا **الحجاج** فهو مجموعة من الآليات والطرائق التي يستعملها المتكلم في خطابه قصد التأثير والإقناع في متلقيه؛ لأجل تعديل رأيه أو سلوكه أو هما معاً بواسطة اللغة، ويُعدّ من

أهم مباحث اللسانيات في تحليل الخطاب في العصر الحديث، وما يميز دراسته الحجاجية هو تنوعُ روافدها المعرفية ؛ فالحجاج بوصفه حواراً اقناعياً يقوم على أسس قد تكون فكرية تتعلق بمجموعة من المنطلقات أو المبادئ الحجاجية المتمثلة بالأفكار المشتركة بين المتحاورينَ التي تمثّل نقطة انطلاق الحوار الحجاجي، وبطرائق عرض الحجج نفسها وما يتضمنه الخطاب من الروابط والعوامل الموظَّفة حجاجياً، فضلاً عن ألفاظ تحمل دلالات لها معنى ظاهر عرفي، وآخر حقيقي حجاجي يستلزمه مقام التلفظ بحسب التوجيه المقاصدي للخطاب .

والهدف الرئيس من النص الحجاجي هو توجيه المتلقي للاقتناع بالفكرة المطروحة، بل لعله الهدف الوحيد الذي يقصده الخطيب عندما يعرض فكرة ما. ولذا تدرس((تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم))(٤)؛ فاللغة حجاج محض، والحجاج توجيه صرف(٥)، والتوجيه يكون للمتلقي في إقناعه بفكرة ما، وفي الخطاب يكون عبر تسلسل للأقوال فيه تؤديه الروابط والعوامل والموجهات الحجاجية، فيحصل التوجيه في مستويينِ: مستوى السامع، ومستوى الخطاب نفسه مع ما بين المستويينِ من تداخل(٦).

وعليه فإنَّ الخطاب الحجاجي يتميز عن باقي الخطابات الأخرى بكونهِ خطاباً مبنياً، وموجَّهاً، وهادفاً، **وأهم الخصائص التي تميزُ الخطاب الحجاجي من غيرهِ**(٧):

١)خاصية البناء والدينامية: ليس هناك حجاج جاهز أو معطى منذ البداية، بل هو عملية تُبنى تدريجياً، وتتطلب تكيفاً مستديماً لعناصرها إلى نهاية إتمام الحجاج، ومن ثم فإنّ غاية ما يمكن تحصيله من عملية الحجاج هو أنَّ القواعد، والأسس ترتبط بميدان اللغة في علاقتها بالإنسان والعالم؛ لذلك تأتي فعالية الخطاب الحجاجي من طريقة بنائهِ، وتفاعل عناصره، فالاقتصاد في الأدلة الحجاجية مثلاً تكون له أهمية في عملية الإقناع؛ إذ المبالغة في سرد الحجج في غير مناسبة يفقد الحجاج فعاليته، وقوته؛ لأنَّ الذهن البشري لا يقوى إلا على معالجة عدد محدود من عناصر القول؛ لذلك ينبغي التركيز على الأهم والأساسي في الحجاج.

٢)خاصية التفاعل: ينبني الحجاج على مبدأين معرفيين أساسيينِ، هما مبدأ الإدعاء، ومبدأ الاعتراض، ويؤديان إلى الاختلاف في الرأي أو في الدعوى، ويدفعان إلى الدخول في ممارسة الدفاع أو الانتصار للدعوى وهو ما يؤدي إلى تحقيق نوع من التزاوج في ذات كل من المتكلم، والمخاطب، والمقصود بتزاوج المتكلم هو ((الانشقاق الاعتباري لذات المتكلم إلى ذاتينِ: إحداهما ظاهرة تستقل بمبادرة الإدعاء، والذات الثانية باطنة تشترك مع ذات المستمع في ممارسةِ الاعتراض؛ لأنَّ المتكلم قد يتعاطى- ولو ذهنياً على الأقل- تصُّور مواطن النقد في الدعوى، وتقدير مختلف الأسئلة التي يجوز أن يوجهها المستمع إليها))[٨].

٣) خاصية الالتباس: من أهم خصائص الخطاب الحجاجي هي خاصية الالتباس، فإنَّهُ وإن كان من الضروري التقيد بالآليات، والأدوات التي يعتمدها الحجاج لتأليف الخطاب يبقى المجال مفتوحاً أمام مهارة المتكلم في فنِ القول؛ ليصل بسهولة إلى إفهام الآخر، وإقناعه بأطروحات المتكلم. والالتباس الحجاجي يجتمع فيه اعتبارا(الواقع، والقيمة)؛ ((فالحجاج مبني على مبدأ الاستدلال على حقائق الأشياء مجتمعة إلى مقاصدها للعلم بالحقائق، والعمل بالمقاصد))[٩] .

٤) خاصية التأويل: وهي وجه آخر من أوجه النشاط الحجاجي؛ إذ بعد أن يتم استقبال القول بوصفه علامات لغوية يتم التعالق بين عنصري الفهم والتأويل، فهم أولي لمعنى القول، ثم فهم ثانٍ أو تأويل لمعنى معنى القول، وهنا تدخل مجموعة من العوامل الخارجية لتحديد البعد التأويلي؛ ذلك لأنَّ طبيعة الحجاج لا تقوم على وصف ظاهري للقول لكنها تقوم على التدليل على بعض النتائج[١٠].

٥) خاصية الاعتقاد: يمثل استهداف اعتقادات المتلقي إحدى الجوانب الأساسية في العملية التخاطبية، ويعد رهاناً صعباً في كل حجاج؛ فالاعتقادات بصفة عامة هي ملتقى الأخلاق المقبولة في مجتمع ما؛ إذ تقوم بدور المسلّمات الرياضية لا تقبل النقاش والجدال في أحيان كثيرة، ولا تخضع للتحليل العلمي، والتمحيص الدقيق بقدر ما تقوم على أنساق فكرية[١١].

٦) الانتهاض إلى العمل: إنَّ تأثير القول الحجاجي غالباً ما يدفع إلى ردِّ فعل معين، قد يكون عملاً، أو الكف عن العمل، أو عدولاً عنه، أو تحويلاً لمسارهِ، وهذا العمل هو الذي يؤكد بالملموس حصول اقتناع معين، لكن حصول الاقتناع لدى المستمع لا يكون إلا بعد

مطابقة القول الحجاجي لفعل صاحبهِ، ومبدأ الانتهاض إلى العمل محوري في كل الجوانب التواصلية، والخطابية، والتعاملية[١٢].

أما **الموجهات الحجاجية**، فخصائصها تعود الى توظيف المبدع لمجموعة من الموجهات في تحديد الموقف الذي يظهره المبدع من ملفوظه فضلاً عن إضفاء توجيه حجاجي على القول، وتكمن أهمية هذه الموجهات في أن التحليل الحجاجي عامة لا يهتم بفحص الألفاظ اللغوية لذاتها وفي حدّ ذاتها، وإنما بالطريقة التي توجه بها هذه الألفاظ الحجاج وتشكله، فالوحدات اللغوية التي يختارها المتكلم بغرض توظيفها في التعبير عن آرائه وأفكاره ومشاعره ومعتقداته، وكل ما يعكس عموماً وجهة نظره هي أشكال لسانية قادرة على ترجمة قيمة توجيهية تتجلى اساساً في توجيه القول توجيهاً حجاجياً نحو هذا أو ذاك[١٣].

إنّ اختيار المبدع لبعض ألفاظ كلماته الحاملة لبعد توجيهي، وحرصه على تضمينها لخطابه لا ينبغي التعامل معه على اعتباره أنها ترف أو شيئ زائد على أصل في الجملة، وإنّما ينبغي التعامل معه بوصفه جزءاً لا يتجزأ من العملية الحجاجية؛ لأنّ اختيار كلمة معينة لا يخلو من طاقة حجاجية على الرغم من أنها لم تكن نتيجة لحساب قبلي، والتي قد تبدو للوهلة الأولى عادية وغير مثيرة للاهتمام، ولذا عدّ (ديكرو) وجود بعض الكلمات في الجمل يعطيها بشكل جوهري توجيها حجاجياً لخدمة نتائج محددة دون غيرها[١٤].

وقد تنوعت الموجهات بحسب دراستها ونظر الباحثين اليها، غير أنّ ما يهمنا من هذه الموجهات هو ما يعبر عن مدى تدخل الذات في كلامها وتأكيدها لمدى حضورها فيه، فمن الضروري توجيه دلالة الألفاظ بحسب الظروف التي قيلت فيها، وبحسب المتكلم ووضعيته، فهي تكشف عن علاقة المتكلم بكلامه، وتوضح بشكل جلي موقفه من ملفوظه، وهي على هذا الأساس تمثل أساس التوجيه الحجاجي ومناط اشتغاله.

المبحث الثاني/ الدراسة التطبيقية

لحظ الباحث أنّ خطب الإمام الحسن ﷺ قد اكتنزت مجموعة من أساليب الموجهات الحجاجية التي تحقق الاقناع والتأثير لتوجيه المتلقي نحو مراد الإمام الى فعل ما أو تركه، وفيما يأتي أهم الموجهات التي كان لها حضور واضح في تشكيل خطبه .

١) أسلوب الموجه القسمي:

القسم وسيلة من وسائل تأكيد القول أو الخبر، وعلى الأخص إذ أريد العزم أو الاصرار على أمر ما، أو إلزام النفس بشيء معين أو في مجابهة الإنكار. والغرض منه التوكيد، قال سيبويه: ((اعلم أنَّ القسم توكيد لكلامك.))[١٥]، وقال ابن يعيش: ((اعلم أنَّ الغرض من القسم توكيد ما يقسم عليه من نفي أو إثبات.))[١٦]، وقد يأتي لإلزام المتلقي الحجة، قال الزركشي: ((فإنْ قيل: ما معنى القسم منه سبحانه، فإنَّه إنْ كان لأجل المؤمن فالمؤمن يصدق مجرد الإخبار، وإنْ كان لأجل الكافر فلا يفيده، فالجواب قال الأستاذ أبو القاسم القشيري: إنَّ الله ذكر القسم لكمال الحُجَّة وتأكيدها، وذلك أنَّ الحكم يفصل باثنين: إمّا بالشهادة، وإمَّا بالقسم فذكر تعالى النوعين حتَّى لا يبقى لهم حجة))[١٧]. فهو يوجه الكلام توجيهاً يقينياً مثبتاً يلجأ إليه المتكلم لتوكيد كلامه ليثبت قضيته ويوجبها ويقيم الحجة على المتلقي ويلزمه بها .

وقد ورد هذا الأسلوب في خطب الإمام ﷺ، يمكن تصنيفها بحسب الغرض الحجاجي وهي:

أ)القسم لدفع الشك:

غالباً ما كان الإمام الحسن ﷺ بسبب الظروف التي واجهها يجد نفسه أمام مخاطبين قد لا ينكرون تمام الانكار مضمون كلامه أو الخبر الذي يلقيه لإخبارهم به أو القضية التي يريد منهم التسليم بها، غير أنه كان يعلم أن قبولها لا يخلو من شك، أو تردد لذلك فإنّ اخبارهم بها من دون قسم قد لا يزيد خطابه إلا شكاً والمتلقي إلا تردداً، وهو ما يهدد العملية الحجاجية برمتها ويقضي على كل محاولة للإقناع، وليعطي تطميناً لمتلقيه بإمكانية تصديق بنية الخطاب واثبات القضية المطلوبة.

ومثال ذلك قوله ﷺ لعمرو بن العاص: ((**إنّ لأهل النّار علامات يعرفون بها وهي الإلحاد لأولياء الله والموالاة لأعداء الله، والله إنّك لتعلم أنّ علياً ﷺ لم يترتب في الأمر ولم يشكّ في الله طرفة**

عين ، وأيم الله لتنتهينّ يا ابن امّ عمرو أو لأقرعنّ جبينك بكلام تبقى سمته عليك ما حييت ، فإيّاك والإبراز علي فإنّي من قد عرفت لست بضعيف الغمزة ، ولا بهشّ المشاشة ، ولا بمريء المأكلة ، وإنّي من قريش كأوسط القلادة ، يعرف حسبي ولا أُدعى لغير أبى ، وقد تحاكمت فيك رجال قريش فغلب عليك ألأمهم نسباً وأظهرهم لعنة ، فإياك عنّي فانك رجس، وإنما نحن بيت الطّهارة ، أذهب الله عنّا الرجس وطهّرنا تطهيراً))[١٨] .

الشاهد قوله:(والله إنّك لتعلم أنّ عليّاً...) و(وأيم الله لتنتهينّ...)، يلحظ في النص قوة حضور ذات الإمام في كلامه وشدة تأكده منه بفضل المقسم به وهو لفظ الجلالة، وهذا العامل الحجاجي إذا وجد في الخطاب فإنه يعمل على توجيه الملفوظ واثباته وجعله ممّا يحمل على أنه واقع لا محال[١٩]، ويعود ذلك الى قوته في تحقيق قيمة الكلام التأثيرية، فالله سبحانه هو عالم الغيب والشهادة، وهو مريد وفعّال لما يريد، وهذا ما يجعل المقسم به يؤدي دوراً حجاجياً مهما بوصفه قاسماً مشتركاً لا يمكن إلا أن يقبل .

على أن تأدية المقسم به لهذا الدور لا يعني أنّ جملة القسم تستقيم به لوحده، بل لا بد من أن تتبعه جملة أخرى يراد توكيدها؛ لأنّ القسم إنما يجيء به للتوكيد وقد رأى ابن يعيش أنَّ القسم ((يشتمل على ثلاثة أشياء: جملة مُؤَكِّدَة وجملة مُؤَكَّدَة، واسم مُقْسَمٌ به. فالجملة الأولى هي (أُقْسِم وأَحْلِف ونحوهما من أَشْهَد وأَعْلَم) وهي الجملة المؤكِّدة، وكذلك (لَعَمْرُك الله وأَيْمُن الله). والجملة المؤكَّدة هي الثانية المُقْسَم عليها، فإنْ كانت فِعلاً وقع القَسَم عليه نحو (أَحْلِفُ بالله لَتَنْطَلِقَنَّ) وإنْ كان الذي تلقاه حرفاً بعده اسم وخبر، فالذي يقع عليه القَسَمُ في المعنى الخبر كقولك (والله إنَّ زَيْدًا لَمُنْطَلِقٌ)... أما المُقْسَم به فكلُّ اسم من أسماء الله تعالى وصفاته ونحو ذلك مما يعظم عندهم.))[٢٠] .

ولا ريب أن الأمر الذي يراد توكيده يمثل من الناحية الحجاجية البؤرة التي جاء القسم ليسلط الضوء عليها بعدها المعلومة الجديدة التي يمكن أن ترد، وأيضاً تمثل مكوناً حاملاً للمعلومة الأكثر أهمية بالنسبة للمتكلم[٢١] . وهذا الأمر الذي أراد الإمام توكيده هو دفع الشك والتهم الحاصلة عند ابن العاص ومن كان حاضراً معه أو شاهد الحسن عليه السلام وهو يخطب، علماً

أنّ مخاطبيه لا ينكرون تمام الإنكار مضمون المعلومة أو القضية التي يود إخبارهم بها، والتسليم لها وهي تبرئة الإمام علي عليه السلام من قتل عثمان، وأحقيته بالخلافة وكذا ولده الحسن، وطهارة حسبه ونسبه، فالله هو المطهر له ولأهل بيته، وهم عماد الدين وقادة المسلمين، ويتضح سبب القسم مع المؤكدات التي حملها النص اذا عرفنا سبب خطابه الناتج من محاولة ابن العاص الاستخفاف بشخصه وإلحاق التهم به حين لقيه في الطّواف قائلاً: ((يا حسن أ زعمت أنّ الدّين لا يقوم إلاّ بك وبأبيك ؟ فقد رأيت الله جلّ وعزّ أقامه بمعاوية فجعله راسياً بعد ميله وبيّنا بعد خفائه، أ فرضى الله قتل عثمان أم من الحقّ أن تدور بالبيت كما يدور الجمل بالطّحين؟ عليك ثياب كغرقئ البيض وأنت قاتل عثمان ، والله إنّه لألمّ للشعث وأسهل للوعث أن يوردك معاوية حياض أبيك))[٢٢] .

فقد مثّل القسم في خطابه سمة أسلوبية حجاجية بارزة، إذ حوّلت خطابه إلى طاقة حجاجية لتوجيهها نحو وجهة معينة دون غيرها، وتحدد كيف ينبغي تأويله، وأي معنى يجب أن يسند إليه؛ لكي لا يكون لمتلقيه هناك شك، أو لهم عليه حجة، وحملهم على التصديق والاقناع .

ومن ذلك أيضاً قوله عليه السلام لابن الزبير: ((**أما والله لولا أنّ بني أمية تنسبني إلى العجز عن المقال، لكففت عنك تهاوناً بك، ولكن سأبين لك ذلك؛ لتعلم أني لست بالعي ولا الكليل اللسان، إياي تعير، وعلي تفتخر؟، ولم تك لجدك في الجاهلية مكرمة أن لا تزوجه عمتي صفية بنت عبد المطلب فبذخ بها على جميع العرب، وشرف بمكانها، فكيف تفاخر من في القلادة واسطتها وفي الأشراف سادتها، نحن أكرم أهل الأرض زنداً، لنا الشرف الثاقب، والكرم الغالب، ثم تزعم أني سلمت الأمر لمعاوية فكيف يكون؟ ويحك كذلك وأنا أشجع العرب ولدتني فاطمة سيدة النساء وخيرة الأمهات، لم أفعل ويحك جبناً ولا فرقاً، ولكنه بايعني مثلك وهو يطلبني بترة، ويداجيني المودة فلم أثق بنصرته لأنكم بيت غدر، وأهل إحن ووتر فكيف لا تكون كما أقول وقد بايع أمير المؤمنين أبوك، ثم نكث بيعته ونكص على عقبيه واختدع حشية من حشايا رسول الله صلى الله عليه وآله ليضل بها الناس، فلما دلف نحو الأعنة ورأى بريق الأسنة قتل بمضيعة لا ناصر له وأتى بك أسيراً، وقد وطأتك الكماة بأظلافها والخيل بسنابكها،**

واعتلاك الأشتر بريقك، وأقعيت على عقبيك كالكلب إذا احتوشته الليوث فنحن ويحك نور البلاد وأملاكها، وبنا تفتخر الأمة، وإلينا تلقى مقاليد الأزمة، نصول وأنت تختدع النساء ثم تفتخر على بني الأنبياء لم تزل الأقاويل منا مقبولة وعليك وعلى أبيك مردودة...))[٢٣]

الشاهد قوله:(والله لولا أنّ بني أمية...)، إن القسم الذي ذكره الإمام يحاول من خلاله إثبات مجموعة من القضايا والدعاوى التي يدافع عنها ببيان ما يتضمنه القول من قوة حجاجية تمثِّل مكوناً أساسياً لا ينفصل عن معناه يجعله في اللحظة التي يتكلّم فيها يوجِّه خطابه وجهة حجاجية؛ ليقنع متلقيه وخصومه جرّاء اتهامه من قبل ابن الزبير، ويؤكد حضور ذاته فيه، فهو يعمل على بنائها لدى سامعيه، فهو بناء جديد على حساب القديم ، وللمجهول على حساب المعلوم، وهذه الدعاوى كان يشك بها بعض أتباعه، ويتردد في قبولها خصومه؛ لذا حرص الإمام على استعمال أساليب تعبيرية محملة حجاجياً حتى لا يخطئ أهدافه، عبر بوابه اللغة الخطابية التي تحمل بصفة ذاتية، وجوهرية وظيفة حجاجية يتم تعبئتها حجاجياً لخدمة مقاصد إقناعية[٢٤] .

فالإمام يدفع عن نفسه العجز والعي في القول والعمل، ويفتخر بحسبه الشريف، ويصحح معلومة متلقيه بمسألة الصلح مع معاوية، ويبّين جلَّ أسبابها، وكيف يجبن خصمه عند قراع الأسنّة ويذكّره بمواقع مشهودة عند بعض متلقيه، فهو – الحسن – من بيت النبوة ومهبط الوحي والتنزيل، فهو المصدّق وخصمه المدّعي الكاذب، فقد كان للقسم تأثيره في النفوس؛ لأنه يقرع أسماعهم كلّما استجدَّ أمرٌ مهمٌ، ويبهم طريق الإنكار على الخصم ويحمله على التفكير، ولأنَّ فيه إظهار التأكيد والجدِّ في القول. فضلاً عن إزالة الشكوك واحباط الشبهات، وإقامة الحجة، وتوكيد الأخبار، وتقرير الحكم في أكمل صورة، واثبات صدقه عليه السلام؛ لأن الأيمان الكاذبة بحسب اعتقاد العرب سالفاً تدع الديار بلاقع، وتضر صاحبها .

ب)القسم لدفع الإنكار:

يأتي القسم لأغراض ومقاصد وحكم كثيرة، منها: ما يَلفت النظر إلى مواضع العبرة في هذه الأشياء المقسم بها والحثّ على تأمُّلها، ومنها: ما ينير السبيل ويوضِّح الحُجَّة ويُبَيِّنُ المَحجَّة، ومنها: ما يُوجِّه السامع إلى الإصغاء، فالمألوف عند الناس أنَّ الابتداء

بالقسم في الكلام يوحي بأهمّيَّة الأمر المذكور بعده فيصغي الناس إلى الخطاب بعناية أكبر، لذا كان الإمام عليه السلام حين يرى سمات الجحود بادية على مخاطبيه ومتلقيه ويرى أن خطابه قد يُنكر أو يرفض من قبلهم، فإنه يوظّف القسم لدفع الانكار.

ومثاله خطبته عليه السلام في سبب المصالحة مع معاوية، بعد أن حمد الله وأثنى عليه، قال:((**أما والله ما ثنانا عن قتال أهل الشام ذلّة ولا قلّة، ولكن كنّا نقاتلهم بالسلامة والصبر، فشيبت السلامة بالعداوة، والصبر بالجزع، وكنتم تتوجهون معنا ودينكم أمام دنياكم، وقد أصبحتم الآن ودنياكم أمام دينكَم، فكنا لكم وكنتم لنا، وقد صرتم اليوم علينا، ثم أصبحتم تعدون قتيلين : قتيلاً بصفين تبكون عليه، وقتيلاً بالنهروان تطلبون بثأره، فأما الباكي فخاذل، وأما الطالب فثائر، وإن معاوية قد دعا إلى أمر ليس فيه عزّ ولا نصفة، فإن أردتم الحياة قبلناه منه، واغضضنا على القذى، وإن أردتم الموت بذلناه في ذات الله وحاكمناه إلى الله. فنادى القوم بأجمعهم : بل البقية والحياة**))(٢٥) .

الشاهد قوله:(أما والله ما ثنانا عن قتال أهل الشام...)، من خلال القسم، وما معه من مؤكدات داخل النص يقّوي الإمام حضور ذاته في خطابه ويدفع سامعيه المنكرين له إلى التصديق به وقبوله، وتصحيح ما تركز في أذهانهم، بسبب ترك القتال مع معاوية وأن ذلك كان لأجل وهن أصحابه وضعفهم لا لأجل أن معاوية كان على حقّ كما زعم بعض ضعفاء الإيمان من أصحاب الإمام، فـ((القيمة الحجاجية لقول ما، ليست هي حصيلة المعلومات التي يقدمها فحسب، بل إنَّ الجملة بإمكانها أن تشتمل على وتعابير أو صيغ، والتي بالإضافة إلى محتواها الإخباري، فهي تصلح لإعطاء توجيه حجاجي للقول، وتوجيه المتلقي في هذا الاتجاه أو ذاك))(٢٦).

فالموجهات القسمية والتوكيدية في خطابه محملة بطاقة حجاجية تمّ استثمرت من لدن الإمام؛ لتكون قادرة على توجيه الملفوظ حجاجياً تبعاً لقصديته ومتطلبات التلقي، فقد استدعاها ووظفها بما ينسجم ليس فقط وتوجيه الخطاب، بل وتوجيه متلقيه إلى فكرة تصحيح ما يعتقدوه تجاه الإمام ، ولم يكن أمام الإمام الحسن عليه السلام من سبيل لمعالجة مرض الإنكار وعدم الطاعة له إلّا بمصالحة معاوية؛ لأنّ الصلح وحده هو القادر على كشف حقيقة

خصمه، وإذا ما كشفت الأُمّة حقيقته سوف تدرك أنّ حربه على الإمام الحسن إنّما هي حرب ظالمة، وأنّ الإمام عليه السلام إنّما يدافع عن الحق وعن الرسالة وليس عن السلطان والجاه والرئاسة، ومن ثمّ فإنّه سوف يصار الى تعرية بني أُميّة وكشف زيفهم وبطلانهم، وبهذا يُزال مرض الانكار والشكّ الذي كانت الأُمّة مبتلاة به فلا تشكّ بعدئذٍ بحقانيّة الأئمة في دفاعهم عن الرسالة، ولا تصدّق بشعارات بني أُميّة الكاذبة الزائفة .

ومنه قوله عليه السلام في الكوفة بعد نكوص أصحابه عن قتال معاوية، قام خطيباً فيها فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:((**يا عجباً من قوم لا حياء لهم ولا دين من غدرة بعد غدرة. أما والله لو وجدت أعواناً لقمت بهذا الأمر أي قيام، ونهضت به أي نهوض، وأيم الله لا رأيتم فرحاً ولا عدلاً أبداً، مع ابن أكلة الأكباد وبني أمية، وليسومنكم سوء العذاب حتى تتمنوا أن يليكم عبد حبشي مجدع، فأفٍ لكم، وبعداً، وترحاً، يا عبيد الدنيا وموالي الحطام**))[٢٧] .

الشاهد قوله:(أما والله لو وجدت...، و وأيم الله لا رأيتم فرحاً...)، لقد وظّف الإمام الحسن القسم مرتين مع بعض المؤكدات؛ لعلمه أن للقسم قوة حجاجية كبيرة قادرة أكثر من غيرها على تثبيت القضايا التي سيعرضها، وحمل المتلقي على تصديقها والاقتناع بها، بعد أن لاحظ من مخاطبيه بعض الجحود والإنكار فيما يقوم به، لذا سخر الموجهات الحجاجية في خطابه مع ما تحمله من مقاصد يرمي إليها لإقناع جمهوره الخاص، و ليسلِّم به كل ذي عقل؛ لأنّ القسم يأتي في الغالب نهاية لجدال طال من دون أن يحسم ، فهو حصنٌ أخير تلجأ إليه الذات المحاججة لدحض إنكار المخاطب وتهمه ، وبمجرد النطق به أو الاحتكام إليه فهذا يعني تفاصيل كثيرة قد أُسدل عليها ستار له من الهيبة ما للقسم من قداسة[٢٨] .

لقد ضاق صدر الإمام عليه السلام بأهل الكوفة؛ لأنهم لم يفوا بما وعدوه، بل غدروا به، كما كانت شيمتهم الغدر من قبل بأبيه الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، فأظهر تبرمه الشديد منهم، وأعلمهم حقيقتهم المنطوية على الخيانة والإفك والغدر، فبعداً لهم، وتعساً لما صنعوا مع إمام زمانهم، وسحقاً لما عملوا . وأظهر خطابه إنّ لكثير من الذين معه ليسوا على شيء من ناحية العقيدة، والقليل منهم مَن يعرفه حقّ معرفته ، وأنّه إمام مُفترَض الطاعة من قِبَل الله يُسمَع له ويُطاع، وهذا ما بيّنه

الإمام عليه السلام بعد الصلح أيضاً ، وانهم غير صابرين على الحرب ، وإلاّ فعلى أسوأ التقادير وعدم الإيمان منهم بأنّه إمام مُفتَرَض الطاعة فلا أقل أنّه قائدهم وزعيمهم وأميرهم الذي بايعوه.

٢) أسلوب الموجه القصري:

يأتي القصر بمعنى التّخصيص، يقال: قَصَرَ الشَّيْءَ على كذا، إذا خصّصه به، ولم يجاوز به إلى غيره، وبمعنى الحبْسِ، يُقال: قَصَر نفسه على عبادة رَبّه، إذا حَبَسها على القيام بعبادة ربّه[٢٩] .

وعرّف القصر بأنه: تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص، والشيء الأول هو المقصور، والثاني هو المقصور عليه، والطريق المخصوص هو أدوات القصر. والمراد بتخصيص الشيء بالشيء إثبات أحدهما للآخر، ونفيه عن غيره، وبهذا تكون جملة القصر في قوة جملتين، ويكون القصر طريقاً من طرق الإيجاز، ويكون الإيجاز من أهم أغراضه؛ لتمكين الكلام وتقريره في الذهن؛ لدفع ما فيه من إنكار أو شك[٣٠] .

ويُعدُّ من الأساليب اللغوية الغنية بالتراكيب، والغزير بالدلالات والحجج، فهو فنٌّ وصنعةٌ في آن معاً؛ لكثرة فوائده وعمق أسراره. وما تنوع طرقهِ وتعددها إلّا سبب في اختلاف دلالته وجهة خطابهِ؛ لأنّه يقوم على الإحالة الوظيفية من جهة، والدلالية من أخرى، بعناصر أساسية هي: المتكلم، والمخاطب، والخطاب والاعتقاد الذهني لهما[٣١]. وهو أداة توكيد وتخصيص، وكلما قويت الحاجة اليهما كان القصر أبلغ، وتتمثل دلالة التوكيد في القصر أن يكون بنفي الغير واثبات الحكم للموضوع، ويكون صريحاً بحرف (النفي) و (إلاّ) وضمناً بـ (إنما)، وأمر الاختصاص، فهو اختصاص أحد العنصرين من دون غيره بالآخر، ومن ثم تأكيد النسبة بينه وبين الآخر[٣٢]. إلّا أنّ البحث سيقتصر على نماذج منها، من أجل تحقيق الغاية والمراد، وهي:(لم- إلاّ)، (ما- إلاّ)، (إنّما) .

روى الشعبي أنّ معاوية قدم المدينة فقام خطيباً فنال من علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقام الحسن بن علي عليه السلام فخطبَ فَحمِدَ الله وأثنى عليه ثم قال له : ((**إنّه لم يُبعَث نبي إلا جعل له وصي من أهل بيته ، ولم يكن نبي إلا وله عدوّ من المجرمين ، وإنّ علياً عليه السلام كان وصيَّ رسول الله صلى الله عليه وآله من بعدِهِ ، وأنا ابن علي ، وأنت ابن صخر ، وجدّك حرب وجدّي رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأُمّك هند**

وأُمّي فاطمة ، وجدّتي خديجة وجدّتك نثيلة ، فلعن الله ألأمنا حسباً وأقدمنا كفراً وأخملنا ذكراً وأشدّنا نفاقاً ، فقال عامّة أهل المجلس: آمين ، فنزل معاوية فقطع خطبته))(٣٣) .

الشاهد قوله:(إنّه لم يُبعَث نبي إلاّ جعل له وصي .. ، لم يكن نبي إلاّ وله عدوّ...)،فقد ساعد الأسلوب القصري(لم- إلاّ) المكرر مرتين في إبراز حضور ذات الإمام الحسن عليه السلام في خطابه وكشف عن مدى تأكده منه، وما المجيء بهذا الأسلوب الموجه الا لخدمة نتائج حجاجية معينة دون غيرها وهي: حقيقة وجود وصي لكلّ نبي فاحتاج هذا الأسلوب للتأكيد ولإزالة الإنكار الذي قد يعلق بأذهان العديد من مخاطبيه السامعين المضَلَّلين بالإعلام المعادي لأهل البيت عليهم السلام، فأكَّد خطابه بـ (إنَّ) و قصره بـ (ما و إلا) فالنبي لابد له من وصي يعاضده وهو من أهل بيته وفي طريقه عدو مجرم يكيد له وهو مخالف لنهج الحق الذي بعث من أجله النبي ودعا الناس إليه، مبيناً أنَّ الوصي هو والده علي أمير المؤمنين ؛ ليتضح للناس علوّ مقام الإمام الحسن عليه السلام بإزاء عدوه، فضلاً عن جعل ذلك داخلاً في نسق التضاد، فأفاد الإمام الحسن من ذلك للرد على خصمه وتغيير نتائج الموقف إلى الضدِّ لصالحه، وإلغاء كافة الإمكانات التأويلية الأخرى التي يمكن أن تصاحب الخطاب.

ومنه قوله: **((والله ما سلمت الأمر إليه إلاّ أني لم أجد أنصاراً، ولو وجدت أنصاراً لقاتلته ليلي ونهاري حتى يحكم الله بيني وبينه، ولكنّي عرفت أهل الكوفة وبلوتهم، ولا يصلح لي منهم ما كان فاسداً، إنّهم لا وفاء لهم ولا ذمة في قول ولا فعل، إنّهم لمختلفون ويقولون لنا: إن قلوبهم معنا، وإن سيوفهم لمشهورة علينا))**(٣٤).

الشاهد قوله:(والله ما سلمت الأمر إليه إلاّ أني...)، أفاد الأسلوب القصري(ما-إلاّ) الذي يحمل طاقة حجاجية إقناعية لتوجيه المتلقي الى المسار الصحيح والاعتقاد الصائب، وابعاد الاحتمالات والشبهات العالقة في ذهنه، وبيان الأسباب الموجبة للأفعال التي يعملها الإمام، فضلاً عن عوامل التوكيد الأخرى في النص، وإنه لفرق كبير بين توظيف هذا الأسلوب وبين حذفه؛ لأنّ حذفه من شأنه أن ينفي عن خطابه صفة التخصيص والنفي، زد على ذلك أنّه يخدم النتيجة العكسية للخطاب فتصبح(**سلمت الأمر إليه**)، ويكون الإمام غير معذور في ذلك،

لذا وجّه هذا الأسلوب خطاب الإمام نحو الوجه القصدي للإقناع ودفع الشك عنه، وعلى الأخص اذا علمنا أنّ السائل أو المخاطب كان يحمل شكاً أو سؤالاً من خلال مراجعة سبب قول الإمام وهو أن(رجل من أصحابه قال: أتيت الحسن بن علي عليهما السلام فقلت: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله أذللت رقابنا، وجعلتنا معشر الشيعة عبيداً ما بقي [معك] رجل، فقال: وممَّ ذاك ؟ قال: قلت: بتسليمك الأمر لهذا الطاغية، قال: والله ما سلمت الأمر إليه)[٣٥] .

ومنه أيضاً قوله: ((**إنّما الخليفة من سار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وعمل بطاعة الله ولعمري إنّا لأعلام الهدى ومنار التقى، ولكنك يا معاوية ممن أبار السنن وأحيا البدع واتخذ عباد الله خولاً ودين الله لعباً فكان قد أخمل ما أنت فيه فعشت يسيراً وبقيت عليك تبعاته**))[٣٦] .

الشاهد قوله:(إنّما الخليفة من...) استعمل الإمام الحجة اللغوية والدليل العقلي لإقناع مخاطبيه، مع الإيجاز والتكثيف في خطابه وفصاحة الألفاظ وبلاغة العبارات والدقة في استعمال الأسلوب كلّ في موضعه بحسب ما يقتضي السياق على وفق مقتضى الحال ممّا يدل على تمكُّنه من ناصية اللغة ومعرفته الدقيقة بأفانينها ودقَّته في تناول أساليبها، ويلحظ أيضاً إبرازه جانبَ الخير المتمثِّل فيه، وفي آل بيته الطاهرين عليهم السلام، وقد أُقْصُوْا عن مراتبهم الشريفة التي كان يجب أن تسود بحسب المنطق السليم وهي خلافة المسلمين، بمقابل جانب الشر المتمثل في أعدائه غير المؤهلين للقيادة الذين استلموا مقاليد الأمور من خلال الترغيب بإغواء الناس الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة بالمغريات الدنيوية ، أو بالترهيب والتنكيل لكل من خالفهم في نهجهم، أو ناصر أهل بيت النبوة والرسالة عليهم السلام، لقد عمل الإمام الحسن بكل ما أوتي من سَعَةٍ وقوة إلى إبراز أحقيته ومظلوميته من خلال خُطَبِه التي ناظر بها أعداءه أو ردَّ عليهم بما أفحمهم بالحجج، وأبان صِغَرَهم أمام عظمته وفساد منهجهم بمقابل حُسْنِ منهجِهِ.

من هنا كان تنوع طرق القصر في خطبه دليلاً على عمق تفكيره، وقوة أدائه، وسبك أسلوبه، وجزالة ألفاظه، وواقعية تجربته، فهي جزء من منظومته اللغوية، لأنّها صورٌ تركيبية بليغةٌ جزلة، لا تخرج عن النظام اللغوي الاقناعي الحجاجي، بسبب قيمتها الإيجازية الاستيفائية للخطاب، فضلاً عن إنتاجها معانٍ دلالية قلما نجدها في تراكيب أخرى، مع عدم التقليل من دور الألفاظ؛ لأنّها المكون الأولي لمادة القصر والمنتج الحقيقي لتلك المعاني.

٣) أسلوب الموجه اليقيّني والشكّي :

تُعدّ أفعال اليقين والشك من أصناف الفعل في اللغة العربية، التي ذكرها النحاة تحت باب الأفعال التي تنصب مفعولين واصطلحوا عليها أفعال القلوب؛ لأنّها أفعال قلبية باطنة معانيها نفسية قائمة في القلب متصلة به، وقد ذكر منها سيبويه سبعة أفعال(حسب، ظنّ، خال، رأى، وجد، علم، زعم)، منها ما يكون لليقين، ومنها ما يكون للشك، والغرض من دخولها على الجمل هو بيان ما استقر في ذهن المتكلم من حال المفعول الأول يقيناً كان أو شكاً، وهذا الذي منع الاقتصار على أحد المفعولين وحذف الأخر[٣٧]، قال سيبويه: ((هذا باب الفاعل الذي يتَعدّاه فعلُه إلى مفعولين وليس لك أن تقتصر على أحد المفعولين دون الآخر وذلك قولك: حَسِبَ عبد الله زيداً بكراً، وظن عمرو خالداً أباك... وإنما مَنعك أن تقتَصر على أحد المفعولين ههنا أنّك إنّما أردْتَ أن تبيّن ما استقَرّ عندك من حال المفعول الأوّل، يقيناً كان أو شكّا، وذكرتَ الأوّلَ لتُعلِم الذي تُضيفُ إليه ما استقّر له عندَكَ مَن هو. فإنّما ذكرتَ ظننتُ ونحوَه لتجعلَ خبر المفعول الأوّل يقيناً أو شكّاً، ولم ترد أن تَجعل الأوّل فيه الشّك أو تقيم عليه في اليقين))[٣٨].

فالموجهات اللسانية(أفعال اليقين والشك) تضطلع بوظيفة حجاجية، إذ تسمح بتوجيه الملفوظ حسب مقاصد المتكلم ومتطلبات التلقي، ففي خضم التفاعل بين اطراف التخاطب يلجأ المتكلم إلى وسم خطابه بشارات الحجاج/ موجهات لسانية قصد توجيه القول والمقول، فضلاً عن توجيه الطرف المقابل الى فعل عمل ما[٣٩]. وخطب الإمام اتسمت بوظيفة التوجيه واصطبغت بمجموعة من الموجهات الحجاجية التي تحقق الاقناع والتأثير، ومن ثم توجيه المتلقي نحو فعل ما أو تركه (الاقناع أو الإذعان)، وفيما يأتي أهم الموجهات في خطابه:

أ) الموجه اليقيني:

تعد الموجهات اليقينية الضمان لحقيقة الكلام، ولإمكان أن يكون هذا الكلام مقنعاً على الرغم من اصطباغه بالذاتية؛ لأنّ الاقناع يحصل لدى المتلقي بمجرد أنّ القضية المعروضة عليه جاءت موجهة توجيه اثبات، ومهمتها إثبات القضايا المنكرة وحمل المخاطب على الاقتناع وترك الشك والتردد والإنكار[٤٠].

ومن أمثلة ذلك(**أعلم**) في قوله: ((**وقد أخبرتكم مرة بعد مرة أنه لا وفاء لكم أنتم عبيد الدنيا وأنا موجه رجلاً آخر مكانه وإني أعلم أنه سيفعل بي وبكم ما فعل صاحبه ولا يراقب الله في ولا فيكم**))(٤١) .

الشاهد قوله:(وإني أعلم أنه سيفعل...) فـ(أعلم) موجه حجاجي من العلم الذي هو: الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، أي: إدراك الشيء، وزوال الخفاء من المعلوم، والجهل نقيضه، فهو صفة راسخة تدرك بها الكليات والجزئيات، لوصول النفس إلى معنى الشيء(٤٢).

استغل الإمام هذا الموجه لتوجيه كلامه توجيه إثبات، وإضفاء طابع اليقين والاعتقاد الجازم عليه؛ لغرض دفع مخاطبيه بدورهم إلى الاعتقاد بصحة كلامه والعمل بما يقول، فأسهم هذا الفعل في تأكيد حضور ذات الإمام وإبراز يقينها التام منه؛ لأنّ من شروط العلم أن يكون العالم محيطاً احاطة تامة بالمعلوم ومتأكد من حقيقته، وقد تحقق كلام الإمام الحسن عليه السلام فيما أخبر سيغدر كما غدر الكندي، فقد حلف المرادي له بالأيمان التي لا تقوم لها الجبال أنه لا يفعل، ما فعل سابقه، فقال الحسن إنه سيغدر فلما توجه إلى الأنبار أرسل معاوية إليه رسلاً وكتب إليه بمثل ما كتب إلى صاحبه وبعث إليه بخمسة آلاف درهم ومناه أي ولاية أحب من كور الشام والجزيرة فقلب على الحسن وأخذ طريقه إلى معاوية ولم يحفظ ما أخذ عليه من العهود وبلغ الحسن ما فعل المرادي فقام خطيباً فقال:((**قد أخبرتكم مرة بعد أخرى أنكم لا تفون لله بعهود وهذا صاحبكم المرادي غدر بي وبكم وصار إلى معاوية**))(٤٣) .

ومن ذلك (**أرى**) في كلامه لسليمان بن صرد ومن معه، قال:((**أنتم شيعتنا وأهل مودتنا فلو كنت بالحزم في أمر الدنيا أعمل ولسلطانها أركض وأنصب ما كان معاوية بأبأس مني بأساً ولا أشد شكيمة ولا أمضى عزيمة، ولكني أرى غير ما رأيتم وما أردت بما فعلت إلاّ حقن الدماء فارضوا بقضاء الله وسلموا لأمره والزموا بيوتكم وأمسكوا**))(٤٤) .

الشاهد قوله:(ولكني أرى غير ما...) فـ(أرى) القلبية تدل على اليقين وتفيد الاعتقاد الجازم في شيء أنه على صفة معينة(٤٥)، فالإمام يحمل مخاطبيه على الاقتناع وترك الشك والانكار ويسم حجته بالموجه الحجاجي(أرى)، الذي وجه الخطاب توجيه اثبات، ليحقق الوظيفة الحجاجية

في الملفوظ، واظهر خطابه رأيه في أمورٍ ومعانٍ شتى كشفت عُمْقَ نظراتِهِ إلى بواطن الأمور في مناحي الحياة المتعددة، وإذا كان كثير من الشيعة في الكوفة قد حاولوا حمل الإمام الحسن عليه السلام على الثورة والتغيير بعد نقض معاوية للعهد وسوء سيرته فيهم، فذلك منهم ناشئ عن فقدهم النظرة الموضوعية نتيجة تأجج عاطفتهم نحو أهل البيت عليهم السلام وشدّة أسفهم لاعتزالهم السلطة، وإنكارهم سوء سيرة معاوية لذا لم يستجب الإمام عليه السلام لهم وإن طيب خواطرهم، وهذا كلام منه عليه السلام يشفي الصدور ويذهب بكل شبهة .

ب) الموجه الشكّي:

يمثل هذا النوع من الموجهات(أفعال الشك) المعروفة بأخوات ظنّ، وهي(ظنّ، وزعم وخال، وحسب، وعدّ)، التي تستعمل في الخطاب، من لدن المتكلم المحاجج لتقوية موقفه وتضعيف موقف الخصم، ومن شأنها أن تجعل الملفوظ ذا سمة ذاتية عبر الإعلان عن حضور صاحبه حضوراً بارزاً للعيان تكسبه صبغة موضوعية، لغاية إقناعية بمضمون القضايا المعروضة(٤٦) .

ومن أمثلة ذلك(زعم) في قوله: ((**أيّها الناس إنّ معاوية زعم: أنّي رأيته للخلافة أهلا ولم أرَ نفسي لها أهلا وكذب معاوية، أنا أولى الناس بالناس في كتاب الله وعلى لسان نبي الله، فأقسم بالله لو أنّ الناس بايعوني وأطاعوني ونصروني، لأعطتهم السماء قطرها، والأرض بركتها، ولما طمعتم فيها يا معاوية**))(٤٧).

الشاهد قوله:(زعم: أنّي رأيته للخلافة...) فـ(زعم) يستعمل في الغالب للظن الفاسد، أي: ما يشك فيه أو يعتقد فساده وكذبه من الأقوال، فهي لغير المتيقن ومصدرها زَعْم(٤٨)، فهي تفيد القول انّ الشيء على صفة قولا غير مستند الى الوثوق(٤٩) . فيستعمل قصد توجيه الخطاب الوجهة التي يريدها المتكلم واقتحام عالم المتلقي وتغييره، فهو بذلك يعد رافداً من روافد الحجاج، لذلك استعمله الإمام ليؤثر في متلقيه واستمالتهم الى مقاصده وكشف زيف مدعي القول، فالإمام الحسن عليه السلام قد سفّه أحلام معاوية في أن يرضخ لمطلبه، وأظلم نهاره، وشرح مشكلة الأمة الإسلامية الحقيقية وكشف هوية المنتزين على كراسي الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية، حتى جلس معاوية حائراً لا يدري ما يصنع فقد أحاط المكر السيئ بأهله.

فخلافة رسول الله ﷺ في الاسلام لا ينبغي ان تكون الا في أقرب المسلمين شبهاً به في سائر مزاياه الفضلى، وانه ليس لطليق ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح شيء في هذا الامر، وأن الغلبة والقوة لا تجعل غير الجائز جائزاً، فلا يصح أخذ الخلافة عنوة ولا فرضها على المسلمين قسراً .

ومنه قوله لمروان: ((**ويلك يا مروان، لقد تقلدت مقاليد العار في الحروب عند مشاهدتها والمخاذلة عند مخالطتها، هبلتك أمك لنا الحجج البوالغ، ولنا عليكم، إن شكرتم النعم السوابغ ندعوكم إلى النجاة، وتدعوننا إلى النار، فشتان ما بين المنزلتين، تفتخر ببني أمية وتزعم أنهم صبر في الحرب، أسد عند اللقاء، ثكلتك الثواكل أولئك البهاليل السادة، والحماة الذادة، والكرام القادة، بنو عبد المطلب**))[50] .

الشاهد قوله:(**وتزعم أنهم صبر...**) فـ(تزعم) استعملها الإمام لتحقيق استراتيجية الهدم والبناء عبر تقويض حجج مروان وهدمها وتأسيس حججه على انقاضها، فهذا الموجه قد مهد لظهور حجة قوية قائمة على دحض الخصم ابتغاء الوصول الى النتيجة المتوخاة[51]، وهي تحقيق التأثير والاقناع لدى متلقيه، وبث التشكيك في خطاب أو إدعاء الخصم وزيادة التردد في قبوله مما يحيل على التأكيد واثبات نقيض خطابه، وتفنيده وتعريته من مقومات نجاحه، وبذلك ابطل الإمام محتوى هذا الإدعاء ونسف مزاعم مروان، وحوله الى مجرد كاذب أو في حكمه، وحاول الإمام عليه السلام أن يكشف زيف المدعين والحُسَّاد ومحاربة ذوي الفساد، الذين حاولوا إقصاءهم عن مراتبهم، وجعلوا العراقيلَ في دروبهم، وخلط الحقائق في أذهان رعيتهم، والنيل منهم، وشنّ الحرب عليهم والتنكيل بهم وبمتَّبعيهم، وإغواء ضعاف النفوس من طلاب الدنيا وعبيدها في استسهال البهتان عليهم .

٤) الأسلوب الاستفهامي :

الاستفهام: يراد به طلب الفهم[52]، أي محاولة معرفة شيء مجهول، أو استيضاح ما في ضمير المخاطب[53] ؛لأن الفهم((صورة ذهنية تتعلق أحياناً بمفرد شخص، أو شيء، أو غيرهما، وتتعلق أحيانا بنسبة، أو بحكم من الأحكام سواء أكانت النسبة قائمة على يقين أم ظن أم على شك))[54].

لذا عرّفه بعضهم بأنّه: طلب حصول الشيء في الذهن(٥٥)، ويُؤدى بأدوات منها ما تكون أحرفاً كـ(الهمزة، وهل، وأم)،ومنها ما تكون أسماء كـ(من، وما، وكم، وأي، متى، وأين، وكيف، وأنى)(٥٦) .

وهذا الغرض هو الأساس منه، غير أنَّه قد يضاف إليه معنىً آخر، لا يرمي المستفهم جواباً من سؤاله، بل يود إيصال معانٍ أخرى، من خلال الأداة التي تتصدره، إذ أن أدوات الاستفهام قد تخرج عن معانيها الأصلية الى معان أخرى على سبيل المجاز وتفهم من خلال سياق الكلام وقرائن الاحوال، تسمى المعاني المجازية تستلزم تأويل القول المراد تحليله انطلاقاً من قيمته الحجاجية؛ لأنّ المستفهم يهدف الى تحدي المتلقي في أن يستطيع الانكار أو حتى الإجابة، وقد أشار(ديكرو) الى أنّ الغاية من الاستفهام تتمثل في أن نفرض على المخاطب به إجابة محددة يمليها المقتضى الناشئ عن الاستفهام، فيتم توجيه دفة الحوار الذي نخوضه معه الوجهة التي نريد(٥٧) . فهو صورة من صور إقناع المتلقي بفكرة معينة، ورأى(بلونيتن) أنَّ الاستفهام الحجاجي ليس استخباراً أو طلب جواب، بل هو وسيلة حجاجية، يحصل بموجبه إقرار المتلقي بصحة ما يعرضه الخطيب من خطابه(٥٨). ومن أهم الأدوات التي خرج لها الاستفهام لأداء معنى أخر هي:

أ) الهمزة، وهل:

أمّا الهمزة ، فهي حرف يدخل على الأسماء والأفعال لطلب التصديق والتصور(٥٩)، وقد وصفت بأنّها أم الباب، وأصل أدوات الاستفهام(٦٠)، قال عنها سيبويه: ((حرف الاستفهام الذي لا يزول عنه إلى غيره وليس للاستفهام في الأصل غيره))(٦١)، والأصل هو تقدير دخول الهمزة على سائر أدوات الاستفهام، قال ابن يعيش:((لما كثُر استعمالها في الاستفهام حذفت الألف للعلم بمكانها))(٦٢).

وأمّا هل: فهي حرف استفهام يدخل على الأسماء والأفعال؛ لطلبِ التصديق الموجب لا غير(٦٣)، ويمكن أن تأتي بمعنى(قد)(٦٤)، وهما يحملان طاقة حجاجية تتمثل في إقرار المخاطب، وإقناعه بما لديه من فكرة معينة؛ وعليه فالإقناع يمثل جوهر حركة السؤال والجواب فيهما.

ومن أمثلة ذلك قوله عليه السلام في الرد على معاوية وجلسائه الذين نالوا من الإمام علي عليه السلام ظلماً وعدواناً – نقتصر على موضع الشاهد منها لطولها-: ((**الحمد لله الذي هدى أولكم بأولنا، وآخركم بآخرنا، وصلى الله عليه سيدنا محمد النبي وآله وسلم ثم قال: اسمعوا مني مقالتي، وأعيروني فهمكم، وبك أبدأ يا معاوية إنه لعمر الله يا أزرق ما شتمني غيرك، وما هؤلاء شتموني ولا سبني غيرك وما هؤلاء سبوني، ولكن شتمتني وسببتني، فحشا منك، وسوء رأي، وبغياً وعدواناً وحسداً علينا، وعداوة لمحمد صلى الله عليه وآله قديماً وحديثاً، وإنه والله لو كنت أنا وهؤلاء يا أزرق مثاورين في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وحولنا المهاجرون والأنصار، ما قدروا أن يتكلموا بمثل ما تكلموا به، ولا استقبلوني بما استقبلوني به، فاسمعوا مني أيها الملا المخيمون المعاونون عليّ ولا تكتموا حقاً علمتموه، ولا تصدقوا بباطل نطقت به، وسأبدأ بك يا معاوية فلا أقول فيك إلا دون ما فيك.**

أنشدكم بالله هل تعلمون أن الرجل الذي شتمتموه صلى القبلتين كلتيهما وأنت تراهما جميعا ضلالة، تعبد اللات والعزى ؟ وبايع البيعتين كلتيهما بيعة الرضوان وبيعة الفتح، وأنت يا معاوية بالأولى كافر، وبالأخرى ناكث. ثم قال:

أنشدكم بالله هل تعلمون أنما أقول حقا إنه لقيكم مع رسول الله صلى الله عليه واله يوم بدر ومعه راية النبي صلى الله عليه وآله ومعك يا معاوية راية المشركين، تعبد اللات والعزى، ...

أنشدكم بالله هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله ... قال : لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار، ثم لا يرجع حتى يفتح الله عليه ...

أنشدكم بالله أ تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله استخلفه على المدينة في غزوة تبوك ولا سخطه ذلك ولا كرهه... فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت وصيي وخليفتي في أهلي بمنزلة هارون من موسى...

أنشدكم بالله أ تعلمون أن رسول الله قال في حجة الوداع: أيها الناس إني قد تركت فيكم ما لم تضلوا بعده كتاب الله فأحلوا حلاله، و حرموا حرامه واعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا آمنا بما أنزل الله من الكتاب وأحبوا أهل بيتي وعترتي، ووالوا من والاهم، وانصروهم على من عاداهم وإنهما لم يزالا فيكم حتى يردا علي الحوض يوم القيامة...

أنشدكم بالله أ تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال له: أنت الذائد عن حوضي يوم القيامة: تذود عنه كما يذود أحدكم الغريبة من وسط إبله،

أنشدكم بالله أتعلمون أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه الذي توفي فيه، فبكا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال علي: ما يبكيك يا رسول الله ؟ فقال: يبكيني أني أعلم أن لك في قلوب رجال من امتي ضغائن لا يبدونها حتى أتولى عنك،

أنشدكم بالله أ تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله حين حضرته الوفاة، واجتمع أهل بيته قال: اللهم هؤلاء أهلي وعترتي، اللهم وآل من والاهم، وانصرهم على من عاداهم، وقال: إنما مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من دخل فيها نجا ومن تخلف عنها غرق. أنشدكم بالله أتعلمون أن أصحاب رسول الله قد سلموا عليه بالولاية في عهد رسول الله وحياته صلى الله عليه واله.

أنشدكم بالله أ تعلمون أن علياً أول من حرم الشهوات كلها على نفسه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله...

أنشدكم بالله هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث إليك لتكتب لبني خزيمة حين أصابهم خالد بن الوليد فانصرف إليه الرسول فقال: هو يأكل فأعاد الرسول إليك ثلاث مرات، كل ذلك ينصرف الرسول ويقول: هو يأكل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهم لا تشبع بطنه، فهي والله في نهمتك وأكلك إلى يوم القيامة ثم قال:

أنشدكم بالله هل تعلمون أنما أقول حقاً إنك يا معاوية كنت تسوق بأبيك على جمل أحمر، ويقوده أخوك هذا القاعد، وهذا يوم الأحزاب، فلعن رسول الله صلى الله عليه وآله الراكب والقائد والسائق، فكان أبوك الراكب، وأنت يا أزرق السائق وأخوك هذا القاعد القائد ؟ ثم أنشدكم بالله هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله لعن أبا سفيان في سبعة مواطن...))[٦٥].

الشاهد قوله:(أنشدكم بالله **هل** تعلمون... أنشدكم بالله أ تعلمون)، استعمل الإمام الاستفهام ليفيد معنى التقرير، المتضمن التقريع والتوبيخ، ونعني بالتقرير:((حَمْلُ المخاطَب على الإِقْرار والاعتراف بأمرٍ قد استقرّ عنده العلْمُ به، أو هو أمْرٌ باستطاعته معرفته حِسِّيّاً أو فكْرِيّاً، موجباً كان أو سالباً، والتقريع: توجيه اللّوم والعتاب الشديد الموجع، والتوبيخ توجيه لوم على فعل شيءٍ غير حَسَنٍ في نظر موجّه الاستفهام))[٦٦]. فخطاب الإمام للجمهور المتلقي كان للرد على ما عرضه معاوية وأذنابه الذين حاول التنكيل والإقلال من منزلة الإمام وأهل

بيته ، وإقناعهم بأن ما قالوا كان زوراً وبهتاناً، ولهذا ناشدهم بالله في قضايا هم يعرفونها، ومقتضى النص هو تصحيح هذه النظرة. وكان الإمام دقيقاً في استعماله؛ لأنّ ميزة هذا السؤال الحجاجي هي حصر الإجابة المتمثلة بالإقرار بالفكرة المعروضة التي قصدها؛ لما تحمله من طاقة حجاجية تتمثل في إقرار المتلقي وإقناعه بفكرته، وهي الغاية من خطابه الحجاجي؛ فهو ((يفرض على المخاطب نمطاً معيناً من النتائج باعتبارها الوجهة الوحيدة التي يمكن للمخاطب أن يسير فيها))(٦٧).

ب) كيف:

كيف الاستفهامية، تكون بمعنى(على أي حال)(٦٨)، وهو ظرف، لا اسم كما ذهب إلى ذلك سيبويه(٦٩)، وخالفه الأخفش، والسيرافي(٧٠)،وتابعهما ابن يعيش إذ قال:((والصحيح أنّها اسم صريح غير ظرف، وإن كان قد يؤدي معناها معنى على أي حال))(٧١) وهو مبني على الفتح لتضمنه همزة الاستفهام، إذ إنها تغني عن تعديد الأحوال؛ لأنّها أكثر من أن يحاط بها(٧٢)،ولها صدر في الكلام كما لزمت أدوات الاستفهام ذلك للمحافظة على تأدية معنى الاستفهام فيها ولو أخر لتناقض المراد منها.

وقد تخرج لمعانٍ أخر تستفاد من سياق الكلام والقرائن، قال ابن فارس: كيف((لها ثلاثة أوجُه:أحدها: **سؤال محض** عن حال، تقول: كَيْفَ زيد؟.

والوجه الآخر: **حالٌ** لا سؤال معه، كقولك: لأكْرِمَنّك كيف كنتَ. أي: على أيّ حال كنت.

والوجه الثالث: كيف بمعنى **التعجب**، وعلى هذين الوجهين يُفَسَّر قوله: ﴿ **فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ**﴾ .المدثر:١٩، قالوا: معناها «على أيّ حال قَدّر» **وتعجيب** أيضاً. ومن **التعجيب** قوله جلّ ثناؤه: ﴿ **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ** ﴾ البقرة:٢٨، وقد يكون كيف بمعنى **النفي**. قال:

كيف يَرْجونَ سِقاطِي بعدما   لاحَ في الرَّأس مَشِيبٌ وَصَلَعْ .

ومنه قوله جلّ ثناؤه: ﴿ **كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللهِ**﴾ التوبة: ٨. و﴿ **كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ** ﴾ آل عمران: ٨٦. وتكون **توبيخاً**، كقوله جلّ ثناؤه: ﴿**وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ**﴾ آل عمران: ١٠١ . فأمّا قوله: ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ**

بِشَهِيدٍ﴾ النساء: ٤١. فهو **توكيد** لِمَا تقَدَّم من خبر وتحقيق لِمَا بعده، على تأويل: إن الله لا يظلم مثقالَ ذَرَّة في الدنيا فكيف في الآخرة))(٧٣).

ومن أمثلة ذلك قوله عليه السلام: **((كذبتم والله، ما وفيتم لمن كان خيراً مني فكيف تفون لي، وكيف أطمئن إليكم ولا أثق بكم))**(٧٤).

الشاهد قوله:(**فكيف** تفون لي، **وكيف** أطمئن إليكم...)، لكي نعرف دلالة الاستفهام من خلال أداته يتحتم علينا مراجعة سياق الخطبة؛ لنرى مدى المرارة والألم والحسرة، التي مرّ بها الإمام ليجيب بهكذا جواب، ويستعمل هكذا أداة استفهامية، والسياق يقول: لما استشهد الإمام عليّ عليه السلام جاء الناس إلى الإمام الحسن، وقالوا: أنت خليفة أبيك ووصيه، ونحن السامعون المطيعون لك فمرنا بأمرك فقال: كذبتم ...(٧٥).

الظاهر أن الأداة خرجت لمعنى الاستفهام الإنكاري الإبطالي وإنّ مدعيه كاذب، مع إرادة النفي((على المُثْبِتِ كَيْفَ أَثْبَتَ مَا هو ظاهر النفي، وكانَ الواجبُ عليه أن يَنْفِي، أو مع الإِنكار على المخاطب قضيَّته، وهي باطلة في تصوُّرِ مُوجِّه الاستفهام))(٧٦). فيكون المعنى: لا تفون لي، ولا اطمئن لكم؛ لكثرة ما عاناه منهم أبوه من قبل، وما شاهده الإمام منهم من قبل، فالاستفهام بـ(كيف) استلزم الإجابة المتمثلة بالمفهوم الدلالي المضمر في نفس متلقيه وهي الإقرار بضرورة إعادة النظر بتصرفاتهم وأقوالهم تجاه إمامهم المفترض الطاعة، فتكون النتيجة المطلوبة التي استهدفها حجاج الإمام إقناع المتلقين عن طريقِ التساؤل الذي ينطلق من المبادئ المتفق عليها غالباً؛ والمتمثلة بأن الاستفهام يقوم من الناحية التخاطبية على فكرة مفادها اعتقاد المتكلم أنَّ المخاطب يملك الإجابة التي يطلبها، والإجابة التي سيقدمها المخاطب هي إقراره في الواقع بما يريده المتكلم.

ب) أيُّ:

هي اسم استفهام يستفهم بها عن العاقل، وغير العاقل((وتختص «أيّ» بالإعراب وبلزوم الإضافة لفظاً وتقديراً، وبأنها كبعض مع المعرفة، وككل مع النكرة))(٧٧)، وفي اضافتها تفصيل فتضاف الى((اثنين فصاعداً إذا أضيف إلى المعرفة كقولك: أيّ الرجلين، وأيّ الرجال عندك، وأيّهما وأيّهم وأيّ من رأيت أفضل، وأيّ الذين لقيت أكرم. وأما قولهم أيّي وأيّك كان شراً

فأخزاه الله، فكقولك اخزي الله الكاذب منّي ومنّك وهو بين وبينك، والمعنى أينا ومنا وبيننا...واذا أضيف إلى النكرة أضيف إلى الواحد والاثنين والجماعة : أيّ رجلٍ، وأيّ رجلين، وأيّ رجال، ولا تقول أيّا ضربت، وبأيّ مررت إلا حيث جرى ذكر ما هو بعض منه كقوله عز وجل: ﴿ **أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى** ﴾ الاسراء/ ١١٠. ولا ستيجابه الإضافة عوضوا منها توسيط المقحم بينه وبين صفته في النداء))(٧٨) .

وقد تخرج كبقية أدوات الاستفهام عن معناها الحقيقي الى معنى مجازي، ومن أمثلة ذلك في قول الإمام(عليه السلام):((**غررتموني كما غررتم من كان من قبلي مع أيّ إمام تقاتلون بعدي مع الكافر الظالم، الذي لم يؤمن بالله ولا برسوله قطُّ، ولا أظهر الإسلام هو ولابنو أمية إلاّ فرقاً من السيف، ولو لم يبق لبني أمية إلاّ عجوز درداء لبغت دين الله عوجاً وهكذا قال رسول الله (صلى الله عليه وآله)**))(٧٩).

الشاهد قوله:(مع **أيّ** إمام تقاتلون بعدي...)، من الأساليب الذكيّة غير المباشرة عند الإمام هو أنه حاول جعل المخاطَب يُدْرِك المعنى بنفسه ولو لم يُعبِّر عنه بكلامه، عن طريق الاستفهام الموجه توجيهاً خاصّاً، المحاط بقرائن سواء عبّر عنه بالجواب أم لم يُعَبِّر، لذا خرج الاستفهام في قوله المذكور آنفاً لإفادة معنى: التنبيه على ضلال المخاطبين(٨٠)، والمتضمن معنى التعجب التوبيخي والتأنيبي؛ لأنّ حالهم يثير التعجُّب والاستغراب، كيف يصْدُرُ منهم ذلك إن كانوا أصحاب عقول وأفكار؟! . ولعلّ الأقرب هو معنى النفي، أي لا إمام أبداً تقاتلون معه؛ لأنهم لا يريدون القتال من الأساس، ويؤثرون الراحة والكسل على الجهاد والعمل، فهم كالسراب يقرّبون البعيد، ويبعدون القريب، ومن هنا وصفهم الإمام في غير مكان بالكذب والنفاق .

فقد حاول الإمام عبر الاستفهام الحجاجي التأثير في ذهنية مخاطبيه وإقناعهم؛ لأنه الوسيلة في الخطاب المؤسس للإقناع، فهو موجَّه إلى المخاطب ويسعى إلى حمله على الإجابة، وكشف أيضاً عن ما لقيه الإمام الحسن (عليه السلام) من محن يضيق بها الوسع، لكنه رضخ لها صابراً محتسباً، وخرج منها ظافراً بما يبتغيه من النصح لله تعالى، ولكتابه الكريم، ولرسوله وآله، ولخاصة المسلمين وعامتهم، وهذا الذي يبتغيه ويحرص عليه في كل ما يأخذ أو يدع من قول أو فعل، ولا وزن لمن اتهمه بأنه أخلد بصلحه مع معاوية الى الدعة، وآثر العافية والراحة.

٥) الأسلوب التوكيدي :

أسلوب يراد به تثبيت المعنى في النفس وإزالة اللبس عن الحديث أو المحدث عنه[٨١]، وهو لفظ يفيد تقوية ما يفيده لفظ آخر، ولا يكون في الكلام إلا إذا كان هناك احتمال شك، أو تردد في قبوله ، لذا فهو:((تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره، وفائدته إزالة الشكوك وإماطة الشبهات عما أنت بصدده))[٨٢]، وهو من التوابع، قال ابن جني: ((اعلم أنَّ التوكيد لفظٌ يتبع الاسم المؤكد في إعرابه؛ لرفع اللبس، وإزالة الاتساع))[٨٣]، والتوكيد القياسي في اللغة العربية على قسمين رئيسين هما: التوكيد اللفظي، والتوكيد المعنوي ، **والأول**: يعني تكرير اللفظ وإعادته، ويكون ذلك في الأسماء والأفعال، والجمل، والحروف، والضمائر[٨٤]، **والثاني**: هو ((تابع يقرر أمر المتبوع في النسبة أو الشمول))[٨٥]، وهو تكرير للمعنى دون لفظه بألفاظ حددها هي: نفس، عين، أجمع، جمعاء، كل ، كلنا، عامة، ويشترط في ألفاظ هذا التوكيد اتصالها بضمير يعود على المؤكد ويطابقه في الجنس والعدد[٨٦] . ويتعدى هذا الأسلوب بحسب معطيات الدرس اللساني الحديث حدود الوظيفة النحوية المحدودة، فهو عندهم فعل كلامي، ومعنى أسلوبي كثير الورود في لغة التواصل اليومية، مندرج ضمن صنف التقريريات، وهو غرض تواصلي يتميز بإفادة خاصة متعلقة بمراعاة حال السامع، وايراده انما يكون بحسب درجة الشدة للغرض المتضمن في القول[٨٧] . ومن أهم أنواع التوكيد في خطبه عليه السلام هي:

أولاً/ التوكيد بالضمير

أ) التوكيد بالضمير المنفصل

الضمير: ((هو الموضوع لتعيين مسماه مشعراً بتكلمه، أو خطابه، أو غيبته))[٨٨]، ، كـ «أنا، وأنتَ، وهو»، وسمّاه سيبويه المضمر، قال: ((اعلم أن المضمَر المرفوع، إذا حدث عن نفسه فإن علامته أنا، وإن حدث عن نفسه وعن آخر قال: نحنُ، وإن حدث عن نفسه وعن آخرين قال: نحنُ، ولا يقع أنا في موضع التاء التي في فعلْتُ، لا يجوز أن تقول: فعل أنا، لأنهم استغنوا بالتاء عن أنا، ولا يقع نحنُ في موضع نا التي في فعَلْنا، لا تقول: فعلَ نحن، وأما المضمَر المخاطَب فعلامته إن كان واحداً: أنت، وإن خاطبتَ اثنين فعلامتُهما: أنتُما، وإن خاطبتَ جميعاً

فعلامتُهم: أنتم))[٨٩]، ويسمى ((ضمير المتكلم والمخاطب: «ضمير حضور»؛ لأنّ صاحبه لا بد أن يكون حاضراً وقت النطق به والضمير بأنواعه الثلاثة لا يثنى، ولا يجمع، إنما يدل بذاته على المفرد، المذكر أو المؤنث، أو على المثنى بنوعيه المذكر والمؤنث معاً، أو على الجمع المذكر، أو المؤنث... ومع دلالته على التثنية أو الجمع فإنه لا يسمى مثنى، ولا جمعاً))[٩٠] .

ومن أمثلة الضمائر في خطبه الضمير (**أنا**)، في قوله عليه السلام: ((**أيها الناس من عرفني**

فأنا الذي يعرف، ومن لم يعرفني

فأنا الحسن بن علي بن أبي طالب ابن عم نبي الله أول المسلمين إسلاماً وأمي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وجدي محمد بن عبد الله نبي الرحمة

أنا ابن البشير

أنا ابن النذير

أنا ابن السراج المنير

أنا ابن من بعث رحمة للعالمين

أنا ابن من بعث إلى الجن والإنس أجمعين ...

أنا ابن مستجاب الدعوة

أنا ابن الشفيع المطاع

أنا ابن أول من ينفض عن رأسه التراب

أنا ابن من يقرع باب الجنة فيفتح له فيدخلها

أنا ابن من قاتل معه الملائكة وأحل له المغنم ونصر بالرعب من مسيرة شهر))[٩١] .

لكي يتضح سبب استعمال الضمير(**أنا**) والغرض الحجاجي منه يجب معرفة السياق الذي جاء بسببه ووضع لأجله، إذ روي أنه جاء عمرو بن العاص الى معاوية وقال له: ابعث إلى الحسن بن علي فمره أن يصعد المنبر ويخطب الناس، فلعله أن يحصر فيكون ذلك ممّا نعيره به في كل محفل، فبعث إليه معاوية فأصعده المنبر وقد جمع له الناس ورؤساء أهل الشام، فحمد الله الحسن وأثنى عليه ثم قال- خطبته أعلاه- فأكثر في هذا النوع من الكلام ولم يزل به حتى أظلمت الدنيا على معاوية وعرف الحسن من لم يكن عرفه من أهل الشام وغيرهم ثم نزل[٩٢] .

يظهر من خطاب الإمام استعماله المكثف للضمير المنفصل الدال على المتكلم المفرد؛ ليضمن صوتاً احتجاجياً توكيدياً يؤمّن التفاعل والاختلاف والانسجام بين المواقف في الخطاب، فهو المدافع عن فرضية المنتصر لقضيته الحقة، والصوت المعارض والرافض للمعتقد المشوش لدى بعض متلقيه ليقيم ما اعوج في أذهانهم من أفكار ويقنعهم بما لديه من معتقدات، فهو –أي الضمير– ((لا يأتي في الكلام إلا لغاية حجاجية، إذ إنّ ذلك الترديد الذي يحدثه المرسل في خطابه ينتج زيادة في حضور الفكرة في ذهن المتلقي، الأمر الذي يؤدي الى قبول الفكرة والاقتناع بها))(٩٣). وإعادة تكرار الضمير لإفادة التوكيد ولغاية إقناعية حجاجية ضمن الغرض المصاغ لغوياً، وليس المكرر المولد للرتابة والملل المخل والمهلهل في للبناء، بل هو ذكاء من المتكلم المبدع الذي يدخله ضمن عملية بناء النص، والذي يسمح بتوليد بنيات لغوية جديدة، بوصفه أحد ميكانزمات عملية انتاج الكلام الذي يضمن انسجام النص وتوالده وتناميه(٩٤).

لقد بيّن الإمام عليه السلام أنّه الأحقّ بالخلافة ولو ضمناً في خطابه المستوعب لجميع صفات الخليفة الشرعي التي لم تكن متوفرة في معاوية ، فهو من جهة النسب سبط الرسول صلى الله عليه وآله، وابن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله، وشبل علي عليه السلام فهو الممثّل الرسمي لجدّه وأبيه في جميع المواطن والأماكن، فالذي حمل الإمام على خطابه هذا إنّما هو الإعذار في ما بينه وبين الله (عزّ وجل) في أمره؛ لتكون الحجّة على معاوية وشركائه أوقع وأبلغ عند أهل الرأي والحجى من متلقيه.

ب) توكيد الضمير المتصل

تقدّم أن الضمير عبارَة عَمّا دلّ على مُتَكَلم، أَو مُخَاطب، أَو غَائِب، فهو ينقسم بدوره على: ((مستتر، وبارز؛ لِأَنَّهُ لَا يَخْلُو إِمَّا أَن يكون لَهُ صُورَة فِي اللَّفْظ أَولا، فَالْأول البارز كتاء قُمْت، وَالثَّانِي الْمُسْتَتر كالمقدر فِي نَحْو قَوْلك: قُم ثمَّ لكل من البارز والمستتر اقسام ... وَأما البارز فَإِنَّهُ يَنْقَسِم بِحَسب الِاتِّصَال والانفصال إِلَى قسمَيْنِ: مُتَّصِل، ومنفصل، فالمتصل: هُوَ الَّذِي لَا يسْتَقلّ بِنَفسِهِ كتاء قُمْت، والمنفصل: هُوَ الَّذِي يسْتَقلّ بِنَفسِهِ كأنا وَأَنت وَهُوَ وينقسم الْمُتَّصِل بِحَسب مواقعه فِي الْإِعْرَاب إِلَى ثَلَاثَة أَقسَام مَرْفُوع الْمحل ومنصوبه ومخفوضه، فمرفوعه كتاء قُمْت فَإِنَّهُ فاعل، ومنصوبه ككاف أكرمك فَإِنَّهُ مفعول، ومخفوضه كهاء غُلَامه فَإِنَّهُ مُضَاف إِلَيْهِ))(٩٥).

إذاً الضمير المتصل هو الذي: ((يقع في آخر الكلمة، ولا يمكن أن يكون في صدرها ولا في صدر جملتها؛ إذ لا يمكن النطق به وحده، بسبب أنه لا يستقل بنفسه عن عامله؛ فلا يصح أن يتقدم على ذلك العامل مع بقائه على إعرابه السابق قبل أن يتقدم، كما لا يصح أن يَفْصل بينهما - في حالة الاختيار- فاصل من حرف عطف، أو أداة استثناء؛ كإلا، أو غيرهما))(٩٦) .

ومثال ذلك قوله عليه السلام:((**وقد هرب رسول الله صلى الله عليه وآله من قومه وهو يدعوهم إلى الله حتى فر إلى الغار ولو وجد عليهم أعوانا ما هرب منهم ولو وجدت أنا أعوانا ما بايعتك يا معاوية**))(٩٧) .

الشاهد قوله:(ولو وجدتُ أنا...)، أكدّ الأمام ضمير المتكلم المتصل(التاء)، في «وجدت» بالضمير المنفصل(أنا)، ليعطي بعداً حضورياً لشخصه، وحجاجياً توكيدياً لبيان واقع حاله، ولرفع الشك والريب لدى متلقيه سواء أ كانوا أعداء أم أنصاراً بعد أن دبّ الشك إلى بعضهم بفعل ماكنة الإعلام المضاد نتيجة معاهدة الصلح مع معاوية، لذا جعل التوكيد وسيلة مهمة في التعبير والتصوير لتوليد المعنى المراد وتكثيفه، واشراك متلقيه في حقيقة خطابه، والتأثير فيهم وتمكين الفكرة المراد اثباتها وايضاحها لديهم.

ثانياً/ التوكيد بالأدوات

تمتلك اللغة العربية أنماطاً كثيرة دالة على التوكيد، ففيها أدوات تضيف قيداً توكيدياً في بعض السياقات التي ترد فيها تعرض لها علماء العربية في سياق القول القاصد في التوكيد، فإنّ مقدرتها على تأديته يعد ملحظاً مهماً من ملاحظ قوة اللغة وحجاجها واقناعها وبلاغتها؛ وذلك لاتصال وجودها في الحديث بمراعاة أحوال المقام، والمقال، وبالتحرز عن ذكر ما لا فائدة له؛ لأنّ الأخبار لا تأتي على درجة واحدة من القول، فدرجة التأثر، أو الرغبة في التركيز، أو جذب الاهتمام متفاوتة بين الأشخاص وبين مقامات الحديث، فمقام خالي الذهن يختلف عن مقام المنكر، ومقام المتردد، يختلف عن خالي الذهن، فالتوكيد يفهم من السياق الذي يرد فيه وأدواته تسهم في تشكيل التراكيب اللغوية التي يكون لها دور رئيس في بيان قصدية المتكلم(٩٨) . ومن أدوات التوكيد(إنّ، أنّ، لام الابتداء، نونا التوكيد، قد، ألا، أما، السين، سوف، لن) . وابرز ما جاء منها في خطب الإمام هي:

أ) إنّ، أنّ:

هما من نواسخ الابتداء مختصان بالدخول على الجملة الاسمية، ومؤكدان لمضمونها عند كثير من النحويين، وهما ينصبان المبتدأ ويسمى اسمها، ويرفعان الخبر ويسمى خبرها[٩٩]. والفائدة منهما في الجملة هو التوكيد، قال ابن يعيش: ((فأمّا فائدتهما، فالتأكيدُ لمضمون الجملة، فإنّ قول القائل: «إنّ زيداً قائمٌ» ناب منابَ تكرير الجملة مرتَيْن، إلّا أن قولك: «إن زيدًا قائمٌ» أَوْجَزُ من قولك: «زيدٌ قائمٌ زيدُ قائمٌ»، مع حصول الغرض من التأكيد. فإن أدخلتَ اللام، وقلت: «إنّ زيداً لَقائمٌ»، ازداد معنى التأكيد، وكأنّه بمنزلة تكرار اللفظ ثلاثَ مرّات))[١٠٠] .

ومثال ذلك قوله عليه السلام لّما طُعن بالخنجر وعدل الى المدائن: **((ويلكم والله إنّ معاوية لا يفي لأحد منكم بما ضمنه في قتلي، وإنّي أظن أنّي إن وضعت يدي في يده فأسالمه لم يتركني أدين لدين جدّي صلى الله عليه وآله، وإنّي أقدر أن أعبد الله عزّ وجل وحدي، ولكنّي كأنّي أنظر إلى أبنائكم واقفين على أبواب أبنائهم ، يستسقونهم ويستطعمونهم ، بما جعله الله له فلا يسقون ولا يطعمون، فبعداً وسحقاً لما كسبت أيديهم، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون))**[١٠١] .

الشاهد قوله:(ويلكم والله إنّ، وإنّي أظن أنّي، وإنّي أقدر أن، كأنّي أنظر إلى...)، إنّ تكرار هذه المؤكدات في كلام الإمام الحسن لأكثر من مرّة يشكل سمة أسلوبية؛ لأنّ الكلام إذا تكرر تقرر، وتولد منه دلالات تخصص المعنى، وتمنحه امتدادات وإيحاءات ذات تأثير واضح على المتلقي، حاول الإمام من خلالها تأكيد وزيادة حضوره فيه، يقول ديكرو: ((إنّ حضور بعض العناصر اللسانية في الجمل يعطيها توجيهاً حجاجياً يجعلها تخدم بعض النتائج بدل أخرى))[١٠٢] . فالهيمنة المطلقة لأدوات التوكيد مع القسم لم تأتِ اعتباطاً وإنما كانت مقصودة لطبيعة الظروف التي قيلت فيها هذه الخطبة؛ فالإمام لم يكن يخاطب أناساً سمتهم الطاعة لأوامره، والرضى بقراراته، وإنما كان في مواجهة مخاطبين متخاذلين متقاعسين لأوامر إمامهم وخليفتهم، وليشكل ذلك بعداً حجاجياً، هو أنّ الإمام سلّط الضوء على نقطة جوهرية وحساسة في خطابه، وكشف عن الاهتمام بها ، وهي أن ما يفعلوه غير مجدٍ ولا نتيجة تصير، إليه لأنّ من يعدكم لا وفاء له .

ب) قد:

لفظ مشترك يكون اسماً وحرفاً، فأمّا (قد الاسمية) فلها معنيان: الأول: أن تكون بمعنى حسب، تقول: قدني، بمعنى: حسبي، الثاني: أن تكون اسم فعل بمعنى كفى، ويلزمها نون الوقاية، مع ياء المتكلم، وأما (قد الحرفية) فحرف مختص بالفعل، وتدخل على الماضي، بشرط أن يكون متصرفاً، وعلى المضارع، بشرط تجرده من جازم وناصب وحرف تنفيس، وهي حرف توقّع وتقليل إن دخلت على المضارع، لفظاً ومعنى، وحرف تقريب وتحقيق إن دخلت على الماضي لفظاً ومعنى، أو معنى(١٠٣). فدخولها على الفعل الماضي اكسبها مهمة التوكيد، وجعلها من مؤكدات الجملة الفعلية؛ لإفادتها معه معنى التحقيق والتثبيت، قال تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**﴾.المؤمنون/ ١. فهي توثق وتؤكّد فلاح المؤمنين وحصولهم على ذلك، وتزيل أي احتمال للتكذيب أو الشك في ذلك، قال أبو حيان: ((فإذا قلت : قد قام زيد ففيه من التثبيت والتأكيد ما ليس في قولك : قام زيد))(١٠٤)، فهي تثبت حصول الفعل وتقرره لدى السامع . واذا أراد المتكلم مزيداً من توكيد مضمون الحدث وتقريره لدى السامع من خلال هذه الأداة، فله أن يقرنها بأداة أخرى من أدوات التأكيد هي(لام التوكيد)، فتصبح(لقد)، نحو: لقد انتصرَ الحقُّ، فاجتماعهما معاً في هذا السياق يرفع مستوى توكيد الحدث لدى المتلقي الذي غالباً ما يكون في مقام الشاك، أو المنكر له، فزيادة شكه أو انكاره هو ما استدعى زيادة عنصر من عناصر التوكيد(١٠٥) .

ومثال ذلك في قول الإمام(عليه السلام): ((**لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعملٍ، ولم يدركه الآخرون بعملٍ، لقد كان يجاهد مع رسول الله فيقيه بنفسه، وكان رسول الله يوجّهه برايته، فيكفيه جبرائيل، عن يمينه وميكائيل، عن شماله، ولا يرجع حتى يفتح الله على يديه، ولقد توفي في الليلة التي نزل فيها القرآن، وعرج فيها بعيسى بن مريم، والتي قبض فيها يوشع بن نون: وصيّ موسى، وما خلّف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهمٍ فضلت في عطيّته أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله**))(١٠٦) .

الشاهد قوله:(لقد قبض في، لقد كان يجاهد، ولقد توفي في...)، إنّ إلحاح الإمام وتكراره (لقد) فيه قيمة أسلوبية حجاجية لتقوية المعنى، والربط بين أجزاء النص، والتغلغل في الأعماق للكشف عن إحساسه ومعتقده، والتأثير في نفسية المتلقي أبلغ تأثير، فهو ناجم عن إحساس

صادق، فيه دلالة نفسية وفنية حجاجية في آن واحد، للإلحاح على نقطة حسّاسة، وهي القيمة العليا التي يتمتع بها شخص الإمام علي، وإظهار مزاياها وإماطة اللثام عنها جراء عمليات التشويه المقصودة من قبل اعدائه، فقد أبن أباه أبلغ تأبين في ظرفه، وأليقه بهذا الفقيد بأسلوبه الخطابي، فكان في اختيار رجلٌ ولكنه الذي لم يسبقه الاولون، ولا يدركه الآخرون، وانسان ولكنه بين جبرئيل وميكائيل، وهل هذا إلا الانسان الملائكي ترفع روحه يوم يرفع عيسى، ويموت يوم يموت موسى، وينزل الى قبره يوم ينزل القرآن الى الارض! مراحل كلها بين ملَكٍ مقرّب ونبي مرسلٍ وكتاب منزل، ومع رسول الله يقيه بنفسه.

ج) لن:

أداة مختصة بنصب الفعل المضارع، ونفيه، وتخليصه للاستقبال بعد أن كان يحتمل الحاضر والمستقبل، إلا أنه يستفاد بها توكيد نفي الفعل في المستقبل ونفيه نفياً مؤكدا ، قال ابن يعيش:((لن تفيد تأكيد النفي))(١٠٧)، وقال أبو حيان:((فإن قلت : ما معنى لَنْ؟ قلت: تأكيد النفي الذي تعطيه لا وذلك أن لا تنفي المستقبل تقول: لا أفعل غداً، فإذا أكدت نفيها قلت: لن أفعل غداً والمعنى أن فعله ينافي حال))(١٠٨) . وهي نقيضة سوف، فإذا قلت: سوف أفعل، فنفيه: لن أفعل، فسوف للإثبات ولن للنفي ولا يجمع بينهما، فلا يقال: سوف لن أفعل، ولا سوف لا أفعل كما هو شائع اليوم(١٠٩) .

ومثال ذلك، قوله عليه السلام: ((**أيها الناس إنّ ربّ عليّ كان أعلمُ بعليّ حين قبضه إليه، ولقد اختصه بفضل لن تعهدوا بمثله، ولن تجدوا مثل سابقته**))(١١٠) .

الشاهد قوله:(لن تعهدوا بمثله، ولن تجدوا...)، أكدّ الأمام قوله بـ(لن) مرتين، فضلاً عن المؤكد(لقد)، لأهمية التكرار الأداتي في عملية الإقناع؛ ولأنّ من طبيعة البشر النسيان، والغفلة، والسهو، وعدم الانتباه والتركيز والانكار، وغيرها من الصفات التي يحتاج المتلقي الى التذكير والتنبيه عن طريق الإعادة والتكرار؛ لتوكيد قول المتكلم وتوجيهه حجاجياً نحو القصدية التي يريدها الإمام لمتلقيه بقصد تثبيتها وترسيخها في الأنفس والأذهان، وهي تفرَّد الإمام عليّ عليه السلام بفضائل ومناقب لا يمكن لأحد أن ينالها، أو يأتي بمثلها فهو أخو رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيِّه،

ووزيره، وأمينه، وخليفته من بعده على أُمَّته فلولاه لم تثبت الملَّة، ولا استقرت الشريعة، ولا ظهرت الدعوة، وخطابه محمّل بتعريض ببعض متلقيه الذين ينكرون أو يخفون هذه الفضائل حسداً من عند انفسهم، أو خوفاً على رقابهم من السلطة، ويعجب المطلع كيف يتجاهل معاوية فضائل عليّ ومعرفة حقه، وهو أعرف الناس بحقه، وأشدهم اطلاعاً على فضائله وجلالة قدره وعلو شأنه، اذا عرفنا أن هذه الخطبة قيلت بمحضره.

الى هنا نحاول كسر عنان القلم، فالأساليب في خطابه لا تنتهي فهي بحر زاخر للباحثين، ومنهل عذب للصادين، لننتقل الى ساحل نتائج البحث بعد سفرة ماتعة في خطب الإمام الحسن عليه السلام.

النتائج

١) كان للإمام دور مؤثر تجلّى من خلال دراسة اسلوبية الموجهات الحجاجية، فقد كان يهدف الى تجاوز الآلية اللغوية؛ ليبرز قيم العلامة اللغوية في ذاتها، تارة عبر المعنى المباشر، وأخرى من الإيحاء بالمعنى وعدم المباشرة، واقتناص لازم المعنى، والتأثير في متلقيه، وهذا الأمر تمّ له حين استعمل أدواته استعمالاً مناسباً مراعياً المقام الذي يفرض عليه أن يختار له الحرف الموحي، واللفظ المناسب المؤثر.

٢) تكمن أهمية الموجهات في أن التحليل الحجاجي عامة لا يُعنى بفحص الالفاظ اللغوية لذاتها وفي حدّ ذاتها، وإنما بالطريقة التي توجه بها هذه الالفاظ الحجاج وتشكله، فالوحدات اللغوية التي يختارها المتكلم بغرض توظيفها في التعبير عن آرائه وافكاره ومشاعره ومعتقداته، وكل ما يعكس عموماً وجهة نظره هي اشكال لسانية قادرة على ترجمة قيمة توجيهية تتجلى اساساً في توجيه القول توجيهاً حجاجياً نحو هذا أو ذاك .

٣) إنّ التعبير عن الأفكار أو الكلام هو قسم من أقسام الاتصال يعتمد على متكلم يوجه رسالة إلى متلق، والرسالة غايتها نقل الأفكار، وعن طريقها يحاول المتكلم أن ينشئ علاقة تواصليةً مع المتلقي ليؤثر فيه، لذا ركز الإمام على التأثير؛ لأنّه أحد جوانب العملية الإبلاغية في فعالية الإيصال، فالهدف الرئيس من خطابه الحجاجي هو توجيه المتلقي للاقتناع بالفكرة المطروحة، بل لعلّه الهدف الوحيد الذي يقصده؛ لأنّ تقنيات الخطاب من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات مؤثرة ، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم، فاللغة حجاج محض، والحجاج توجيه صرف .

٤) دافع الإمام في خطبه عن نفسه عبر الأساليب الحجاجية المختلفة، إذ ردّ على المتهمين له بالعجز والعيّ في القول والعمل، فهو المصدّق وخصمه المدّعي الكاذب، فأزال الشكوك واحبط الشبهات، وأقام الحجة، وأكدّ الأخبار بما لا يقبل الرد والشك، فأسلوبية الموجهات في خطابه محملة بطاقة حجاجية يتمّ استثمارها من لدن الإمام؛ لتكون قادرة على توجيه الملفوظ حجاجياً تبعاً لقصديته ومتطلبات التلقي، فقد استدعاها ووظفها بما ينسجم ليس فقط وتوجيه الخطاب، بل وتوجيه متلقيه إلى فكرة تصحيح ما يعتقدوه تجاه الإمام .

٥) مثل القسم في خطابه سمة اسلوبية حجاجية بارزة، اذ حولت خطابه الى طاقة حجاجية لتوجيهها نحو وجهة معينة دون غيرها، وتحدد كيف ينبغي تأويله، وأي معنى يجب أن يسند إليه؛ لكي لا يكون لمتلقيه هناك شك، أو لهم عليه حجة، وحملهم على التصديق والاقناع .

٦) يُعدُّ القصر من الأساليب اللغوية الغنية بالتراكيب، والغزير بالدلالات والحجج، فهو فنٌّ وصنعةٌ في آن معاً؛ لكثرة فوائده وعمق أسراره، وما تنوع طرائقهِ وتعددها إلّا سبب في اختلاف دلالته وجهة خطابهِ؛ لأنّه يقوم على الإحالة الوظيفية من جهة، والدلالية من أخرى، بعناصر أساسية هي: المتكلم، والمخاطب، والخطاب والاعتقاد الذهني لهما، فأفاد منه الإمام؛ لأنّه يحمل طاقة حجاجية إقناعية لتوجيه المخاطب الى المسار الصحيح والاعتقاد الصائب، وابعاد الاحتمالات والشبهات العالقة في ذهنه .

٧) استعمل الإمام الحجج اللغوية، والأساليب المتنوعة لإقناع مخاطبيه، مع الإيجاز والتكثيف في خطابه وفصاحة ألفاظه، وبلاغة عباراته، والمعرفة في اختيار الأسلوب كلا في موضعه بحسب ما يقتضي السياق على وفق مقتضى الحال يدل على تمكُّنه من ناصية اللغة ومعرفته الدقيقة بأفانينها ودقَّته في تناول أساليبها، فأسهم هذا في تأكيد حضور ذات الإمام وإبرازها في النص الخطابي .

الهوامش

١- الاسلوبية والأسلوب، المسدي : ٤٢ .
٢- إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي مدخل لغوي أسلوبي، د. محمد العبد:١٠٧-١٠٨ .
٣- الأسلوبية والأسلوب:٥٣ .
٤- كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج، د.علي محمد: ٨٤ .
٥- ينظر: العوامل الحجاجية في اللغة العربية،: د.عز الدين الناجح:٣١.
٦- ينظر: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية د.عبد الله صولة: ٣٦.
٧- ينظر: عندما نتواصل نغير، د. عبدالسلام عشير: ١٢٨- ١٣٤.
٨- اللسان والميزان، د. طه عبد الرحمن : ٢٦٥.
٩- المصدر نفسه: ٢٣٠.
١٠- ينظر: عندما نتواصل نغير: ١٣٢.
١١- المصدر نفسه: ١٣٣.
١٢- ينظر: المصدر نفسه:١٣٤.
١٣- ينظر: حجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية، د. الزماني كمال:٢٠٣.
١٤- ينظر: المصدر نفسه:٢٠٥.
١٥- الكتاب، سيبويه: ٣/ ١٠٤، وينظر اللمع في العربية، : ٢٨٦ .
١٦- شرح المفصل، ابن يعيش: ٩/ ٩٠ .
١٧- البرهان في علوم القرآن، الزركشي: ٣/ ٤١ .
١٨- بحار الأنوار، المجلسي:٤٤/ ١٠٢-١٠٣.
١٩- ينظر: الحجاج في القرآن :٣٢٣.
٢٠- شرح المفصل:٩/ ٩٣ .
٢١- ينظر: حجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية:٢١٥.
٢٢- بحار الأنوار:٤٤/ ١٠٢.
٢٣- صحيفة الحسن عليه السلام، الشيخ جواد القيومي:٣٠٤.
٢٤- التحاجج، طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق حُمو النَّقاري: ٥٥ .
٢٥- أعلام الدين في صفات المؤمنين ، الشيخ الحسن بن ابي الحسن الديلمي:٢٩٢-٢٩٣ .
٢٦- الحجاج والاستدلال الحجاجي(عناصر استقاء نظري)، حبيب اعراب،(بحث) ١٠٥ .
٢٧- الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن عليه السلام، السيد مصطفى الموسوي:٤٢.
٢٨- ينظر: حجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية:٢١٦-٢١٧.
٢٩- ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ،عبد الرحمن الميداني:٤١٣.-
٣٠- ينظر: بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي:١/ ٦٣ .

٣١- ينظر: الخطاب وخصائص اللغة ، أحمد المتوكل: ٧٨.
٣٢- ينظر: البيان في روائع القرآن، د. تمام حسان: ٢ / ١٣٦ .
٣٣- الاحتجاج، الشيخ الطبرسي:١/ ٤٤٤ .
٣٤- بحار الأنوار:٤٤/ ١٤٧ .
٣٥- ينظر: المصدر نفسه:٤٤/ ١٤٧ .
٣٦- تحف العقول: الحسن بن علي الحراني:٢٣٤ .
٣٧- ينظر: دلالة أفعال اليقين والرجحان عند النحويين، د. عبدالحسن العبودي:٦٧٢(بحث).
٣٨- الكتاب:١/ ٣٩-٤٠ .
٣٩- الحجاج في القرآن:٣١٧.
٤٠-المصدر نفسه:٣١٨.
٤١- بحار الأنوار:٤٤/ ٤٤.
٤٢- ينظر: التعريفات، الجرجاني:١٥٥ .
٤٣- بحار الأنوار:٤٤/ ٤٤.
٤٤- بلاغة الإمام الحسن عليه السلام، الشيخ عبد الرضا الصافي:٨٧ .
٤٥- ينظر: شرح الكافية، رضي الدين الاسترابادي:٤/ ١٥٠ .
٤٦- ينظر: الحجاج في القرآن:٣١٧.
٤٧- الاحتجاج:٢/ ٤٥٠.
٤٨- ينظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك،المرادي:١/ ٥٥٦ .
٤٩- ينظر: شرح الكافية:٤/ ١٥١.
٥٠- المحاسن والأضداد،الجاحظ:٩٧ .
٥١- ينظر: الحجاج في نهج البلاغة(الرسائل اختيارا)، رائد مجيد الزبيدي:١٣٨.
٥٢- ينظر: كتاب الحدود في النحو، الرماني : ٤٢ .
٥٣- ينظر: الخليل ، معجم مصطلحات النحو العربي، د.جورج قري ، وهاني جورج : ٥١.
٥٤- في النحو العربي نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي: ٢٦٤،.
٥٥- التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي :٥٩ .
٥٦- اللمع في العربية، ابن جني: : ٢٢٧ .
٥٧- ينظر: الخطاب الحجاجي في كتاب الإمامة والسياسة، ابتسام بن خراف :٣٠٤ .
٥٨- ينظر: الحجاج في القرآن : ٤٢٥ .
٥٩- ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني:١٣٠.
٦٠- ينظر: أمالي ابن الشجري:١/ ٤٠٠ .
٦١- الكتاب:١/ ٥١ .

٦٢- شرح المفصل: ٨/ ١٥٢ .
٦٣- ينظر: الجنى الداني: ٣٤١ .
٦٤- ينظر: المصدر نفسه:٣٤٤.
٦٥- بحار الأنوار:٤٤/ ٧٣-٧٩ .
٦٦- ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها:٢١٠-٢١٢ .
٦٧- الحجاج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه:٢٣ .
٦٨- ينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، د. قيس اسماعيل الأوسي :٣٩٦ .
٦٩- ينظر:الكتاب:٤/ ٢٣٣ .
٧٠- ينظر: شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي،١٠/ ٧٢، ومغني اللبيب، ابن هشام:١/ ٢٠٦.
٧١- شرح المفصل : ٤/ ١٠٩.
٧٢- ينظر: الأصول في النحو:٢/ ١٢٦ .
٧٣- الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس:١١٥-١١٦.
٧٤- بحار الأنوار:٤٤/ ٤٣ .
٧٥- ينظر: المصدر نفسه: ٤٤/ ٤٣ .
٧٦- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها:٢٠٩.
٧٧- شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ، ابن مالك :١/ ٣٩١ .
٧٨- المفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري:١١٨-١١٩ .
٧٩- بلاغة الإمام الحسن عليه السلام:٧٨.
٨٠- علوم البلاغة (البيان، المعاني، البديع)، أحمد بن مصطفى المراغي:٦٨ .
٨١- ينظر: شرح جمل الزجاجي، ابن عصفور:١/ ٢٦٢ .
٨٢- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى العلوي: ٢/ ٩٤ .
٨٣- اللمع في العربية: ٨٤.
٨٤- ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ابن هشام:٣/ ٣٠١ .
٨٥- التعريفات، الجر جاني:٥٠ .
٨٦- شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك، ٣/ ٢٠٦-٢٠٧ .
٨٧- ينظر: التداولية عند العلماء العرب ، د. مسعود صحراوي، ٢٠٥ .
٨٨- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك:١/ ٣٥٩ .
٨٩- الكتاب:٢/ ٣٥٠ .
٩٠- النحو الوافي، عباس حسن:١/ ٢١٧ .
٩١- الاحتجاج:١/ ٤٤٣ .
٩٢- المصدر نفسه:١/ ٤٤٣ .

٩٣- أسلوبية الحجاج التداولي، :١٥٤ .
٩٤- الخطاب والحجاج، أبو بكر العزاوي:٥١ .
٩٥- شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام:٩٤-٩٥ .
٩٦- النحو الوافي:١/ ٢١٩ .
٩٧- الاحتجاج:٢/ ٤٥١ .
٩٨- ينظر: ظاهرة التوكيد في العربية، وفاء محمد علي :٧٣.
٩٩- ينظر: معاني النحو، د. فاضل السامرائي:١/ ٢٦١ .
١٠٠- شرح المفصل:٨/ ٥٩ .
١٠١- بحار الأنوار:٤٤/ ٣٣ .
١٠٢- حجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية:٣١٥.
١٠٣- ينظر: الجنى الداني:٢٥٣-٢٥٦ .
١٠٤- تفسير البحر المحيط، أبو حيان:٣/ ٦٤.
١٠٥- ينظر: ظاهرة التوكيد في العربية :٨٣.
١٠٦- بحار الأنوار:٤٣/ ٣٦٢.
١٠٧- شرح المفصل:٨/ ١١١ .
١٠٨- تفسير البحر المحيط:٤/ ٣٠٩ .
١٠٩- معاني النحو:٤/ ١٦٣.
١١٠- بحار الأنوار:٤٤/ ٤٢.

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم

*إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي، مدخل لغوي أسلوبي، د محمد العبد ،ط/ ١ ،الناشر: دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٨م .

*الاحتجاج ، أبو منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسي(من علماء القرن السادس الهجري) ، الناشر : نشر المرتضى- مشهد المقدسة، ١٤٠٣ هـ .

*أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، د. قيس إسماعيل الأوسي،(د.ط) الناشر :بيت الحكمة، ١٩٨٨م.

*الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي، ط/ ٢،الناشر: الدار العربية للكتاب ، تونس ،١٩٨٢ م .

*الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل السراج النحوي،(ت ٣١٦هـ) ، تحقيق ، الدكتور عبد الحسين الفتلي ط/ ٣ ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

*أعلام الدين في صفات المؤمنين، الشيخ الحسن ابن أبي الحسن الديلمي(من اعلام القرن الثامن الهجري)، ط/ ١، المحقق والناشر : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث – قم، ١٤٠٨ هـ .

*أمالي ابن الشَّجري: هبة الله بن علي بن محمد الحسني العلوي(ت٥٤٢هـ)، تحقيق ودراسة د. محمود محمد الطناحي، ط/ ١، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

*أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن يوسف جمال الدين، ابن هشام الانصاري (ت: ٧٦١هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، ط/ ١، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت .

*البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله، محمد بن بهادر ابن عبد الله الزركشي(ت٧٩٤هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ.

*بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي (ت: ١٣٩١هـ)، ط/ ١٧، الناشر، مكتبة الآداب ، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

*بلاغة الإمام الحسن عليه السلام(خطب، كتب، كلمات) الشيخ عبد الرضا الصافي، تصحيح الشيخ: جعفر الحائري، ط/ ٤، الناشر: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، قم، ١٤٣٥هـ .

*البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد، عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، ط/ ١، الناشر: دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية، بيروت، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

*البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية واسلوبية للنص القرآني، د. تمام حسان ، ط/ ١، الناشر: عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٣م.

*التَّحاجج، طبيعته ومجالاته ووظائفه: تنسيق حمُّو النَّقاري، ط/ ١،، الناشر: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، المملكة المغربية، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

*تحف العقول عن آل الرسول ، الشيخ الحسن ابن علي بن شعبة الحراني ، المتوفى في القرن الرابع الهجري، تحقيق: علي أكبر غفاري، ط/ ٢، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسيين بقم المشرفة ، ١٤٠٤هـ - ١٣٦٣ش .

*التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، د. مسعود صحراوي، ط/ ١، الناشر: دار الطليعة، بيروت ، ٢٠٠٥م.

*التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط/ ١، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م .

*تفسير البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، ط/ ٢، الناشر: دار الفكر ، بيروت،١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

*توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي(ت: ٧٤٩هـ)،ط/ ١، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، الناشر: دار الفكر العربي، ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.

*التوقيف على مهمات التعاريف (المعروف بالتعاريف)، محمد عبد الرؤوف المناوي ، (ت: ١٠٣١ هـ)، تحقيق :محمد رضوان الداية ،ط/ ١،الناشر: دار الفكر - بيروت ، دمشق ، ١٤١٠هـ.

*الجنى الداني في حروف المعاني: الحسن بن قاسم المرادي (ت٧٤٩هـ)، تحقيق د. فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، ط/ ١، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

*الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: د. عبد الله صولة، ط٢/ ، الناشر: دار الفارابي- بيروت، كلية الآداب والفنون والإنسانيات منوبة، ودار المعرفة للنشر- تونس،٢٠٠٧م.

*الحجاج والاستدلال الحجاجي(عناصر استقاء نظري)، حبيب اعراب، مجلة عالم الفكر: مجلة دورية محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد/ ١، المجلد ٣٠، يوليو-سبتمر،٢٠٠١م.

*حجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية لدى الإمام عليعليه السلام، د. الزماني كمال، ط/ ١، الناشر: عالم الكتب، اربد- الأردن، ٢٠١٦.

*الخطاب الحجاجي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة(دراسة تداولية)، ابتسام بن خراف،(أطروحة دكتوراه)، جامعة لخضر باتنة/ كلية الآداب، الجزائر،٢٠٠٩-٢٠١٠ .

*الخطاب والحجاج: د. أبو بكر العزاوي، ط/ ١، الناشر: مؤسسة الرِّحاب الحديثة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ٢٠١٠م .

*الخطاب وخصائص اللغة العربية ؛ أحمد المتوكل،ط/ ١ ، الناشر: الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت - لبنان ، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

*الخليل، معجم مصطلحات النحو العربي، د. جورج قري عبد المسيح ، وهاني جورج قأبوي ، ط/ ١ ، الناشر: مكتبة لبنان - بيروت ، ١١٤١٠هـ- ١٩٩٠م .

*دلالة أفعال اليقين والرجحان عند النحويين، د. عبدالحسن العبودي، ومصطفى هاتف بريهي، مجلة العلوم الإنسانية/ كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل، المجلد/ ٣٣، العدد/ ٢،حزيران،٢٠١٦م.

*شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك، ابن عقيل(ت: ٧٦٩ هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط/ ٢٠، الناشر، دار التراث، القاهرة، دار مصر لطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

*شرح جمل الزجاجي، ابن عصفور الاشبيلي(ت:٦٦٩هـ)، تحقيق: د. صاحب أبو جناح ، ط/ ١، الناشر: وزارة الأوقاف الدينية ، العراق (د.ت).

*شرح الرضي على الكافية ابن الحاجب، الرضي الاستراباذي (ت:٦٨٦هـ)، تحقيق: د. يوسف حسن عمر، الناشر: جامعة قار يونس: ليبيا، ١٣٩٥ هـ-١٩٧٥ م .

*شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ، جمال الدين محمد بن مالك(ت: ٦٧٢ه)، تحقيق: عدنان عبد الرحمن الدوري، ط/ ١،الناشر: مطبعة العاني، بغداد،١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

*شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام(ت:٧٦١هـ)، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، ط/ ١١، الناشر، القاهرة، ١٣٨٣هـ.

*شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي،ت:٣٦٨هـ، تحقيق،الدكتور رمضان عبد التواب ،والدكتور صلاح رواتي، وآخرون،ط١،ج:١٠،الناشر: دار الكتب والوثائق القومية-القاهرة،٢٠٠٦.
*شرح المفصل، موفق الدين يعيش بن علي النحوي(ت٦٤٣هـ) ، الناشر: عالم الكتب، بيروت، (د.ت).
*الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي،(ت: ٣٩٥هـ)، ط/ ١،الناشر: محمد علي بيضون، بيروت، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م .
*الطراز المتضمن لأسرار البلاغية وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي(ت: ٧٤٥هـ)، ط/ ١، الناشر، المكتبة العنصرية، بيروت، لبنان ١٤٢٣ هـ.
*ظاهرة التوكيد في العربية، وفاء محمد علي، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا للعلوم الإنسانية والاجتماعية/ الجامعة الأردنية، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
*علوم البلاغة، البيان، المعاني، البديع، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، ط/ ٣، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.
*العوامل الحجاجية في اللغة العربية: د. عزالدين الناجح، ط/ ١، الناشر: مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، صفاقس- تونس،٢٠١١م.
*في النحو العربي نقد وتوجيه ، د. مهدي المخزومي، ط١/ ، الناشر: المكتبة العصرية ، صيدا- بيروت ، ١٩٦٤م .
*كتاب الحدود في النحو، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي،(ت : ٣٨٤هـ)، تحقيق : الدكتور مصطفى جواد، ويوسف يعقوب، ط/ ١،الناشر: المؤسسة العامة للصحافة والطباعة-العراق،١٣٨٨هـ-١٩٦٩م.
*كتاب سيبويه، أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر(ت:١٨٠هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط/ ٣، الناشر: عالم الكتب، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
*كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج(رسائله نموذجاً): د. علي محمد علي سلمان، ط/ ١، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان،٢٠١٠م.
*اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: د. طه عبد الرحمن، ط/ ١، الناشر: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت،١٩٩٨م.
*اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني ،(ت : ٣٩٢هـ)، تحقيق : فائز حسون ، (د.ط) ، الناشر : دار الكتب الشفافية . (د.ت) .
*المحاسن والأضداد، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري(ت:٢٥٥هـ)، ط/ ٢، النشر : مكتبة الخانجي - القاهرة / مصر ،هـ - ١٩٩٤م .
*معاني النحو ، د. فاضل صالح السامرائي ، ط/ ٢ ، الناشر : دار الفكر - الاردن ،١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م .
*مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين ابن هشام الأنصاري ، (ت : ٧٦١هـ) ، تحقيق : مازن المبارك ، ومحمد علي حمد الله ، ط/ ١ ، الناشر : مؤسسة الصادق ، طهران - ايران ، ١٣٧٨هـ .
*المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: د. علي بو ملحم، ط/ ١، الناشر: مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٣ .
*النحو الوافي، عباس حسن (ت: ١٣٩٨هـ)، ط/ ١٥، الناشر، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

النصوص المأثورة عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام حديث الإمام الحسن عليه السلام مع حبابة الوالبية في إثبات الإمامة اختياراً دراسة سندية في ضوء المنهج الحديثي

م.د. مصطفى صالح مهدي

جامعة القادسية / كلية التربية

قسم علوم القرآن الكريم والتربية الإسلامية.

ملخص البحث (1):

بفضل الله ... بعد الفراغ من دراسة هذا الموضوع توصلت هذه الدراسة الى ان مسألة الإمامة تُعَدُّ من أهم وأعظم القضايا المصيرية بعد النبوة؛ لما لها من تأثير على مصلحة العالم الاسلامي، كما ظهر للبحث أن موضوع الإمامة هو اكبر من كونها تتوقف على صحة هذا الحديث أو ضعفه، إذ تبين ان هذه الرواية التي خضنا غمار البحث فيها لم يكن فيها محل اتفاق على ضعفها أو صحتها عند علماء الرجال؛ وذلك لاختلاف علماء الرجال والفقهاء والاصوليين في مبانيهم الرجالية والفقهية بخصوص الحديث متناً وسنداً، الا انه بعيد عن جانب التوثيق والتضعيف نجد ان هذا الحديث يعكس ثقافة المتلقّي وحنكة الإمام الحسن عليه السلام في اجابة السائل حسب مداركه وقابلياته، وان الإمام علياً عليه السلام قد كشف للتاريخ من خلال دلالة هذا الحديث ان الإمامة سوف يدَّعِيها من هم ليسوا اهلها، لذلك ما كان من الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام الا ان اعطى لحبابة الوالبية - التي اولت هذا الامر اهمية- ما يثبت لها صدق الإمام الذي تريد ان تنقاد خلفه في ظلمات الايام، كما أظهر البحث ان هذا الحديث لم يورده من متقدمي الإمامية الا الشيخ الكليني(ت٣٢٩هـ) في الكافي، والشيخ الصدوق(ت٣٨١هـ) في كتابه كمال الدين وتمام النعمة ، من دون جميع المحدِّثين المتقدمين، كما تبين للدراسة ان حبابة الوالبية من الشخصيات الممدوحة، وان حبابة الوالبية من النساء المعمِّرات، إذ عاصرت الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ولقيته وقبل ذلك لقيت الإمام علياً عليه السلام،وكذلك عاصرت الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام ولقيته.

Abstract

By the grace of Allah ,after completing this study, it concludes that the issue of Imamate is considered one of the most important and fateful issues after the prophecy because of its impact on the interest of the Islamic world. Hadith or weakness, as it turned out that this narrative , which we went through the research in which there was no agreement on the weakness or validity of the scientists; because of the difference of scholars and fundamentalists in their views and regarding modern content and reference . But it is far from the side of documentation and weakness , such a talk reflects the culture of the recipient , imam ‹Ali has answered the questioner according to his perceptions and abilities. Proof of the sincerity of the Imam who wants to be guided behind him in the darkness of days, as research shows that this hadeeth was not mentioned only by Sheikh Al-Kulaini and the study shows that the Habiba Wallibya is one of the praised personalities and from the aged women who met imam Ali bin Abi Talib and as well as Imam Ali bin Musa Alridha .

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله ربّ العالمين، وافضل الصلاة وأتم التسليم على اشرف الأولين والآخرين، محمد بن عبد الله، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أمَّا بَعْدُ:

فقد أولى علماء المسلمين والباحثون بالتراث الإسلامي عناية كبيرة، ولعل من ابرز الآثار التي اعتنى بها اولائك الباحثون هو تراث الإمام الحسن عليه السلام الذي دخل في جميع مجالات الدراسة، واعني مجال الحديث والرجال والسيرة والفقه والقرآن والتاريخ وغيرها؛ وذلك لما يعكسه تراث الإمام الحسن عليه السلام من اهمية في جميع مجالات العلم والحياة، ولا سيما على صعيد معالجة مشاكل المجتمع، أو الرقي بالفكر والنفس، أو للتنمية في مجال الاقتصاد أو توطيد قواعد السياسة... وما شاكل وقارب ذلك.

اضف الى ذلك أن آثار الإمام الحسن عليه السلام تعد من أغنى المصادر الاسلامية بعد القرآن الكريم والحديث النبوي؛ لتوافرها على ثروة موسوعية من النصوص الأخلاقية والعقائدية والتشريعية، التي استغرقت في بيان الاحكام الشرعية والحياتية وتفصيلها.

كذلك إن أهمية هذا الموضوع يتأتى من كونه مرآة عاكسة تراث الإمام الحسن عليه السلام ولعل واحدة من الجوانب التي سوف يسلط البحث الضوء عليها هي الأحاديث التي تخص سيرته السمحاء، من جهة التحقيق في سندها، والإفادة من متنها، ومعرفة دلالتها، وهلم جرا.

اضف الى ذلك ان أهمية البحث هنا تنبع من أمرين:

أولهما: ان هذا الموضوع يقوم على الحديث الشريف، والحديث يُعَدُّ مَعْلَماً من معالم الفكر الاسلامي؛ بوصفه تفرد به من دون سائر الاديان السماوية - ولا سيما من جهة ان الحديث الشريف شمولي لاحكام الحياة العامة -. فالخوض فيه يعد نعمة كبيرة لطلبة الشريعة والعلوم الإسلامية والانسانية والعلمية على حد سواء.

ثانيهما: إن الحديث الشريف له علاقة بالمجتمع من جهتين، أحداهما: إن الحديث يمتاز بمحاكاته للواقع من جهة لمدة وسيلة -في غاية الاهمية - من وسائل كشف الحكم

الشرعي، إذ إنَّ هذا المصطلح يكون عليه مدار الكثير من احكام الشريعة، وبه يُعرف الحلال والحرام، والوجهة الأخرى: محاكاة الواقع له، بوصفه منهلاً رويّاً يستسقي وينهل منه علماء الفقه، والعقيدة، والأخلاق، والأصول، والفلسفة، والتفسير، والحديث بكل اقسامه(علم الرجال، علم مختلف الحديث، علم الرواية، علم الدراية، مناهج المحدثين)، واغلب الباحثين مما يستلزم التروي في فهم الضوابط والمعايير اللازم توافرها في الحديث الشريف؛ كي يتقوّم على اسس ومبادئ صحيحة، تضمن سلامة الشرح والفتوى والاعتقاد والتطبيق الذي يقوم على ذلك الحديث.

ان ما تهدف إليه هذه الدراسة: هو إماطة اللثام عن حقيقة أنَّ فهم السنة المطهرة ليس باباً مشرعاً، أو حمى مباحاً لكل منتسب إلى العلم، فضلاً عن متعالم، وأبعد من ذلك صاحب هوى يفسِّر السنة بهواه في شُبْهةٍ، أو شَهْوةٍ أو قناعة شخصية وانما يجب ان يكون الكلام في الحديث الشريف عن وعيٍ وعلمٍ رصينين، فلا يؤخذ بالحديث الا بعد دراسة فاحصة شاملة للسند وللمتن.

كما تهدف الى تقديم مادة علمية محققة بخصوص هذا الحديث، ليسهُل على الباحثين الرجوع إليها والاستشهاد بها.

خطة البحث: بعد أن استوى هذا المجهود العلمي على ساقه في دراسة هذا الحديث، آن له أن يقدم نفسه متواضعا في مقدمة وتمهيد وأساسيات المنهج الحديثي من جهة دراسة نموذج البحث الذي يقوم على بيان معنى الرواية، و دراسة السند المتقدم وأحوال الرواة، ومعرفة التقييم الرجالي للحديث، والوقوف على الحكم الدراياتي للرواية، ثم أخيرا ذكر الخاتمة بالعربي والانكليزي.

ولعل من ابرز المصادر التي قام عليها البحث هو، كتاب الكليني(ت ٣٢٩ هـ)، الكافي ، وكتاب الشيخ النجاشي(ت ٤٥٠ هـ)، رجال النجاشي، وغيرها من الكتب المهمة في بابها.

وان من أكثر الصعوبات التي واجهت البحث هي اختلاف علماء الرجال في تعيين صفات الرجاليين مما استلزم البحث أكثر فأكثر لمعرفة الجمهور الأكبر الذي يوثِّق أو يضعِّف الراوي المختَلَف، أضف إلى ذلك صعوبة الحصول على المعلومات التي تخص الراوية حبابة الوالبية، وغيرها.

التمهيد

من عادة أي بحثٍ أن يبتدئ بتمهيد يُعتبر ديباجة قبل الخوض به، يُذكر فيه ما يحتاجه القارئ من أوليات هذا الموضوع، تجنباً من الوقوع في الغموض، ولأجل ذلك ارتأينا أن نجعل هذا التمهيد يُبنى على التعريف بمصطلحات البحث الآتية:

أولاً- تعريف «الحسن» في اللغة والاصطلاح

١- معنى الحسن في اللغة:

ان معنى كلمة (الحسن) في اللغة، يعني: ضد السيئ، والحسنة تعني: خلاف السيئة، والحسن: نقيض القبح، والجمع محاسن على غير قياس، وقد حسن الشيء[٢].

٢- معنى الحسن في الاصطلاح:

لقد عرَّف علماء الدراية مصطلح الحديث الحسن بأنه: «ما اتصل سنده إلى المعصوم عليه السلام بإماميٍّ ممدوح مدحاً مقبولاً، معتداً به غير معارض بذم من غير نصّ على عدالته»[٣].

ثانياً- تعريف «الضعيف» في اللغة والاصطلاح

١ – الضعيف لغةً:

الضعيف في اللغة مأخوذ من جذر مادة الفعل: (ض ع ف)، وهو: خلاف الصحة والقوة، ومنه الضعيف: وهو بضم الضاد وفتحها يعني: ضد القوي، أو خلاف الصحة، فيقال: رجل ضعيف، وقوم ضعفاء وضعاف... وقالوا: الضُّعْفُ بالضم في الجسد والضَّعف بالفتح في الرَّأْي والعَقْلِ وقيل هما معاً جائزان في كل وجه، أي في ضعف البدن وضعف الرأي سواسية[٤].

٢- الضعيف اصطلاحاً:

إن مفهوم مصطلح الضعيف عند علماء الدراية هو ما اشتمل: «طريقه على: مجروح بالفسق، أو بالكذب، أو بالحكم عليه بالجهالة، أو بأنه وضاع، أو بشيء من أشباه ذلك»[٥]، أو قل: الحديث الضعيف: هو كل حديث لم تجتمع وتتوافر فيه شروط الحديث الصحيح والحديث الموثق والحديث الحسن فهو يعد حديثاً ضعيفاً[٦].

ثالثاً- التعريف بمفهوم (النص) في اللغة والاصطلاح

١- تعريف (النص) في المعاجم اللغوية

إن المفهوم اللغوي لكلمة (نص) في المعاجم اللغوية، مأخوذ من الجذر الثلاثي المضعف (نصص) ومعناه مدّ أو رفع فالنص: رفعك الشيء، ونص الحديث ينصه رفعه، ومنه المنصة وهو المكان البارز وما تظهر عليه العروس لترى، النصُّ علامة كبيرة ذات وجهين: وجه الدّال، ووجه المدلول[٧].

فالنص مصطلح ثري يحمل بين طياته الكثير من المعاني، إذ يظهر من معاجم اللغة ان ابرز معاني النص، هي: رفع الشيء، الظهور، التراكم، التحريك، أقصى الشيء وغايته ومنتهاه،.... الخ كما تقدم ذكره آنفاً.

٢- تعريف (النص) اصطلاحاً:

أما النص فالمراد به القرآن نفسه، إذ لفظة (القرآني) صفة للنص، والنص جمعه نصوص. يقول الدكتور أديب الصالح: « نعني بالنصوص: نصوص الكتاب والسنة، لأن مرد سائر الأدلة الشرعية إليها: فالكتاب والسنة هما أساس التشريع وقوام أحكام الإسلام. وما عداهما من الأدلة مستنبط منهما ومآله إليهما»[٨].

والنص اصطلاحاً: ما لا يحتمل الا معنىً واحداً، وقيل: ما لا يحتمل التأويل، وقيل هو ما زاد وضوحاً على الظاهر لمعنى في المتكلم وهو سوق الكلام لأجل المعنى[٩].

وقد ذكر التهانوي أن النص له معان متعددة وهي:-

أ- كل ملفوظ مفهوم المعنى من الكتاب والسنة ظاهراً أو نصاً أو مفسراً، حقيقة أو مجازاً عاماً أو خاصاً.

ب-والنص بمعنى الظهور.

ج-ما لا يتطرق إليه الاحتمال أصلا.

د-ما لا يتطرق إليه احتمال مقبول يعضده دليل»[١٠].

نموذج البحث(دراسة النص الحديثي)

قبل الخوض بالبحث نشير إلى أن الرواية تتضمن عدة شخصيات من الأئمة الطاهرين ﻹ، الا أنها –الرواية- تصلح ان تكون منفردة في الدراسة لكل شخصية من شخصيات الائمة الطاهرين ﻹ، لهذا وقفنا على شخصية الإمام الحسن المجتبى ﻹ لما لموضوع الحديث وهو الإمامة من اهمية في الساحة الإسلامية، ولما عليه وبه من الإشكالات والشبهات عند المخالفين.

***عنوان وموضوع الرواية:**

إن عنوان الرواية وموضوعها هذه يقع ضمن عنوان: إثبات الإمامة، والكشف عن المدعي لها.

***باب الرواية:**

تقع هذه الرواية ضمن بَابُ «مَا يُفْصَلُ بِه بَيْنَ دَعْوَى الْمُحِقِّ والْمُبْطِلِ فِي أَمْرِ الإِمَامَةِ»(١١).

***منطوق الرواية:**

لقد أورد «عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْقَاسِمِ الْعِجْلِيِّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى الْمَعْرُوفِ بِكُرْدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خُدَاهِيٍّ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ أَيُّوبَ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ هَاشِمٍ عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ عَمْرٍو الْخَثْعَمِيِّ عَنْ حَبَابَةَ الْوَالِبِيَّةِ، قَالَتْ: رَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ﻹ فِي شُرْطَةِ الْخَمِيسِ ومَعَه دِرَّةٌ لَهَا سَبَابَتَانِ يَضْرِبُ بِهَا بَيَّاعِي الْجِرِّيِّ والْمَارْمَاهِي والزِّمَّارِ ويَقُولُ: لَهُمْ يَا بَيَّاعِي مُسُوخِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وجُنْدِ بَنِي مَرْوَانَ؟ فَقَامَ إِلَيْه فُرَاتُ بْنُ أَحْنَفَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ومَا جُنْدُ بَنِي مَرْوَانَ؟ قَالَ: فَقَالَ لَه: أَقْوَامٌ حَلَقُوا اللِّحَى وفَتَلُوا الشَّوَارِبَ فَمُسِخُوا. فَلَمْ أَرَ نَاطِقاً أَحْسَنَ نُطْقاً مِنْه، ثُمَّ اتَّبَعْتُه فَلَمْ أَزَلْ أَقْفُو أَثَرَه حَتَّى قَعَدَ فِي رَحَبَةِ الْمَسْجِدِ، فَقُلْتُ لَه: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَلَالَةُ الإِمَامَةِ يَرْحَمُكَ الله؟

–قَالَتْ: فَقَالَ ﻹ: ائْتِينِي بِتِلْكَ الْحَصَاةِ، وأَشَارَ بِيَدِه إِلَى حَصَاةٍ فَأَتَيْتُه بِهَا فَطَبَعَ لِي فِيهَا بِخَاتَمِه، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا حَبَابَةُ إِذَا ادَّعَى مُدَّعٍ الإِمَامَةَ فَقَدَرَ أَنْ يَطْبَعَ كَمَا رَأَيْتِ فَاعْلَمِي أَنَّه إِمَامٌ مُفْتَرَضُ الطَّاعَةِ والإِمَامُ لَا يَعْزُبُ عَنْه شَيْءٌ يُرِيدُه، قَالَتْ: ثُمَّ انْصَرَفْتُ حَتَّى قُبِضَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﻹ.

–فَجِئْتُ إِلَى الْحَسَنِ ﻹ وهُوَ فِي مَجْلِسِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﻹ والنَّاسُ يَسْأَلُونَه، فَقَالَ ﻹ: يَا حَبَابَةُ الْوَالِبِيَّةُ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا مَوْلَايَ، فَقَالَ: هَاتِي مَا مَعَكِ؟ قَالَ: فَأَعْطَيْتُه فَطَبَعَ فِيهَا كَمَا طَبَعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﻹ.

–قَالَتْ: ثُمَّ أَتَيْتُ الْحُسَيْنَ عليه السلام وهُوَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله فَقَرَّبَ ورَحَّبَ، ثُمَّ قَالَ عليه السلام لِي: إِنَّ فِي الدَّلَالَةِ دَلِيلاً عَلَى مَا تُرِيدِينَ، أَفَتُرِيدِينَ دَلَالَةَ الإِمَامَةِ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا سَيِّدِي، فَقَالَ عليه السلام: هَاتِي مَا مَعَكِ؟ فَنَاوَلْتُه الْحَصَاةَ فَطَبَعَ لِي فِيهَا.

–قَالَتْ: ثُمَّ أَتَيْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام وقَدْ بَلَغَ بِيَ الْكِبَرُ إِلَى أَنْ أُرْعِشْتُ وأَنَا أَعُدُّ يَوْمَئِذٍ مِائَةً وثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً فَرَأَيْتُه رَاكِعاً وسَاجِداً ومَشْغُولاً بِالْعِبَادَةِ فَيَئِسْتُ مِنَ الدَّلَالَةِ، فَأَوْمَأَ إِلَيَّ بِالسَّبَّابَةِ فَعَادَ إِلَيَّ شَبَابِي! قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي كَمْ مَضَى مِنَ الدُّنْيَا وكَمْ بَقِيَ؟ فَقَالَ عليه السلام: أَمَّا مَا مَضَى فَنَعَمْ. وأَمَّا مَا بَقِيَ فَلَا، قَالَتْ: ثُمَّ قَالَ لِي: هَاتِي مَا مَعَكِ؟ فَأَعْطَيْتُه الْحَصَاةَ فَطَبَعَ لِي فِيهَا، ثُمَّ أَتَيْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام فَطَبَعَ لِي فِيهَا، ثُمَّ أَتَيْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام فَطَبَعَ لِي فِيهَا، ثُمَّ أَتَيْتُ أَبَا الْحَسَنِ مُوسَى عليه السلام فَطَبَعَ لِي فِيهَا، ثُمَّ أَتَيْتُ الرِّضَا عليه السلام فَطَبَعَ لِي فِيهَا وعَاشَتْ حَبَابَةُ بَعْدَ ذَلِكَ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ عَلَى مَا ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ هِشَامٍ»(١٢).

***طريق آخر للرواية:**

من خلال التتبع لم أجد من نقل هذا الحديث من المتقدمين سوى الشيخ الكليني(ت٣٢٩هـ) في كتابه الكافي(١٣)، ثم تبعه الشيخ الصدوق(ت٣٨١هـ) في كتابه كمال الدين وتمام النعمة، ص٥٣٦ في نقله لهذا الحديث عن علي بن أحمد الدقاق عن محمد بن يعقوب الكليني،أي كان الواسطة بين الشيخ الصدوق والشيخ الكليني هو علي بن أحمد الدقاق، واليك نص اسناد الشيخ الصدوق لهذا الحديث:« حدثنا علي بن أحمد الدقاق قال: حدثنا محمد بن يعقوب قال: حدثنا علي بن محمد، عن أبي علي محمد بن إسماعيل بن موسى بن جعفر، عن أحمد ابن قاسم العجلي، عن أحمد بن يحيى المعروف ببرد، عن محمد بن خداهي، عن عبد الله ابن أيوب، عن عبد الله بن هشام، عن عبد الكريم بن عمر الخثعمي، عن حبابة الوالبية...»(١٤)، ثم دأب جلّ المتأخرين والمعاصرين في نقل هذا الخبر بسنده عن الشيخ الكليني.

***تخريج الرواية:**

إن هذه الرواية – التي نحن بصدد دراستها– قد أوردها الشيخ الكليني(ت ٣٢٩هـ)، محمد بن يعقوب، في كتابه: الكافي، قسم الأصول، الحديث الثالث، ١/ ٣٤٦.

***بيان معنى الرواية(شرح النص):**

إن من كماليات العمل بيان معنى النص، ولاسيما في الموارد الأثرية، ولهذا عمدنا إلى بيان وشرح الحديث من خلال الوقوف على كتب الشروح الحديثية[١٥]، والاستعانة بالمصادر الخارجية، ، فضلاً عن إلى فضل الله على الباحث في استنطاق البحث واستظهار مكامنه:

فقد جاء في معنى: (شرطة الخميس)، ان الخميس: يعني به: الجيش، سمّي به؛ لأنه يقسم على خمسة أقسام هي: المقدمة والساقة والميمنة والميسرة والقلب[١٦]، ويوجد قول آخر، انه سمي به؛ لأنه تخمس فيه الغنائم. ويقولون:الشرطة بالسكون والحركة أول كتيبة تحضر الحرب وخيار جند السلطان ونخبة أصحابه الذين يقدّمهم على غيرهم من جنده وهم الأمراء أي القوات الخاصة ذات التدريب المميز كما نعرفه اليوم، والجمع شرط مثل غرفة وغرف، والشرطي بالسكون والحركة منسوب إلى الشرطة لا إلى الشرط لأنه جمع[١٧].

–معنى قوله: (ومعه درّة لها سبابتان) أيّ شقّتان والدرّة بالكسرة هي التي يضرب بها، كالعصى أو العصى.

–معنى قوله: (يضرب بها بيّاعي الجرّي والمارماهي) في المغرب : الجرّي الجرّيث وهو نوع من انواع السمك، وفي كتاب النهاية: (الجريث) : نوع من السمك يشبه الحيّات، ويقال لها بالفارسية مار ما هي. والمفهوم منهما أن الجري والمار ما هي واحد ومن هذا الحديث أنهما نوعان متغايران[١٨].

–معنى قوله: (فمسخوا) المسخ قلب الخلقة من شيء إلى شيء آخر وتبديل صورة إلى صورة أُخرى، وتحويل وقلب الشيء من هيئة الى هيئة اخرى. وهنا يقول المازندراني ان هذا الحديث:«فيه دلالة على أن حلق اللحية كان حراماً في الشريعة السابقة، وأما في هذه الشريعة فلا دلالة فيه عليه، نعم في بعض الروايات دلالة عليه وإن كان في السند كلام»[١٩].

–وان معنى قوله: (حتى قعد في رحبة المسجد) الرحب بالضم السعة والرحبة، بفتح الراء وتسكين الحاء وتحريكها أحسن، الصحراء بين أفنية القوم، وقيل: « رحبة المسجد ساحته، وقد يسمى بها ما يتخذ على أبواب بعض المساجد من حظيرة أو دكان»[٢٠].

-معنى قوله:(والإمام لا يعزب عنه شيء يريده)، أي لأن الإمام يد الله وقدرته في خلقه، فكما لا يعزب شيء عن قدرة الله في وجوده ولا تعجز قدرته عنه، فكذلك لا يعزب شيء عن الإمام في الوجود باذن الله لانه ارتضاه(٢١).

-معنى قوله: (فقالت نعم يا مولاي)، هكذا جاء في أكثر النسخ، وفي بعضها: « فقلت: نعم، وهو الأظهر وفي الأوّل لابد من تكلّف بعيد»(٢٢).

-معنى قوله: (إن في الدلالة دليلاً) بمعنى: « أن لنا دليلاً في دلالتك على ما تريدين من اثبات امر الإمامة»(٢٣).

-معنى قوله:(إلى أن ارعشت)، بمعنى أُرعشت - على البناء للمفعول- ، يقال: رعش بالكسر وارتعش، أيّ: « ارتعد وأرعشه الله فارتعش نتيجة الخوف أو ظروف طارئ»(٢٤).

-معنى قوله: (أما ما مضى فنعم) أيّ اما ما مضى من الدنيا فنعم هو معلوم لنا وكان بيّنه لها ولم تذكره هي وأما ما بقي فلا نعلمه لأن عنده علم الساعة ويحتمل أن يكون المراد ان السؤال عما مضى نعم له صورة لأن الواقع معلوم، وأما السؤال عما بقي فلا صورة له وذلك أما لاختصاص علمه بالله سبحانه أو لعدم المصلحة لإظهاره وكشفه(٢٥).

-معنى قوله: (وعاشت حبابة بعد ذلك تسعة أشهر) ورد أن قال الفاضل الأسترآبادي كان عمرها مأتي سنة كما جاء في كتب الرجال التي سنذكرها فيما ياتي ان شاء الله تعالى...(٢٦).

***النَّصُ وفكرة الحوارية(النَّصُ ودلالَتُهُ)**

بالإطار العام البحث يقوم على احتواء واستقطاب الروايات والأحاديث الواردة عن المعصومين (عليهم السلام)،وعلى وجه التعيين، الروايات التي فيها سيرة الإمام الحسن (عليه السلام) سواء الفعلية أو القولية أو التقريرية، سواء كان الحديث منقول عن الإمام الحسن (عليه السلام) نفسه، أو منقول عن الأئمة (عليهم السلام) ، لكن الأئمة يصورون لنا سيرة الإمام الحسن (عليه السلام) الحوارية على وجه التحديد.

وقد يكون الحديث كله نصاً واحداً أو في الحديث عدة نصوص، والنص أقصد به: ما يحمل معنى وافياً، وفكرةً تامةً، وهذا الأمر قد يجعل في الحديث الواحد عدة نصوص، كل منها يحمل معناً وافياً، وعلى هذا ارتأينا ان نخص النص الذي يتعلق بالإمام الحسن (عليه السلام)،

مبينين فكرة الحوار أو الحوارية أو الرسالة أو الدلالة التي يتضمنها النص الوارد عن الإمام الحسن عليه السلام على وجه التعيين، مما يعطي للعمل وحدة موضوع.

إذاً المراد بالنص هنا: محل الشاهد في هذا الحديث الذي ندرسه، حيث يكون فيه الإمام الحسن عليه السلام حاضر للمتلقي؛ والعلة في ذلك أن بعض الروايات التي تخص الإمام الحسن عليه السلام فيها حواريات كثيرة، وشخصيات متعددة، فأردنا بذلك تعيين موضع الشاهد الذي يخص الإمام الحسن عليه السلام في هذه الأحاديث التي سوف نستعرضها في البحث والدراسة؛ لإعطاء صفة خاصة للعمل في هذا الكتاب، وللإفادة من أفعال وأقوال الإمام الحسن عليه السلام من خلال تسليط الضوء على سيرته المعطاة من خلال كتب الحديث، واليك النص الخاص بالإمام الحسن عليه السلام، بحسب ما سأذكره.

***النَّـــص:**

أحياناً نذكر نصاً في الحديث -في فقرة النص وهي هذه الفقرة -لايخص الإمام الحسن عليه السلام على نحو المدخلية فقط، أي لكي يعرف القارئ ما هو أصل موضوع الحديث، مما يعطي له معرفة أصل موضوع النص الذي يخص الإمام الحسن عليه السلام والذي نحن بصدد بيانه للمتلقي.

- قالت حَبابة الْوَالِبيَّة للامام علي عليه السلام: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَلَالَةُ الإِمَامَةِ يَرْحَمُكَ الله؟

-قَالَتْ: فَقَالَ عليه السلام: ائْتِينِي بِتِلْكِ الْحَصَاةِ، وأَشَارَ بِيَدِه إِلَى حَصَاةٍ فَأَتَيْتُه بِهَا فَطَبَعَ لِي فِيهَا بِخَاتَمِه، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا حَبَابَةُ إِذَا ادَّعَى مُدَّعٍ الإِمَامَةَ فَقَدَرَ أَنْ يَطْبَعَ كَمَا رَأَيْتِ فَاعْلَمِي أَنَّه إِمَامٌ مُفْتَرَضُ الطَّاعَةِ والإِمَامُ لَا يَعْزُبُ عَنْه شَيْءٌ يُرِيدُه.

-قَالَتْ: ثُمَّ انْصَرَفْتُ حَتَّى قُبِضَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام.....

-فَجِئْتُ إِلَى الْحَسَنِ عليه السلام وهُوَ فِي مَجْلِسِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام والنَّاسُ يَسْأَلُونَه، فَقَالَ عليه السلام: يَا حَبَابَةُ الْوَالِبِيَّةُ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا مَوْلَايَ، فَقَالَ: هَاتِي مَا مَعَكِ؟ قَالَ: فَأَعْطَيْتُه فَطَبَعَ فِيهَا كَمَا طَبَعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام»(٢٧).

***فكرة النص والرسائل المستوحاة منه(دلالة النص):**

إن النص المذكور آنفاً يحكي لنا عن فكرة جدا مهمة، وهي بالحقيقة رسالة ذات طابع تثقيفي وإعلامي، فهي تحاكي العقل المسلم بالعموم، والوعي الشيعي بالخصوص في أحقية الحسن بن علي بن ابي طالب عليه السلام بالإمامة من جهة انها منصب الهي، عبر تحقق الوسائل الربانية

والكونية التي جعلها الله شرطاً أو معياراً أو وسيلة للكشف عن أصل الولاية أو الإمامة.

لاشك أن كل من يقرا الحديث يجد في أصله انه حديثٌ مكونّ من عدة نصوص، كل نص يعطي دلالة خاصة، مع شراكة في معنى معين بين كل النصوص، إلا أننا هنا عيَّنا النص الخاص بالإمام الحسن عليه السلام ؛ لان المقام يستلزم ذلك.

وبعيدا عن صحة أو ضعف الحديث الذي سيتبين لنا فيما بعد، فان الحوار الذي أوجدته حبابة الوالبية يحمل أيدولوجية خاصة، يمكن لها أن تظهر لنا الآتي:

–إن هذا النص اظهر لنا ان الإمام الحسن بن علي بن ابي طالب عليه السلام هو سفيرٌ واقعي بين الله وخلقه بعد النبي صلى الله عليه وآله.

–ان الإمام الحسن بن علي بن ابي طالب عليه السلام كان يحمل الصفات النبوية والعلوية في إيجاد واثبات الإمامة، كما هو معلوم في اثبات صحة النبوة للاصحاب في اول البعثة المباركة.

–ان نص يبّن لنا دلالة إمكان وسهولة قراءة الإمام الحسن عليه السلام لنوايا وأفكار الآخرين قبل البوح بها، بل حتى قبل التلميح والتلويح فضلاً عن التصريح.

–من القضايا التي لفتت انتباهي هي موضوع الإمامة – كما يعتقده الشيعة مشروعاً الهياً صّرح به رسول الله صلى الله عليه وآله،وأوصى به، وفرضه على المسلمين- إذ ان الإمامة لهي اكبر من ان تتوقف على رواية أو تستظل بظل حديث أو تتوقف صحتها على حصى أو حجر، سواء صحت هذه الرواية ام لم تصح، فان موضوع الإمامة تضافرت النصوص وتواترت الاحاديث وتكاثرت الاثار وتعاضدت السِّيَر في اثبات حقيقته–أي حقيقة الإمامة–.

والظاهر على – صحة هذا الحديث– ان الإمام تعامل مع تلك المرأة من جهة واقعية افكارها وطبيعة توجهاتها، وحدود تعقُّلها فاراها من حيث ما تحب ومن حيث من يدخل الى قلبها ويقينها فاراها الحجر. والله اعلم.

***دراسة السند المتقدم وأحوال الرواة:**

ان هذا الحديث قد اختلف علماء الجرح والتعديل في تقييم بعض رجالاته، وتوقفوا في بعض آخر، مما يجعل الحديث في دائرة المجهول إلى حين معرفة درجات تقييمهم، أي معرفة

درجة تقييم كل رجالات السند على حدة، لكي يتسنى لنا الحكم على الحديث، من خلال قاعدة المنطق: «النتيجة تتبع أخس المقدمات»[٢٨].

***التقييم الرجالي للرواية أعلاه (مناقشة السند):**

سوف نبين آراء وأقوال علماء الرجال واقوالهم في رجالات هذا السند، وما المحصلة النهائية من دراسته.

١ - **عَلِيّ بْن مُحَمَّدٍ**: إن هذا الاسم سوف ندرسه من خلال الآتي:

البحث والاستقراء:

لقد ظهر لي أن عَلِيّ بْن مُحَمَّدٍ، هو اسم مشترك بين كثير من الرواة، يصل حد الاشتراك إلى قرابة سبعة عشر راوياً، هم:

أ-علي بن محمد بن شيرة القاساني (القاشاني) أبو الحسن كان فقيها، مكثراً من الحديث، فاضلا، غمز عليه أحمد بن محمد بن عيسى، وذكر أنه سمع منه مذاهب منكرة وليس في كتبه ما يدل على ذلك... [٢٩].

ب-علي بن محمد بن علي بن سعد الأشعري القمي، القزداني - منسوب إلى قرية -، يكنى أبا الحسن... [٣٠].

ج-علي بن محمد المنقري، كوفي، ثقة... [٣١].

د-علي بن محمد بن قتيبة النيشابوري (النيسابوري) - عليه اعتمد أبو عمر والكشي في كتاب الرجال - أبو الحسن، صاحب الفضل بن شاذان وراوية كتبه... [٣٢].

ه-علي بن محمد بن علي بن عمر بن رباح بن قيس بن سالم، مولى عمر بن سعد بن أبي وقاص أبو الحسن السواق، ويقال القلا، كان ثقة في الحديث، واقفاً في المذهب، صحيح الرواية، ثبتا، معتمدا على ما يرويه... [٣٣].

و-علي بن محمد بن إبراهيم بن أبان الرازي الكليني المعروف بعلان يكنى أبا الحسن، ثقة، عين... [٣٤].

ز-علي بن محمد بن جعفر بن موسى بن مسرور أبو الحسين يلقب أبوه مملة، روى الحديث ومات حديث (حدث) السن، لم يسمع منه... [٣٥].

ح-علي بن محمد بن جعفر بن عنبسة الحداد العسكري أبو الحسن قال أبو عبد الله بن عياش: يقال له ابن رويدة، مضطرب الحديث... (٣٦).

ط-علي بن محمد العدوي الشمشاطي أبو الحسن، من عدي(بني) تغلب عدي بن عمرو ابن عثمان، كان شيخا بالجزيرة وفاضل أهل زمانه وأديبهم(٣٧).

ي-علي بن محمد بن عبد الله أبو الحسن القزويني القاضي، وجه من أصحابنا، ثقة في الحديث، قدم الى بغداد سنة ست وخمسين وثلاثمائة ومعه من كتب العياشي قطعة، وهو أول من أوردها إلى بغداد... (٣٨).

ك-علي بن محمد بن يوسف بن مهجور أبو الحسن الفارسي المعروف بابن خالويه، شيخ من أصحابنا، ثقة، سمع الحديث فأكثر، ابتعت أكثر كتبه(٣٩).

ل-علي بن محمد بن علي الخزاز ثقة من أصحابنا،أبو القاسم،وكان فقيهاً وجهاً.. (٤٠).

م-علي بن محمد الكرخي أبو الحسن كان فقيها متكلما، من وجوه أصحابنا... (٤١).

ن-علي بن محمد بن عبد الله بن علي بن جعفر بن علي بن محمد بن الرضا علي بن موسى عليه السلام أبو الحسن النقيب بسر من رأى المعدل... (٤٢).

س-علي بن محمد بن العباس بن فسانجس أبو الحسن عليه السلام كان عالما بالاخبار والشعر والنسب والآثار والسير، وما رؤي في زمانه مثله، وكان مجردا في مذهب الإمامية، وكان قبل ذلك معتزليا، وعاد وهو أشهر من أن يشرح أمره ... (٤٣).

ع-علي بن محمد بن شيران أبو الحسن الابلي، كان أصله من كازرون، سكن أبوه الأبلة، شيخ من أصحابنا، ثقة، صدوق...(٤٤).

ف-علي بن محمد بن حفص بن عبيد بن حميد مولى السائب بن مالك الأشعري أبو قتادة القمي، روى عن أبي عبد الله عليه السلام وعمر وكان ثقة، وابنه الحسن بن أبي قتادة الشاعر وأحمد بن أبي قتادة...(٤٥).

المناقشة والتصويب:

تتبعت الآثار والرواة من خلال اسانيد الاحاديث الواردة عن المعصومين عليهم السلام في كتب

الحديث، فوجدت أن علي بن محمد هذا، هو أحد مشايخ وأساتذة الشيخ الكليني، وهو بعد التحقيق يشترك بين اثنين من كل ما تقدّم، هما:

١-أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن أبان، الرازي، الكليني. المعروف بعلان.

٢-أبو الحسن، علي بن محمد بن أبي القاسم عبد الله بن عمران، البرقي، القمي ابن بنت أحمد ابن محمد بن خالد البرقي(٤٦).

أولاً: علي بن محمد بن إبراهيم بن أبان، أبو الحسن الرازي الكليني، خال محمد ابن يعقوب الكليني وأُستاذه، يُعرف بـ(علّان)، كان شيخ الشيعة في وقته بالري ووجههم، ومن أفاضل رجالات الفقه والحديث، ثقةً، عيناً، وكان أحد وكلاء الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، روى عنه الكليني في الكافي كثيراً ضمن عنوان : عدّة من أصحابنا وروى له الشيخ الصدوق كثيراً في (إكمال الدين) بإسناده عن سعد بن عبد الله عن علّان الكليني وقال ابن حجر في لسان الميزان : روى عن محمد بن شاذان، ونصر بن صباح، وغيرهما . روى عنه : سعيد بن عبد الله، وعلي بن محمد الايادي له كتاب (أخبار القائم) عجل الله فرجه الشريف(٤٧).

وجاء ايضاً: علي بن محمد بن إبراهيم بن أبان الرازي الكليني المعروف بعلان من جملة رجال العدّة التي تروي عن سهل بن زياد ... (٤٨)، ولكن يبعد كون (علي بن محمد) في سند هذا الحديث هو علي بن محمد المعروف بعلان؛ لأنّ الكليني لم ينقل عنه في الكافي منفرداً باسمه وإنّما كلّ ما نقله عنه فقد رواه بعنوان (العدّة)(٤٩).

وجاء ان:« علي بن محمد بن إبراهيم بن أبان، أبو الحسن الرازي الكليني، المعروف بعلان، المقتول في طريق مكة، أحد مشايخ محمد بن يعقوب الكليني، ذكره النجاشي (٦٨٢)، وقال : ثقة، عين . له كتاب أخبار القائم عجل الله فرجه الشريف. أخبرنا محمد، قال : حدثنا جعفر بن محمد، قال : حدثنا علي ابن محمد(٥٠).

ثانياً: وأمّا علي بن محمد الذي هو من مشايخ الكليني، فهو وإن كان مردداً بين ابن عبد الله القمي الذي لم يوثق وبين ابن بندار الموثق، لاتحاده مع علي بن محمد بن أبي القاسم الثقة، إلا أنه متى أُطلق يراد به الثاني كما صرح (قدس سره) بذلك كله في المعجم فلا نقاش من هذه الجهة(٥١).

وقيل: أبو الحسن علي بن محمد بن أبي القاسم عبد الله أو عبيد الله الملقب ببندار بن عمران الجنابي البرقي، ابن بنت أحمد بن أبي عبد الله البرقي من مشايخ ثقة الاسلام، المذكور في بعض عدده، الذي يعبر عنه في أول السند تارة : بعلي بن محمد، وأخرى: بعلي بن محمد بن عبد الله، وثالثة : بعلي بن محمد بن بندار. وقال في حقه النجاشي : ثقة فاضل فقيه أديب، رأى أحمد بن محمد البرقي وتأدب عليه، وهو ابن ابنته، وصحح العلامة طريق الفقيه إلى الحارث بن المغيرة وهو فيه(٥٢).

إذاً هو: علي بن محمد، هو يشترك بين هذين الاثنين، وكلاهما ثقة، إلا أن الثاني: علي بن محمد ابن أبي القاسم عبد الله بن عمران، البرقي، القمي؛ لانه لايشترط الرجاليون ان يكون مقروناً بالعدة المعلومة عند الشيخ الكليني، بخلاف علي بن محمد بن ابراهيم المعروف بعلان، فانه كثيراً ما يرد مقروناً بالعدة في السند، وهذا يؤكد ما اراه من انه هو الثاني وهو علي بن محمد بن ابي القاسم؛ لانه لايوجد عدة في هذا السند الذي نحن بصدد تحقيقه والوقوف على دلالته.

الخلاصة(النتيجة):

إن: (عَلِيّ بْن مُحَمَّدٍ)، هو: أبو الحسن، علي بن محمد بن أبي القاسم عبد الله بن عمران، البرقي، القمي ابن بنت أحمد بن محمد بن خالد البرقي(٥٣)، ثقة(٥٤).

٢- **مُحَمَّد بْن إِسْمَاعِيلَ بْن مُوسَى بْن جَعْفَر**: إن هذا الاسم سوف ندرسه من خلال الآتي:

البحث والاستقراء:

لقد ظهر لي أن مُحَمَّد بْن إِسْمَاعِيلَ بْن مُوسَى بْن جَعْفَر، هو من الاسماء غير معلومة التوصيف الرجالي، مما جعل المتأخرين من الرجاليين يحكمون عليه بما سياتي:

المناقشة والتصويب:

إن محمد بن إسماعيل بن موسى بن جعفر أبو علي، روى في الكافي عن علي بن محمد عنه، وقال: كان أسن شيخ من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله بالعراق فقال: رأيته - يعني الصاحب أرواحنا فداه - بين السجدتين وهو غلام ... ثم قال صاحب التنقيح : أقول : رؤيته له عليه السلام يعد مدحاً ملحقاً له بالحسان، وقد أكثر الراوندي في نوادره الرواية عنه . . .(٥٥).

وقد تتبعت كتب علماء الرجال، فلم اجد من وثَّق او ضعَّف هذا الراوي، مما جعل أغلب المتاخرين يعتمدون على المتقدمين في نقل التعريف عن الراوي دون جعل وصف رجالي له، بل بعضهم جعلوه من المجهولين[٥٦]، ولا الومهم في ذلك، بل لو كنت مكانهم سوف اوافقهم بما توصل اليه، لانه لم يوثق أو يضعف من أي رجالي متقدم كما مر، الا انني وجدت رجالياً واحد فقط ممن جعله من الممدوحين[٥٧]؛ لانه كان بعض الثقات من الرواة ينقلون عنه، وكذلك بعض المحدثين المتقدمين كانوا يكثرون الرواية عنه.

الخلاصة(النتيجة):

إن(**مُحَمَّد بْن إِسْمَاعِيلَ بْن مُوسَى بْن جَعْفَر**)، هو: مُحَمَّد بْن إِسْمَاعِيلَ بْن مُوسَى بْن جَعْفَر، مجهول[٥٨]، لكن من خلال استقراء حاله يظهر انه ممدوحٍ[٥٩].

٣-أَحْمَد بْن الْقَاسِم الْعِجْلِيّ: هذا الراوي سوف نتناوله بالبحث والاستقراء للوقوف على توصيفه الرجالي.

البحث والاستقراء:

لقد قرأت كتب الرجال، فلم اجد كتابا رجاليا واحداً قد ضعف هذا الراوي أو وثَّقه، ولم اجد من عرَّف بهذا الراوي غير كونه روى عنه الكليني، وروى هو عن حبابة الوالبية رواية في الكافي التي نحن بصددها الآن.

المناقشة والتصويب:

من خلال التتبع وجدت أن هذا الراوي معروف الذات، الا انه مجهول الحال، فلا يُعرف انه من أهل الصلاح أو من غيرهم، وقد قال عنه السيد الخوئي:« روى عن أحمد بن يحيى، المعروف بكرد، وروى عنه محمد بن إسماعيل بن موسى بن جعفر أبو علي . الكافي : الجزء ١، كتاب الحجة ٤، باب ما يفصل به بين دعوى المحق والمبطل»[٦٠].

الخلاصة(النتيجة):

إن (**أَحْمد بْن الْقَاسِم**)، هو: أَحْمَد بْن الْقَاسِم الْعِجْلِيّ، مجهول الحال[٦١].

٤-أَحْمَد بْن يَحْيَى: هذا الراوي سوف نتناوله بالبحث والاستقراء للوقوف على توصيفه الرجالي.

البحث والاستقراء:

لقد امعنت في آثار الرجاليين المتقدمين، فلم أجد من أخذه بالتعريف أو التوصيف، لا على منحى التضعيف، ولا من جهة التوثيق، وهو لايشترك مع راوٍ في القرينة الوصفية في سياق السند الوارد في الحديث.

وهو أحمد بن يحيى المعروف بكرد : لم يذكروه، روى عن محمد بن خداهى وعنه أحمد بن القاسم العجلي المذكور[٦٢].

المناقشة والتصويب:

كذلك لم اجد من علماء الرجال من ضعف أو وثق هذا الراوي، ولم اجد من عرَّف بهذا الراوي غير أنه روى ايضاً عنه الكليني، وروى هو عن حبابة الوالبية رواية في الكافي التي نحن بصددها الآن.

وسوف اسرد اليك كلام السيد الخوئي فيه قائلاً: أحمد بن يحيى المعروف بكرد -، روى رواية في الكافي-، روى عن محمد بن خداهي، وروى عنه أحمد بن القاسم العجلي. الكافي : الجزء ١، كتاب الحجة ٤، باب ما يفصل به بين دعوى المحق والمبطل ٨١، الحديث ٣ »[٦٣].

الخلاصة(النتيجة):

إن (**أَحْمَد بْن يَحْيَى**)، هو: أَحْمَد بْن يَحْيَى الْمَعْرُوف بِكُرْدٍ، مجهول الحال[٦٤].

٥-**مُحَمَّد بْن خُدَاهِيٍّ**: هذا الراوي سوف نتناوله بالبحث والاستقراء للوقوف على توصيفه الرجالي.

البحث والاستقراء:

من خلال التتبع في كتب علماء الجرح والتعديل لم يحظ البحث بكتاب متقدم أو متأخر، أو متتبع للرواة من نال هذا الراوي بالتوصيف الذي يخدم الباحثين في الحكم على الحديث، وهو في اسمه لايشترك معه راوٍ آخر، وانما هو متفرد في كتب الرجال.

المناقشة والتصويب:

قرأت معجم رجال الحديث، فوجدت ان السيد الخوئي قال فيه ما قاله الشاهرودي: محمد بن خداهى: من انه وقع في طريق الكليني والصدوق عن أحمد بن يحيى المعروف بكرد، عنه،

عن عبد الله بن أيوب في خبر حبابة الوالبية. الكافي، ١ / ٣٤٦، وكمال الدين[٦٥]. ولم اجد من عرَّف بهذا الراوي غير أنه روى أيضاً عنه الكليني، وروى عن حبابة الوالبية هذه الرواية.

الخلاصة(النتيجة):

إن (**مُحَمَّد بْن خُدَاهِيٍّ**)، هو: مُحَمَّد بْن خُدَاهِيٍّ، مجهول[٦٦].

٦-**عَبْد الله بْن أَيُّوبَ**: سوف نستعرض سيرة هذا الراوي من خلال كتب علم الجرح والتعديل، لمعرفة ذات الراوي وحاله.

البحث والاستقراء:

بعد الاستقراء الذي اجراه البحث حول ابن ايوب، تبين انه عَبْد الله بْن أَيُّوبَ بن راشد الزهري، بياع الزطي[٦٧].

المناقشة والتصويب:

من خلال البحث في احوال الرواة، وجدت أن ابن أيوب، هو: عَبْد الله بْن أَيُّوبَ بن راشد الزهري، بياع الزطي، روى عن جعفر بن محمد، وظهر لي ان عبد الله بن ايوب يعد من الرواة الذين ذكرهم الشيخ النجاشي بالتناقض، إلا أنه وثقه في الاطار العام، فقال عنه: ثقة، ونقل النجاشي عن بعض الرجاليين انهم قالوا فيه: تخليط[٦٨].

الخلاصة(النتيجة):

إن (**عَبْد الله بْن أَيُّوبَ**)، هو: عَبْد الله بْن أَيُّوبَ بن راشد الزهري، وثقه النجاشي، وقيل فيه تخليط[٦٩].

٧-**عَبْد الله بْن هَاشِمٍ**: إنَّ هذا الاسم سوف ندرسه من خلال الآتي:

البحث والاستقراء:

لقد ظهر لي أن عَبْد الله بْن هَاشِمٍ، هو اسم مشترك بين أكثر من راو، هم:

أ-عبد الله بن هاشم : لم يذكروه . روى عبد الله بن أيوب، عنه، عن عبد الكريم بن عمرو الخثعمي. الكافي ج ١ كتاب الحجة باب ما يفصل به بين دعوى المحق والمبطل ص ٣٤٦[٧٠].

ب-عبد الله بن هاشم الدوري أبو القاسم: لم يذكروه . روى فرات بن إبراهيم عنه حديث معراج أمير المؤمنين عليه السلام إلى السماء. وروى الكليني، عن عبد الله بن أيوب، عن عبد الله بن هاشم، عن عبد الكريم بن عمرو الخثعمي، حديث حبابة الوالبية . الكافي ج ١ / ٣٤٦ ح ٣[٧١].

ج-عبد الله بن هاشم بن عتبة المرقال: لم يذكروه . كلماته في مجلس معاوية الدالة على حسنه وكماله . كتاب صفين ص ٣٤٨ و ٣٥٦ . وكان يوم صفين أخذ الراية بعد شهادة أبيه[٧٢].

المناقشة والتصويب:

الظاهر مما تقدم هو اتحاد الأول وهو: عبد الله بن هاشم، مع الثاني، وهو: عبد الله بن هاشم الدوري؛ لانهما رويا عن حبابة الوالبية الحديث الذي ندرسه الآن.

وهو عبد الله بن هاشم الدوري أبو القاسم: لم يذكره علماء الرجال .اذ روى فرات بن إبراهيم عنه حديث معراج أمير المؤمنين عليه السلام إلى السماء. وروى الكليني، عن عبد الله بن أيوب، عن عبد الله بن هاشم،عن عبد الكريم بن عمرو الخثعمي، حديث حبابة الوالبية.

فيظهر مما تقدم ان ابن هاشم الدوري قد جاء بيان ذاته، من جهة التعريف بنسبه وكنيته، الا انه لم نجد احداً من علماء الرجال قد تعرض الى بيان حاله مما يلزم في ظاهر الامر التوقف بمروياته.

الخلاصة(النتيجة):

إن (**عَبْد الله بْن هَاشِمٍ**)، هو: عبد الله بن هاشم الدوري أبو القاسم[٧٣]، معلوم الذات، مجهول الحال.

٨-**عَبْد الْكَرِيم بْن عَمْرو الْخَثْعَمِيّ**: هذا الراوي سوف نتناوله بالبحث والاستقراء للوقوف على توصيفه الرجالي.

البحث والاستقراء:

حينما وقف البحث على شخصية هذا الراوي، واخص وقوف البحث على كتاب النجاشي الذي يعد من أقدمُ أهم وأوثق وأدق الكتب الرجالية عند علماء الشيعة، ظهر ان ابن الخثعمي، هو: عَبْد الْكَرِيم بْن عَمْرو بن صالح الْخَثْعَمِيّ، كوفي، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام[٧٤].

المناقشة والتصويب:

من خلال البحث في أحوال الرواة، وجدت ان عَبْد الْكَرِيم بْن عَمْرو، هو: عَبْد الْكَرِيمِ بْن عَمْرو بن صالح الْخَثْعَمِيّ، كوفي، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام، ثم وقف على أبي الحسن عليه السلام، كان ثقة ثقة عينا، يلقب كراما(٧٥).

قال ابن الغضائري: عَبْدُ الكريم بنُ عَمْرو بن صالِح، الخَثْعَميُّ، مولاهم، كُوْفيٌّ، يُلَقَّبُ «كَرّاماً»، الواقِفةُ تَدَّعِيْهِ، والغُلاةُ تَرْوِي عنهُ كَثِيْراً(٧٦).

وقال الشاهرودي قولا ينبئ عن تتبع رائع: عبد الكريم بن عمرو بن صالح الخثعمي الملقب بكرام: روى أحمد البزنطي ومحمد بن الحسين بن أبي الخطاب ومحمد بن عيسى بن عبيد عنه، وروى عنه في مستدرك الوسائل ج ١ / ١٧٨(٧٧).

وبالجملة عدوه من أصحاب الكاظم والصادق صلوات الله عليهما. وكان ثقة ثقة عيناً كما قال النجاشي وغيره، وقالوا: إنه واقفي، ولذلك عده جمع من الموثقين. واعتقد المامقاني عدم وقفه لنقل المولى الوحيد روايات صريحة في قوله بإمامة الرضا والأئمة الاثني عشر صلوات الله عليهم، ويمكن الجمع بأنه وقف حينا فاهتدى إلى الحق.

وهو الذي نقل عن حبابة الوالبية حصاتها من أمير المؤمنين إلى الرضا عليه السلام وختمهم على الحصاة، وظهور آثاره، وكانت علامة إمام الحق كما في الكافي ج ١ كتاب الحجة باب ما يفصل به بين دعوى المحق والباطل ص ٣٤٦(٧٨).

وحلف في نفسه أن يصوم أبداً حتى يقوم القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف. فورد عليه الصادق عليه السلام فقال: رجل من شيعتك جعل الله عليه أن لا يأكل طعاما بالنهار حتى يقوم القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف. فقال: صم يا كرام ولا تصم العيدين(٧٩).

الخلاصة(النتيجة):

إن (**عَبْد الْكَرِيم بْن عَمْرو الْخَثْعَمِيّ**)، هو: عَبْد الْكَرِيم بْن عَمْرو بن صالح الْخَثْعَمِيّ، كوفي، «ثقة ثقة»(٨٠).

٩- حَبَابَة الْوَالِبِيَّة: هذ الراوية من النساء التي سوف يسعى البحث إلى معرفة حالها الرجالي.

البحث والاستقراء:

من خلال البحث في أحوال الرواة، وجدت ان حَبَابَة الْوَالِبِيَّة : من أصحاب الباقر عليه السلام، روى الكشي ما يدل على مدحها(٨١)، وهي أم الندى بنت جعفر، حبابة الوالبية الأسدية، من أسد بن خزيمة بن مدركة(٨٢)، وقال البهائي:« حبابة الوالبية : روى الكشي وغيره مدحها وحسن حالها، وأنها بقيت من زمان أمير المؤمنين إلى زمان الرضا عليهما السلام، وروت عنهم جميعاً، واطلعت على معجزاتهم »(٨٣).

المناقشة والتصويب:

لم أجد النجاشي في كتابه قد تعرض لحَبَابَة الْوَالِبِيَّة، لا من قريب ولا من بعيد، لا من جهة التضعيف ولا من جهة التوثيق، بل أصلاً لا من جهة التعريف ولا من جهة التوصيف، فهو لم يتطرق لها ابداً.

إلا ان البحث قد وجد أن الشيخ الطوسي قد قيل ونُقل له –وهو غير متأكد مما قيل له ومما نُقل – أنَّ حَبَابَة الْوَالِبِيَّة:« كانت قد أدركت أمير المؤمنين عليه السلام وعاشت إلى زمان الرضا عليه السلام على ما بلغني، والله أعلم»(٨٤).

وقد رأيت ان المازندراني قد تتبع تتبعا جميلاً عنها حين قال: ان حَبَابَة الْوَالِبِيَّة روت عن الحسن والحسين عليهما السلام.

وحبابة هذه صاحبة الحصاة الَّتي طبع فيها أمير المؤمنين عليه السلام بخاتمه وأخبرها أنّ من قدر أنْ يطبع فيها كما طبع عليه السلام فهو إمام، وأتت بها إلى الأئمّة عليهم السلام واحداً بعد واحد وهم يطبعون فيها إلى أنْ انتهت إلى الرضا عليه السلام فطبع فيها.

وعاشت حبابة بعد ذلك تسعة أشهر على ما ذكر محمّد بن هشام، وأنّها لمّا أتت علي بن الحسين عليه السلام كان قد بلغ بها الكبر إلى أنْ أرعشت وهي تعدل مائة وثلاثة عشر سنة، فأومأ عليه السلام إليها بسبابته فعاد إليها شبابها.

وعن كتاب الغيبة للشيخ (رحمه الله) أنّ الرضا عليه السلام كفّنها في قميصه(٨٥)، وأضاف الشاهرودي : حبابة الوالبية : أم الندى بنت جعفر الأسدية الوالبية : صاحبة الحصاة التي طبع

عليها أمير المؤمنين وأولاده المعصومون إلى أبي الحسن الرضا صلوات الله عليه، وماتت في أيام الرضاعليه السلام وكفنها الرضا في قميصه[٨٦].

وقد روى جعفر بن مالك عن محمد بن زيد المدني انه قال : كنت مع مولانا الرضاعليه السلام حاضراً لأمر حبابة الوالبية – الخ . وذكر موتها وتجهيزها وصلاة الإمام مع الشيعة عليها دفنها، قال : وأمرنا سيدنا بزيارتها وتلاوة القرآن عندها والتبرك بالدعاء هناك[٨٧][٨٨].

وقال الفاضل الأسترآبادي: كان عمرها مأتي سنة[٨٩]، وقيل: ان أم الندى حبابة بنت جعفر الوالبية الأسدية، تُكَنَّى بأم الندى وانها بنت جعفر حكاه الطبرسي في إعلام الورى عن أبي عبد الله بن عياش، وقال الشيخ في رجاله في أصحاب الحسينعليه السلام أم البراء وقيل حبابة الوالبية هكذا حكاه غير واحد ويوشك ان يكون أم البراء تصحيف أم الندا أو بالعكس[٩٠]، وان حبابة الوالبية وأم حبابة تابعيتان (ثم قال الامين) ومن أسمائهن حبابة مشددة. و(الوالبية) نسبة إلى والبة حي من بني أسد، وذكرها الشيخ في رجاله في أصحاب الحسين وفي أصحاب الباقر عليهما السلام فقال حبابة الوالبية وذكرها ابن داود في القسم الأول من رجاله في باب الأسماء مع الرجال في أصحاب الحسن والحسين وعلي بن الحسين والباقرعليهم السلام وحكى عن الكشي انها ممدوحة[٩١].

تنبيه: ان من الأمور التي دعتني الى تنبيه الباحثين حول هذه الشخصية، هي مسألة ما قاله الجواهري[٩٢] حين تحدث عن حبابة الوالبية بان كنيتها: بام البراء، وعدها من اصحاب الإمام السجادعليه السلام، ووصفها بالجهالة، والظاهر انها ليست هي حبابة الوالبية التي عرفوها سائر علماء الرجال المتقدم ذكرهم، والتي نحن بصدد بيان تقييمها عند علماء الرجال.

الخلاصة(النتيجة):

إن (حَبَابَةَ الْوَالِبِيَّة)، هي: حبابة بنت جعفر الوالبية الأسدية، تكنى بام الندى، ممدوحة[٩٣] عاصرت الإمام علي بن ابي طالبعليه السلام والإمام الرضاعليه السلام، وأنّ الرضاعليه السلام كفّنها في قميصه[٩٤]. وصلى عليها، وأمر بزيارتها، وتلاوة القرآن عندها[٩٥].

***الحكم الدراياتي[٩٦] للرواية:**

المعلوم ان الحديث لايؤخذ به الا من خلال الوقوف على توصيفه الرجالي،إذ ان التوصيف الرجالي والدراياتي مهم للوقوف على صحة الرواية، لكن قد يرى اصحاب المدرسة المتنية غير ذلك.

وكيفما كان الامر عند اصحاب المدرسة المتنية، فانه لا بد من الوقوف على خلاصات تقييم الرجاليين للرواة، من خلال الآتي:

١-إن: (عَلِيّ بْن مُحَمَّدٍ)، هو: أبو الحسن، علي بن محمد بن أبي القاسم عبد الله بن عمران، البرقي. ثقة(٩٧).

٢-إن: (مُحَمَّد بْن إِسْمَاعِيلَ بْن مُوسَى بْن جَعْفَر)، هو: مُحَمَّد بْن إِسْمَاعِيلَ بْن مُوسَى بْن جَعْفَر، مجهول(٩٨)، لكن من خلال استقراء حاله يظهر انه ممدوح(٩٩).

٣-إن: (أَحْمَد بْن الْقَاسِمِ)، هو: أَحْمَد بْن الْقَاسِمِ الْعِجْلِيِّ، مجهول الحال(١٠٠).

٤-إن: (أَحْمَد بْن يَحْيَى)، هو: أَحْمَد بْن يَحْيَى الْمَعْرُوفِ بِكُرْدٍ، مجهول الحال(١٠١).

٥-إن: (مُحَمَّد بْن خُدَاهِيٍّ)، هو: مُحَمَّد بْن خُدَاهِيٍّ، مجهول(١٠٢).

٦-إن: (عَبْد الله بْن أَيُّوبَ)، هو: عَبْد الله بْن أَيُّوبَ بن راشد الزهري، ثقة، وقيل فيه تخليط(١٠٣).

٧-إن: (عَبْدِ الله بْن هَاشِمٍ)، هو: عبد الله بن هاشم الدوري أبو القاسم(١٠٤)، مجهول الحال.

٨-إن: (عَبْد الْكَرِيم بْن عَمْرو الْخَثْعَمِيِّ)، هو: عَبْد الْكَرِيم بْن عَمْرو بن صالح الْخَثْعَمِيّ، كوفي، ثقة ثقة(١٠٥).

٩-إن: (حَبَابَةَ الْوَالِبِيَّة)، هي: حبابة بنت جعفر الوالبية الأسدية،تكنى بام الندى. ممدوحة(١٠٦).

من خلال هذه الرحلة الطويلة في عالم الرجال وكتب الجرح والتعديل، ومتابعة كتب الحديث، ومراجعة كتب الأصوليين تبين ان هذا الحديث يقوم على الآتي:

١-يقوم سند الحديث على ثلاثة رجاليين ثقات.

٢-ويقوم طريق الخبر على شخصيتين ممدوحتين.

٣-وتقوم سلسلة الاثر على أربعة رواة مجاهيل.

يظهر أن الرواية مختلف في وصفها الدراياتي ؛ لتوقف علماء الرجال في توصيف بعض رجالات السند، والاظهر ضعف الحديث لورود الجهالة فيها من جانب، ومن جانب امتداح باقي رجالات السند، مما يعطي لنا الحق في القول بضعف الحديث، الى ظهور أدلة جديدة في المقام، لكنني بذلت الوسع. والله اعلم.

أي على قاعدة: (النتيجة تتبع اخس المقدمات)، فان الحديث يوصف بالضعف؛ لورود المجاهيل فيه، لكن وجود قاعدة:(إثبات الشيء لاينفي ماعداه)، تتيح لنا ان نتريث بتوصيفنا للحديث، من جهة قولنا: اذا رُفعت الجهالة-بصورة واخرى- وظهرت وثاقة أو ممدوحية هؤلاء المجاهيل، فان الحديث سوف يكون وصف الحديث(حديثاً حسناً)-هذا على صحة الفرض الذي افترضناه-.

إلا أنه في ودي ان اشير إلى مسألة هنا وهي ان هذا الحديث-الذي نحن بصدد دراسته- من حيث دلالته ومضمونه لا يحمل امرا عجيبا وغريبا،تجعل منا رافضين له،ولاسيما حينما يتعلق فحوى الحديث بمعاجز المعصومين ﷺ، مما يجعل لي الحق بان اقول:ان الحديث ضعيف، للوهلة الأولى، إلا أنه ممكن ان يكون حسنا..... والله اعلم.... **وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.**

الهوامش

١- **المُلَخَّصُ** (المستخلص أو خلاصة الدراسة أو خلاصة البحث) هو التعريف بفكرة العنوان، وذكر ابرز المحاور التي سوف يقف عليها البحث في الدراسة وعادة ما تكون في بحوث الترقية والتقويم السنوي في المجلات المحكمة وغيرها، بخلاف (الخاتمة) وهي ذكر ابرز النتائج التي توصلت اليها الدراسة دون ان تكون مذكورة في البحث كله سابقا، واما خطة البحث فهي ذكر بيان وافٍ للعمل في الأطاريح والرسائل وبحوث التخرج، يبدأ من المقدمة والتمهيد والفصول والخاتمة وصولا الى مصادر البحث ومراجعه.

٢- ينظر: الشيخ فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ)، مجمع البحرين، ٦/ ٢٣٢.

٣- النوري، حسين الطبرسي(ت ١٣٢٠هـ)، خاتمة مستدرك الوسائل، ٥/ هامش ٢٦٠، وينظر: الميرداماد، محمد باقر الحسيني، الرواشح السماوية، ٧٢.

٤- ينظر: الفراهيدي، الخليل بن احمد، العين، ١/ ٢٨١. وينظر: الجوهري، الصحاح، ٤/ ١٣٩٠. وينظر: أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ٣٣٠.

٥- الميرداماد، محمد باقر، الرواشح السماوية، ٧٢.

٦- ينظر: الميرداماد، محمد باقر، الرواشح السماوية، ٧٢.

٧- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٩/ ٣٦٠.

٨- تفسير النصوص في الفقه الإسلامي، ١/ ٥٠-٥١

٩- الجرجاني، ابو الحسن الجرجاني. التعريفات، ص٢٣٧.

١٠- الصُليبي، دكتور محمد علي الصُليبي، فهم النص على ضوء المصالح والمقاصد في الواقع المعاصر. مقدم للمؤتمر العلمي المنعقد في رحاب الجامعة الاردنية (مؤتمر النصوص الشرعية) في الفترة ٤-٦/ ١١/ ٢٠٠٨م.

١١- الكليني، الكافي، ١/ ٣٤٣.

١٢- المصدر نفسه ١/ ٣٤٦.

١٣- انه كتاب الكافي، وهو من أهم أربعة كتب في الحديث لدى الشيعة وهو للمحدِّث والعالم الفقيه الشيخ محمد بن يعقوب الكليني المولود في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري في مدينة كلين بفارس وهو المعروف بثقة الإسلام الكليني المتوفى سنة ٣٢٩ هجرية.

مكانة الكتاب: إن المؤلف كرّس عشرين سنة من حياته في جمع أحاديث هذا الكتاب ليضع نحواً من ستة عشر ألف حديث.

فالكافي هو أول كتاب روائي شامل لدى الشيعة جمع الأحاديث من أصولها الأولية ونظمها في موضوعات.

أبرز ما امتاز به كتاب الكافي هو:

١ ـ أنه أحد الكتب الأربعة للشيعة وأكثرها اعتماداً من بعد القرآن الكريم.

٢ ـ عاش الكليني في عصر النواب الخاصين لإمام الزمان عليه السلام، وكتب الكتاب أجمعه في زمن الغيبة الصغرى.

٣ ـ دقة المؤلف وتتبعه الوسيع وحسن تبويبه واختياره للعناوين وذوقه الجميل، جعل كتابه من المؤلفات الفريدة بين المجاميع الروائية للشيعة.

٤ ـ هناك أكثر من خمسين شرحاً وترجمة وتعليقاً على الكافي، وأهم شروحه مرآة العقول للعلامة المجلسي في ٢٦ مجلداً، وشرح ملا صالح المازندراني في ١٢ مجلداً.

٥ـ يروى أن المهدي اطلع عليه وقال هذا الكتاب كاف لشيعتنا. من أشهر طبعات الكافي طبعة المنشورات الإسلامية بتحقيق الأستاذ علي أكبر الغفاري ومقدمة الدكتور حسين علي محفوظ، حيث أُعيد طبعها مراراً. وقد اعتمد الكليني على علم الرجال وهو -علم يبحث في صحة السند- في اختيار المرويات عن النبي محمد والأئمة.

١٤- الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ص٥٣٦.

١٥- المازندراني، المولى محمد صالح(ت ١٠٨١هـ)، شرح اصول الكافي، والمجلسي، محمد باقر المجلسي(ت١١١١ هـ)، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ملا صدرا الشيرازي، محمد بن إبراهيم القوامي الشيرازي(ت ١٠٥٠هـ)، شرح اصول الكافي....المجلسي، محمد تقي المجلسي الاول(ت ١٠٧٠هـ)، روضة المتّقين في شرح من لا يحضر الفقيه للصدوق، وغيرها.

١٦- ينظر المجلسي، محمد تقي المجلسي(الأول)(ت١٠٧٠هـ)، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، ٦/ ٧٥.

١٧- ينظر: المازندراني(ت١٠٨١هـ)، المولى محمد صالح، شرح اصول الكافي، ٦/ ٢٨٦.

١٨- المصدر نفسه.

١٩- المصدر نفسه.

٢٠- المصدر نفسه.

٢١- المصدر نفسه.

٢٢- المازندراني، المولى محمد صالح المازندراني(ت١٠٨١هـ)،شرح اصول الكافي، ٦/ ٢٨٦.

٢٣- المصدر نفسه.

٢٤- المصدر نفسه.

٢٥- المصدر نفسه..

٢٦- ينظر: المازندراني(ت١٠٨١هـ)، المولى محمد صالح، شرح اصول الكافي، ٦/ ٢٨٦.

٢٧- الكليني، الكافي، ١/ ٣٤٦.

٢٨- النتيجة تتبع أخس المقدمتين :يعني إذا كانت إحدى المقدمتين سالبة كانت النتيجة سالبة ، لأن السلب أخس من الإيجاب . وإذا كانت جزئية كانت النتيجة جزئية ، لأن الجزئية أخس من الكلية ، وهذا الشرط واضح ، لأن النتيجة متفرعة عن المقدمتين معاً ، فلا يمكن أن تزيد عليهما فتكون أقوى منهما . المظفر، المنطق، ص٢٤٥.

٢٩- النجاشي، رجال النجاشي، ٢٥٥.

٣٠- المصدر نفسه ٢٥٧.

٣١- المصدر نفسه

٣٢- رجال النجاشي، ٢٥٩.

٣٣- المصدر نفسه.

٣٤- النجاشي، رجال النجاشي، ٢٦٠.
٣٥- رجال النجاشي، ٢٦٢.
٣٦- المصدر نفسه.
٣٧- النجاشي، رجال النجاشي، ٢٦٣.
٣٨- ينظر: رجال النجاشي، ٢٦٧.
٣٩- رجال النجاشي، ٢٦٨.
٤٠- المصدر نفسه.
٤١- المصدر نفسه.
٤٢- النجاشي، رجال النجاشي، ٢٦٩.
٤٣- المصدر نفسه.
٤٤- المصدر نفسه.
٤٥- النجاشي، رجال النجاشي، ٢٧٢.
٤٦- الكليني، الكافي، ١/ مقدمة ١٧... البرقي هو احمد بن محمد بن خالد البرقي(ت٢٧٤هـ)، صاحب كتاب المحاسن، وهو كتاب يقع في جزأين يتضمن أحاديث المعصومين (عليهم السلام).
٤٧- اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق، موسوعة طبقات الفقهاء، ٣/ ٤٠١.
٤٨- ينظر: معجم رجال الحديث، ج ١٢، ص ١٢٨، رقم ٨٣٨٩.
٤٩- مثل ح ٢٢ من الكافي، ج ٢، ص ٥٦٢...مركز تحقيق مدرسة ولي العصر (عجل الله فرجه)، غنا، موسيقى (عربي - فارسي)، ٣/ هامش ١٦٨١.
٥٠- ينظر: السيد محمد علي الأبطحي، تهذيب المقال في تنقيح كتاب رجال النجاشي، ٤/ شرح ص٥١٧.
٥١- تقرير بحث السيد الخوئي للبروجردي، شرح العروة الوثقى - الصلاة (موسوعة الإمام الخوئي)، ١١/ ٧٢.
٥٢- ميرزا حسين النوري الطبرسي، خاتمة المستدرك، ٤/ ١٥٥.
٥٣- الكليني، الكافي، ١/ مقدمة١٧.
٥٤- ميرزا حسين النوري الطبرسي، خاتمة المستدرك، ٤/ ١٥٥؛ ينظر: تقرير بحث السيد الخوئي للبروجردي، شرح العروة الوثقى - الصلاة (موسوعة الإمام الخوئي)، ١١/ ٧٢.
٥٥- ينظر: السيد بهاء الدين النجفي(ت٨٠٣هـ) ، منتخب الأنوار المضيئة، هامش١٧٦.
٥٦- الجواهري، محمد الجواهري، المفيد من معجم رجال الحديث، ص٥٠٢.
٥٧- في تنقيح المقال : ٢ / ٨٣ رقم ١٠٤١١ : « محمد بن إسماعيل بن موسى، روى في الكافي عن علي بن محمد، عنه وقال : كان أسن شيخ من ولد رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالعراق فقال : رأيته - يعني الصاحب أرواحنا فداه - بين السجدتين وهو غلام» . ثم قال صاحب التنقيح :« أقول : رؤيته له (عليه السلام) يعد مدحاً ملحقاً له بالحسان ، وقد أكثر الراوندي في نوادره الرواية عنه...»بهاء الدين النجفي(ت٨٠٣هـ) ، منتخب الأنوار المضيئة، هامش١٧٦.
٥٨- الجواهري، محمد الجواهري، المفيد من معجم رجال الحديث، ص٥٠٢.

٥٩- تنقيح المقال: ٢ / ٨٣ ؛ وينظر: بهاء الدين النجفي(ت٨٠٣هـ)، منتخب الأنوار المضيئة، هامش١٧٦.
٦٠- ينظر: السيد الخوئي، معجم رجال الحديث، ٢/ ٢٠٣.
٦١- الجواهري، محمد، المفيد في معجم رجال الحديث، ص٣٧.
٦٢- الشاهرودي ، علي النمازي الشاهرودي، مستدركات علم رجال الحديث،١/ ٥١١.
٦٣- السيد الخوئي، معجم رجال الحديث، ٣/ ١٦٠.
٦٤- الجواهري، محمد، المفيد في معجم رجال الحديث، ص٥٠.
٦٥- الشاهرودي،الشيخ علي النمازي، مستدركات علم رجال الحديث، ٧/ ٨٤.
٦٦- ينظر: الشاهرودي،الشيخ علي النمازي، مستدركات علم رجال الحديث، ٧/ ٨٤.
٦٧- ينظر: النجاشي، رجال النجاشي، ص٢٢١....والزط، هو نوع من الثياب منسوبة إلى الزط ، وهم طائفة من الهند». ابن منظور، لسان العرب، ٦/ ٤٢.مادة (زطط).
٦٨- ينظر: النجاشي، رجال النجاشي، ص٢٢١.
٦٩- النجاشي، رجال النجاشي، ص٢٢١.
٧٠- ينظر: الشاهرودي،الشيخ علي النمازي، مستدركات علم رجال الحديث، ٥/ ١٢٨.
٧١- المصدر نفسه.
٧٢- المصدر نفسه.
٧٣- الشاهرودي،الشيخ علي النمازي، مستدركات علم رجال الحديث، ٥/ ١٢٨.
٧٤- ينظر: النجاشي، رجال النجاشي، ص٢٤٥.
٧٥- النجاشي، رجال النجاشي، ص٢٤٥.
٧٦- ينظر: ابن الغضائري، رجال ابن الغضائري، ١١٥.
٧٧- ينظر :الشاهرودي،الشيخ علي النمازي، مستدركات علم رجال الحديث، ٤/ ٤٥٨.
٧٨- المصدر نفسه.
٧٩- ينظر: الشاهرودي، مستدركات علم رجال الحديث، ٤/ ٤٥٨.
٨٠- النجاشي، رجال النجاشي، ص٢٤٥.
٨١- التفريشي، نقد الرجال،٥/ ٣٠٩.
٨٢- ابن حمزة، محمّد بن علّي بن حمزة الطوسي (ت ٥٦٠ هـ)، الثاقب في المناقب، ص٥٦٢.
٨٣- السيد بهاء الدين النجفي(ت٨٠٣هـ) ، منتخب الأنوار المضيئة، هامش١٧٤؛ الشيخ الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٣٠/ ٣٣٧.
٨٤- الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ١/ ٣٣١.
٨٥- المازندراني، محمد بن إسماعيل المازندراني(ت١٢١٦هـ)، منتهى المقال في احوال الرجال، ٧/ ٤٦١.
٨٦- الشاهرودي، علي النمازي الشاهرودي(ت١٤٠٥هـ)، مستدركات علم رجال الحديث، ٢/ ٢٩٠.
٨٧- البحراني، السيد هاشم بن سليمان البحراني (ت ١١٠٧هـ)، مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر ودلائل الحجج على البشر، ٣/ ١٩٥.

٨٨- الشاهرودي، علي النمازي الشاهرودي(ت١٤٠٥هـ)، مستدركات علم رجال الحديث، ٧/ ١٠٤.
٨٩- المازندراني، المولى محمد صالح المازندراني(ت١٠٨١هـ)، شرح اصول الكافي، ٦/ ٢٨٦.
٩٠- ينظر: الأمين ، السيد محسن الأمين(ت١٣٧١هـ)، أعيان الشيعة،٤/ ٣٨٣.
٩١- ينظر: الأمين ، السيد محسن الأمين(ت١٣٧١هـ)، أعيان الشيعة،٤/ ٣٨٣.
٩٢- الجواهري، المفيد من معجم رجال الحديث، ٧٥٨. أم البراء : « وقيل هي حبابة الوالبية ذكرها الشيخ في رجاله من أصحاب علي بن الحسين عليه السلام وعدها البرقي من أصحاب السجاد عليه السلام مجهولة
٩٣- الأمين ، السيد محسن الأمين(ت١٣٧١هـ)، أعيان الشيعة،٤/ ٣٨٣؛ وحكى عن الكشي انها ممدوحة ؛ السيد بهاء الدين النجفي(ت٨٠٣هـ) ، منتخب الأنوار المضيئة، هامش١٧٤؛ التفريشي، نقد الرجال،٥/ ٣٠٩.
٩٤- المازندراني، محمد بن إسماعيل المازندراني(ت١٢١٦هـ)، منتهى المقال في احوال الرجال، ٧/ ٤٦١.
٩٥- المازندراني، المولى محمد صالح المازندراني(ت١٠٨١هـ)،شرح اصول الكافي، ٦/ ٢٨٦.
٩٦- يراد بهذا المصطلح في علم الحديث، هو الوقوف على خلاصة تقييم علماء الرجال لكل راوٍ ثم إنزال قاعدة (النتيجة تتبع اخس المقدمات) على مجموع اوصاف رواة السند ككل ؛ للوقوف على صفة الحديث، هل هو يقع ضمن الحديث الصحيح أو الموثق أو الحسن أو القوي أو الضعيف.
٩٧- ميرزا حسين النوري الطبرسي، خاتمة المستدرك، ٤/ ١٥٥، ينظر: تقرير بحث السيد الخوئي للبروجردي، شرح العروة الوثقى - الصلاة (موسوعة الإمام الخوئي)، ١١/ ٧٢.
٩٨- الجواهري، محمد الجواهري، المفيد من معجم رجال الحديث، ص٥٠٢.
٩٩- تنقيح المقال، ٢ / ٨٣ رقم ١٠٤١١؛ وينظر:بهاء الدين النجفي(ت٨٠٣هـ)، منتخب الأنوار المضيئة، هامش١٧٦.
١٠٠- الجواهري، محمد، المفيد في معجم رجال الحديث، ص٣٧.
١٠١- الجواهري، محمد، المفيد في معجم رجال الحديث، ص٥٠.
١٠٢- الشاهرودي،الشيخ علي النمازي، مستدركات علم رجال الحديث، ٧/ ٨٤.
١٠٣- النجاشي، رجال النجاشي، ص٢٢١.
١٠٤- الشاهرودي،الشيخ علي النمازي، مستدركات علم رجال الحديث، ٥/ ١٢٨.
١٠٥- النجاشي، رجال النجاشي، ص٢٤٥.
١٠٦- الأمين ، السيد محسن الأمين(ت١٣٧١هـ)، أعيان الشيعة،٤/ ٣٨٣؛ وحكى عن الكشي انها ممدوحة ، السيد بهاء الدين النجفي(ت٨٠٣هـ) ، منتخب الأنوار المضيئة، هامش١٧٤؛ التفريشي، نقد الرجال،٥/ ٣٠٩.

المصادر والمراجع

***خير ما نبدأ به القرآن الكريم.**

*الأبطحي، محمد علي، تهذيب المقال في تنقيح كتاب رجال النجاشي، الطبعة : الثانية، الناشر : ابن المؤلف السيد محمد – قم المقدسة، المطبعة : نگارش، سنة الطبع : ١٤١٧هـ

*الأميني، محسن بن عبد الكريم العاملي(ت ١٣٧١هـ)، أعيان الشيعة، تح: حسن الأمين، ط: ١، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٩٨٣.

*البغدادي ابن الغضائري، أحمد بن الحسين الواسطي البغدادي (ت ق ٥ هـ)، رجال ابن الغضائري، تح: السيد محمد رضا الجلالي، ط: ١، المطبعة: سرور، قم، إيران، ١٤٢٢ هـ.

*التفرشي، مصطفى بن الحسين الحسيني (القرن الحادي عشر)، نقد الرجال، ط: ١، مطبعة: ستارة، قم، إيران، ١٤١٨هـ.

*تقرير بحث السيد الخوئي للبروجردي(ت١٤١٣هـ)، شرح العروة الوثقى – الصوم (موسوعة الإمام الخوئي)، الطبعة : الثانية، الناشر : مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي قدس سره، سنة الطبع : ١٤٢٦ - ٢٠٠٥م.

*الجواهري، محمد(معاصر)، المفيد من معجم رجال الحديث، ط: ٢، العلمية، قم، إيران، ١٤٢٤هـ

*الحلي، الحسن بن علي بن داود(ت ٧٤٠هـ)، رجال ابن داود، تح: السيد محمد صادق آل بحر العلوم، ط: ١، مطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق، ١٣٩٢- ١٩٧٢م.

*الخوئي، أبو القاسم الموسوي (ت ١٤١١هـ)، معجم رجال الحديث، ط: ٥، مطابع مركز نشر الثقافة الإسلامية، إيران، ١٤١٣ هـ- ١٩٩٢م.

*داود، نبيلة عبد المنعم، نشأة الشيعة الإماميَّة، ط: ١، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٥- ١٩٩٤م.

*دخيِّل، علي محمد علي(معاصر)، مكتبة القرآن الكريم، ط: ١، بيروت، لبنان، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٤م.

*الشاهرودي، علي النمازي (ت ١٤٠٥هـ)، مستدركات علم رجال الحديث، ط: ١، حيدري، طهران، إيران، ١٤١٤هـ.

*الصدوق، أبو جعفر، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، كمال الدين وتمام النعمة، تح: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، إيران، ١٤٠٥هـ.

*الطريحي، فخر الدين الطريحي(١٠٨٥هـ)، مجمع البحرين، طبعة : الثانية، الناشر : مرتضوي، المطبعة : چاپخانهء طراوت، سنة الطبع : شهريور ماه ١٣٦٢ ش.

*الطوسي، أبو جعفر، محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ)، اختيار معرفة الرجال، تح: ميرداماد الأسترابادي، و السيد مهدي الرجائي، المطبعة: بعثت، قم، إيران، ١٤٠٤هـ.

*الطوسي، جعفر محمّد بن عليّ بن حمزة الطوسي (ت ٥٦٠ هـ)، الثاقب في المناقب، تحقيق : رضا علوان، مؤسسة أنصاريان – قم ، الطبعة الثانية ١٤١٢ هـ.

*الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (ت ٣٢٩ هـ)، الكافي، تعليق: علي اكبر غفاري، ط: ٥، مطبعة: الحيدري، طهران، إيران، ١٣٦٣هـ.

*اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق، موسوعة طبقات الفقهاء، تحقيق : اشراف : جعفر السبحاني، الطبعة : الأولى، الناشر : مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، المطبعة : اعتماد – قم، سنة الطبع : ١٤١٨هـ.

*المازندراني، محمد بن إسماعيل(ت١٢١٦هـ)، منتهى المقال في احوال الرجال، تحقيق : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التّراث - قم، الطبعة : الأولى، الناشر : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التّراث - قم، المطبعة : ستاره -

قم، سنة الطبع : ربيع الأول ١٤١٦هـ.
*المازندراني، محمد صالح (ت ١٠٨١ هـ)، شرح أصول الكافي، تح: الميرزا أبو الحسن الشعراني، تصحيح: السيد علي، ط:١، المطبعة: دار إحياء التراث العربي للطباعة، بيروت، لبنان، ١٤٢١- ٢٠٠٠م.
*مركز تحقيق مدرسة ولي العصر عجل الله فرجه، غنا، موسيقى (عربي- فارسي)، تحقيق : رضا مختارى / محسن صادقى، الطبعة : الأولى، الناشر : نشر مرصاد، المطبعة : ستاره، سنة الطبع : ١٤١٨هـ.
*المظفر، الشيخ محمد رضا(ت١٣٨٣هـ)، المنطق، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، د.ت.
*النجاشي، أحمد بن علي بن أحمد بن العباس الأسدي (ت ٤٥٠ هـ)، رجال النجاشي، ط: ١، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، إيران، ١٤١٦هـ .
*النجفي، السيد بهاء الدين النجفي(ت٨٠٣هـ)، منتخب الأنوار المضيئة، تحقيق : مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام، الطبعة: الأولى، الناشر: مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام، المطبعة: اعتماد- قم، سنة الطبع: ذي القعدة ١٤٢٠ - ١٣٧٨.
*النوري، الحسين بن محمد تقي الطبرسي (ت ١٣٢٠هـ)، خاتمة مستدرك الوسائل، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط: ١، ستارة، قم، إيران، ١٤١٦هـ.

أثرُ القرآنِ الكريمِ في النصِ الخطابي للإمامِ الحَسنِ المُجتبى عليه السلام خطبة نعي الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام انموذجاً

أ.د. المتمرس عبد اللطيف حمودي الطائي
جامعة بغداد / كلية الآداب.

ملخص البحث

قبل الدخول في موضوع البحث وتحليل نص خطبة الإمام الحَسن عليه السلام ؛ نتساءل عن العلاقة التي تربط الإمام الحَسن المجتبى عليه السلام بالقرآن الكريم ، فتكون الإجابة : إنَّ الإمام الحَسن وُلِدَ في شهر رمضان الكريم ، وشهر رمضان الكريم هو الشهرُ الذي نزل فيه القرآن الكريم ، في بيتٍ كانَ الوحيُ يهبطُ فيه حاملاً آياتِ القرآن الكريم فضلاً عن أنَّ الإمام الحَسن المجتبى عليه السلام هو من أهلِ البيتِ الذين أذهبَ اللهُ عنهم الرجسَ وطهرهم تطهيراً ؛ وهُم أحد الثقلين، اللذين وصى بهما رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام ، وأهل البيت هُم عدل القرآن الكريم ، وخلاصة القول : إنَّ الإمام الحَسن عليه السلام منذُ اليوم الأول لولادته كان يسمعُ صوتَ القرآن الكريم يشدو في بيته ويتفاعلُ معه ؛ لذلك كان الإمام الحَسن متحداً نفسياً وروحياً مع القرآن الكريم ؛ ذلك لأنَّهُ عدل القرآن الكريم في حديث الثقلين ؛ وتعني مساواته ومعادلته ، ومن هذا المنطلق كان رسول الله والإمام علي والسيدة فاطمة والحسن والحسين كان كلّ واحدٍ منهم قرآناً ؛ ولكنه قرآنٌ ناطقٌ ، ولما كان القرآن الكريم الذي نزل وحياً على رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكُتب على الرقوق والقراطيس ، فهو إذاً قرآنٌ صامتٌ ؛ والقرآنُ الصامتُ بحاجةٍ ماسةٍ إلى القرآن الناطق ؛ ليوضح للمسلمين ما استغلقَ فهمُهُ عليهم ؛ ليوضح لهم تعاليمه ويقربها إليهم ؛ إذاً العلاقةُ متينة ووثيقة بين القرآن الصامت والقرآن الناطق ؛ فمن يقرأ خطب الإمام الحَسن عليه السلام وأقواله ؛ سيجدها تتناص روحاً وفكراً ومعنىً مع القرآن الكريم ؛ ومن هنا نفهم أنَّ تربية الإمام الحَسن عليه السلام كانت على يدِّ رسول الله ؛ ومن بعده على يد أبويه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأمه السيدة فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين ، كانت تربية قرآنية ، إذاً أدبُ الإمام الحسن كان أدباً قرآنياً بامتياز ، لذلك وجدنا ثقافته قرآنية خالصة .

Abstract

Before delving into the topic of research and analyzing the text of Imam Al-Hassan's sermon, it is to trace the relationship that binds Imam al-Hassan al-Mujtaba to the Glorious Quran. The answer is: Imam al-Hassan was born in the blessed month of Ramadan, and the holy month of Ramadan is the month in which the Glorious Quran was revealed, in a house in which revelation descended to have the verses of the Glorious Quran. In addition, Imam Al-Hassan Al-Mujtaba is one of the members of the household from whom Allah removed impurity and purified them with a thorough purification; They are one of the two priorities that the Messenger of Allah recommended. Ahalalbayt are the justice of the Glorious Quran.

Therefore, Imam Al-Hassan was psychologically and spiritually united with the Glorious Quran; It is the justice of the Quran in the hadith of the Two Priorities ; It means that they are equal. From this standpoint, the Messenger of Allah , Imam Ali, Lady Fatimah, Al-Hasan and Al-Hussein were each of them a quran; But it is a speaking quran, and since the Glorious Quran was revealed as a revelation to the Messenger of Allah and was written skin and paper , it is a silent quran. In reading the sermons and sayings of Imam al-Hassan, peace be upon him, one will find it intertwined , in spirit, thought and meaning , with the Glorious Quran; From here we understand that the upbringing of Imam al-Hassan, peace be upon him, was at the hands of the Messenger of Allah , so the ethics of Imam Hassan was the ethics of the Glorious Quran .

بسم الله الرحمن الرحيم

كانت شهادةُ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه أفضل الصلاة والسلام ؛ بسيفِ أشقى الأشقياء من الأولين والآخرين في الحادي والعشرين من شهر رمضان من سنة (٤٠هـ) أربعين للهجرة ؛ إذ تعرض للاغتيال ، وهو قائمٌ في مسجد الكوفة يُصلي نافلةَ الفجرِ في فجرِ اليوم التاسع عشر من شهر رمضان ، وفاضتْ روحُهُ الطاهرة في اليوم الحادي والعشرين بعد يومين ونصف من جرحه ، ونُقِلَ جثمانُهُ الطاهر الى الغري ، ودُفِنَ هناك حيثُ قبره الشريف اليوم ، وبعد أنْ أتمَ الإمامان الحَسن والحُسين عليهما السلام مراسم دفن الجثمان الطاهر لأبيهما أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، وعودتهما إلى الكوفة ، وفي اليوم الثاني لشهادة الإمام علي عليه السلام [1] خرج أبو مُحمَّدٍ الحَسن المُجتبى عليه السلام الى مسجد الكوفة ، واعتلى المنبر وخطب المسلمين خطبةً عصماء ، الى الآن نسمعُ صداها وترددها في الكون من فخامتها وبلاغتها وقيمتها الفنية ، فقد قال فيها بعد أنْ حمدَ الله سبحانه وتعالى ، وأثنى عليه ؛ وصلى على سيد الكونين جده رسول الله مُحمَّد ، وتشهّد الشهادتين فقال [2] :

(أيّها الناسُ : لقدْ قُبِضَ في هذهِ الليلةِ ، رجلٌ لمْ يسبقهُ الأولُونَ بعملٍ ، ولا يدركهُ الآخُرون بعملٍ ، [3] [واللهِ كانَ أفضلُ الأوصياءِ الذين كانوا قبلَهُ وبعدَهُ] ، لقد كان يجاهدُ مع رسولِ الله صلى الله عليه وآله ، فيقيهِ بنفسهِ وكانَ رسولُ الله يوجهُهُ برايتهِ ، فيكتنفهُ جبرئيلُ عن يمينهِ ، وميكائيلُ عن يسارهِ ، ولا يرجعُ حتى يفتح اللهُ على يديهِ ، ولقدْ تُوَفِيَ في الليلةِ التي عُرِجَ فيها بعيسى ابن مريم، والتي قُبِضَ فيها يُوشعُ بن نون وصيُ موسى [4] ، وعند الله نحتسبُ عزانا فيهِ ، ولقد أصيبَ به الشرق والغرب ، والله ما خلفَ صفراءَ ولا بيضاءَ إلا سبعمائة درهمٍ ، فضلتْ من عطائهِ أراد أنْ يبتاعَ بها خادماً لأهلهِ ، ثم خنقتهُ العبرةُ فبكى وبكى الناسُ من حولهِ ، ثم قال: أيها الناسُ أنا ابنُ النذير ، أنا ابنُ الداعي الى الله بإذنه ؛ أنا ابنُ السراج المنير ؛ أنا من أهلِ بيتٍ أذهبَ اللهُ عنهم الرجسَ وطهرهم تطهيراً ؛ أنا من أهلِ بيتٍ فرضَ اللهُ مودتهم في القرآنِ فقال تعالى[5]: ﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ﴾ ؛ فالحسنةُ مودتُنا أهلَ البيت ، أيها الناسُ : حدثني جدي رسولُ الله أنَّ هذا الأمرَ يملكهُ اثنا عشر إماماً من أهلِ بيتهِ وصفوتهِ ، ما منا إلا مقتولٌ أو مسمومٌ) .

التحليل الفني للخطبة

قبل الدخول في موضوع البحث وتحليل نص خطبة الإمام الحَسن عليه السلام ، نتساءل عن العلاقة التي تربط الإمام الحَسن المجتبى عليه السلام بالقرآن الكريم ، فتكون الإجابة : إنَّ الإمام الحَسن وُلِدَ في شهر رمضان الكريم ، وشهر رمضان الكريم هو الشهرُ الذي نزل فيه القرآن الكريم ، في بيتٍ كان الوحيُ يهبطُ فيه حاملاً آيات القرآن الكريم فضلاً عن أنَّ الإمام الحَسن المجتبى هو من أهلِ البيتِ الذين أذهبَ الله عنهم الرجسَ وطهرهم تطهيراً ؛ وهُم أحد الثقلين ، اللذين وصى بهما رسول الله عليه افضل الصلاة والسلام ، وأهل البيت هُم عدل القرآن الكريم ، وخلاصة القول : إنَّ الإمام الحَسن عليه السلام كان منذُ اليوم الأول لولادته يسمعُ صوتَ القرآن الكريم يشدو في بيته ويتناغم معه ، لذلك كان الإمام الحَسن متحداً نفسياً وروحياً مع القرآن الكريم ، وهو عدل القرآن الكريم في حديث الثقلين ؛ وتعني مساواته ومعادلته ، ومن هذا المنطلق كان رسول الله والإمام علي والسيدة فاطمة والحسن والحسين كلّ واحدٍ منهم هو قرآناً؛ ولكنَّهُ قرآنٌ ناطقٌ، ولما كان القرآنَ الكريم الذي نزل وحياً على رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكُتب على الرقوق والقراطيس ، فهو قرآنٌ صامتٌ ؛ والقرآنُ الصامتُ بحاجةٍ ماسةٍ الى قرآنٍ ناطقٍ ، ليوضح للمسلمين ما استغلقَ فهمُهُ عليهم ، ليبسط لهم تعاليمه ، إذاً العلاقةُ متينة ووثيقة بين القرآن الصامت والقرآن الناطق ، فمن يقرأ خطب الإمام الحَسن عليه السلام وأقواله ، سيجدها تتناص روحاً وفكراً ومعنىً مع القرآن الكريم ، ومن هنا نفهم أنَّ تربيةَ الإمام الحَسن عليه السلام كانت على يدِّ رسول الله ، ومن بعده على يدِ أبويه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وأمه السيدة فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين ، كانت تربية قرآنية ، إذاً أدبُ الإمام الحسن كان قرآنياً بامتياز ، لذلك وجدنا ثقافته قرآنية خالصة .

والآن نعود الى الخطبة وأجوائها الحزينة ، فبعدَ أنْ أثنى الإمام الحَسن عليه السلام على آلاء الخالق سبحانه وتعالى وحمده ، وصلى على جدِّهِ أكرم المرسلين مُحمَّد صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين الكرام ، وتشهد بالشهادتين ، أنْ لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له ، وأنَّ مُحمَّداً عبده ورسوله ، دخل في صلبِ الموضوع مباشرةً ، لأنَّ المناسبة لا تسمح لهُ بالإطالة والإطناب ، مُفتَتِحاً كلامَهُ

بالقول : (لقد قُبِضَ في هذهِ الليلةِ رجلٌ لم يسبقْهُ الأولون بعملٍ) ، وفاعلُ القبض هو اللهُ سبحانه وتعالى ، والقابضُ هو من أسماءِ الله الحُسنى ؛ فقد قال رسول الله مُحمّد صلى الله عليه وآله[٦] : (إنَّ الله تعالى : هو الخالقُ القابضُ الباسطُ الرازقُ المسعرُ) ، ونلحظ هنا إنَّ الإمام الحَسن عليه السلام قال (لقد قُبِضَ) ولم يقلْ لقد مات ، والقبض هو الاستلام ، أي انَّ الملائكة المقربين من عرش الرحمن الرحيم ، هُم منْ قبضوا (استلموا) روح أمير المؤمنين علي عليه السلام، وعادوها بها الى بارئها ، لتسكن في الجنانِ العُلا مع أخيهِ ، وابن عمه رسول الله مُحمّد صلى الله عليه وآله ؛ ونحنُ المسلمون نؤمنُ ونرددُ قائلين : إنا لله ، وإنا اليه راجعُون ، وبالمحصلة النهائية ، كُلّنا نعودُ الى الله، فينظرُ في أمرنا ، وقول الإمام الحَسن في هذه الليلة ، تحديدٌ دقيقٌ لليلة التي فاضتْ فيها الروح الطاهرة لأمير المؤمنين ، بإشارةٍ واضحةٍ الى إنَّها إحدى الليالي العظيمة الشأن عند الله سبحانه وتعالى، ذلك لأنَّها من ليالي القدر، وليلة القدر هي أشرفُ ليلةٍ ، فيها نزل القرآن الكريم ، وليلة الحادي والعشرين من شهر رمضان، هي ليلةٌ عظيمةٌ عند الله بكلِّ المقاييس الدينية والدنيوية ، ولها قدسيةٌ خاصة، فهيَ ليلةٌ مباركةٌ، ولها شأنٌ عظيم ، إذ عرج فيها السيدُ المسيح عيسى بن مريم عليه السلام الى السماء، وفيها صعدتْ روح أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام بدورها الى السماء، وفي العُرُوج قال تعالى[٧] : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ ، فضلاً عن وفاةِ يوشع بن نون عليه السلام وصي موسى بن عمران عليه السلام في مثل هذه الليلة من شهر رمضان ، وخلاصة ما أراده الإمام الحَسن عليه السلام : هو أنَّ ليلة شهادة الإمام علي كريمة عند الله سبحانه وتعالى ، فهي خيرٌ من ألف شهر، كما قال الله سبحانه وتعالى[٨] : ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ ، وأما قوله : (لم يسبقه أحد)، فهي إشارةٌ واضحةُ الدلالة الى قوله تعالى[٩] : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۞ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ ، ولو عُدنا الى القرآن الكريم، وقرأنا الآيات الثلاث الكريمات التي سبقت هاتين الآيتين وهي[١٠] : ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۞ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۞ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۞ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۞ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ يتضحُ لنا من قوله تعالى، أنَّ الله سبحانه وتعالى قسم الناس على صنفين هما : الصنف الأول ، وهُم أصحابُ الميمنةِ، والصنف الثاني وهُم أصحابُ المشأمةِ، ومن ثَمَ قسم أصحاب الميمنة على قسمين أيضاً هما : السابقون السابقون ، وهم قمة الهرم ، وأهلُ الايمانِ والطاعةِ من

المؤمنين، وهؤلاء هم أصحابُ الميمنة ، لأنَّ اليمين خيرٌ من الشمال، وأصحاب المشئمة هُمُ العُصاة لأوامر الله عزَّ وجلَّ ، وهم المشركون والمنافقون ، وكنى عنهم بأصحابِ المشأمةِ ، ولم يقل أصحاب الشمال ، لأنَّ المشأمة مأخوذة من الشؤم ، وأما القسم الثاني من أهل الميمنة ، وهم السابقُون السابقُون ، أولئك هم المقربُون ، هم قمة هرم أهل الميمنة ، فهم منهم وعلى رأسِهم، ولكنَّهُم أعلى درجةً منهم وأرفعُ مقاماً ، فمن هم السابقُون السابقُون ؟ هنا بيت القصيد في خطبة الإمام الحَسن عليه السلام في قوله : (رجلٌ لم يسبقهُ أحدٌ) ؛ اختلف المفسرون في تفسيرهم لهذه الآية الكريمة، فالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يقول إنَّها (١١) : (إنَّها فيَّ نزلتْ) ، وعبدالله بن عباس يقول : هم السابقُون للهجرة ، وقيل الى الصلوات الخمس ، وقيل الى الجهادِ عن الضحاك ، وقيل الى التوبةِ ، وأعمال البِّر عن سعيد بن جُبير ، وقيل الى ما دعا الله اليه عن ابن كيسان ، فيما قال الإمام أبو جعفرٍ مُحمَّد الباقر عليه السلام : (السابقونَ أربعةٌ : ابن آدم المقتول، وسابقٌ في أمةِ موسى ، وهو مؤمنُ آل فرعون ، وسابقٌ في أمةِ عيسى ، وهو حبيبُ النجار ، والسابقُ في أمةِ مُحمّدٍ صلى الله عليه وآله وهو عليُ بن أبي طالب عليه السلام (١٢) وهو أفضلهم ؛ وأعلاهم درجةً ومقاماً؛ وتفسيرُ أهل البيت عليهم السلام ، هو المعول عليه ، لأنَّهم عدلُ القرآن الكريم وترجمانه ، أما التفاسير الأخرى ففيها نظر ولنا عليها تحفظ، وعندما نمعن النظر في التفاسير التي سبقت تفسير الإمام مُحمّد الباقر عليه السلام، نجدها لا تنهض بقوة أمام تفسير أبي جعفرٍ الباقر الذي وضع النقاط على الحروف لكي يأخذ المسلمون المعلومة، وهم مطمئنون الى وثاقة مصدرها ، أما المصادر الأخرى فقد استعملت فعل التمريض (قيلَ) الذي يحمل بين طياته أكثر من ٨٠٪ من الشكِ والتردد في قبول المعلومة ، وما قاله أبو جعفرٍ ، هو عينُ اليقين الذي لا يأتيه الباطل، والسابقُون وكما قلنا ، هُم قمة هرم أهل الإيمان والطاعة، ومعروفٌ لدى الجميع أنَّ القمة لا تتسع لأكثرِ من شخصٍ واحدٍ ، والواحدُ هو أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه أفضل الصلاة والسلام، وروى عبدالله بن عباس أيضاً عن النبي مُحمَّد عليه الصلاة والسلام قوله (١٣) : (السُّبَّقُ ثلاثةٌ : السابقُ الى موسى ، يُوشعُ بن نون، والسابقُ الى عيسى ، صاحبُ ياسين ، والسابقُ الى مُحمَّدٍ ، عليُ بن أبي طالب) ، ونلحظ هنا أنَّ ابن عباس لم يذكر السابق ابن آدم ، وذكر صاحب ياسين وهو حبيب النجار، وذلكَ انَّ أمير

المؤمنين علي لم يسبقْهُ الى الايمانِ أحد ، فضلاً عن ذلك ؛ فقد قال الله تعالى [١٤] : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ ﴾ ، فهو سابقُ جميع السابقينَ من أهل مكة والمدينة ، فكما أنَّ الله عزَّ وجلَّ فضلَ السابقينَ على المتخلفينَ والمتأخرينَ ، كذلكَ فضلَ سابقَ السابقينَ على السابقينَ ، وأما قول الإمام الحسن عليه السلام : (ولا يدركه الآخرُون)، أراد أن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام تفوق على كلِّ الناس طُراً في الايمان والطاعة لله سبحانه وتعالى ولرسوله الكريم، بأعماله كافة ، على كلِّ من سبقه من الخلق ؛ وعلى كلِّ من يأتي من بعده، ونلحظ أيضاً أنَّ الإمام الحسن عليه السلام ؛ قال في صدر الكلام (لم يسبقه..) و((لم)) هي من أدواتِ النفي جازمةٌ ؛ وقال في عجزها (ولا يدركه..) و((لا)) نافية أغلقتْ البابَ من بعده ، فلا يأتي أحدٌ بمرتبته البتة ؛ فضلاً عن فـ ((ما)) دالة على نفي الماضي ، و ((لا)) دالة على نفي الحاضر والمستقبل ؛ وقال الإمام الحسن عليه السلام (كانَ يجاهدُ مع رسول الله) والرجلُ الذي فاضتْ روحه الطاهرة في هذه الليلة ، هو ليسَ رجلاً عادياً ، بل هو جنديٌ مخلصٌ عندَ رسولِ الله ، وهو بطلٌ ضرغامٌ، فقد قال الإمام الحسن كان يجاهدُ ، ولم يقلْ كانَ يحاربُ ، أو كانَ يقاتلُ ، لأنَّ الفرقَ كبيرٌ بين الألفاظ الثلاثة من الناحية الفكرية والإيمانية والمعنوية ، لأنَّ القتالَ أو الحربَ هما لمصلحةٍ شخصيةٍ ، فيها منافع ومكاسب يرجوها المُقاتل والمُحارب ، والجهادُ هو خالصٌ لله ، وفي سبيله، وأبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كان جندياً مخلصاً مؤمناً ، يجاهدُ بين يدي رسول الله ومعه، ومعه هنا تعني أنَّهُ جهادٌ مشتركٌ يقوم به الاثنان سويةً في سبيل الله ، فقد كان الإمام علي بن أبي طالب درعاً حصيناً لرسول الله ، يحميه من كلِّ المخاطر ، وأضافَ الإمام الحسن قائلاً : (فيقيهِ بنفسهِ) ، الوقاية تعني دفعُ الشيءِ بشيءٍ غيره [١٥]، فقد كان الإمام علي يدفعُ الأذى عن رسول الله بنفسهِ ، ويصونهُ ويحميه ويفديه بروحه ، وهذه ليست جديدة على أمير المؤمنين ، فقد كانَ يقيهِ في المواطن كافة في السلم والحرب ، ولعلَّ مبيتَهُ على فراش النبي ليلة الهجرة ، أشهرُ من علمٍ في رأسهِ نارُ ، إذْ كان الإمام علي يقي رسول الله بنفسه الطاهرة ، ويؤثرهُ عليها، وهذه المأثرة هي الأخرى ليست جديدة على أمير المؤمنين ، فقد كان أبو طالب عليه السلام عم النبي يقومُ بها ، فأبو طالب كان يخاف على النبي من الاغتيال ، ولاسيما إذا عرفَ المشركون مكان مضجعه، فكان يقيمه ليلاً من مكانه،

ويأمرْ ابنَهُ علياً أنْ ينامَ مكان ابن عمه ، فيما ينام الرسول مكان ابن عمه علي (١٦) ؛ والوقايةُ هي أعلى درجاتِ الحمايـة، وهـي تعني الصيانـة مـن الأذى ، ودفعـهُ عـن المُصان ، فقـد وصلت الحمايـة بالإمـام علي بـن أبي طالـب عليه السلام أنْ يبذل نفسه فداءً للنبي في مقابل سلامة النبي، وهـذه هـي أعلى مراتـب الإيثار بالحياة مـن أجل الحفاظ على بيضة الإسلام ، رسـول الله مُحمّد صلى الله عليه وآله ، ليبقى داعي الله والإسـلام سـالماً، ليواصل نـشر الرسالة المُكلف بها، وهـي الدعـوة للإسـلام، وإخـراج النـاس مـن الظلمات الى النـور واستجاب لدعوتـه، ووقـاهُ بنفسـه وبـاتَ على فراشه ليلة هجرتـه مـن مكـة المكرمة الى المدينـة المنورة ، فأوحـى الله سبحانه وتعالى إلى جبرائيل وميكائيل : إنّي آخيتُ بينكـما ، وجعلتُ عمرَ أحدِكـما أطـولُ مـن عمـرِ صاحبه ، فأيُّكـما يؤثـر أخـاهُ عمـره ، فكلاهُما كرهـا المـوت ، فأوحـى اليهـما أنّي آخيتُ بين علـيٍ وليي وبـين مُحمَّـدٍ نبيي ، فآثـر علـيٌ حياتَـهُ لنبيي ، فرقـدَ على فـراش النبـي ، يقيـه بمهجتـهِ ، اهبطـا الى الأرض واحفظـاهُ مـن عـدوه ، فهبطـا فجلس جبرائيل عند رأسـه، وميكائيل عنـد رجليـه، وجعـل جبرائيل يقـول : بـخٍ بـخٍ مـن مثلـك يـا ابـن أبي طالـب ! والله عـزَّ وجـلَّ يباهي بـك الملائكـة (١٧) ، فأنـزل الله تعـالى قولـه (١٨) : ﴿ ومـنَ النـاسِ مَـنْ يـشْرِي حياتـه ؛ ابتغـاءَ مرضـاتِ الله ﴾ ، ويشري هنا تدل على البيع ، فقال الإمام علي في هذه المناسبة شعراً يفتخرُ به (١٩) :

وقيتُ بنفسي خيرَ من وطئَ الحَصـى ... ومنْ طافَ بالبيتِ العتيقِ وبالحجرِ
مُحمّدٌ لما خافَ أنْ يَمْكروا بـهِ ... فوقاهُ ربي ذو الجلالِ من المكـرِ
وبتُ أراعيهم متى ينشرونني ... وقدْ وطنتُ على القتلِ والأسـرِ
وباتَ رسولُ الله في الغارِ آمنـاً ... هناكَ وفي حفظِ الالهِ وفي سـترِ
أقامَ ثلاثاً ثم زُمَتْ قلائـصٌ ... قلائصُ يفرينَ الحصى أينما يفـرِي
أردتُ به نصرَ الالهِ تبتـلاً ... وأضمرتُهُ حتى أوسَدَ في قبـرِي

ثـم قـال الإمـام الحَسـن : (كان رسـولُ الله يوجهـهُ برايتِـهِ ؛ فيكتنفَـهُ جبريـل عـن يمينـه ، وميكائيـل عـن يسـاره) ؛ نلحـظ هنـا أنَّ الإمـام علي بـن أبي طالـب عليه السلام ، كان يحمـلُ رايـة الإسـلام التي هـي رايـة رسـول الله ، يحملهـا ويتوجـه إلى الجهـاد ، ولم يقاتـل حسـبما يريـد هـو ، بـل كان يقاتـلُ كـما يريـدُ رسـول الله ، وذلـك مـن خـلال قولـه (يوجهـه) أي إنَّ النبـيَ عليـه الصـلاة والسـلام ، هـو الـذي كان

يرشد الإمام علي الى جهةِ القتال المطلوبة ، وعليك أن تلحظ أيضاً أنَّ الإمام الحَسن ذكر (فيكتنفهُ) وهي بمعنى يسنده ويرعاه ويحفظه ، والاكتناف هي الجوانب ، ومن خلال هذا نفهم أنَّ أميرَ المؤمنين مُسددٌ محفوظٌ من الله تبارك وتعالى ، وكذلك نلحظ أيضاً أنَّ النبيَ مُحمّدٌ صلى الله عليه وآله هو القائد، والإمام علي هو الجندي المخلص ، أي إنَّ العلاقة كانت بين الطرفين علاقة (آمر ومأمور) على وفق النظرية العسكرية في الحرب ، ولكن الإمام الحَسن لم يتطرق الى هذا المعنى بصورة مباشرة ، بل قال : كان رسول الله يوجهه ، والتوجيه هو غير الأمر ، فالتوجيهُ ارشادٌ ونصحٌ ، إذ كان رسول الله يرشد الإمام علياً الى ما يريده اللهُ ورسولُهُ ، ثم أنَّ الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم ، لم يتركا الإمام علياً عليه السلام ، يقاتلُ المشركين والمنافقين بلا غطاءٍ ، وبلا مساندةٍ ، إذ كان جبريل عليه السلام يحرسه ويحميه ويسانده من جهة اليمين ، من فوقه ومن تحته ؛ أما الحراسة والحماية من جهة اليسار فقد تكفلَ بها ميكائيل عليه السلام ؛ ونلحظ هنا أنَّ الإمام الحَسن قال (وميكائيل عن يسارهِ) ولم يقل عن شماله ، لأنَّ اليسار للخير أيضاً ، والشمال للشر ، ويواصل الإمام علي جهاده ، فلا يرجِعُ حتى يفتح الله على يديه ، مُحققاً النصرَ المؤزر الذي يُفرَحُ به رسولُ الله ، فقد قال الإمام الحَسن : (ولا يرجِعُ حتى يفتحَ الله على يديه) ، عند التنعم بالنظر الى هذه الجملة المباركة ، نجد أنَّ الإمام الحسن عليه السلام قال : ولا يرجع ، ولم يقل فلا يعود ؛ والفرق كبير بين اللفظتين ؛ فالرجوع تعني العودة الى ما كان من البدء [٢٠] ، وأما (يعود) تعني أنَّهُ قد يعود مهزوماً وخاسراً المعركة ، وعائداً بلا شيءٍ ، ولم يحققْ ما مطلوبٌ منه في الحربِ ، وحاشا لأمير المؤمنين أنْ يعودَ هكذا ، في حين تعني كلمة (يرجع) يعود ومعه غنيمة يُسرُ بها رسول الله، وأعلى درجات المسرةِ عند رسول الله ، هي الفتح والظهور على العدو ، وهذا ما كانَ يرجعُ به أمير المؤمنين الى رسول الله ، وقال الإمام أبو مُحمدٍ الحَسن المجتبى عليه السلام : (لقد توفي في الليلة التي عرج فيها عيسى بن مريم ، وهي الليلة التي قُبضَ فيها يُوشع بن نون وصي موسى) ، أي إنَّ وفاة أمير المؤمنين كانت في أشرفِ ليلةٍ ، هي ليلةِ القدر ، وهي الليلة الحادية والعشرين من شهر رمضان الكريم ، وتزامن في هذه الليلة رُفِعَ رسول الله المسيحُ عيسى بن مريم عليه السلام الى السماء ، بعدما همَّ اليهودُ بقتله ، بعد أنْ حاصروه في مكانٍ ضيقٍ لا يستطيع التخلص منه ،

فرفعه الله الى السماء ، وهذه كرامة خصَّ الله بها النبي عيسى على غيره من الأنبياء ، وأما الحدث الآخر والمهم والمتزامن في ليلة شهادة امير المؤمنين ، هو وفاة يُوشع بن نون وصي النبي مُوسى بن عمران عليه السلام ، والقرينة الدالة هي أنَّ كلاً من يوشع وعلي ، هي أنَّهما وصيان لأنبياءٍ من أنبياء أولي العزمِ ، فيوشعُ وصيُ موسى عليه السلام ، وعليٌ وصيُ مُحمّدٍ صلى الله عليه وآله ، واقتران شهادة أمير المؤمنين برفع عيسى عليه السلام ، ووفاة يوشع ، هي كرامةٌ من الله خصّ بها أمير المؤمنين عليٌ عليه السلام ، ثم قال الإمام الحَسن عليه السلام : (وعند الله نحتسب عزانا فيه ، ولقد أصيب به الشرق والغرب) ، وعند الله نحتسب ، ايّ نفوضُ أمرنا الى الله ، فهو مولانا وإليه المصير ، ولا اعتراض على أمر الله، نصبرُ على ما حلَّ بنا فيجزينا الله أجور الصابرين ، وفي هذا المقام يحضرني قولُ سيد الشهداء ، وأبو الأحرار الإمام الحُسين عليه السلام : (نصبرُ على بلاءهِ ، فيوفينا أجورَ الصابرين) وهذا المعنى هو الذي قصده الإمام الحَسن ، وأشار إليه ، أما ما أصيب به الشرق والغرب ، فقد أراد الإمام الحَسن عليه السلام ، أنَّ الأرض بشرقها وغربها فقدت رجلاً ، لا يوجد على ظهرها ، وصيُ نبيٍ غيره ، ولا بعده ، ثم قال الإمام الحَسن عليه السلام : (والله ما خلف صفراءَ ولا بيضاءَ إلا سبعمائة درهمٍ فضلتْ من عطائه ، أراد أنْ يبتاعَ بها خادماً لأهله) ، الإمام الحَسن عليه السلام يقسمُ بالله ؛ وهو الصادق الأمين أنَّ أميرَ المؤمنين علياً ، لم يخلف بعد شهادته غير هذا المبلغ البسيط من الدراهم، فقول الإمام الحَسن (خلف) ولم يقل (ترك) ، الإنسان الميت يخلف ولا يترك ، لأنَّ الانسان عند موته سيؤول ماله الى غيره بالوراثة ، وما خلفه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، وهو أمير أكبر دولة في العالم حينذاك ، بسطت جناحيها على مساحةٍ امتدت من الهندِ والسندِ شرقاً ، الى المحيط الأطلسي شمالاً ، ولم يخلف لعائلته أكثر من سبعمائة درهم ، كان قد ادخرها من راتبه (عطائه من بيت مال المسلمين) ؛ وكان الهدف من ادخارها ، هو شراءُ خادمٍ يعينُ أهل بيته ، ويساعدهم في أعمال البيت ، واستشهد ولم يحقق هدفه بشراء الخادم ، وأما الصفراء والبيضاء ، فهيَ كنايةٌ رائعةٌ عن الدينار والدرهم ، إذ كان الدينارُ يصنعُ من الذهبِ ، وكنى عنه بالصفراء، لأنَّ الذهب أصفر اللون ، فيما ترمز البيضاء الى الفضة ، التي كان يصنعُ الدرهم ، لأنَّ الفضة بيضاء اللون ، وفي هذه الفقرة استحضر الإمام الحَسن ما تركه جده رسول الله بعد وفاته وهو [٢١] :

(ما ترك رسول الله صفراء ولا بيضاء ؛ ولا بعيراً ولا عبداً ولا وليدة ؛ ولا ذهباً ولا فضة) وهذه تدلُ على تأسي الإمام علي برسول الله بما ترك ، ولا يختلف اثنان أنَّ مُحمّداً وعلياً عليهما الصلاة والسلام ؛ هما نفسٌ واحدةٌ من خلال قوله تعالى في آية المباهلة ﴿ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ﴾ ، وبعد أنْ وصل الإمام الحسن عليه السلام الى هذه النقطة (خنقتهُ العبرةُ فبكى ، وبكى الناس من حوله) ، فحقَّ لهُ البكاء ، فمن لا يبكيك يا أمير المؤمنين ، كان يخطب الناس وقلبه يعتصرهُ الألم والأسى، فلم يتمالك نفسه ، فبكى حتى انحدرتْ دموعه الطاهرة مسرعة على خديه حتى بلت لحيته الشريفة ، لأنَّه فقد أعظم رجلٍ بعد النبي عليه الصلاة والسلام ، وشاركه المسلمون الذين كانوا معهم في المسجد البكاء ، ثم استعبر ، وواصل خطبته الشريفة فقال : (أيها الناس أنا ابن النذير ، أنا ابن الداعي الى الله بإذنه ، انا ابن السراج المنير) ، خاطب الإمام الحَسن المسلمين الحاضرين في المسجد ، وغير الحاضرين بصورة عامة على طريقة الحاضر يبلغ الغائب ، بأنَّهُ هو ابن رسول الله ولا شك في ذلك ، إنَّهُ ابن النبي الذي ارسله الله سبحانه لينذرهم ، بأنَّ الشركَ ظلمٌ عظيمٌ ، وعاقبته وخيمةٌ ، وأنَّ الله سبحانه وتعالى بعد أن أنذرهم عن طريق جده النبي مُحمّد صلى الله عليه وآله سينزل عذابه الأليم على كلِّ من تجبرَ وطغى وعصى ، وسيدخله نار جهنم خالداً فيها أبداً ، وأنَّهُ (أي الإمام الحَسن) هو ابن النبي الذي دعاكم الى الإسلام ليخرجكم من الظلمات الى النور بإذن الله ، وأنَّهُ ابن النبي مُحمّد السراج الذي يضيءُ الدرب للناس كافة في كل المراحل والعصور ، فمن سلك طريق الحقَّ ، واتبع الرسول ؛ فقد هُدي الى صراطٍ مستقيمٍ يوصله في النهاية الى مرضاة الله ورسوله ومكافأته الجنة خالداً فيها ، وأما من كفر وعصى وتولى وأبى أنْ يتبع النبي ، فقد هلك وهوى في نار جهنم خالداً فيها ، ثم واصل خطبته قائلاً : (أنا من أهلِ بيتٍ ؛ أذهبَ الله عنهم الرجسَ وطهرهم تطهيراً ؛ أنا من أهلِ بيتٍ ، فرض الله مودتهم في القرآن) أراد الإمام الحسن عليه السلام ؛ أنْ يُذكِرَ المسلمين أنَّهُ من أهل البيتِ الذين طهرهم الله وأذهب عنهم الرجس ، وهم أصحاب الكساء الخمسة الذين نزل فيهم قوله تعالى (٢٢) : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ وأراد بأهلِ البيتِ (مُحمّدٌ وعليٌ وفاطمة والحَسن والحُسين) ، ولا سادس لهم من البشر ، والحَسن هو الرابعُ بينهم، ولم

يكتف الله سبحانه وتعالى بآية التطهير ؛ بل فرضَ محبتهم على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ ، بآيةٍ أخرى على لسان النبي محمد صلى الله عليه وآله فقال [٢٣] : ﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ﴾ ، الأعمال التي يقوم بها الناس ينتظرون من ورائها أجراً ، وحقٌّ لك أنْ تطلب على عملك أجراً ، فالعبادة وطاعة الله تطلبُ فيها أجراً ، هو أنْ يرضى الله عنك ، ويدخلك الجنة ، والنبيُ مُحمّدٌ صلى الله عليه وآله لا يريد من المسلمين أجراً مادياً ، ولا أجراً معنوياً لقاء إخراجهم من الظلمات الى النور ، وهدايتهم الى دين الحقِّ ((الإسلام)) ليرضى الله عنهم ، ومن ثم يدخلهم الجنة ، والأجرُ الذي يريدُهُ رسول الله من المسلمين ، هو مودة أهل بيته الكرام ، علماً أنَّ المودةَ ، تمثّل أعلى درجات المحبة ، والرسولُ مع علمه المُسبَق ، وهو على علمٍ ويقينٍ تامَيْنِ ، أنّهم سيعملون خلاف ذلك ، ومع ذلك يناشدُهم في محبة أهل بيته ، لأنّهُ يريد أنْ يسقط حججهم ويدحضها ، لأنّهم سيقتلون ذريته الطاهرة لاحقاً بعد وفاته ، وفعلاً صدق ما أخبر به رسول الله ؛ فقد أحرقوا دار السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ، وقالوا : يا أبا حفص إنَّ فيها فاطمة ، فقال : وإنْ ... ، [٢٤] ؛ وكسرُوا ضلعها ، وأسقطوا جنينها ، وقبل ذلك سلبُوا إرثها من رسول الله ، ومن ثم قتلُوها فماتت شهيدة من جراءِ ما جرى عليها منهم ، وقتلوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وهو قائمٌ يصلي في المحراب ، وسمّوا الحَسن ، وقتلوا الحَسين ومثلوا بجسده الطاهر ، إذ سحقته الخيل بحوافرها ، بعد أنْ حرموه وعياله وأصحابه من شرب الماء ، وسلبوا ملابسه ، وتركوه عرياناً في العراء بلا غُسلٍ ، ولا كفنٍ ، ولم يدفنوه ، تباً لهم بما عملوا ؛ ولعنةُ الله على الظالمين الذين ظلموا آل مُحمّدٍ ، وسلبوا إرثهم من رسول الله ، وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى أنَّ محبة أهل بيت النبي تعد حسنة يكافئُ بها الله من يحبُّ أهل بيت نبيه المنصوص عليهم في آية التطهير وآية المودة ، ونلحظ هنا أنّ الإمام الحسن قد كرر لفظة (أنا) ست مرات لتأكيد مكانة أهل البيت الرفيعة والسامية عند الله ورسوله ، والتكرار اللفظي في عرف أهل البلاغة ، هو من التوكيدات القوية ، إذا تكرر مرتين ، فكيف يكون إذا تكرر ست مرات ، وبيّن الإمام الحَسن عليه السلام خطبته تفسير قوله تعالى ﴿ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ﴾ فقال عليه السلام : الحسنةُ هي مودتنا أهلَ البيتِ ؛ فالذي يُحبُّ أهل بيت النبي له من

الله الحُسنى، وهي الأجر والثواب ؛ والثواب هو دخول الجنة ، وأخيراً ختم خطبته الشريفة بقوله : (حدثني جدي رسول الله أنَّ هذا الأمر يملكهُ اثنا عشر إماماً من أهل بيتهِ وصفوتهِ ، ما منا إلا مقتولٌ أو مسمومٌ) ، في هذا المقطع من الخطبة الشريفة يؤكد الإمام الحَسن عليه السلام ، أنَّ الله سبحانه وتعالى قد حدد خلفاء الرسول مُحمّد صلى الله عليه وآله وذكرهم بأسمائهم وعددهم، وهم اثنا عشر إماماً معصوماً ، متسلسلين الأول يرث الثاني علماً وعملاً إلى آخرهم، وهو الحجةُ ابن الحسن الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف ، وأن هؤلاء الأئمة ستقتلونهم بالسيف أو السمّ ؛ بمجرد أنْ ينتقل رسول الله الى الرفيق الأعلى ، ستقتلونهم وتسلبونهم مناصبهم وإرثهم، وتدفعونهم عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها ، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى النبي بما سيجري بعد وفاته في قوله تعالى (٢٥) : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ ، الآية الكريمة تخاطب رؤساء قريش فيمن يدعون أنَّهم أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وآله ، والآية تشير الى أنَّ هذا النفرُ الضال من الصحابة ، بمجرد وفاة رسول الله سيرتدُون عن الإسلام ، ارتداداً قبيحاً ، ويرجعون الى جاهليتهم الجهلاء عن الطريق التراجع القهقهري ، وهو أسوأ أنواع التراجع ، ففيه يرجعُ الإنسان الى الخلف ووجهه الى الإمام ، وفعلاً بعد وفاة الرسول حصلت رزية الخميس ، أو ما يعرف ببيعة السقيفة، وما ترتب عليها من مصائبَ ، ولا أريد التوسع في هذه الفقرة الأليمة ؛ فالخطبةُ على الرغم من قصرها ؛ إلا أنَّها أدتْ المطلوب منها بصورةٍ كاملةٍ وتامةٍ ، هذا ما استطعت أنْ أفهمه من خطبة أبي مُحمد الحَسن المجتبى عليه السلام ، وقبل أنْ أغلق ملف هذه الخطبة الشريفة أودُ أنْ أقول : إنَّ هذه الخطبة الشريفة ذكرتها مصادر كثيرة ، وفيها اختلاف رواية ، مع اختلاف بعض ألفاظ في الخطبة، إلا انَّها لم تغير من معناها ، ولكنَّي اعتمدتُ رواية البحار لأنَّها أكملها ، وأما المصادر الأخرى التي روت الخطبة ، أو أشارت إليها فهي : الارشاد (٢٦) ، واعلام الورى (٢٧) ، ومناقب آل ابي طالب (٢٨) ، الكامل في التاريخ (٢٩) ، والمستدرك للحاكم (٣٠) ، وينابيع المودة (٣١) ، وكشف الغُمَّة (٣٢) ، ومنهاج البراعة (٣٣) ، مسند أحمد ابن حنبل (٣٤) .

الخطبة بصورة عامة ، هي من قِصار الخطب ، لأنَّ طولها لا يتجاوز النصف صفحة ، إلا أنَّها مع قصرها أدتْ المطلوب منها بشكلٍ دقيقٍ ومباشر ويسير ، فقد كانت العرب تميلُ الى هذا النوع من الخطب ، لأسبابٍ كثيرة ، منها أنَّها في الحفظ أسرع ، وفي المحافل أجول ، ومنها أنَّ المقام لا يسمح بالإطالة والإطناب ، والمقام هنا هو نعي أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، فالقلوب كلمى ، والعيون حرى ، تفيضُ دمعاً ودماً ، والعرب تفضل هذا اللون من الخطب ، فقد قالوا قديماً ((خيرُ الكلامِ ما قلَّ ودلَّ)) ، وقد سئل أبو عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ) شيخ مدرسة البصرة ؛ وأحد القراء السبعة (٣٥) : (هل كانت العربُ تطيل ؟ فقال : نعم ليُسمع منها؛ قيل : هل كانت تُوجز ؟ فقال : نعم ليُحفظ عنها) ، وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي (٣٦) : (يُطوَلُ الكلام ، ويكثر ليفهم ، ويوجز ويختصر ليحفظ) ، فالإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) في هذه الخطبة القصيرة والموجزة ، أخبر المسلمين بشهادة أبيه (عليه السلام) بكلمات معدودات، فَهِمَ المسلمون المراد منها ، فبكى كل من كان في مسجد الكوفة ، فمن يقرأ الخطبة جيداً ، يشعر منذ الوهلة الأولى أنَّ الإمام الحسن (عليه السلام) ، كان ينهلُ من ذات المعين الذي كان الإمام علي (عليه السلام) ينهلُ منه ، فكلِّ أفكار الخطبة ومعانيها قرآنية بامتياز ، وهي تتناص مع القرآن الكريم في مواطن عدة ، منها ما كان يتناص لفظاً ، ومنها ما كان يتناص معنى ، إذ خطب الإمام الحسن تمثلُ امتداداً طبيعياً لخطب الإمام علي في نهج البلاغة ، بل هي تمثلُ نهجَ بلاغةٍ ثانٍ ؛ وهنا تحضرني الآية الكريمة (٣٧) : ﴿ إِنَّ اللهَّ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ فالإمام علي بن أبي طالب من المصطفين الأبرار ؛ وكذلك الحال بالنسبة للإمام الحسن المجتبى ، هو الآخر من المصطفين الأبرار ، فهو مُصطفىً ابن مُصطفىً ، ولما كان الحَسن هو ابن علي ، لذلك فهُما ذريةٌ بعضُها من بعضٍ ، وقد استعان الإمام الحسن في معاني هذه الخطبة بسبعِ سورٍ كريمات ؛ فضلاً عن سبعة عشر آية كريمة ، مع خمسة أحاديث شريفة، وسبعة أقوال عامة مشهورة ، كرر الإمام الحسن (عليه السلام) لام الابتداء والتوكيد مصحوبة بحرف التحقيق قد ((لقد)) ، ثلاث مرات ، في قوله : لقد قُبِضَ ، ولقد كان يجاهد ، ولقد توفي ، كما استخدم الإمام الحسن (عليه السلام) كان الفعل الماضي الناقص مع الفعل المضارع مرتين ، ((كان يجاهد ،

كان يوجهه)) ، كان مع الفعل المضارع تعني الماضي المستمر وهي تدل على التتابع والتوالي [٣٨]، الخطبة بصورة عامة عبرت عن منزلة أمير المؤمنين وترسيخها في قلوب المسلمين ، مع اظهار جلل المصاب الذي أصاب بيت الإمام علي عليه السلام ؛ وخلاصة القول أنَّ الإمام علي ضُرب في ليلة القدر وفي ليلة القدر فاضت روحه الطاهرة ، فضلاً عن أنَّهُ وُلِدَ في بيت الله الحرام واستشهد في بيت من بيوت الله (مسجد الكوفة) ، وأخيراً أقول : هذا ما استطعت استيعابه وفهمه من خطبة نعي أمير المؤمنين للإمام الحسن عليهما السلام ، فإنْ وفقني الله ، وأصبتُ فيها ، فذلك بفضلٍ من الله وتوفيقه ، وإنْ جانبت الصواب ، فمن تلقاء نفسي الخاطئة واجتهادي ، وفي الختام أقول : اللهم آتنا في الدُّنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبيينا مُحمَّدٍ وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين الكرام .

الهوامش

١-مسند أحمد بن حنبل : ٢ / ٢٧

٢-بحار الأنوار : ٤٣ / ٣٦٢

٣-ما بين عضادتين [ ] إضافة من ينابيع المودة : ١ / ١٤٤

٤-يوشع بن نون : هو وصي النبي موسى ﷺ وفتاه ؛ وهو : يوشع بن نون بن إفراييم بن يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم الخليل ﷺ ؛ وقبره في بغداد بجانب الكرخ في مقبرة الشيخ معروف الكرخي ؛ ينظر قصص القرآن الكريم : ٣١٣- ٣١٧ ، ولي تحفظ على مكان القبر ؛ لأنَّ يوشع كان في أرض كنعان ؛ فابن الأثير يؤكد أنَّهُ مات في أرض كنعان ؛ ينظر الكامل في التاريخ : ٣ / ٢٦٥

٥-سورة الشورى ، الآية ٢٣

٦-سنن ابن داود ، رقم الحديث : ٣٤٥١ ؛ سنن الترمذي ، رقم الحديث : ١٣١٤ ؛ سنن ابن ماجة ، رقم الحديث : ٢٢٠٠

٧-سورة المعارج ، الآية : ٤

٨-سورة القدر الآية : ٣

٩-سورة الواقعة الآيتان : ١٠ - ١١

١٠-سورة الواقعة ، الآيات : ٧ - ١١

١١-عيون أخبار الرضا : ٥٤٩

١٢-مجمع البيان : ٩ / ٢٧٦ - ٢٧٧

١٣-مجمع الزوائد للهيثمي : ٩ / ١٠٢

١٤-سورة التوبة ، الآية : ١٠٠

١٥-معجم مقاييس اللغة : ٦ / ١٣١

١٦-شرح نهج البلاغة : ٤ / ٦٤

١٧-ينابيع المودة : ١ / ١٠٦ - ١٠٧

١٨-سورة البقرة ؛ الآية : ٢٠٧

١٩-ديوان الإمام علي : ٥٧

٢٠-تاج العروس : ٢١ / ٦٥ - ٦٦

٢١-الفائق في غريب الحديث : ٢ / ٢٥٢

٢٢-سورة الأحزاب ، الآية : ٣٣

٢٣-سورة الشورى ، الآية : ٢٣

٢٤-الإمامة والسياسة : ١٦

٢٥-سورة آل عمران ، الآية : ١٤٤

٢٦-الإرشاد : ١٨٨

٢٧-إعلام الورى : ٢٠٨

٢٨-مناقب آل ابي طالب : ٤ / ٣١

٢٩-الكامل في التاريخ : ٣/ ٤٠١ – ٤٠٢

٣٠-المستدرك للحاكم : ٣/ ١٧٢

٣١-ينابيع المودة : ١٤٤

٣٢-كشف الغُمَّة : ٢/ ١٥٨ – ١٥٩

٣٣-منهاج البراعة : ٢ / ٣١ .

٣٤-مسند أحمد بن حنبل : ٢ / ٢٧ - ٢٨

٣٥-العُمدة : ١ / ١٨٦

٣٦-المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .

٣٧-سورة آل عمران ، الآية : ٣٣

٣٨-معاني النحو : ١ / ٢٢٣

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم
*الارشاد - للشيخ المفيد ، ط٢ ، ١٩٩٣م ، بيروت .
*أُسد الغابة في معرفة الصحابة - لعز الدين بن الأثير (ت٦٣٠هـ) ؛ تحقيق محمد إبراهيم البنا ؛ محمد أحمد عاشور ؛ محمود عبدالوهاب فايد ، دار الشعب .
*الإصابة في تمييز الصحابة - لابن حجر العسقلاني ، دار العلوم الحديثة ؛ ط ١ ؛ ١٣٢٨هـ ؛ مصر .
*إعلام الورى بأعلام الهدى - للطبرسي ، ١٩٧٩م، بيروت .
*الإمامة والسياسة - لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ) ، دار الكتب العلمية ، ط٣ ؛ ٢٠٠٩م - لبنان .
*أنساب الأشراف - للبلاذري ؛ تحقيق المحمودي ، بيروت ؛ (د . ت) .
*بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار - للشيخ محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ) مؤسسة الوفاء في بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، بيروت.
*تاج العروس - للزبيدي ، تحقيق مجموعة من الأساتذة ، الكويت .
*ديوان الإمام علي جمع وترتيب عبدالعزيز الكرم ، دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥م ، بغداد
*السيرة النبوية - لابن هشام ؛ تحقيق مصفى السقا ، وإبراهيم الابياري ؛ وعبدالحفيظ شلبي ، دار المعرفة ، ط ٤ ، ٢٠٠٤ م ، بيروت ، لبنان .
*سنن ابي داود - للإمام الحافظ أبي داود سليمان ابن الأشعث السجستاني (٢٧٥هـ) ؛ تحقيق محمد عبدالعزيز الخالدي ، طبعة جديدة مقابلة على عدة نسخ خطية رقمت أبوابها على المعجم المفهرس وتحفة الأشراف ؛ مع احالات للأحاديث على معالم السنن وعون المعبود ؛ دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان .
*سنن ابن ماجة - للحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ) ؛ طبعة جديدة ومرقمة الكتب والأبواب والأحاديث ، حسب أرقام المعجم المفهرس في ألفاظ الحديث النبي الشريف ، ضبط نصها أحمد شمس الدين دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
*سنن الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، دار احياء التراث العربي ؛ بيروت ؛ لبنان .
*الطبقات الكبرى - محمد بن سعد البصري ؛ دار صادر ؛ بيروت .
*العُمدة ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، ط٤ ، ١٩٧٢م ، الأردن.
*عيون أخبار الرضا - للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن بابويه القمي (ت٣١٨هـ) ، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، ١٤١٧هـ .
*الفائق في غريب الحديث - للزمخشري ، ١٩٩٦م .
*قصص القرآن الكريم - الدكتور أحمد الكبيسي ، نشرته وزارة الثقافة والإعلام العراقية ، ط ١ ؛ دار الشؤون الثقافية العامة ؛ بغداد ؛ ٢٠٠٠م.
*الكامل في التاريخ - ابن الأثير (ت٦٣٠هـ) ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م ، دار صادر ، بيروت.
*كشف الغُمّة في معرفة الأئمة - لأبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي (ت ٦٩٣هـ) ، مكتبة بني هاشم ، ١٣٨١هـ ، تبريز .
*مجمع البيان في تفسير القرآن الكريم - للطبرسي (توفي في القرن ٦هـ) ، وضع حواشيه وشرح آياته وشواهده إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، بيروت.
*مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - للحافظ أبي الحسن

نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي المصري (ت٨٠٧هـ) ، تحقيق حسام الدين القدسي ، مكتبة القدسي ٢٠١٥م ، القاهرة .
*معاني النحو - د. فاضل السامرائي ، ١٩٨٩م ، بغداد .
*معجم مقاييس اللغة – لابن فارس ، تحقيق عبدالسلام هارون ؛ ١٩٧٩م ؛ بيروت .
*مناقب آل أبي طالب – لأبي جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب ، (ت٥٨٨هـ) ، طبع مؤسسة انتشارات العامة بالمطبعة العلمية بقم ، ١٣٧٩هـ .
*منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة – للخوئي ؛ تحقيق إبراهيم الميانجي ، ط٤ ، ١٣٦٠هـ ش .
*المستدرك على الصحيحين – للحاكم النيسابوري ؛ بيروت ؛ (د . ت) .
*وقعة صفّين - نصر بن مزاحم المنقري ، تحقيق عبدالسلام هارون ، ط٢ ، ١٣٨٢هـ ، القاهرة.
*ينابيع المودة لذوي القُربى - للقندوزي ؛ تحقيق سيد علي جمال الحسيني (ت١٢٩٤هـ) ، ١٤١٦هـ ش

اداب الإمام الحسن عليه السلام في مناظراته وحكمه

الباحث علي حميد صدام

بكالوريوس إدارة واقتصاد / كربلاء المقدسة

ملخص البحث

ان الإمام الحسن (عليه السلام) مثل سائر المعصومين (عليهم السلام) توفر على النتاج الفني فيما أثر عنه (عليه السلام) من الخطب والرسائل والاحاديث... الخ، بحسب ما يتطلبه الموقف من صياغة خاصة لهذا النمط من النصوص أو ذاك. انه وسائر المعصومين (عليهم السلام) امتداد لشخصية النبي (صلى الله عليه وآله) من حيث كونه قد خلفهم عترة أوصل اليهم ميراث العلم والأدب، كل ما في الأمر أن كل واحد منهم (عليهم السلام) أتيحت له ظروف خاصة في نشر الفكر الإسلامي ومنه اللغة الفنية لهذا الفكر، من حيث نسبة النتاج الصادر عنهم (عليهم السلام).

وقد خبر رجال الثقافة الذين عاصروا الائمة (عليهم السلام) - ومنهم الإمام الحسن (عليه السلام)- المستوى المتفرد الذي يطبع شخصية الإمام (عليه السلام)، حتى ان (الحسن البصري) وهو احد كبار رجال الفكر الذين عرفوا ببراعتهم في علوم الكلام والأدب وسواهما كتب الى الإمام الحسن (عليه السلام) طالباً الافادة منه في بعض المسائل الكلامية:

(أما بعد: فانكم معشر بني هاشم: الفلك الجارية في اللجج الغامرة والاعلام النيرة الشاهرة أو كسفينة نوح (عليه السلام) التي نزلها المؤمنون ونجا فيها المسلمون، كتبت اليك يا ابن رسول الله عند اختلافنا في (القدر) وحيرتنا في الاستطاعة فاخبرنا بالذي عليه رايك ورأي آبائك (عليهم السلام) فان من علم الله علمكم وانتم شهداء على الناس والله لشاهد عليكم ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم).

ان هذه الرسالة تعد وثيقة خطيرة كل الخطورة حيث ان كاتبها يعد في نظر المؤرخين أبرز شخصية عرفتها الحقبة التي نؤرخ لها وما بعدها من الحقب، بخاصة في مقدرتها الخطابية وفي تخصصها في علم الكلام الذي بدأت معالمه تأخذ بالاتساع في هذا العصر، ولذلك حينما يعبر عن حيرته في (القدر) ويطلب من الإمام (عليه السلام) المعونة في ذلك، فهذا يعني أن تفرد الإمام (عليه السلام) بالمعرفة أمر لم يخف حتى على الاتجاهات الفكرية التي انفصلت عن خط الإمام (عليه السلام)... والأهم من ذلك أن (الحسن البصري) أقر بان علم الإمام (عليه السلام) وعلم آبائه هو من فيض الله تعالى .

ما يعنينا من هذا أن نشير الى أن ريادته عليه السلام علمياً امر قد خبره مجتمعه، كما أن مقدرته البلاغية (وهي جزء من المعرفة) أمر قد خبره مجتمعه أيضاً، حتى أن معاوية ذات يوم حاول مقاطعة احدى خطب الإمام عليه السلام حتى لا يفتن به الجمهور فنياً...، وأولئك جميعاً يكشف عن التفرد الذي يطبع شخصيته عليه السلام على المستويات جميعاً.(١)

المهم، - بعد ذلك- ان نعرض لنماذج من النصوص الفنية المأثورة عنه عليه السلام وهي نصوص من الخطب والرسائل والخواطر والأحاديث.

Abstract

Imam Al-Hassan (peace be upon him) like all the infallibles (peace be upon them) provides artistic production in what he (peace be upon him) has influenced him (peace be upon him) from speeches, letters, hadiths…etc, according to what the situation requires of a special formulation of this or that type of texts. He and the rest of the infallibles (peace be upon them) are an extension of the personality of the Prophet (may God bless him and his family) in that he had succeeded them by a family that brought them the inheritance of knowledge and literature. : the technical language of this thought) .

The men of culture who were contemporary with the imams (peace be upon them) – including Imam Hassan (peace be upon him) – have experienced the unique level that characterizes the personality of the Imam (peace be upon him). He wrote to Imam Al-Hassan (peace be upon him) asking for his help on some issues of speech:

(As for what follows: you people of Bani Hashim: the running arks, the immersive abyss, the bright and famous flags, or the Ark of Noah (peace be upon him) which the believers disembarked and the Muslims survived in it. Your forefathers (peace be upon them), for whoever knows Allah knows you, and you are witnesses to the people, and Allah will bear witness over you .

What concerns us from this is that we point out that his scientific leadership (peace be upon him) is something that his community has experienced, just as his rhetorical ability (which is part of knowledge) is something that his community has experienced as well. The audience is not fascinated by him artistically and all of them reveal the uniqueness that characterizes his personality (peace be upon him) on all levels...

The important thing is, after that, that we present samples of the artistic texts quoted from him (peace be upon him) : sermons, messages, thoughts and hadiths.

نبذة مختصرة عن حياة الإمام الحسن (عليه السلام)

- **اسمه: الحسن**
- **والده: امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام)**
- **والدته: فاطمة الزهراء (عليها السلام) سيدة نساء العالمين**
- **جده: خاتم الأنبياء والمرسلين محمد (صلى الله عليه وآله)**
- **كنيته: أبو محمد**
- **لقبه: التقي، الطيب، الزكي، المجتبى...**
- **امامته: قام بالامر بعد ابيه وله سبع وثلاثون سنة**
- **زوجاته: تزوج (عليه السلام) من ام إسحاق بنت طلحة وهند بنت سعيل وخولة بنت منظور وجعدة بنت الاشعث.**
- **أولاده : زيد والحسن وعمرو والقاسم وعبدالله وعبد الرحمن والحسن الاثرم وام الحسن وام الحسين وفاطمة وام سلمة ورقية وام عبدالله وفاطمة.**
- **وفاته: استشهد مسموماً على يد زوجته جعدة في ٧ صفر سنة ٤٩ وله من العمر سبع وأربعون سنة**

ومن جملة ادابه في مناظرته ومحاورته:

ضاق معاوية ذرعا بالإمام حينما كان في دمشق فقد رأى من اقبال الناس واحتفائهم به ما ساءه فعقد عدة مجالس حشدها بالقوى المنحرفة عن أهل البيت والمعادية لهم كابن العاص والمغيرة بن شعبة ومروان بن الحكم والوليد بن عاقبة وزياد بن أبيه وعبد الله بن الزبير وأوعز لهم بالتطاول على ريحانة الرسول والنيل منه ليزهد الناس فيه ويشفي نفسه من ابن فاتح مكة ومحطم أوثان قريش وقد قابله هؤلاء الأوغاد بمرارة القول وبذاءة الكلام وبالغوا في الاستهتار والاعتداء عليه وكان (عليه السلام) يسدد لهم سهاماً من منطقه الفياض فيرديهم صرعى يلاحقهم العار والخزي ويلمسهم مساوئهم وما عرفوا به من الزيغ والانحطاط كان يجيبهم وهو مكره ويرد على بذاءتهم وهو يقول : أما والله لو لا أن بني أميّة تنسبني الى العجز عن

المقال لكففت تهاونا ولروعة كلامه وقوة حجته كان عبد الله بن عباس يقبل ما بين عينيه ويقول له : أفديك يا ابن العم والله ما زال بحرك يزخر وأنت تصول حتى شفيتني من أولاد البغايا لقد كان الإمام في جميع تلك المناظرات هو الظافر المنتصر وخصومه الضعفاء قد عرتهم الاستكانة والهزيمة والذهول وقد أوصاهم كبيرهم بعد ما شاهد أشلاءهم مضرجة بطعناته أن يجتنبوا محاوراته ،وعلى أي حال فان نصوص هذه المشاجرات بصيغها البلاغية وقيمها الأدبية جديرة بالعرض بوصفها تراثاً عربياً أصيلاً يدل بنفسه على صحة نسبه وتعطينا بأسلوبه وصياغته صورة عن أدب المشاجرات في عصره وقد تركت نوادي دمشق ومحافلها مشغولة بها ترددها مقرونة بالإكبار والتقدير للإمام وبالاستهانة والاحتقار لخصومه.

أقبل معاوية على الإمام عليه السلام فقال له : يا حسن أنا خير منك!!، فقال له : وكيف ذاك يا ابن هند؟!!

قال : لأن الناس قد أجمعوا عليّ ولم يجمعوا عليك.

وحيث أن الامرة لم تكن في الإسلام موجبة للتمايز وإنما توجبه التقوى وعمل الخير وقد انبرى عليه السلام مبطلا دعوى معاوية : هيهات!! لشر ما علوت به يا ابن آكلة الأكباد المجتمعون عليك رجلان بين مطيع ومكره فالطائع لك عاص لله والمكره معذور بكتاب الله وحاشا لله أن أقول أنا خير منك لأنك لا خير فيك فان الله قد برّأني من الرذائل كما برّأك من الفضائل .

إن هذا هو منطق الثورة ومنطق الأحرار الذين يشجبون الظلم ويقاومون المنكر وليس هذا هو منطق من يريد العطاء والأموال.

ودخل الإمام على معاوية فلما رأى ابن العاص ما في الإمام من عظيم الهيبة والوقار ساءه ذلك وتميز من الغيظ والحسد فاندفع قائلاً : قد جاءكم الفهه العي الذي كأن بين لحييه عقله .

وكان عبد الله بن جعفر حاضراً فلذعه قوله فصاح به : مه والله لقد رمت صخرة ململمة تنحط عنها السيول وتقصر دونها الوعول ولا تبلغها السهام فإياك والحسن إياك فانك لا تزل راتعا في لحم رجل من قريش ولقد رميت فما برح سهمك وقدحت فما أورى زندك .

وسمع الإمام الحديث فلما اكتظ مجلس معاوية بالناس انبرى عليه السلام فوجّه خطابه إلى معاوية

فألقى عليه ذنب وزيره ابن العاص وتهدده بإعلان الحرب عليه إن لم ينته عن مكره وغيه وذكر له الصفات الرفيعة الماثلة في شخصيته الكريمة قائلا : يا معاوية لا يزال عندك عبد راتعا في لحوم الناس أما والله لو شئت ليكونن بيننا ما تتفاقم فيه الامور وتحرّج منه الصدور؛ ثم أنشأ يقول :

أتأمر يا معاوي عبد سهم　　　بشتمي والملا منّا شهود
إذا أخذت مجالسها قريش　　　فقد علمت قريش ما تريد
أأنت تظل تشتمني سفاها　　　لضغن ما يزول وما يبيد
فهل لك من أب كأبي تسامى　　　به من قد تسامى أو تكيد

لقد عرض عليه السلام بعض فضائله ومآثره ونشر مساوئ معاوية ومخازيه بهذا الكلام الرائع الذي تمثلت فيه بلاغة الإعجاز وروعة الإيجاز وسرعة البديهة وقوة الحجة فحط به من غلواء معاوية وأصاب أبرز مقوماته من حسبه المعروف ونسبه الموصوف فأين الفهاهة والعي يا ابن العاص؟.

وعظم أمر الإمام في الشام فقد أقبلت الناس تترى لزيارته والى الاستماع لحديثه فملك عليه السلام القلوب والمشاعر والعواطف وتحدثت الأندية والمجالس بعظيم فضله ومواهبه ولما رأى ذلك أذناب معاوية وعملاؤه وهم : عمرو بن العاص والوليد بن عاقبة وعتبة بن أبي سفيان والمغيرة ابن شعبة فخافوا أن يحدث ما لا تحمد عقباه وينفلت الأمر من أيديهم وتندك عروش الدولة الأموية فعقدوا في البلاط الأموي اجتماعاً وذكروا لمعاوية حفاوة الجماهير بالإمام وتكريمهم له وازدحامهم على زيارته وان وجوده في دمشق خطر على الدولة الأموية وقد رأوا أن خير وسيلة للحط من كرامته ولإعراض الناس عنه أن يستدعوه فيتهمون أباه بقتل عثمان ويسبّونه على ذلك وهذا نص حديثهم : إن الحسن قد أحيا أباه وذكره وقال فصدّق وأمر فأطيع وخفقت له النعال وان ذلك لرافعه الى ما هو أعظم منه ولا يزال يبلغنا عنه ما يسوؤنا ؛ فقال لهم معاوية : ما تريدون؟ قالوا : ابعث عليه فليحضر لنسبه ونسب أباه ونعيّره ونوبخه ونخبره أن أباه قتل عثمان ونقرره بذلك ولا يستطيع أن يغير علينا شيئاً من ذلك ، ولم يخف على معاوية سخافة رأيهم وبعد تفكيرهم عن الصواب وذلك لعلمه ان الإمام سوف يفلجهم ويخرج ظافراً بخزيهم

فقال لهم : إني لا أرى ذلك ولا أفعله، فقالوا : عزمنا عليك يا أمير المؤمنين لتفعلن ، فقال : ويحكم لا تفعلوا فو الله ما رأيته قط جالساً عندي إلا خفت مقامه وعيبه لي ؛ فقالوا : ابعث إليه على كل حال ؛ فقال : إن بعثت إليه لأنصفنه منكم .

فقال ابن العاص : أتخشى أن يأتي باطله على حقنا أو يربى قوله على قولنا؟.

ولما رأى معاوية إصرارهم عليه قال لهم : أما إني إن بعثت إليه لآمرنه أن يتكلم بلسانه كله.

فقالوا له : مره بذلك ، وأجلبهم الى ما أرادوا وأمرهم أن يسلكوا خطة خاصة في حديثهم مع الإمام قائلا : أما إذا عصيتموني وبعثتم إليه وأبيتم إلا ذلك فلا تمرضوا له في القول واعلموا أنهم أهل بيت لا يعيبهم العائب ولا يلصق بهم العار ولكن اقذفوه بحجره تقولون له : إن أباك قتل عثمان وكره خلافة الخلفاء من قبله ، ثم بعث خلف الإمام فقام عليه السلام واستدعى بثيابه فلبسها وعرف الغاية من هذه الدعوى فخرج وهو يدعو بهذا الدعاء : اللهم إني أعوذ بك من شرورهم وأدرأ بك في نحورهم وأستعين بك عليهم فاكفنيهم كيف شئت وأنّى شئت بحول منك وقوة يا أرحم ؛ ثم سار عليه السلام حتى انتهى الى معاوية فلما رآه مقبلاً قابله بحفاوة وتكريم ثم التفت إليه معتذراً : يا أبا محمد إن هؤلاء بعثوا إليك وعصوني، فانبرى إليه الإمام مبينا له عدم واقعية هذا الاعتذار قائلاً : سبحان الله!! الدار دارك والإذن فيها إليك والله إن كنت أجبتهم الى ما أرادوا وما في أنفسهم إني لأستحي لك من الفحش وإن كانوا غلبوك على رأيك إني لأستحيي لك من الضعف فأيهما تقر وأيهما تنكر؟ أما أني لو علمت بمكانهم لجئت بمثلهم من بني عبد المطلب ومالي أن أكون مستوحشاً منك ومنهم إن وليي الله وهو يتولى الصالحين.

فقال معاوية : إني كرهت أن أدعوك ولكن هؤلاء حملوني على ذلك مع كراهتي له وإن لك منهم النصف ومني وإنما دعوناك لنقررك أن عثمان قتل مظلوما وان أباك قتله فاستمع منهم ثم أجبهم ولا تمنعك وحدتك واجتماعهم أن تتكلم بكل لسانك .(٢)

ومن حكمه الرائعة:

قال له جنادة بن أبي أمية في مرضه الذي توفي فيه : عظني يا ابن رسول الله قال: نعم استعد لسفرك وحصل زادك قبل حلول اجلك واعلم أنك تطلب الدنيا والموت يطلبك ولا

تحمل هم يومك الذي لم يأت على يومك الذي أنت فيه واعلم أنك لا تكسب من المال شيئاً فوق قوتك إلا كنت فيه خازناً لغيرك واعلم أن الدنيا في حلالها حساب وفي حرامها عقاب وفي الشبهات عتاب فأنزل الدنيا بمنزلة الميتة خذ منها ما يكفيك فإن كان حلالاً كنت قد زهدت فيها وإن كان حراماً لم يكن في وزر فأخذت منه كما أخذت من الميتة، وإن كان العتاب فالعتاب يسير واعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً وإذا أردت عزاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فاخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعة الله عز وجل وإذا نازعتك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا صحبته زانك وإذا خدمته صانك وإذا أردت معونة أعانك وإن قلت صدق قولك وإن صلت شد صولك وإن مددت يدك بفضل مدها وان بدت منك ثلمة سدها وإن رأى منك حسنة عدها وإن سألته أعطاك وإن سكت عنه ابتداك وإن نزلت بك إحدى الملمات واساك من لا تأتيك منه البوائق ولا تختلف عليك منه الطرائف ولا يخذلك عند الحقائق وإن تنازعتما منقسماً آثرك [٣]

بعض محاورات الإمام الحسن (عليه السلام)

للامام الحسن (صلى الله عليه وآله) مناظرات كثيرة قد ذكر بعضها كتاب الاحتجاج ونحن هنا نذكر ما أورده الشيعة والسنة على السواء من أجوبة الإمام الحسن * القصيرة:

درك قيل له: فيك عظمة:

فقال: لا بل في عزة قال الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾. وسئل عن الصمت؟

فقال: هو ستر العي وزين العرض وفاعله في راحة وجليسه آمن

وسئل عن الذل واللوم؟

فقال: من لا يغضب من الجفوة ولا يشكر على النعمة.

وسئل عن العقوق؟

فقال: أن تحرمهما وتهجرهما.

وسئل عن البخل؟

فقال: هو أن يرى الرجل ما أنفقه تلفاً وما أمسكه شرفاً! [٤]

مناظرة الإمام الحسن عليه السلام مع الأعداء:

مفاخرة الإمام الحسن بن علي صلوات الله عليهما على معاوية ومروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة والوليد بن عقبة وعتبة بن أبي سفيان.

قيل: وفد الحسن بن علي عليهما السلام على معاوية فحضر مجلسه، وإذا عنده هؤلاء القوم، ففخر كل رجل منهم على بني هاشم، ووضعوا منهم، وذكروا أشياء ساءت الحسن بن علي وبلغت منه.

فقال الحسن بن علي عليه السلام: أنا شعبة من خير الشعب، وآبائي أكرم العرب، لنا الفخر والنسب، والسماحة عند الحسب ونحن من خير شجرة، انبتت فروعاً نامية، وأثماراً زاكية، وأبدانا قائمة، فيها أصل الإسلام، وعلم النبوة، فعلونا حين شمخ بنا الفخر، واستطلنا حين امتنع بنا العز، ونحن بحور زاخرة لا تنزف، وجبال شامخة لا تقهر.

فقال مروان بن الحكم: مدحت نفسك، وشمخت بأنفك، هيهات هيهات يا حسن، نحن والله الملوك السادة، والأعزة القادة، لا تبجحن فليس لك عز مثل عزنا، ولا فخر كفخرنا، ثم أنشأ يقول:

شفينا أنفسا طابت وقورا ❋ فنالت عزها فيمن يلينا

فابنا بالغنيمة حيث ابنا ❋ وابنا بالملوك مقرنينا

ثم تكلم مغيرة بن شعبة فقال: نصحت لأبيك فلم يقبل النصح، ولولا كراهية قطع القرابة لكنت في جملة أهل الشام، فكان يعلم أبوك أني أصدر الوارد عن مناهلها، بزعارة قيس، وحلم ثقيف، وتجاربها للأمور على القبائل.

فتكلم الحسن عليه السلام فقال: يا مروان أجبناً، وخوراً، وضعفاً، وعجزاً، زعم أني مدحت نفسي، وأنا ابن رسول الله، وشمخت بأنفي وأنا سيد شباب أهل الجنة وإنما يبذخ ويتكبر ويلك من يريد رفع نفسه، ويتبجح من يريد الاستطالة، فأما نحن فأهل بيت الرحمة، ومعدن الكرامة، وموضع الخيرة، وكنز الإيمان، ورمح الإسلام، وسيف الدين، ألا تصمت ثكلتك أمك قبل أن أرميك بالهوائل، وأسمك بميسم تستغني به عن اسمك، فأما إيابك بالنهاب والملوك أفي اليوم الذي وليت فيه مهزوماً، وانجحرت مذعوراً، فكانت غنيمتك هزيمتك، وغدرك بطلحة حين غدرت به فقتلته، قبحا لك ما أغلظ جلدة وجهك.

فنكس مروان رأسه، وبقي مغيرة مبهوتاً، فالتفت إليه الحسن عليه السلام فقال:

أعور ثقيف ما أنت من قريش فأفاخرك، أجهلتني يا ويحك؟! أنا ابن خيرة الإماء، وسيدة النساء، غذانا رسول الله صلى الله عليه وآله بعلم الله تبارك وتعالى، فعلمنا تأويل القرآن، ومشكلات الأحكام، لنا العزة العليا، والفخر والسناء، وأنت من قوم لم يثبت هم في الجاهلية نسب، ولا لهم في الإسلام نصيب، عبد آبق، ما له والافتخار عند مصادمة الليوث، ومجاحشة الأقران، نحن السادة، ونحن المذاويد القادة، نحمي الذمار، وننفي عن ساحتنا العار، وأنا ابن نجيبات الأبكار، ثم أشرت زعمت إلى خير وصي خير الأنبياء، وكان هو بعجزك أبصر، وبجورك أعلم وكنت للرد عليك منه أهلاً لو عزك في صدرك، وبدو الغدر في عينك، هيهات لم يكن ليتخذ المضلين عضداً، وزعمك أنك لو كنت بصفين بزعارة قيس، وحلم ثقيف، فبماذا ثكلتك أمك؟ أبعجزك عند المقامات، وفرارك عند المجاحشات؟

أما والله لو التفت عليك من أمير المؤمنين الأجاشع، لعلمت أنه لا يمنعه منك الموانع، ولقامت عليك المرنات الهوالع.

وأما زعارة قيس: فما أنت وقيسا؟ إنما أنت عبد آبق فثقف فسمي ثقيفاً، فاحتل لنفسك من غيرها، فلست من رجالها، أنت بمعالجة الشرك وموالج الزرائب أعرف منك بالحروب.

فأما الحلم فأي الحلم عند العبيد القيون؟ ثم تمنيت لقاء أمير المؤمنين عليه السلام فذاك من قد عرفت: أسد باسل، وسم قاتل، لا تقاومه الأبالسة، عند الطعن والمخالسة فكيف ترومه الضبعان، وتناله الجعلان، بمشيتها القهقري.

وأما وصلتك: فمنكورة، وقربتك فمجهولة، وما رحمك منه إلا كبنات الماء من خشفان الظباء، بل أنت أبعد منه نسباً.

فوثب المغيرة والحسن يقول لمعاوية: اعذرنا من بني أمية إن تجاوزنا بعد مناطقة القيون، ومفاخرة العبيد.

فقال معاوية: ارجع يا مغيرة، هؤلاء بنو عبد مناف، لا تقاومهم الصناديد، ولا تفاخرهم المذاويد.

ثم أقسم على الحسن عليه السلام بالسكوت فسكت.

وروي أن عمرو بن العاص قال لمعاوية: ابعث إلى الحسن بن علي فمره أن يصعد المنبر ويخطب الناس، فلعله أن يحصر فيكون ذلك مما نعيره به في كل محفل، فبعث إليه معاوية فأصعده المنبر، وقد جمع له الناس، ورؤساء أهل الشام فحمد الله الحسن صلوات الله عليه وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس من عرفني فأنا الذي يعرف، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي بن أبي طالب، ابن عم نبي الله، أول المسلمين إسلاماً، وأمي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وجدي محمد بن عبد الله نبي الرحمة، أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن السراج المنير، أنا ابن من بعث رحمة للعالمين، أنا ابن من بعث إلى الجن والإنس أجمعين، فقطع عليه معاوية فقال، يا أبا محمد خلنا من هذا وحدثنا في نعت الرطب أراد بذلك تخجيله.

فقال الحسن عليه السلام: نعم التمر الريح تنفخه، والحر ينضجه، والليل يبرده ويطيبه.

ثم أقبل الحسن عليه السلام: فرجع في كلامه الأول فقال: أنا ابن مستجاب الدعوة أنا ابن الشفيع المطاع، أنا ابن أول من ينفض عن رأسه التراب، أنا ابن من يقرع باب الجنة فيفتح له فيدخلها، أنا ابن من قاتل معه الملائكة، وأحل له المغنم ونصر بالرعب من مسيرة شهر، فأكثر في هذا النوع من الكلام، ولم يزل به حتى اظلمت الدنيا على معاوية، وعرف الحسن من لم يكن عرفه من أهل الشام وغيرهم ثم نزل فقال له معاوية: أما إنك يا حسن قد كنت ترجو أن تكون خليفة، ولست هناك، فقال الحسن عليه السلام: أما الخليفة فمن سار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله، وعمل بطاعة الله عز وجل، وليس الخليفة من سار بالجور، وعطل السنن، واتخذ الدنيا أماً وأباً، وعباد الله خولاً، وماله دولا، ولكن ذلك أمر ملك أصاب ملكا فتمتع منه قليلا، وكان قد انقطع عنه، فأتخم لذته وبقيت عليه تبعته، وكان كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ ﴿أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾ وأومى بيده إلى معاوية، ثم قام فانصرف. فقال معاوية لعمرو: والله ما أردت إلا شيني حين أمرتني بما أمرتني، والله ما كان يرى أهل الشام أن أحداً مثلي في حسب ولا غيره، حتى قال الحسن عليه السلام

ما قال، قال عمرو: وهذا شئ لا يستطاع دفنه، ولا تغييره، لشهرته في الناس، واتضاحه، فسكت معاوية وروى الشعبي أن معاوية قدم المدينة فقام خطيباً فقال: أين علي بن أبي طالب؟

فقام الحسن بن علي فخطب وحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

إنه لم يبعث نبي إلا جعل له وصي من أهل بيته، ولم يكن نبي إلا وله عدو من المجرمين، وإن علياً عليه السلام كان وصي رسول الله من بعده، وأنا ابن علي، وأنت ابن صخر، وجدك حرب، وجدي رسول الله، وأمك هند وأمي فاطمة، وجدتي خديجة وجدتك نثيله، فلعن الله ألأمنا حسباً، وأقدمنا كفراً، وأخملنا ذكراً، وأشدنا نفاقا، فقال عامة أهل المجلس: آمين. فنزل معاوية فقطع خطبته وروي أنه لما قدم معاوية الكوفة قيل له: إن الحسن بن علي مرتفع في أنفس الناس فلو أمرته أن يقوم دون مقامك على المنبر فتدركه الحداثة والعي فيسقط من أنفس الناس وأعينهم، فأبى عليهم وأبو عليه إلا أن يأمره بذلك فأمره، فقام دون مقامه في المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:أما بعد أيها الناس فإنكم لو طلبتم ما بين كذا وكذا لتجدوا رجلاً جده نبي لم تجدوا غيري وغير أخي، وإنا أعطينا صفقتنا هذا الطاغية – وأشار بيده إلى أعلى المنبر إلى معاوية – وهو في مقام رسول الله صلى الله عليه وآله من المنبر ورأينا حقن دماء المسلمين أفضل من إهراقها، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين، وأشار بيده إلى معاوية.

فقال له معاوية: ما أردت بقولك هذا؟

فقال: ما أردت به إلا ما أراد الله عز وجل، فقام معاوية فخطب خطبة عيية فاحشة، فسب فيها أمير المؤمنين عليه الصلاة السلام، فقام إليه الحسن بن علي عليهما السلام فقال له – وهو على المنبر -: ويلك يا بن آكلة الأكباد أو أنت تسب أمير المؤمنين عليه السلام وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « من سب علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله، ومن سب الله أدخله الله نار جهنم خالدا فيها مخلداً وله عذاب مقيم »؟

ثم انحدر الحسن عليه السلام عن المنبر ودخل داره، ولم يصل هناك بعد ذلك أبدا.(٥)

مواعضه

جوامع الموعظة (٦)

يـا ابـن آدم : عـفّ عـن محـارم الله تكـن عابـداً ، وارض بـما قسـم الله تكـن غنيّـاً وأحسـن جـوار مـن جـاورك تكـن مسـلماً ، وصاحـب النـاس بمثـل مـا تحـبّ أن يصاحبـوك بـه تكـن عـادلاً. إنـه كان بـين يديكـم أقـوام يجمعـون كثيراً ، ويبنـون مشـيداً ، ويأملـون بعيـداً ، أصبـح جمعهـم بـوراً ، وعملهـم غـروراً ، ومسـاكنهم قبـوراً.

يـا ابـن آدم : لم تـزل في هـدم عمـرك منـذ سـقطت مـن بطـن أمّـك ، فخـذ ممّـا في يديـك لمـا بـين يديـك ، فـانّ المؤمـن يتـزوّد والكافـر يتمتّـع.

استجيبوا لله (٧)

أيّهـا النـاس : إنّـه مـن نصـح لله وأخـذ قولـه دليـلاً ، هـدي للتـي هـي أقـوم ، ووفّقـه الله للرشـاد، وسـدّده للحسـنى ، فـانّ جـار الله آمـن محفـوظ وعـدوّه خائـف مخـذول ، فاحترسـوا مـن الله بكثـرة الذكـر، واخشـوا الله بالتقـوى ، وتقرّبـوا إلى الله بالطاعـة ، فانـه قريـب مجيـب ، قـال الله تبـارك وتعـالى: ﴿ وَإِذَا سَـأَلَكَ عِبَـادِي عَنِّـي فَـإِنِّي قَرِيـبٌ أُجِيـبُ دَعْـوَةَ الـدَّاعِ إِذَا دَعَـانِ فَلْيَسْـتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُـوا بِي لَعَلَّهُـمْ يَرْشُـدُونَ ﴾ ، فاسـتجيبوا لله وآمنـوا بـه ، فانّـه لا ينبغـي لمـن عـرف عظمـة الله أن يتعاظـم ، فـإنّ رفعـة الذيـن يعلمـون عظمـة الله أن يتواضعـوا ، و « عـز » الذيـن يعرفـون الله أن يتذللـوا « لـه» وسـلامةَ الذيـن يعلمـون مـا قـدرة الله أن يستسـلموا لـه ، ولا ينكـروا أنفسـهم بعـد المعرفـة ، ولا يضلّـوا بعـد الهـدى.

واعلمـوا علـماً يقينـاً : أنّكـم لـن تعرفـوا التقـى ، حتّـى تعرفـوا صفـة الهـدى ولـن تمسّـكوا بميثـاق الكتـاب، حتّـى تعرفـوا الـذي نبـذه ، ولـن تتلـوا الكتـاب حـقّ تلاوتـه ، حتّـى تعرفـوا الـذي حرّفـه ، فـإذا عرفتـم ذلـك، عرفتـم البـدع والتكلّـف ، ورأيتـم الفريـة عـلى الله ، والتحريـف ، ورأيتـم كيـف يهـوي مـن يهـوي ، ولا يجهلنّكـم الذيـن لا يعلمـون ، والتمسـوا ذلـك عنـد أهلـه ، فانّهـم خاصّـة نـورٍ يسـتضاء بهـم، وأئمّـة يقتـدى بهـم ، بهـم عيـش العلـم ومـوت الجهـل ، وهـم الذيـن أخبركـم حلمهـم عـن جهلهـم ، وحكـم منطقهـم عـن صمتهـم ، وظاهرهـم عـن باطنهـم ، لا يخالفـون الحـقّ ، ولا يختلفـون فيـه ، وقـد خلـت لهـم مـن الله سـنّة ، ومـضى فيهـم مـن الله حكـم ، ان في ذلـك لذكـرى للذاكريـن ، واعقلـوه إذا سـمعتموه ، عقـل

رعايةٍ ، ولا تعقلوه عقل رواية ، فانّ رواة الكتاب كثير، ورعاته قليل ، والله المستعان.

التقوى (٨)

اعلموا أن الله لم يخلقكم عبثاً ، وليس بتارككم سدى ، كتب آجالكم وقسّم بينكم معائشكم، ليعرف كلّ ذي لبٍ منزلته ، وانّ ما قدّر له أصابّه وما صرف عنه فلن يصيبه ، قد كفاكم مؤونة الدنيا وفرّغكم لعبادته ، وحثّكم على الشكر ، وافترض عليكم الذكر ، وأوصاكم بالتقوى. منتهى رضاه ، والتقوى باب كلّ توبة ، ورأس كلّ حكمة ، وشرف كلّ عملٍ بالتقوى ، فاز من فاز من المتّقين ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾ ، قال: ﴿ وَيُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ فاتّقوا الله عباد الله ، واعلموا : أنّه من يتّق الله يجعل له مخرجاً من الفتن ويسدده في أمره ويهيّئ له رشده ، ويفلحه بحجّته ، ويبيض وجهه ويعطه رغبته ، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين ، والشهداء والصالحين، وحسن اولئك رفيقاً.

المتّقون (٩)

لقد أصبحت أقوام كأنّهم ينظرون إلى الجنّة ونعيمها ، والنار وحميمها ، يحسبهم الجاهل مرضى وما بهم من مرضٍ ، أو قد خولطوا وإنما خالطهم أمر عظيم خوف الله ومهابته في قلوبهم كانوا يقولون : ليس لنا في الدنيا من حاجةٍ وليس لها خلقنا ولا بالسعي لها أمرنا ، أنفقوا أموالهم وبذلوا دماءهم واشتروا بذلك رضي خالقهم ، علموا انّ الله اشترى منهم أموالهم وأنفسهم بالجنّة فباعوه وربحت تجارتهم وعظمت سعادتهم وأفلحوا وأنجحوا فاقتفوا آثارهم رحمكم الله ، واقتدوا بهم فانّ الله تعالى وصف لنبيّه صلّى الله عليه وآله صفة آبائه إبراهيم وإسماعيل وذريّتهما وقال : (فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ) واعلموا عباد الله أنّكم مأخوذون الإقتداء بهم والاتّباع لهم ، فجدّوا واجتهدوا واحذروا أن تكونوا أعواناً للظالم ، فانّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : من مشى مع ظالمٍ ليعينه على ظلمه فقد خرج من ربقة الإسلام ، ومن حالت شفاعته دون حدٍ من حدود الله فقد حادّ الله و رسوله ، ومن أعان ظالماً ليبطل حقّاً لمسلمٍ فقد بريء من ذمّة الله وذمّة رسوله ، ومن دعا لظالمٍ بالبقاء ، فقد أحبّ ان يعصى الله ، ومن ظلم بحضرته مؤمن أو اغتيب وكان قادراً على نصره ولم ينصره فقد باء بغضبٍ من الله ومن رسوله ، ومن

نصره فقد استوجب الجنّة من الله تعالى وإن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام : قال : لفلان الجبّار إنّي لم أبعثك لتجمع الدنيا على الدنيا ولكن لتردّ عنّي دعوة المظلوم تنصره ، فانّي آليت على نفسي ان انصره ، وانتصر له ، ممّن ظلم بحضرته ، ولم ينصره.

أهل النار (١٠)

قال الحسن عليه السلام : إنّ الله تعالى لم يجعل الأغلال في أعناق أهل النار لأنّهم أعجزوه ، ولكن إذا أطفىء بهم اللهب أرسبهم في قعرها.

ثمّ غشي عليه ، فلمّا أفاق من غشوته قال : يا ابن آدم نفسك نفسك ، فانّما هي نفس واحدة، إن نجت نجوت وان هلكت لم ينفعك نجاة من نجا.

المبادرة إلى العمل (١١)

اتّقوا الله عباد الله ، وجدّوا في الطلب وتجاه الهرب ، وبادروا العمل قبل مقطعات النقمات، وهادم اللذات ، فانّ الدنيا لا يدوم نعيمها ، ولا يؤمن فجيعها ، ولا تتوقّى مساويها ، غرور حائل ، وسناد مائل ، فاتعظوا عباد الله بالعبر ، واعتبروا بالأثر ، وازدجروا بالنعيم ، وانتفعوا بالمواعظ ، فكفى بالله معتصماً ونصيراً ، وكفى بالكتاب حجيجاً وخصيما ، وكفى بالجنّةِ ثواباً ، وكفى بالنار عقاباً ووبالاً.

تزودوا

يا ابن آدم عفّ عن محارم الله تكن عابداً ، وارض بما قسم الله تكن غنياً ، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً ، وصاحب الناس بمثل ما تحبّ أن يصاحبوك به تكن عادلاً ، إنّه كان بين أيديكم قوم يجمعون كثيراً ، ويبنون مشيداً ، ويأملون بعيداً ، أصبح جمعهم بوراً ، وعملهم غروراً ، ومساكنهم قبوراً ، يا ابن آدم انّك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن امّك ، فجد بما في يديك ، فإنّ المؤمن يتزوّد ، والكافر يتمتع (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ).

حبّ الدنيا (١٢)

من أحبّ الدنيا ذهب خوف الآخرة من قلبه ، ومن ازداد حرصاً على الدنيا ، لم يزدد منها إلّا بعداً ، وازداد هو من الله بغضاً.

والحريص الجاهد والزاهد القانع كلاهما مستوفٍ أكله ، غير منقوصٍ من رزقه شيئاً ، فعلام التهافت في النار ؟ والخير كلّه في صبر ساعةٍ واحدةٍ ، تورث راحةً طويلةً وسعادةً كثيرةً.

والناس طالبان : طالب يطلب الدنيا حتّى إذا أدركها هلك ، وطالب يطلب الآخرة حتّى إذا أدركها فهو ناجٍ فائز.

واعلم ـ أيّها الرجل ! ـ أنّه لا يضرّك ما فاتك من الدنيا ، وأصابك من شدائدها إذا ظفرت بالآخرة ، وما ينفعك ما أصبت من الدنيا ، إذا حرمت الآخرة.

دار غفلة

الناس في دار سهوٍ وغفلة ، يعملون ولا يعلمون ، فإذا صاروا إلى دار يقينٍ ، يعلمون ولا يعملون.

المأكول والمعقول (١٣)

عجبت لمن يفكر في مأكوله ، كيف لا يفكر في معقوله ، فيجنّب بطنه ما يؤذيه ، ويودع صدره ما يرديه (١٤) ؟

النهي عن اللعب (١٥)

إنّ الله جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه ، فيستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته فسبق قوم ففازوا، وقصر آخرون فجابوا ، فالعجب كلّ العجب من ضاحكٍ لاعب ، في اليوم الذي يثاب فيه المحسنون ، ويخسر فيه المبطلون وأيم الله لو كشف الغطاء لعلموا : أنّ المحسن مشغول بإحسانه ، والمسيء مشغول بإساءته.

تعزية (١٦)

إن كانت المصيبة أحدثت لك موعظةً ، وكسّبتك أجراً فهو ، وإلّا فمصيبتك في نفسك أعظم من مصيبتك في ميتك.: « إنّما أبكي لخصلتين : لهول المطّلع ، وفراق الأحبّة ».

الاستنتاجات:

لقد اعتنتْ الشريعة الإسلامية بالأدب، فأمرتْ بحفظ اللسان، ولزوم الصمت، ولين الكلام، ولخطورة اللسان فقد رَكّزتْ الشريعة على آداب الكلام والمحادثة، وألّفَ العلماءُ المصنفات المستقلة في هذا الباب، وبَيّنوا آداب الحديث والمناقشات والمناظرات العلمية؛ فالإسلام يريد أن يميّز المسلم بعقيدته وعبادته وأخلاقه وآدابه ومظهره، ولعل سبب ذلك ان الكلام الطيب هو أبرز الصفات التي يَتحلّى بها الإنسان، فبه يكسب الأصدقاء ويدفع الأعداء...قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ الله مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾(١٧)

وسُئل أمير المؤمنينعليه السلام: (أي شيء مما خلق الله أحسن؟ فقال: الكلام، فقيل: أي شيء مما خلق الله أقبح؟ قال: الكلام، ثم قال: بالكلام ابيضّت الوجوه، وبالكلام أسودّت الوجوه)(١٨)

إنّ التأمّل في آيات القرآن الكريم يكتشف مدى الاهمية البالغة التي تضطلع بها مسألة المناظرة والمجادلة في تثبيت وايضاح الكثير من الحقائق الفكرية والعقائدية بالتوسل بالادلة العلمية المرتكزة على اسس شرعية قويمة وراسخة.

وفي الدين الاسلامي ـ كما في جميع ما سبقه من الاديان السماوية الماضية ـ احتلت المجادلة جانباً حيوياً ووسيلة مؤثرة في ابطال ودفع الشبهات التي يثيرها ارباب الافكار المنحرفة الاخرى، كما كان لهذهِ المجادلة الاثر الكبير في اقناع جمهور الناس ومفكريهم بحقّانية الشريعة المحمدية ووجوب الانقياد لها.

وهكذا فإنّ مجرد الاستعراض المختصر لبعض تلك الآيات المباركة يبين هذهِ الحقائق المهمة، والتي تدل بوضوح ان المجادلة ليست امراً دخيلاً على مجمل العقائد الاسلامية المختلفة، بل تعد من صلب اسس الدين الاسلامي الحنيف، إذ ان كتاب الله تعالى تناولها في اكثر من موضع مبيناً جوانبها.

الهوامش

١- تحف العقول: ص ٢٣٣،٢٣٢.
٢- المؤلف: باقر شريف القرشي الكتاب او المصدر: حياة الإمام الحسن دراسة وتحليل الجزء والصفحة: ج٢، ص٣٠١-٣٠٦
٣- المؤلف: السيد محسن الأمين الكتاب :اعيان الشيعة الحزء والصفحة: ج٢ ص٣٨٦-٣٨٧
٤- بحار الانوار
٥- كتاب الاحتجاج ،ج١ للشيخ الطبرسي رحمه الله
٦- أعيان الشيعة ج ٤ ـ ق ١ ـ ص ٥٤ : السيّد محسن الأمين العاملي : ..
٧- « أ » تحف العقول : .. « ب » البحار ج ١٧ ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤.
٨- تحف العقول : ..
٩- إرشاد القلوب ـ للديلمي ص ٩٢.
١٠- إرشاد القلوب ص ٣٥ ـ ٣٦ : الحسن بن محمّد الديلمي : ..
١١-تحف العقول ؛ ..
١٢-إرشاد القلوب ص ٢٢ : لحسن بن علي الديلمي : .. الإمام الحسن ـ م « ٤ »
١٣-البحار ج ١ ص٢١٨: محمّد باقر المجلسي ، عن دعوات الراوندى ، قال الحسن ابن علي : ..
١٤- تحف العقول : ..
١٥-تحف العقول : مرّ في يوم فطر بقوم يلعبون ويضحكون ، فوقف على رؤوسهم وقال : ..
١٦-مجموعة ورام ـ ص ٤١١. عزى رجلا قدمات بعض ذويه فقال له :
١٧-سورة إبراهيم الاية:٢٤-٢٥
١٨-تحف العقول،ابن شعبة الحراني: ص٢١٦

الإمام الحسن عليه السلام في مواجهة التضليل التاريخي

فرائد السيرة ورد الشبهات

الباحث عمر عماد نهاد

بكالوريوس فنون جميلة / بغداد.

ملخص البحث

أعطى الإمام الحسن عليه السلام الأولوية للمصلحة العامة للمسلمين على جميع الامتيازات الأخرى، لأنه مكلف بالحفاظ على كيان المسلمين الاجتماعي والسياسي، وهدف الإمام ومنزلته يجب ان يكون متسقاً مع الأهداف طويلة المدى للمسلمين والحركة العامة للإسلام تترتب عليه نتائج إيجابية لمنهج اهل البيت عليهم السلام والوجود الإسلامي معا، فقد تقيد الإمام بقيود المصلحة الإسلامية العليا.

أراد معاوية من خلال حكمه أن يعيد الجاهلية ولكن تحت غطاء الإسلام، وكان دائماً يتبنى في سلوكه أسلوب الخداع والتضليل وسياسة القهر مع من يعترض على سياسته وهو ينظر إلى الحياة نظرة مادية فاصبح لديه جيش كبير مطيع له وفي يده كنوز الدنيا وله أتباع كثيرون.

ومن خلال سياسة الخداع التي مارسها معاوية استطاع أن يكون جيشاً مطيعاً بشراء ضمائر ميتة لا علم لها بمنصب ولا يملك أصحابها إرادة أو قرارا، كما لعب الدعاة والرواة المندفعون الذين يتبعون السياسة الأموية دورًا خطيرًا في ترسيخ أسس هذا النظام الذي استطاع معاوية من خلاله استبداد السلطة وإلقاء سيفه وطغيانه على أعناق الأمة، وكان الدعاة يروجون اكاذيب بان معاوية عم المؤمنين، والمصدر الموثوق للخلفاء السابقين، وابن عم الخليفة عثمان، وأنه كاتب وحي رسول الله.

فقد كان هدف الإمام جزءاً من حركة إصلاحية تنظر من زاوية المستقبل لكي تبقى المفاهيم والقيم الإسلامية على عقلية وأفكار المسلمين وعواطفهم وممارساتهم العملية على غرار حركتهم الفكرية والتاريخية. لقد اختار السلام على القتال بشروط تؤتي ثمارها في المستقبل القريب والبعيد.

ان الإمام الحسن تعرض لإهانات واعتداءات على شخصيته وكرامته لم يتعرض لها أحد من أهل البيت لذلك لقب بكريم أهل البيت، وليس لأنه يعطي أموالاً للآخرين، كل الناس تعطي أموال للآخرين ولكنه ضحى بأمر لا يضحي به الإنسان العادي، ضحى بشخصيته وموقعه الاجتماعي في سبيل حفظ مصلحة الأمة ووحدتها، وفي سبيل حفظ الأمور العامة للمجتمع الإسلامي، فهو ضحى بأمر عظيم لذلك لقب بكريم أهل البيت.

Abstract

Imam Al-Hasan gave priority to the general interest of Muslims over all other privileges, as he is charged with preserving the social and political entity of Muslims : the imam was bound by the restrictions of the supreme Islamic interest.

Through his rule, Muawiyah wanted to restore the preislamic era under the cover of Islam, and always adopted in his behavior the method of deception, misinformation and the policy of oppression with those who object to his policy while looking at life through a materialistic lens. its space.

The Imam's goal was a part of a reform movement that looks from the angle of the future so that Islamic concepts and values remain on the mentality, thoughts, emotions and practical practices of Muslims, similar to their intellectual and historical movement. He chose peace over fighting on terms that will bear fruit in the near and distant future.

Imam al-Hassan was subjected to insults and attacks on his personality and dignity that none of the members of the household was to . That is why he was called the noblest of the household, and not because he gives money to others. All people give money to others, but he sacrificed something that an ordinary person would not sacrifice. For the nation and its unity he sacrificed a great matter : he was called the benevolent of Ahalalbayt.

المقدمة

اختار الله عز وجل أهل البيت(عليهم السلام) حفظة سره، وخزينة لعلمه، وتراجمه لوحيه ومرشداً لطريقه فيحميهم من الانزلاق وطهرهم من الدنس، وأذهب عنهم الرجس، حينما قال: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾[1]

وأكد القرآن الكريم طاعتهم وولائهم، كما في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾[2]، وغير ذلك من الآيات الكثيرة.

كما أكد النبي العظيم ذلك بحديثه المتواتر: « **إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض** ». [3]

وهناك رواية مشهورة عن النبي (صلى الله عليه وآله) إذ قال: «الحسن والحسين إماما قاما أو قعدا» [4]

كل ذلك لأنهم براهين الله تعالى على عباده، وخلفاء خاتم الأنبياء، وحملة لواء الإسلام، وكنوز العلم والنور.

كانت حياتهم المباركة مليئة بالقيم السامية، والمثل العليا، ونشر المعرفة الإسلامية والتضحية والإيثار والزهد والتواضع، فقد اتسمت سيرة الأئمة الطاهرين(عليهم السلام) بالانفصال التام عن ملذات الحياة ورفاهيتها، والتوجه إلى الله تعالى، والعبودية المطلقة له، فكانوا أركان التقوى وأمثلة الإيمان، واما خصومهم كانوا أمثلة الفساد وانحلال كل القيم الأخلاقية والإنسانية.

فعندما اغتالوا الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) رائد العدالة الانسانية، تولى الإمام الحسن(عليه السلام)، الخلافة الإسلامية في واحدة من أكثر الظروف حساسية وتعقيداً وكان معظمهم قد سئم من الحرب، كما كانت آفات الخوارج الذين أدانوا الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) بالكفر من الدين، وقاموا بتخريب معسكره، يدعوهم إلى الثورة والتخلي عن الطاعة.

وزادت بصيرة الإمام الحسن(عليه السلام) مع خيانة الناس وفساد نوايا المحكمة فيه لما أظهروه من إهانة وكفر وإباحة دمه ونهب ماله في كتب أصحابه الذين ضمنوا له قتله وتسليمه له فاشترَط له شروطًا كثيرة في تجاوبه مع سلامه، وأبرم عقودًا كان تحقيقها مصالح شاملة، فلم يثق الإمام الحسن(عليه السلام) بامتثاله إلا أنه لم يجد بديلاً عن رده على ما سعى إليه وهو ترك الحرب وتنفيذ الهدنة.

ويمكن القول إن دور الإمام المجتبى عليه السلام كان أكثر حساسية وأصعب من دور الإمام الحسين عليه السلام، لأن الإمام الحسن عليه السلام كان مضطراً إلى تهيئة الأرض للنهضة المباركة ، وقد فعل الإمام الحسين عليه السلام تلك النهضة الحقيقية .

فمن ذاتيات النفس البشرية تطلعها الغامر إلى الاعتقاد بعقيدة يسير عليها في حياته لكي يكون في مأمن من أحداث المستقبل المجهول ، خاصة بعد زواله ، وفي الوقت نفسه يرضي ضميره ويكون متعطشًا إلى البحث والكشف والمعرفة في مجهولات هذه الحياة.

فانه يمكن للإنسان بقليل من القراءة والتحليل للزمن الذي عاش فيه الإمام الحسن عليه السلام، من خلال معرفة الظروف الاجتماعية والدينية والسياسية السائدة في المجتمع في ذلك الوقت، معرفة الموقف الصحيح للإمام الحسن عليه السلام ودوره الكبير الذي كان حساساً جداً وأنه عليه السلام قام بواجبه الشرعي على أكمل وجه حفاظا على الإسلام والمجتمع الإسلامي.

المحور الرابع :

وقفات فريدة في سيرة الإمام الحسن عليه السلام من الولادة الى الشهادة.

الفصل الاول

في مولد الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، نشأته، اخلاقه، عبادته.

مولده عليه السلام

روى محب الدين الطبري بإسناده عن أسماء بنت عميس قالت: أقبلت فاطمة بالحسن، فجاء النبي صلى الله عليه وآله فقال : يا أسماء، هلمي ابني. فدفعته إليه في خرقة صفراء، فألقاها عنه قائلا: ألم أعهد إليكن أن لا تلفوا مولودا بخرقة صفراء؟

فلففته بخرقة بيضاء، فأخذه وأذن في أذنه اليمنى ، وأقام في اليسرى ، ثم قال لعلي : أي شيء سميت ابني؟ قال: ما كنت لأسبقك بذلك.

فقال: ولا أنا أسابق ربي ، فهبط جبرئيل عليه السلام فقال : إن ربك يقرئك السلام ويقول لك: علي منك بمنزلة هارون من موسى، لكن لا نبي بعدك، فسم ابنك هذا باسم ولد هارون. فقال : ما كان اسم ابن هارون ياجبرئيل عليه السلام قال: شبر فقال: إن لساني عربي. فقال: سمه الحسن ، ففعل.(٥)

وروى المتقي بإسناده عن سلمان، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : سميتهما باسمي ابني هارون (يعني الحسن والحسين) شبر و شبير. (٦)

نشأته عليه السلام

وكان الرسول صلى الله عليه وآله يعتني بسبطه ، ويغذيه بمثله، وافاض عليه مكونات نفسه، كما يفعل والده أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو أفضل معلم في عالم الإسلام، رباه في أعماق روحه وأعمق ذاته، وشبهه النبيل وشخصياته العظيمة حتى أصبح صورة حقيقية كذلك فقد ترعرع على يد سيدة نساء العالمين الزهراء عليها السلام ، التي ربته ورفعته على إيمان نقي ومحبة عميقة لله تعالى والتمسك به.

نشأ الإمام الحسن في بيت النبوة وغرس الوحي ومركز الإمامة ، وكان مثال التربية الإسلامية في سلوكه وسمو صفاته. (٧)

وكان الإمام الحسن عليه السلام وصي أبيه أمير المؤمنين عليه السلام على أهله وولده وأصحابه ووصاه بالنظر في وقوفه وصدقاته وكتب له عهداً مشهورة ووصية ظاهرة في معالم الدين وعيون الحكمة والآداب، وقد نقل هذه الوصية جمهور العلماء واستبصر بها في دينه ودنياه كثير من الفقهاء. (٨)

فقد كان أمير المؤمنين عليه السلام يوجه الأنظار إلى إمامة ولده الحسن عليه السلام ومقامه السامي وخصائصه وكفاءته، فقد كان عليه السلام يسأله عن المسائل المختلفة أمام مرأى ومسمع الملأ من أصحابه، فقد تركزت أسئلته على: الزهد والسداد، والشرف، والنجدة، المجد، المروءة، والكرم، الإخاء الجبن، المنعة، وكان الإمام عليه السلام يجيب عنها بأجوبة مختصرة شافية.

وبعث ملك الروم إلى معاوية من يسأله عن مسائل، فعجز معاوية وبعث رجلاً متنكراً ليسأل أمير المؤمنين عليه السلام، فاعترف الرجل بحاله فقال له: هذان ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله فسل أيهما أحببت، فسأل الشامي الإمام الحسن عليه السلام فأجابه عن تلك المسائل. (٩)

فضائل الإمام الحسن عليه السلام ومناقبه:

عن محمد العطار، عن الأشعري، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا كان يوم القيامة زين عرش رب العالمين بكل زينة ثم يؤتى بمنبرين من نور، طولها مائة ميل، فيوضع أحدهما عن يمين العرش والآخر عن يسار العرش ثم يؤتى بالحسن والحسين عليهما السلام فيقوم الحسن على أحدهما والحسين على الآخر، يزين الرب تبارك وتعالى بها عرشه كما يزين المرأة قرطاها(١٠)

وروى الحافظ البرسي عن حذيفة بن اليمان قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ بيد الحسن بن علي عليه السلام وهو يقول: أيها الناس، هذا ابن علي فاعرفوه، والذي نفس محمد بيده إنه لفي الجنة ومحبوه في الجنة ومحبو محبه في الجنة. (١١)

ويقول الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله: لو كان العقل رجلا لكان الحسن عليه السلام. (١٢)

وكان دائم الارتباط بالله تعالى واكثر الناس خشية منه، فاذا فرغ من الوضوء تغير لونه، فقيل له في ذلك، فقال: حق على من اراد ان يدخل على ذي العرش ان يتغير لونه. (١٣)

كذلك اعترف المعاصرون للإمام الحسن عليه السلام بمؤهلاته وفضائله التي تؤكد استحقاقه للخلافة فضلاً عن النص والبيعة وقد جاء هذا الاعتراف من شخصيات مخالفة لأهل البيت عليهم السلام بشكل عام.

وقال واصل بن عطاء: كان الحسن بن علي عليه سيماء الأنبياء وبهاء الملوك. (١٤)

وقال عنه مروان بن الحكم: أحلم من هذا – وأشار إلى الجبل –. (١٥)

وكتب إليه الحسن البصري: أما بعد: فإنكم معشر بني هاشم الفلك الجارية، في اللجج الغامرة، والأعلام النيرة الشاهرة، أو كسفينة نوح عليه السلام، التي نزلها المؤمنون، ونجا فيها المسلمون(١٦)

وروى البخاري والموصلي وأبو السعادات، والسمعاني، قال إسماعيل ابن خالد لأبي جحيفة: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: نعم، وكان الحسن يشبهه.

عن أبي هريرة قال: دخل الحسن بن علي وهو مغتم، فظننت أن رسول الله قد بعث.

وعن الغزالي والمكي: قال النبي صلى الله عليه وآله للحسن: أَشبهتَ خَلقي وخُلقي(١٧)

روى الطبري ي بإسناده عن هشام بن حسان قال: سمعت أبا محمد الحسن بن علي عليهما السلام يخطب الناس بعد البيعة له بالأمر فقال: نحن حزب الله الغالبون و عترة رسوله الأقربون وأهل بيته الطيبون الطاهرون، وأحد الثقلين الذين خلفهما رسول الله صلى الله عليه وآله في أمته. والثاني كتاب الله فيه تفصيل كل شيء لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالمعول علينا في تفسيره، لا يُتعبنا تأويله بل نتيقن حقائقه فأطيعونا، فإن طاعتنا مفروضة إذ كانت بطاعة الله عز وجل وبرسوله مقرونة، قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾. (١٨)(١٩)

ومن فضائله: انه سيد شباب أهل الجنة ، و حُصِر فيه نسل رسول الله ﷺ ، وأحد الأربعة الذين باهل النبي ﷺ نصارى نجران، وأحد الخمسة من أصحاب الكساء ، وأجرأ الله مودتهم للرسالة وهو ريحان رسول الله وحبيبه الذي يحبه ويدعو الله أن يحب من يحبه وله فضائل يطول بيانها، فالبيان لا يحيط به حتى لو كان طويلاً.

اخلاقه عليه السلام

إذا كان الخلق الكامل مطبوعًا في الروح فلا يمكن أن ينحرف عن الطريق الصحيح، أو أن الأنانية يمكن أن تحل محل الإيثار، أو أن تعتليها الإغراءات والعيوب لهذا السبب كانت الأخلاق من أهم العناصر التي تُبنى عليها الحياة الاجتماعية والفردية، فهي من أكثر الأسباب التي يمكن الاعتماد عليها لبقاء الشعوب واستمرارية حضارتها وأصالتها.

كان النبي الاكرم ﷺ في أخلاقه العظيمة مثالاً للرحمة الإلهية التي تملأ القلوب البائسة الحزينة بالأمل والرحمة. ولعل الحديث النبوي الشريف (إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق) يعطينا تصوراً واضحاً لمنزلة الأخلاق في التحكم بالنفوس وتشذيب النزعات السلبية التي تعج بها النفس البشرية[٢٠] كان يزور المسلمين الضعفاء ، ويعود مرضاهم ، ويحضر جنازاتهم، ويستجيب لنداء من يناديه ، ولا يرفض دعاء المملوك أو الفقير. وهو الذي يرسلها ويحرص على تلطف النفوس وعدم الإساءة لأي إنسان. وقد تجسدت هذه الأخلاق الرفيعة في الإمام الحسن عليه السلام بحكم إرثه عن جده الأكبر. وقد ذكر التاريخ علامات كثيرة على أخلاقه النبيلة نذكر بعضها على النحو الآتي:

واحدة من جواري الإمام الحسن عليه السلام قدّمت للإمام طاقة ريحان، فقبل عليه السلام هدية هذه الجارية وبالمقابل قال لها: «أنتِ حرة لوجه الله».

وكان أحد الأشخاص قد لاحظ هذا التعامل الإنساني الرفيع فسأل الإمام عليه السلام بتعجب: لماذا أعتقها في مقابل طاقة ريحان لا تساوي شيئاً؟ وذلك لأن القيمة المادية لجارية واحدة تعادل مئات الدنانير من الذهب مثلاً.

فتبسم الإمام عليه السلام معبراً عن رضاه وقال: «هكذا أدبنا الله، لأنه يقول في القرآن المجيد: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾[٢١]، ورأيت أن الأفضل من هدية هذه الجارية هو أن أعتقها في سبيل الله». [٢٢]

ومن عظيم اخلاقه انه كان جالساً في مكان فاراد الانصراف منه، فقصده فقير فرحب به ولاطفه وقال له: انك جلست على حين قيام منا، أفتأذن لي بالانصراف؟ وعجب الفقير من معالي أخلاق الإمام عليه السلام وأذن له بالانصراف. (٢٣)

شجاعته عليه السلام:

وكان شجاعاً لا يخشى إلا الله تعالى، فقد خطب بعد الصلح ومعاوية حاضر قائلاً: وأيم الله لا ترى أمة محمد خفضاً ما كانت سادتهم وقادتهم في بني أمية، ولقد وجه الله إليكم فتنة لن تصدروا عنها حتى تهلكوا، لطاعتكم طواغيتكم. (٢٤)

وقال لمعاوية: إن الخلافة لمن سار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وليست الخلافة لمن عمل بالجور وعطل الحدود. (٢٥)

وكان له مواقف شجاعة في قلب العاصمة الأموية وهو منعزل بين معاوية وأنصاره ومن كفاءاته عليه السلام أنه وجد المصلحة في الصلح ، فصالح معاوية وحقن دماء أنصاره وغيرهم من المسلمين، ولم يدخل في معركة خاسرة لم تحسم لمصلحته ولمصلحة المجتمع الإسلامي.

عبادته عليه السلام:

في أمالي الشيخ الصدوق : كان الحسن عليه السلام إذا حج حج ماشياً وربما مشى حافياً، وكان إذا ذكر الموت بكى، وإذا ذكر القبر بكى، وإذا ذكر البعث والنشور بكى، وإذا ذكر الممر على الصراط بكى، وإذا ذكر العرض على الله تعالى ذكره شهق شهقة يغشى عليه منها. وكان إذا قام في صلاته ترتعد فرائصه بين يدي ربه عز وجل وكان إذا ذكر الجنة والنار اضطرب اضطراب السليم ويسأل الله الجنة ويعوذ به من النار. (٢٦)

وروى أنه عليه السلام قاسم ماله مرتين، وفي أخرى ثلاث مرات، وحج خمساً وعشرين حجة ماشيا. (٢٧)

كان الإمام الحسن عليه السلام إذا أراد الوضوء تغير حاله وداخله خوف من الله تعالى حتى يصفر لونه وترتعد فرائصه، وسئل عن سر ذلك فقال : حقّ على من وقف بين يدي رب العرش أن ترتعد فرائصه ويصفر لونه.

وإذا فرغ من الوضوء وأراد الدخول إلى المسجد رفع صوته قائلا : إلهي ضيفك ببابك، يا محسن قد أتاك المسيء فتجاوز عن قبيح ما عندنا بجميل ما عندك يا كريم. (٢٨)

وإذا أقبل على صلاته ظهر عليه الخوف والوجل حتى ترتعد جميع فرائصه وأعضائه. (٢٩)

وإذا فرغ من صلاة الفجر لا يتكلم إلا بذكر الله حتى تطلع الشمس. (٣٠)

مكانته العلمية عليه السلام :

كان من أحسن الناس منطقا وبديهة (٣١)، وأن معاوية بن ابي سفيان كان يوصي أصحابه باجتناب محاورة رجلين، هما الحسن بن علي عليه السلام وعبدالله بن عباس، لقوة بداهتهما (٣٢)، ومن مظاهر فصاحته وبلاغته، فقد طعن أقوام من أهل الكوفة فيه فقالوا : إنه عيّ لا يقوم بحجة، فبلغ ذلك ابيه عليه السلام فدعا الحسن وقال : يا ابن رسول الله قم فاخطب الناس، فصعد عليه السلام المنبر فخطب خطبة بليغة وجيزة، فضج الناس من فصاحته وبلاغته، فقام أمير المؤمنين عليه السلام فصعد المنبر معه وقبل ما بين عينيه (٣٣)

اعتنى بحفظ ورواية الحديث النبوي منذ نعومة أظفاره، فقد روي عن : جده رسول الله، وأبيه عليه السلام وخاله هند بن أبي هالة التميمي (ت ٣٦هـ/ ٦٥٦م) وأخيه الحسين عليه السلام (٣٤)

روى عنه اسحاق بن بزرج الفارسي مولى أم حبيبة، وإسحاق بن يسار المدني والد محمد بن اسحاق، والأصبغ بن تيانة، وبدر شيخ أبي إسحاق السبيعي، وجابر أبو خالد، وجبير بن نفير الحضرمي، وابنه الحسن بن الحسن بن علي، وابن أخيه الحسن بن محمد ابن الحنفية، وابو الحوراء ربيعة بن شيبان، ورجاء بن ربيعة والد اسماعيل بن رجاء، وسفيان بن الليل، وسويد بن عقلة، وأبو وائل عقيق بن سلمة الأسدي، وطحرب العجلي، وطلحة بن عبيد الله بن كريز، و عاصم الطائي، وعامر بن شراحيل الشعبي، وعبد الله بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب، وولده عبد الله بن الحسن، وحيد الرحمن بن أبي عوف الكوفي، وعكرمة مولى ابن عباس، و عمرو بن قيس الكوفي، و عمير بن اسحاق، و عمير بن سعيد النخعي، و عمير بن مأموم، ويقال مأموم بن زرارة، والعلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب، وقيس أبو مريم الثقفي، ومحمد بن سيرين، والمسيب بن نجية، و هبيرة بن يريم، وأبو مجلز حق بن حميد، ويوسف بن مازن. (٣٥)

أنشأ الإمام عليه السلام مدرسته الكبرى في المدينة، لنشر علوم أهل البيت عليهم السلام، في مختلف حقولها، وقد انتمى لمدرسته كبار العلماء وعظماء المحدثين والرواة، وقد ذكر المؤرخون بعض أعلام

تلامذته مثل: ابنه الحسن المثنى، والمسيب ابن نجبة، وسويد بن غفلة، والشعبي، والأصبغ بن نباتة، وجابر بن خلد، وأبو مريم قيس الثقفي، وإسحاق بن يسار. (٣٦)

وكان يجلس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ويجتمع الناس حوله فيتكلم بما يشفي غليل السائلين ويقطع حجج المجادلين. (٣٧)

وكان يجيب عن الأسئلة الموجهة إليه من مختلف الأفراد والذين ينتسبون إلى مدارس فكرية أخرى، كالحسن البصري الذي أجابه في مختلف حقول المعرفة الإسلامية، في العقيدة والشريعة(٣٨)

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قبوله وكان يحث على تداول حديث الرسول الله ونشره وتدوينه. (٣٩)

مواقفه عليه السلام مع أبيه أمير المؤمنين عليه السلام:

اتسم دور الإمام الأكبر عليه السلام في عهد والده وفي أيام خلافته، بالخضوع التام لأوامر والده، وكان يتلقى أوامره ليس فقط كابن صالح بل كجندي حرب بكل ما تحمله كلمة الجندي من طاعة وانضباط واعيًا لمسؤولياتها. (٤٠)

الإمام الحسن عليه السلام ومعركة الجمل:

روى الشيخ المفيد عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال لولده الحسن عليه السلام في يوم الجمل: قم يا بني اخطب، فقام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أيها الناس قد بلغتنا مقالة ابن الزبير وقد كان والله يتجنى على عثمان الذنوب وقد ضيق عليه البلاد حتى قتل، وان طلحة راكز رايته على بيت ماله وهو حي، واما قوله: إن علياً ابتز الناس أمرهم، فان أعظم حاجة لأبيه انه بايعه بيده ولم يبايع بقلبه فقد اقر بالبيعة وادعى الوليجة، فليأت على ما ادعاه ببرهان، وأني له بذلك.

أما تعجبه من تورد أهل الكوفة على أهل البصرة، فما عجبه من أهل حق توردوا على أهل باطل، ولعمري والله ليعلمن أهل البصرة وميعاد ما بيننا وبينهم اليوم نحاكمهم إلى الله تعالى، فيقض الله الحق وهو خير الفاصلين. (٤١)

الإمام الحسن عليه السلام ومعركة صفين:

وكان للإمام الحسن عليه السلام دور بارز في حرب صفين، فقد نقل المؤرخون: أن الإمام علي

ابن أبي طالب عليه السلام عندما نظم صفوف جيشه جعل الميمنة بقيادة الإمام الحسن وأخيه الإمام الحسين وعبد الله بن جعفر ومسلم بن عقيل(٤٢)، وفي هذه الاثناء اراد معاوية أن يجس نبض الإمام الحسن عليه السلام فبعث اليه عبيد الله بن عمر يمنيه بالخلافة ويخدعه حتى يترك أباه فانطلق عبيد الله، فقال له: لي اليك حاجة.

فقال له عليه السلام: نعم، ما تريد؟، فقال له عبيد الله: "ان اباك قد وتر قريشاً أولاً وآخرة، وقد شنؤوه فهل لك ان تخلفه ونوليك هذا الأمر؟"(٤٣)، فأجابه الإمام الحسن عليه السلام بكل حزم: "كلا والله لا يكون ذلك (٤٤) ثم اردف قائلا: " لكأني أنظر إليك مقتولًا في يومك أو غدك، أما إن الشيطان قد زين لك وخدعك حتى اخرجك مخلقة بالخلوق وترى نساء أهل الشام موقفك، وسيصرعك الله ويبطحك لوجهك قتيلا" ، ورجع عبيد الله إلى معاوية وهو خائب حسير قد اخفق في مهمته، واخبره حديث الإمام الحسن فقال معاوية: "إنه ابن أبيه"(٤٥)

اتهامه عليه السلام بكثرة الزواج:

اتهم الإمام بعدد كبير من الزيجات وقيل تزوج ثلاثمائة امرأة، وهو افتراء محض لا نصيب له في الواقع.

وهذا أيضاً من وضع معاوية وأعوانه، لأن معاوية كان قد تعلم أساليب الحكم من الرومان فكان فاسقاً لا يتورع عن القيام بأي جريمة من شرب الخمر والفحشاء وهتك حرمة الأفراد وغيره . (٤٦)

ومن دون شك فإن دولته التي شيدت على الجور والاستبداد والسيف ورؤوس الحراب فإنها إلى جانب التهديد والترغيب كانت تستعمل أسلوب التضليل والتزوير، ولذا فقد سعى معاوية إلى اتهام مخالفيه كي يخدش شخصيتهم ويقضي على محبتهم في قلوب الناس، وكان يطلق الإشاعات والدعايات المضللة بين أناس لا يميزون بين الناقة والجمل(٤٧)، وهذا أسلوب جميع الحكام المستبدين والطغاة التي تبتلي بهم الأمم.

هناك احتمال آخر في مثل هذه الرواية بأنها من وضع المنصور الدوانيقي العباسي عمدًا عندما ثار عليه الحسنيون وكادتٍ ثورتهم تطيح بسلطته وتنال من أسس دولته، فقد افترى على الإمام امير المؤمنين عليه السلام وعلى اولاده والصق بهم التهم الرخيصة. (٤٨).

ومما يزيد من تلفيق هذه الروايات أنها لو كانت صحيحة لكان للإمام أولاد يقابل هذا العدد من النساء ، والحال أن الرقم القياسي ما ذكره علماء الأنساب. اثنان وعشرون ولداً، بين ذكر وأنثى ، وهذا لا يتناسب إطلاقاً مع كثرة النساء اللائي زعمن أنه تزوج بهن ، فضلاً عما ذكروه كان هناك حالات طلاق كثيرة ، لأنه إذا كان هذا صحيحاً فانه لم يثبت أنه طلق زوجته جعدة بنت الأشعث.

ثم إن من ابتلى بالحكام المستبدين والظالمين ومن يرى كيف تنسب الاتهامات والافتراءات إلى خصومهم ويرى أسلوبهم في الاستبداد وخلق الأكاذيب والحيل والسكر والنفاق، خاصة بين الأمويين والعباسيين، يعلم صحة ما قلناه ، ولا يقل عن ذلك من الممكن أو يشتبه في أن هذه الأحاديث من موضوعاتها. مثال: اتهم أبو سفيان شخص النبي صلى الله عليه وآله بالجنون ، واتهم معاوية الإمام علياً عليه السلام بترك الصلاة ، كما اتهم يزيد بن معاوية الإمام الحسين عليه السلام بمخالفة دين جده صلى الله عليه وآله ونحو ذلك، وحاربوا آل بيت النبي صلى الله عليه وآله بكل طريقة حاقدة.

الخلاصة :

ان تأكيد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إمامة الإمام الحسن عليه السلام من بعده يمثّل طريقاً أيديولوجياً وامتداداً شرعياً لواقع قيادة الإمام الحسن عليه السلام بعد والده لممارستها حتى لو كان الرافضون يقفون في طريقه. كما إن المهمات الفكرية التي قام بها الإمام الحسن عليه السلام في عهد والده تدل على علمه وخبرته ووفرة علمه. فلقد أجاب عن الأسئلة التي تلقاها معاوية من الملك الروماني بعد أن لم يستطع الإجابة عنها. وعهد الإمام علي إليه بالإمامة من بعده ليتولى مقاليد الحكم وقيادة الأمة التي يريدها سبحانه وتعالى.

كما اعترف المعاصرون للإمام الحسن عليه السلام بمؤهلاته السامية وفضائله، التي دلت على وجوب بيعة الأمة له، وعلى إمامته من بعد أبيه بنص من جده عليه. إذ كان يتمتع بصفات القائد المتميز وجميع سمات السيد الراشد تنطبق عليه . فقد كان عليه السلام

على جانب كبير من الزهد والورع والتقوى، كما كان شجاعاً عرف بقوته في مواطن الصدق، يذود عن الإسلام حفاظاً على الأمة الاسلامية التي عرفته غيوراً على دينه مدافعاً عن حقوقها، حريصاً على مصلحتها.

الفصل الثاني

ملامح من عصر الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

كان من أفجع وأقسى ما مُني به الإمام الحسن عليه السلام من المحن والنكبات من قادة جيشه ، وفي طليعتهم عبيد الله بن العباس القائد العام للقوات المسلحة، فقد خانوا الله ورسوله وخانوا المسلمين فكاتبوا معاوية يظهرون له الولاء والطاعة والامتثال لأوامره ، وضمنوا له – إن شاء – اغتيال الإمام الحسن عليه السلام، أو تسليمه له أسيرا .

أما ابن عمه عبيد الله بن العباس فقد تسلم الرشوة من معاوية فانساب إليه في غلس الليل البهيم يصحب معه العار والخزي، فترك الجيش يموج بالفتن والاضطراب، ومهد الطريق لخيانة ضعاف النفوس وباعة الضمير، فخفوا سراع المعسكر الطاغية يتلقون ذهبه ورشاواه ، وأحاطت المحن التي تضيق بها الأرض بالإمام الحسن عليه السلام، فقد عمد بعض المارقين من الإسلام في جيشه إلى طعنه في فخذه وهو ماثل في صلاته لله تعالى ، ورضخ الإمام الحسن عليه السلام **أمام هذه المحن الشاقة للصبر فرأى أنه أمام أمرين لا ثالث لهما، وهما :**

الأمر الأول: أن يقاتل معاوية بجيشه المنهزم الذي لا أمل له في الفتح والنصر ، ويغامر بذلك بنفسه وبالهاشميين وشيعتهم، ويضحي بهذه الكوكبة المدافعة عن الدين والهادية إلى صراط الله المستقيم ، كما أن من المؤكد أن الإمام عليه السلام لو حُمل أسيراً إلى معاوية فإنه سيمن عليه ويجعله طليقاً، وبذلك يمحو معاوية عن نفسه وأسرته وصمة الطلقاء التي أطلقها النبي صلى الله عليه وآله عليهم يوم فتح مكة ، وبذلك تنتصر الأموية انتصاراً ساحقاً، ولا تكون التضحية الإمام الحسن صلى الله عليه وآله أمام الرأي العام إلا التنديد والتفنيد . (٤٩)

الأمر الثاني: أن يصالح معاوية على ما في الصلح من قذى في العين وشجى في الحلق، ويترك معاوية وطغيانه، ويكشف سريرته وخبثه إلى المجتمع الإسلامي، وتعريته عن الإسلام، ويخلع عنه لباسه الصفيق ، ويكشف للناس رياءه وخبثه ومكره، وفعلا فقد

تحقق ذلك بصورة واضحة لا غموض ولا ابهام فيها ، فقد قام بعد الصلح خطيباً وخاطب العراقيين قائلاً: « يا أهل العراق ، إني والله لم أقاتلكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتزكوا ولا لتحجوا وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم ، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون ، ألا وإن كل شيء أعطيته للحسن بن علي جعلته تحت قدمي هاتين. (٥٠)

أرأيتم هذا الخبيث الأموي الذي كشف عن جاهليته وتجرده من جميع القيم والأعراف؟ ولو لم يكن لصلح الإمام الحسن عليه السلام من فائدة إلا هذه الفائدة الكبرى التي دللت على جاهلية معاوية ولؤم عنصره وخبث ذاته ، وأنه لم تخفق في نفسه روح الإسلام ولا هديه، وأنه شبيه أبيه أبي سفيان العدو الأول للرسول، وشبيه أمه هند التي لاكت كبد سيد الشهداء حمزة ومثلت به أفظع تمثيل وأقساه ، وقد ورث منهما العداء للإسلام ، والبغض العارم لرسول الله صلى الله عليه وآله.

وعلى أية حال ، فقد اختار الإمام الحسن عليه السلام الصلح وكان هو المتعين عليه شرعاً، ولولاه لعانت الأمة من الخطوب والأزمات ما لا يعلم بها إلا الله تعالى .

وشرط الإمام الحسن عليه السلام على معاوية في عقد الصلح شروطاً جردته عن السلطة الشرعية ، كان منها ألا يسميه أمير المؤمنين، ومعنى ذلك أنه ليس بحاكم شرعي وليس أميراً للمؤمنين، وإنما هو حاكم ظلم وجور ، كما شرط عليه ألا يعدو الكتاب والسنة في شيء من سياسته وسيرته، ولو كان موثوق الجانب مطمئناً في إسلامه لما شرط عليه ذلك، وشرط عليه شروطاً أخرى تتنافى مع مركزه .

ولم يفِ معاوية بشيء من الشروط ، فقد نقضها وخاس بها، ومهما يكن الأمر فقد تفجرت سياسة معاوية بعد الصلح بكل ما خالف كتاب الله تعالى وسنة نبيه ، فقتل الأبرياء والمصلحين أمثال الصحابي الجليل حجر بن عدي، وعمرو بن الحمق الخزاعي ، وهتك أعراض المسلمين ، وحبس النساء ، وسلب الأموال ، وأحاط جهاز دولته بالمفسدين أمثال ابن العاص وابن شعبة وابن أرطاة وابن الحكم وابن مرجانة وابن سمية الذي نفاه من أبيه الشرعي عبيد الرومي، وألحقه بأبيه الفاجر أبي سفيان ، فسلطه على شيعة العراق يسومهم سوء العذاب يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم ويحرق بيوتهم ويصادر أموالهم.

وكان من موبقاته وجرائمه اغتياله لسبط رسول الله ﷺ الإمام الحسن عليه السلام، فقد دس إليه السم على يد زوجته جعدة بنت الأشعث بعد أن أغراها بالزواج بولده يزيد .

وختم معاوية جرائمه بفرض ابنه الفظيع خليفة على المسلمين، وإحداث الفوضى في دينهم وشؤونهم الدنيوية، ولم يترك معصية إلا ارتكبها، ومنها يوم الطف و يوم مكة. ويوم الأحرار وغيرها من الجرائم التي حولت حياة المسلمين إلى جحيم لا يطاق.

كان الإمام الحسن عليه السلام على معرفة بالخطط التي وضعها معاوية والمتربصون بالإسلام وأهل البيت عليهم السلام لاستعادة الجاهلية مرة أخرى بمظهر إسلامي.

كان لمعاوية جيش مطيع قادر على كسب قلوب الانتهازيين والنفعيين القاطنين في الكوفة ، فضلاً عن وجود عدد من الموالين لمعاوية فيها. لذلك كان تخطيطه منسجمًا مع الظروف والأحداث المستقبلية ، حيث وضع لكل موقف موقفًا مناظرًا يتوافق مع الظروف والمصلحة الإسلامية العظيمة ، ومصلحة المجتمع الصالح على وجه الخصوص.

ولما بايعه قيس بن سعد الأنصاري قال له: بسط يدك فبايعك كتاب الله وسنة نبيه ومحاربة الظالمين. فأجاب: في كتاب الله وسنة رسوله ، فإنهم مستوفون لكل شرط. فبايعه الناس ، ولم يشترط عليهم أن يقولوا: (إنكم مطيعون تسالمون من سالمت، وتحاربون من حاربت)[٥١]

أصر معاوية على تمرده على الإمام والخليفة الشرعي ، وأرسل جواسيس إلى الكوفة والبصرة لنشر البلبلة والاضطراب بين الناس وإفساد الوضع داخل دولة الإمام u، فألقي القبض عليهم وقتلهم، وكتب إلى معاوية: أما بعد فإنك دسست الرجال للاحتيال والاغتيال، وأرصدت العيون كأنك تحب اللقاء، وما أوشك ذلك! فتوقعه إن شاء الله. [٥٢]

تحركات معاوية العسكرية نحو العراق:

تبادل الإمام الحسن عليه السلام الرسائل مع معاوية ليقدم حجة ضده لحقن دماء المسلمين ، لكن معاوية ذهب بعيدا في تمرده وتمرده ، وتضمن كتاب معاوية الأخير تهديده للإمام عليه السلام، قائلا: (... فاحذر أن تكون منيتك على يد رعاع الناس... وإن أنت أعرضت عما أنت فيه، وبايعتني وفيت لك بما وعدت).

فأجابه الإمام عليه السلام: أما بعد، وصل إلي كتابك تذكر فيه ما ذكرت، فتركت جوابك خشية البغي عليك، وبالله أعوذ من ذلك، فاتبع الحق تعلم أني من أهله، وعلي إثم أن أقول، فأكذب والسلام.

فلما وصل كتاب الإمام عليه السلام قرأه، ثم كتب إلى عماله على النواحي يأمرهم بالتهيؤ لقتال الإمام ، فاجتمعت العساكر لديه، وسار قاصداً العراق، فلما انتهى إلى جسر (منبج) وهو بلد قديم يبعد عن حلب مسافة يومين - أقام فيه، بعد أن اجتمع لديه ستون ألفاً وقيل أكثر. (٥٣)

موقف الإمام الحسن عليه السلام لرد معاوية:

ونهض الإمام الحسن عليه السلام بالناس إلى الجهاد ، فبعث حجر بن عدي يأمر العمال والناس بالتهيؤ للمسير، وقام بالناس خطيباً: أما بعد: فإن الله كتب الجهاد على خلقه وسماه كرهاً، ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين: اصبروا إن الله مع الصابرين، فلستم أيها الناس نائلين ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون.

إنه بلغني أن معاوية بلغه أنا كنا أزمعنا المسير إليه؛ فتحرك لذلك، فاخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنخيلة. (٥٤)

فسكتوا ولم يجيبوه فقام عدي بن حاتم الطائي وبعده قيس بن سعد بن عبادة ومعقل بن قيس الرياحي وزياد بن صعصعة التيمي فانتهروا على الناس ولاموهم على صمتهم ويحرضونهم على الجهاد. فتهيأ الناس للخروج معه، فتحرك حتى نزل دير عبد الرحمن ثم دعا عبيدالله بن العباس وبعثه مع اثني عشر ألفا من فرسان أهل الكوفة، وأمره أن لا يقاتل معاوية حتى يقاتله.

فسار عبيد الله حتى أتى مسكن، وتحرك الإمام الحسن عليه السلام حتى دخل دير كعب، ثم نزل ساباط*، فلما أصبح خطب بالناس، ومما جاء في خطابه: إني لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنه وأنا أنصح خلقه لخلقه، وما أصبحت حاملاً على مسلم ضغينة، ولا مريداً له بسوء ولا غائلة، ألا وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة، ألا وإني ناظر لكم خير من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمري، ولا تردوا علي رأيي، غفر الله لي ولكم، وأرشدني وإياكم لما فيه محبته ورضاه إن شاء الله.

ثـم نـزل، فنظـر النـاس بعضهـم إلى بعـض، وقالـوا: نظنـه يريـد أن يصالـح معاويـة، كفـر والله الرجـل! ثـم شـدوا عـلى فسـطاطه فانتهبـوه، وقـام إليـه رجـل مـن بنـي أسـد فطعنـه بمعـول، فحمـل إلى المدائـن. (٥٥)

كثّـف معاويـة مؤامراتـه الإعلاميـة، ونـادى قائـد جيشـه: يـا أهـل العـراق! ويحكـما هـذا أميركـم عندنـا قـد بايـع، وإمامكـم الحسـن قـد صالـح، فعـلام تقتلـون أنفسـكم؟

وكتـب معاويـة إلى قيـس يدعـوه ويمنيـه، فكتـب إليـه قيـس: لا والله لا تلقـاني أبـداً إلا بينـي وبينـك الرمـح(٥٦).

واسـتمر معاويـة في دسائسـه ، فقـد دس إلى أربعـة مـن كبـار الشـخصيات دسيسـاً أفـرد كل واحـد منهـم قائـلاً: إنـك إن قتلـت الحسـن بـن عـلي، فلـك مائتـا ألـف درهـم، وجنـد مـن أجنـاد الشـام، وبنـت مـن بنـاتي، فبلـغ الإمـام عليه السلام ذلـك فـكان يخـرج لابسـاً درعـه. (٥٧)

أسباب اختيار عبيد الله بن عباس قائداً لجيش الإمام الحسن عليه السلام :

١- ان جيـش معاويـة عندمـا تسـلل إلى اليمـن، في أيـام خلافـة الإمـام عـلي عليه السلام وولايـة عبيـد الله عليهـا، بقيـادة بـسر بـن ارطـأة الـذي قتـل طفلـين لعبيـد الله فـكان هـذا القائـد صاحـب ثـأر شـخصي مـن معاويـة.

٢- وكان عبيـد الله أول مـن دعـا إلى البيعـة للحسـن يـوم وفـاة والـده ، وأول مبـادرة للبيعـة في ذلـك الوقـت ، وكان متحمسـاً جـداً لهـذه البيعـة.

٣- ونظـراً لوجـود عـدد مـن الرؤسـاء والوجـوه الكوفيـة في جيـش الحسـن عليه السلام، لم يرغـب الحسـن عليه السلام في إثـارة الحساسـيات بـين هـؤلاء الزعـماء إذا اختـار أحدهـم عـلى وجـه الخصـوص للقيـادة، وكان اختيـار ابـن عـم الخليفـة في خـارج اطـار اثـارة الحساسـيات.

خذلان قائد جيش الإمام الحسن عليه السلام

اسـتعد معاويـة ومستشـاريه لعـرض فكـرة المصالحـة بـين الجانبـين، ومهمـة الجهـاز التخريبـي الـذي اخـترق جيـش الإمـام الحسـن عليه السلام التـذرع بهـذه الفكـرة وإعـداد النـاس لقبولهـا بـل لفرضهـا عـلى الحسـن عليه السلام إذا مـا رفضهـا تمامـاً، كـما فعـل معاويـة عندمـا فرضهـا عـلى الإمـام عـلي عليه السلام مـن قبـل احـد عنـاصر جيشـه.

لهذا السبب كان على عناصر الأمويين الذين تسللوا إلى الجيش الحسني أن ينشروا فكرة السلام ويهمسون باستمرار أن الإمام الحسن عليه السلام يكتب لمعاوية من أجل السلام ، وبقي عبيد الله بن العباس ، حائراً من الاضطراب العاصف من جهة، وضعف المعنويات من جهة أخرى، وخلال ساعات ارتباكه تلقى سرًا رسالة من معاوية يطلب منه ترك القيادة والانضمام إليه مقابل ألف ألف درهم. (٥٨)

يعطي النصف نقداً والنصف الآخر إذا دخل معاوية الكوفة ، وسلم ابن عباس لنوازع نفسه الإمارة بالشر، متناسياً في تلك اللحظات انتقامه لابنيه عند معاوية وبيعة إمامه، لكنه نسي حتى التعصب القبلي الذي يربطه بالخليفة الشرعي وسرعان ما ركب حصانه وساقه إلى معسكر معاوية ليعلن الهزيمة ويأخذ من الثمن ما تم الاتفاق عليه. (٥٩) وانتظروه أن يخرج ليصلي بهم لكنهم فتشوا عنه ولم يجدوه ، فصلى معهم قيس بن سعد بن عبادة.

وعندما انتشرت في الجيش المصدوم الاشاعات ومزقتها الانقسامات فر القائد إلى معسكر العدو، ثم هرع العديد من الجنود للفرار مثل قائدهم يقدر بعض المؤرخين عدد الأشخاص الذين فروا بثمانية آلاف. (٦٠)

هذه الخطة التي تبناها معاوية كانت من الأسباب الرئيسية التي مهدت الطريق لنجاحه وانتصاره في الموقف.

أسباب خذلان جيش الإمام الحسن عليه السلام

١-عدم الاخلاص في القتال.

٢-ضعف القدرة على الثبات والصمود الى اخر المعركة.

٣-عدم الانصياع للقيادة الجيدة والخضوع لمعاوية.

٤-الاستعداد الفعلي للغدر والخيانة.

٥-تأثره بالإشاعات والحرب النفسية التي ينشرها معاوية.

الفصل الثالث

استشهاد الإمام الحسن بن علي عليه السلام

مكائد معاوية:

أيقن معاوية أن بقاء الإمام عليه السلام حياً يشكل تهديداً واضحاً لنظامه القائم على أساس الخداع والتضليل وتزوير الحقائق وشراء الضمائر، وإشاعة الإرهاب، وقد منعته الهيبة من الإمام من ممارسة كثير من الانحرافات المخالفة للكتاب والسنة والمنهج الإسلامي الثابت، وبقيت تراوده الهواجس من وقوف الإمام بوجه مؤامراته التي كان منها ترشيح يزيد للخلافة، فنفذ أول غدر له، حين نسق مع زوجة الإمام (جعدة بنت الأشعث) لدس السم إليه.

وبالفعل نفذت جعدة المؤامرة وسمت الإمام عليه السلام(٦١)، فاستشهد الإمام عليه السلام مسموماً، وحينما وصل الخبر إلى معاوية كبر في جمع من أهل الشام، وقال: والله ما كبرت شماتة بموته، ولكن استراح قلبي وصفت لي الخلافة. (٦٢)

ثم استمر معاوية بنقضه للعهود بعد استشهاده حتى قيل: إن أول ذلّ دخل على العرب موت الحسن بن علي. (٦٣)

وكان معاوية يخطط لبيعة يزيد إلا أنه لم يكشف عنها إلا بعد استشهاد الإمام عليه السلام(٦٤)، ولما استشهد الإمام عليه السلام لعن معاوية أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر وكتب إلى عماله أن يلعنوه ففعلوا (٦٥)

وازداد البلاء بعد استشهاده، فلم يبق أحد من أتباعه إلا وهو خائف على دمه، أو طريد في الأرض(٦٦)، حيث أصدر معاوية أوامره ببراءة الذمة ممن يذكر أهل البيت بخير، وملاحقة أتباعهم بقطع أرزاقهم وهدم منازلهم(٦٧) وأصدر أوامره بقتل من اتهم بحب علي عليه السلام وإن لم تقم عليه بينة(٦٨)، فقتل حجر بن عدي وعمرو بن الحمق وخيرة صحابة رسول الله وأمير المؤمنين (سلام الله عليهم اجمعين).

وصايا الإمام عليه السلام

دخل عليه الصحابي الجليل جنادة بن أبي أمية، وقال له: عظني يا ابن رسول الله، فأجابه - وهو في أشد الأحوال - وأوصاه قائلاً: استعد لسفرك واعلم أنك تطلب الدنيا والموت يطلبك... واعلم أن الدنيا في حلالها حساب وفي حرامها عقاب، وفي الشبهات عتاب... واعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً...). (٦٩)

وأوصى أخاه الإمام الحسين بوصايا عديدة تتعلق بالشؤون العامة، وبشؤونه الخاصة، وأن يدفن مع رسول الله عليه فإنْ رفض الحكام ذلك دفن في البقيع، وأوصاه أن لا تراق محجمة دم من أجله. (٧٠)

وأوصى أخاه محمد بن الحنفية قائلاً: (... كونوا أوعية العلم ومصابيح الدجى... علم الله أنكم خير خلقه فاصطفى منكم محمداً واختار محمد علياً، واختارني علي للإمامة، واخترت أنا الحسين) فأجابه محمد بالطاعة والتسليم. (٧١)

اللحظات الاخيرة للامام عليه السلام:

أصبحت حال الإمام عليه السلام ثقيلة ، واشتد الألم فيه ، وبدأ يعاني من آلام الموت، فعلم أنه لم يبق سوى دقائق قليلة من حياته الغالية ، فالتفت إلى أهله قائلاً :"أخرجوني إلى صحن الدار أنظر في ملكوت السماء" .فحملوه إلى صحن الدار، فلمّا استقرّ به رفع رأسه إلى السماء وأخذ يناجي ربّه ويتضرع إليه قائلاً :" اللّهم إنّي احتسب عندك نفسي ، فإنّها أعزّ الأنفس عليّ لم أصب بمثلها ، اللّهم آنس صرعتي، وآنس في القبر وحدتي "

بدأ سيد الشهداء عليه السلام بتجهيز أخيه ، وساعده عبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن جعفر وعلي بن عبد الله بن عباس وأخويه محمد بن الحنفية وأبو الفضل العباس على ذلك، وأمر عليه السلام بنقل الجثمان إلى المسجد النبوي للصلاة عليه.

كانت جنازة الإمام ضخمة لم تشاهد في عاصمة الرسول صلى الله عليه وآله فأرسل الهاشميون إلى العوالي والقرى المحيطة بيثرب الذين علموا بوفاة الإمام ، فنزحوا جميعًا إلى يثرب للفوز بتشييع الجثمان العظيم وقد حدّث ثعلبة ابن مالك عن كثرة المشيعين فقال : " شهدت الحسن يوم مات ، ودفن في البقيع ، ولو طرحت فيه إبرة لما وقعت إلا على رأس إنسان ". وقد بلغ من ضخامة التشييع أنّ البقيع ما كان يسع أحداً من كثرة الناس.

ولم يشكَّ مروان ومن معه من بني أمية أنّهم سَيَدْفُنونَه عند رسول الله صلى الله عليه وآله فتجمّعوا لذلك ولبسوا السلاح ، فلمّا توجّه به الحسين عليه السلام إلى قبر جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله ليجدّد به عهداً، أقبلوا إليهم في جمعهم، ولحقتهم عائشة على بغل وهي تقول: ما لي ولكم تريدون أن تدخلوا بيتي من لا أحب، وجعل مروان يقول : يا رُبَّ هيجا هي خير مِن دَعَة، أَيُدْفَنُ

عثمانُ في أقصى المدينة ويدفن الحسن مع النبيّ؟! لا يكون ذلك أبداً وأنا أحمل السيف. وكادت الفتنة أن تقع بين بني هاشم وبني أمية فبادر ابن عباس إلى مروان فقال له : ارجع يا مروان من حيث جئت فإنّا ما نريد دفن صاحبنا عند رسول الله ﷺ لكنّا نريد أن نجدّد به عهداً بزيارته ثم نردّه إلى جدّته فاطمة بنت أسد فندفنه عندها بوصيته بذلك، ولو كان أوصى بدفنه مع النبي ﷺ لعلمت أنّك أقصر باعاً من ردّنا عن ذلك ، لكنّه عليه السلام كان أعلم بالله وبرسوله وبحرمة قبره من أن يطرق عليه هدماً ، كما طرق ذلك غيره ودخل بيته بغير إذنه.ثم أقبل على عائشة وقال لها: وا سوأتاه! يوماً على بغل ويوماً على جمل، تريدين أن تطفِئي نور الله وتقاتلي أولياء الله، ارجعي فقد كُفيت الذي تخافين وبلغت ما تحبين والله منتصر لأهل البيت ولو بعد حين .

وقال الحسين عليه السلام: "والله لو لا عهد الحسن بحقن الدماء وأن لا أُهريق في أمره محجمة دم لعلمتم كيف تأخذ سيوف الله منكم مأخذها وقد نقضتم العهد بيننا وبينكم وأبطلتم ما اشترطنا عليكم لأنفسنا".ومضوا بالحسن فدفنوه بالبقيع عند جدّته فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف .ووقف الإمام الحسين عليه السلام على حافة القبر ، وأخذ يؤبّن أخاه قائلاً: " رحمك الله يا أبا محمد، إن كنت لتباصر الحقّ مظانّه ، وتؤثر الله عند التداحض في مواطن التقية بحسن الروية، وتستشف جليل معاظم الدنيا بعين لها حاقرة ، وتفيض عليها يداً طاهرة الأطراف، نقية الأسرة ، وتردع بادرة غرب أعدائك بأيسر المؤونة عليك، ولا غرو فأنت ابن سلالة النبوّة ورضيع لبان الحكمة ، فإلى رَوْح ورَيْحان، وجنّة ونعيم ، أعظم الله لنا ولكم الأجر عليه ، ووهب لنا ولكم حسن الأسى عنه " (٧٢)

وفي الختام نذكر فضيلة واحدة قصيرة وذات دلالة كبيرة من فضائل الإمام الحسن المجتبى عليه السلام جاءت على لسان أحد أشد أعداء الإمام عليه السلام.

فقد جاء في تاريخ هذا الإمام العظيم: أنه بعد شهادته عليه السلام حضر جنازته مروان بن الحكم وكان من ألد أعدائه وأعداء أهل البيت عليهم السلام فقد حضر مروان الجنازة وأخذ يحملها على كتفه! فكان مدعاة لتعجب وحيرة المشيعين، حتى قال له سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام : «أنت الذي جرعته الغصص في حياته والآن جئت لتحمل جنازته على كتفك».

هنا جرت الشهادة بالحق على لسان عدو الله ورسوله صلى الله عليه وآله هذا لتحكي عن عظمة وجلالة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام على طول التاريخ وإلى الأبد، وكم من المناسب واللائق بالإنسان أن يمتدحه ويثني بالحق عليه عدوه ويشهد له بذلك...

عندما سمع مروان كلام الإمام الحسين عليه السلام قال: (لقد أسأت إلى من كان صبره وتحمله يوازي الجبال!). (٧٣)

خلاصة البحث :

١- إن تضحية الحسن لا تقل عن تضحية أخيه الحسين، الحسين ضحى بجسده، بحياته، والحسن ضحى بحرمته، وبموقعه الاجتماعي العظيم، وتعرض لعدوان واضح ، كل ذلك من أجل مصالح الأمة.

٢-اعترف الإمام بأحقيته بامر الخلافة ولكن معاوية حرض على قتال الإمام بإشعال نار الفتن، واثارة الأحقاد فأراد من الإمام ان يقاتل الخوارج ورفض الإمام ذلك وبذلك افشل خطط معاوية.

٣-كان الإمام يؤكد دور التشيع لمستقبل الأمة، فهو يريد ان يعد اتباعه اعداداً فكرياً وروحياً يتناسب مع روح الاسلام.

٤-طارد معاوية انصار الإمام علي والحسن ونكل بالمؤمنين شر تنكيل وادخل في الاسلام ما ليس فيه، ومهد الطريق امام تنفيذ الحكم الاموي بالحديد والنار

٥-استثمر الإمام فرصة وعي الأمة وهو يقودها فكرياً، بنشر الاحاديث التي توجه الانظار الى امامة اهل البيت للتمييز بين منهج اهل البيت والمنهج المنحرف واتباع السياسة الاموية.

٦-استعمل معاوية الكيد والدس والخداع والتمويه على الحقائق في اجواء سادها الركود الفكري، وطغا فيه الطمع المادي، وشاع فيه الخوف والارهاب، فجاء دور الصلح الذي صالح به الإمام الحسن معاوية كاشفاً زيف السياسة الأموية.

٧-ان ما جنح الإمام إليه إبان توقيعه على وثيقة الصلح انما يمثل منعطفاً تأريخياً لمسيرة الأمة في كل زمان بوصفه منهجاً سياسياً وفكرياً وقيادياً تتعامل الامة على اساسه.

٨-كان هدفه من حركة اصلاحية تنظر من زاوية المستقبل لكي تبقى المفاهيم والقيم الاسلامية هي المهيمنة على ذهنية وافكار المسلمين.

الهوامش

١-الأحزاب : ٣٣
٢-النساء: ٥٩
٣- الحر العاملي، محمد: وسائل الشيعة (آل البيت)، ج ٢٧، ط٢، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم ،١٣٧٢ش ، ص ٣٤.
٤- البحراني، عبدالله :عوالم العوالم،ج١٦،مؤسسة الإمام المهدي عجل الله فرجه، قم، ١٤٣٠هـ ق، مطبعة انصار المهدي (عج)، ص٩٦.
٥-الطبري، محب الدين: ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، تحقيق: أكرم البوشي، ط١، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤١٥هـ، ص٢٠٩-٢١٠.
٦- ابو معاش، سعيد: ائمتنا هم عباد الرحمن: مج١، ط١، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للاستانة الرضوية المقدسة، مشهد، ١٤٣٣هـ، ص٦٥٩.
٧- ينظر: القرشي: باقر شريف: نفحات من سيرة ائمة اهل البيت عليهم السلام، تحقيق: مهدي باقر القرشي، ط٩، مؤسسة الإمام الحسن، دار الماهر، النجف الاشرف، ٢٠١٨م، ص ١٠٧.
٨- المفيد، محمد: الارشاد، ط١، دار الجوادين،٢٠١٢م،بيروت، لبنان،ص ١٧٤.
٩- تأريخ الاسلام: لجنة التاريخ المنظمة العالمية للحوزات والمدارس الاسلامية، مج٢، ط١، دار الاميرة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ٢٠١١م، ص٢٥.
١٠-البحراني ،عبدالله :عوالم العوالم، مصدر سابق، ص٣٣.
١١- ابو معاش، سعيد: ائمتنا هم عباد الرحمن، مصدر سابق، ص ٦٦٧.
١٢- الهمداني، أحمد الرحماني : الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ط١، مكتبة الصدوق، طهران، ١٤١٧هـ، ص٧١٧.
١٣- مختصر تاريخ دمشق، مج ٧، ص ٢٥.
١٤- تاريخ ابن كثير ، مج ٨ ، ص٣٧.
١٥- تحق العقول، ص١٦٦.
١٦- تأريخ الاسلام: مصدر سابق، ص٢٨.
١٧- ابو معاش، سعيد: ائمتنا هم عباد الرحمن: مصدر سابق، ص٦٦٩-٦٧٠.
١٨- رواه البحراني في تفسير البرهان، مج١، ص٣٨٤.
١٩- سورة النساء ٥٩
٢٠- الشيرازي، صادق : القبسات، ط١، مؤسسة الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله الثقافية، ١٤٣٤ هـ، العراق، كربلاء، ص ٤٨.
٢١-سورة النساء: ٨٦.
٢٢-البحراني ،عبدالله :عوالم العوالم، مصدر سابق، ١١٤.
٢٣- السيوطي، جلال الدين : تاريخ الخلفاء، (ت:٩١١ هـ)، دار ابن حزم للطباعة والنشر، ط١، بيروت – لبنان، ٢٠٠٣م، ص٧٣.
٢٤- شرح نهج البلاغة، مج ١٦، ص ٢٨.

٢٥-ربيع الابرار، ج٢، ص ٨٣٧.
٢٦- امالي الصدوق : ٢٤٤/ح١٠.
٢٧-ابو معاش، سعيد: ائمتنا هم عباد الرحمن: مصدر سابق، ص ٦٨٤.
٢٨- امالي الصدوق، ص١٠٨.
٢٩- حياة الإمام الحسن ، مج١، ص ٣٢٧.
٣٠-بحار الانوار، ج ١٠، ص ٩٣.
٣١- الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٣، ص ٢٥٣.
٣٢-الزركلي. الاعلام، ج٢، ص ١٩٩.
٣٣-المجلسي،. بحار الانوار، ج٤٣، ص ٣٥٨.
٣٤-المزي، تهذيب الكمال، ج٦، ص ٢٢٠-٢٢١.
٣٥- المصدر السابق، ج٦، ص ٢١١.
٣٦- تأريخ الاسلام: مصدر سابق، ص ٨٦.
٣٧-الفصول المهمة، ص١٥٥.
٣٨- تحف العقول، ص١٦٦.
٣٩- مختصر تأريخ دمشق ،ج٧، ص ٥.
٤٠-الشاكري، حسين: من سير العظماء ،ط١، ج٦، مطبعة السرور، قم المقدسة، ٢٠٠١م، ص ١٠٢.
٤١-عطار، عزيز الله: مسند الإمام المجتبى،ط١، ٢٤٧-٢٤٨.
٤٢-مناقب ابن شهر أشوب، مج٣، ص١٦٨.
٤٣-لجنة تأليف، اعلام الهداية (الإمام الحسن المجتبى)، مطبعة ليلى، ط١، مج١، قم المقدسة، ص٤٩٢
٤٤-المصدر السابق، مج١، ص ٤٩٢-٤٩٣.
٤٥-المصدر السابق
٤٦-الأميني: الغدير ج١٠و١١.
٤٧-أصل القصة على هذا النحو: دخل شخص من أهل الكوفة ذات يوم إلى دمشق - عاصمة معاوية - بجماله. رآه أحد أهل دمشق وتعرف عليه غريب. فاستولى على البعير وادعى ملكيته. ولما كانت الحادثة بعد حادثة صفين ، ادعى الشامي أن هذا الكوفي سرق منه هذه الناقة في حرب صفرين ، واشتد الخلاف بينهما ، ورفع أمرهما إلى معاوية ، وأحضر الشامي خمسين شهود عيان من أهل دمشق أن هذا الجمل ملك له ، ولهذا قضى معاوية الشامي وأعطاه البعير. فقال الكوفي لمعاوية: جميع هؤلاء الشهود يكذبون لأن هذا البعير جمل وليس بناقة، فقال معاوية: حكمت ، وحكمي لا ينقض. وبعد خروج أهل الشام أخذ الكوفي إلى بيته ودفع له قيمة الإبل. ثم قال: أبلغ علي بن أبي طالب إني أقاتله بأكثر من مائة ألف ولا يميزون بين البعير والإبل (مروج الذهب: ج ٣ ص ٣١).
٤٨-القرشي: باقر شريف: نفحات من سيرة ائمة اهل البيت (عليهم السلام)، مصدر سابق، ص ١٢٠.
٤٩-القرشي، باقر: نفحات من سيرة ائمة اهل البيت (عليهم السلام)، ص ١٢٢.

٥٠- مقاتل الطالبين، ص ٤٥.
٥١- الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٤٠٢.
٥٢- مقاتل الطالبين، ص ٥٩- ٦٠.

* منبج، هي مدينة قديمة تقع إلى الغرب من نهر الفرات في منطقة منبج، محافظة حلب، سوريا. وهي واحدة من أقدم المدن السورية، ويتبعها ثلاث نواح، هي؛ أبو قلقل والخفسة ومسكنة، منبج مدينة عريقة ازدهرت، واندثرت، ثم نهضت في العهد الحثي، ونمت في زمن الآراميين، ويرجع تاريخ تأسيسها إلى الألف الثاني قبل الميلاد، ووصل أوج تألقها في ظل معبدها القديم، ولا تزال آثاره مبعثرة في الحديقة العامة حتى اليوم، حيث كانت قبلة حج للناس آنذاك، وموطن الإلهة أتاركاتيس ،وكانت المدينة تسمى آنذاك هيرابوليس أي المدينة المقدسة. :https: / /www.marefa.org/ منبج/ simplified

٥٣- تأريخ الاسلام، ص ٣٦.
٥٤-أعيان الشيعة، ج٤، ص١٩.

*ساباط اسم منطقة يرد ذكرها بالتراث العربي والإسلامي، وتضع المصادر منطقة مظلم ساباط في ما يسمى عراق العرب، أي كل ماهو من دولة العراق الحاليّة. ترتبط المنطقة تاريخياً بالصحابي هاشم بن عتبة بفترة فتح بلاد فارس بما سمي يوم «مظلم ساباط» وكذلك هي، في التراث الإسلامي، مكمن الجراح بن سنان الاسدي للحسن بن علي بن أبي طالب وهي الحادثة التي عرفت باسم طعنة ساباط. وساباط لغة تعني: سقيفة بين حائطين، تحتها ممر نافذو ساباط بلدة من ارض العراق، قرب المدائن.. وجاء في تاج العروس: إن ساباط، بلدة في المدائن لكسرى ابرويز. ويذكر أن النعمان بن المنذر قد حبسه كسرى ابرويز في ساباط، ثم ألقاه تحت أرجل الفيلة، ولم يمنعه من الموت كيد أو حيلة.

https://ar.wikipedia.org/wiki/ مظلم_ساباط .

٥٥- شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٤١-٤٢.
٥٦- شرح نهج البلاغة، ج٦، ص ٤٣.
٥٧- علل الشرائع، ص٢٢١.

* عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، هو ابن عم النبيﷺ ، وابن العباس بن عبد المطلب، يُكْنَى أبا محمّد، أمه أم الفضل لبابة الكبرى، من أصحاب علي والحسن والحسينعليهم السلام، وكان رجلًا تاجرًا. . https://ar.wikipedia.org/wikiعبيد_الله_بن_العباس

* **بسر بن أرطاة**: كان أحد قادة جيش معاوية بن أبي سفيان وحاكماً للبصرة أيضاً لمدة وجيزة. شهد فتح الشام وأفريقيا. كان عثماني الهوى، ومناصراً لمعاوية منذ أن تولى أمير المؤمنين عليه السلام الخلافة، وقد تولى في صفين مهمة قيادية في قتال الإمام عليه السلام. هاجم بسر مكة والمدينة واليمن، وقام بقتل مجموعة من أتباع أمير المؤمنين عليه السلام، وسبى نساءهم، ولم يسلم من يدي بسر أحد، حتى الصغار فارتكب جريمتة بذبح ولديّ عبيد الله بن عباس. وقد بلغ عدد من قُتل على يديه ما يقارب الثلاثين ألفاً أو أكثر. انتهى الحال به بعد أن نالت منه لعنة أمير المؤمنين عليه السلام، ففقد عقله، وبات بأفعاله وتصرفاته في زمرة المجانين
https://ar.wikishia.view/net / بسر_بن_أرطاة

٥٨- تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١٩١.
٥٩- مقاتل الطالبين، ص ٦٥.
٦٠-محمد حسين ال ياسين، الإمام علي عليه السلام، ص ٧٩-٨٠.
* جُعدة بنت الاشعث، زوجة الإمام الحسن عليه السلام، وقد قامت بدس السم له فمضى شهيداً بتحريض من معاوية بن أبي سفيان، ولم تُنجب من الإمام الحسن عليه السلام ذرية. ذكرت المصادر التاريخية إنَّ أباها هو من زوجها من الإمام الحسن عليه السلام. وكان سبب سمها للإمام هو أنَّ معاوية بن أبي سفيان أعطاها مائة الف درهم، ووعدها بتزويجها من ابنه يزيد، ولكنه لم يفِ بوعده لها بعد سمها للإمام الحسن عليه السلام ولم يزوجها لابنه يزيد، فتزوجت بعد ذلك من يعقوب بن طلحة بن عبيد الله، وبعد قتله في واقعة الحرة تزوجت من العباس الولد الأكبر لعبد الله بن عباس. انجبت من يعقوب والعباس أولاداً كانوا يكنون بـ (بني مسمة الأزواج). https: / / ar.wikishia.net /view /جعدة_بنت_الأشعث
٦١-مقاتل الطالبين، ص ٨٠
٦٢- وفيات الاعيان، ج ٢، ص ٦٦
٦٣-ربيع الابرار، ج٤، ص٢٠٩
٦٤- مختصر تاريخ دمشق، ج٧، ص ٤٦.
٦٥- العقد الفريد، ج٥، ص ١١٤
٦٦- شرح نهج البلاغة، ج١١، ص ٤٦.
٦٧-شرح نهج البلاغة ج١١، ص ٤٤.
٦٨- بحار الانوار، ج٤٤، ص ١٢٦.
* حُجر بن عَدي الكندي الكوفي: من فضلاء الصحابة وزهادهم، وفد على النبي صلى الله عليه وآله. مع اخيه هانئ بن عدي وشارك في معركة القادسية، وفتح مرج عذراء بالشام، وهو من خواص أمير المؤمنين عليه السلام، قاتل معه في الجمل، وصفين، والنهروان، وكان يرأس قبيلته في كل المعارك. قتله معاوية بن أبي سفيان بعد ان عرض عليه البراءة من الإمام علي عليه السلام فأبى ذلك، فقتله ومعه أحد أبنائه، وعدد من أصحابه، وقطعوا رأسه وعلّقوه على بوابة الشام، وهو أول رأس يُعلّق على البوابات. https: / / ar.wikishia.net /view /حجر_بن_عدي
* عَمرو بن الحَمِق الخُزاعي (وفاة ٥٠ هـ)، من صحابة النبي صلى الله عليه وآله ومن أصحاب الإمام علي والإمام الحسن عليه السلام وكان في معسكر أمير المؤمنين عليه السلام في معركة الجمل وصفين ونهروان. كان عمرو من رواة الحديث من رسول الله صلى الله عليه وآله، ومما رواه حديث الغدير. قتل عمرو بن الحمق على يد عمّال معاوية سنة ٥٠ هـ، وكان أول من طيف برأسه في الإسلام. https: / / ar.wikishia.net /view /عمرو_بن_الحمق_الخزاعي
٦٩- اعيان الشيعة، ج٤، ص٨٥.
٧٠- اعيان الشيعة، ج٤، ص ٧٩.
٧١- تاريخ الاسلام ، ج٢، ص ٨٨.

* فاطمة بنت أسد، بن هاشم بن عبد مناف، أمّ أمير المؤمنين عليه السلام، وزوجة أبي طالب، ولدت قبل الهجرة بخمس وخمسين سنة تقريباً، وتوفيت في السنة الرابعة للهجرة في المدينة المنورة. كانت على ملّة إبراهيم الخليل عليه السلام، فأسلمت وكانت الحادية عشرة من بين المسلمين الأوائل، وهي أول امرأةٍ بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة بعد خديجة زوجة الرسول صلى الله عليه وآله.

https: / /ar.wikishia.net /view/ فاطمة_بنت_أسد

٧٢- موقع العتبة الحسينية المقدسة الالكتروني، مقال في ذكرى استشهاد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام- ٢٠١٣م، السابع من شهر صفر رابط الموضوع https://imamhussain.org/islamic/6471

* مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، ولد في السنة الثانية من الهجرة في مكة المكرمة وكان هو وأبوه من ألد أعداء النبي صلى الله عليه وآله، حتى قام رسول الله صلى الله عليه وآله بطردهما عن المدينة، ولكن عثمان قد أعاده بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وجعله في ندمائه، وفي سنة ٤٢ من الهجرة نصبه معاوية والياً على المدينة من قبله، وفي سنة ٦٤ من الهجرة وبعد تنازل معاوية الثاني بن يزيد عن السلطة تسلم هو زمام الحكم وبعدها قامت زوجته أم خالد بقتله عن طريق خنقه بوضع متكأ على أنفه وفمه في أثناء نومه فهلك.

٧٣- حياة الإمام الحسن عليه السلام: ج١ ص١٢.

المصادر والمراجع

*القران الكريم
*ابن عساكر، مختصر تاريخ دمشق، تح: احمد راتب حموش، دار الفكر للنشر والطباعة ،١٩٨٥م، سوريا ، دمشق
*ابو معاش، سعيد: ائمتنا هم عباد الرحمن: مج١، ط١، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للاستانة الرضوية المقدسة، مشهد، ١٤٣٣هـ.
*أبو الحديد شرح نهج البلاغة -مج٤ الناشر : دار الامير للنشر – بيروت. تأريخ الاصدار : ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
*الاصفهاني، علي بن حسين، مقاتل الطالبيين، تح: احمد صقر مؤسسة الاعلمي للمطبوعات،
*الاميني ، موسوعة الغدير- ج١٠، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م،
*-الأندلسي، أحمد بن محمد بن عبد ربه، العقد الفريد، تح: مفيد محمد، ج٥، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٣م.
*البحراني ،عبدالله :عوالم العوالم، ج١٦، مؤسسة الإمام المهدي عجل الله فرجه، قم، ١٤٣٠هـ ق، مطبعة انصار المهدي عجل الله فرجه.
*البحراني في تفسير البرهان، مج١، مؤسسة الأعلمي-بيروت ٢٠٠٦م
*تاريخ ابن كثر، بيت الأفكار الدولية، ٢٠٠٩م،
*تأريخ الاسلام: لجنة التاريخ المنظمة العالمية للحوزات والمدارس الاسلامية، مج٢، ط١، دار الاميرة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ٢٠١١م.
*الحر العاملي، محمد: وسائل الشيعة (آل البيت)، ج ٢٧، ط٢، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم ، ١٣٧٢ش.
*خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان و انباء أبناء الزمان، دار الصادر ، لبنان، تح: احسان عباس ، ١٩٧٨م.
*الزركلي، خير الدين : الأعلام ، دار العلم للملايين، ط٥، ٢٠٠٢.
*الزمخشري، محمود بن عمر ، ربيع الأبرار، تح: عبد الامير مهنا، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان،١٩٩٢.
*السيوطى، جلال الدين : تاريخ الخلفاء، (ت:٩١١ هـ)، دار ابن حزم للطباعة والنشر، ط١، بيروت – لبنان، ٢٠٠٣م.
*الشاكري، حسين: من سير العظماء ،ط١، ج٦، مطبعة السرور، قم المقدسة، ٢٠٠١م.
*شعبة الحراني، تحف العقول، ط٢، تح: علي أكبر الغفاري، ١٤٠٤هـ،
*الشيرازي، صادق : القبسات، ط١، مؤسسة الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله الثقافية، ١٤٣٤ هـ، العراق، كربلاء.
* الصدوق، علل الشرائع، ط١، دار المرتضى، بيروت – لبنان، ٢٠٠٦م.
*الصدوق، محمد بن علي ابن بابويه ،الامالي، ط١، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات،
*الطبري، محب الدين: ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، تحقيق: اكرم البوشي، ط١، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤١٥هـ.
*العاملي، محسن الأمين، أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت- لبنان، ١٩٨٣م.
*العطاردي، عزيز الله ، مسند الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، ط١ ،١٤١٥ هـ.
*القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ط١، دار البلاغة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ١٩٩٢م،
*القرشي: باقر شريف: نفحات من سيرة ائمة اهل البيت عليهم السلام، تحقيق: مهدي باقر القرشي، ط٩، مؤسسة الإمام الحسن ، دار الماهر، النجف

الاشرف، ٢٠١٨م.
*لجنة تأليف، اعلام الهداية (الإمام الحسن المجتبى)، مطبعة ليلى، ط١، مج١، قم المقدسة.
*المازندراني، محمد شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب - الجزء٣، ط٢، دار الاضواء للطباعة والنشر، بيروت- لبنان ١٩٩١م،
*المالكي، علي بن محمد بن أحمد، الفصول المهمة في معرفة الأئمة،
*المجلسي ، محمد باقر، بحار الانوار، منشورات مطبعة وزارة الارشاد الاسلامي، ١٣٦٥ هـ،ش.
*المفيد، محمد: الارشاد، ط١، دارالجوادين ، ٢٠١٢م،بيروت،لبنان.
* الهمداني، أحمد الرحماني : الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ط١، مكتبة الصدوق، طهران، ١٤١٧هـ.
*اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب، تح: عبد الامير مهنا، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات،ط١، بيروت- لبنان، ٢٠١٠م.

المناظرة بين الإمام الحسن عليه السلام ومخالفيه

أ.د. مهدي صالح سلطان

جامعة الإمام الصادق عليه السلام / كليّة الآداب

ملخص البحث

مناظرات حجاجيّة مشهودة، بدأت بمناظرة رأس السلطة الذي كان قد هُزِمَ مشيّعًا بصيحاتِ لَعْنِ أهلِ المسجدِ ... ثمّ اشتدت لهجة الاختلاف في المناظرة الثانية بتصدّي كبار رجال السلطة للإمام، الذين ادّعوا غلبة بني أميّة على بني عبد المطلب، لكنّهم رُدّوا بالغلبة الكبرى يوم بدر، ثمّ عاد رجال السلطة ـ بعد أن خطّطوا واستعدوّا لمناظرة ثالثة ـ منطلقها الإساءة لمنهج أمير المؤمنين عليه السلام، واتهامه بشتم أبي بكر وقتلِ عثمان، وكراهة خلافة الخلفاء، فبُهِتوا باستدلال الإمام بشهاداتهم لمواقفه الكبيرة في اللحظات الإسلاميّة التاريخيّة الفاصلة.

وكانت غاية رجال السلطة رفع مقام معاوية، والدفاع عن الأمويين، وتثبيت مضمون أطروحتهم التي تحاول الحطَّ من منزلة الهاشميّين، وتحميلهم ومن يتبعهم شتم الخلفاء، وكراهة خلافتهم، والامتناع عن بيعتهم؛ واتّهامهم بقتل عثمان بن عفان ... ولم تنتهِ آثار هذه الأطروحة بانتهاء خلافة معاوية أو الأمويين، بل صارت مقولة جدال ثابتة تتجدّد في كلّ زمان ومكان، وأساسًا من أسس الاختلاف والتناقض والتشويش والعداء المستعر بين المسلمين، وسببًا مباشرًا للاحتراب أو الاقتتال.

ولا بُدّ من اقتحام نصوص المضامين الخلافيّة المؤثّرة، وأن يُقرأ التراث قراءة موضوعيّة حياديّة منصفة، ويُتَخَلّصُ من أعباء التعصّب، ولا يُسَلّم لغير الحقائق العلميّة ... والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله الطيبين الطاهرين.

Abstract

The well-known debates with the head of the authority defeated by the crowd with cursing shouts of the people in the mosque. Then the tone of the difference is intensified in the second debate with the high-ranking men of authority confronting the imam, who claimed that the Umayyads prevailed over the people of Abd Al-Muttalib, but they were rejected by A great victory, on the day of Badr. Furthermore , the men of authority returned - after they had planned and prepared for a third debate , whose premise was to offend the approach of the Commander of the Faithful, and accuse them of insulting Abu Bakr, killing Othman, and hating the caliphate, so they were astonished by the inference of the imam in using them to be evidences of his great positions in the decisive historical Islamic moments.

It is necessary to delve into the texts of the influential content and for the heritage to be read objectively, impartially, equitably ,without fanaticism, and without surrender to anything but scientific facts .

المقدمة

التناظرُ: التقابلُ بين فريقين على سبيل المنازعة والمغالبة والمقارعة بالحجج، بأدلة مؤدِّية إلى نتيجة معيّنة في موضوع محدّد، (ومباحثة عقليّة تتم بين جانبين في مهاد خلافي، ومتوخّاها إظهار الصواب.. في الموضوع المطروح للمناقشة... وفرضيّة تخالف فرضيّة الخصم، يحاول دعمها بالحجج والبراهين، وإدحاض الآخر وأدلّته ..)(١)؛ وكانت الثقافة العربيّة الإسلاميّة قد طُبعت بطابع المناظرة، وحَفَلَ التراث بأخبار المحاورات والمناظرات، وشاعت خطابات: (التهافت) و(الردود) و(النقائض) و(المحاسن) و(الأضداد) و(المعارضة)؛ وقد حاولوا فيها إظهار الحقّ، ورفع الشبهة، وإرشاد المُضِلِّ من الجدال الذي يستند إلى الغلبة ومجرد الفخر والتعصب وترويج الباطل(٢)؛ وأوّل من ناظر الملاحدة وجادل بالحقّ عليّ عليه السلام، حتى قالوا: ما حاجّ عليّ عليه السلام أحدًا إلّا حجّه(٣)، وكان الدكتور نور الدين اجعيط قد درس مناظرته للخوارج وخلص إلى التطابق الكبير بين أطوار المناظرة كما حدّدها الغربيون في العصر الحالي، في قوله: (وأطوار مناظرة عليّ عليه السلام للخوارج القادمة من أعالي التاريخ، ولا نظنّ ذلك إلا حوارَ حضارات وتلاقحًا بين الثقافتين العربيّة والغربيّة)(٤). وقد وضعوا للمناظرة أربعة شروط لا بُدّ من توافرها: بوجود طرفين متناظرين، وقضيّة أو موضوع للحوار، ولا بُدّ أيضًا من نتيجة تنتهي إليها المناظرة، بإفحام المدّعي أو إلزام الخصم، استنادًا إلى قواعد وآداب(٥)، ولغة واضحة في الإرسال والاستقبال، وجمهور يستمع. وسنعتني في هذا البحث بمناظرتين من مناظرات الإمام الحسن لمخالفيه، من التي تظهرُ آفاق تفكيره، ومكانته، ومواقفه التي ربما التبست على بعض الباحثين، والمناظرةُ الأولى في (المحاسن والأضداد)، والثانية في (ردّ الاعتبار لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب).

(١)

مناظرة إظهار (المحاسن والأضداد) التي ذكرها الجاحظ استنادًا إلى هذا العنوان، وكانت فصلًا من فصول إبراهيم بن محمد البيهقي في كتابه (المحاسن والمساوي)(٦)، عنونها: (محاسن كلام الحسن عليه السلام)، وقد واجه فيها الإمام أساطين الفريق الأموي المؤلف من: عمرو بن العاص، ومروان بن الحكم، وزياد المُدَّعَى إلى أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة

؛ إذ يُروى أنّ عمرًا بن العاص قال : (يا حسن، إنّا تفاوضنا، فقلنا : إنّ رجال بني أميّة أصبر عند اللقاء، وأمضى في الوغى، وأوفى عهدًا، وأكرم خِيمًا، وأمنع لما وراء ظهورهم من بني عبد المطلب ! ثمّ تكلم مروان بن الحكم فقال : كيف لا نكون كذلك وقد قارعناكم، فغلبناكم، وحاربناكم فملكناكم، فإن شئنا عفونا، وإن شئنا بطشنا ! ثمّ تكلم زياد فقال : ما ينبغي لهم أن ينكروا الفضل لأهله ، ويجحدوا الخير في مظانّه، نحن أهل الحَملة في الحروب ؛ ولنا الفضل على سائر الناس قديمًا وحديثًا . فتكلم الحسن عليه السلام فقال : ليس من الحزم أن يصمت الرجل عند إيراد الحجة، ولكن من الإفك أن ينطق بالخنا، ويصوّر الكذب في صورة الحقّ، يا عمرُو افتخارًا بالكذب وجراءة على الإفك ؛ ما زلت أعرف مثالبك الخبيثة، أبديها مرّة بعد مرّة، أتذكرُ مصابيح الدجى، وأعلام الهدى، وفرسان الطراد وحتوف الأقران ، وأبناء الطعان، وربيع الضيفان، ومعدن العلم، ومهبط النبوة؟ وزعمتم أنكم أحمى لما وراء ظهوركم، وقد تبيّن ذلك يوم (بدر)، حين نكصت الأبطال، وتساوت الأقران، واقتحمت الليوث، واعتركت المنيّة، وقامت رحاها على قطبها، وفرّت عن نابها، وطار شَرار الحرب، فقتلنا رجالكم، ومَنّ النبيّ صلى الله عليه وآله على ذراريكم، وكنتم لعمري في هذا اليوم غير مانعين لما وراء ظهوركم من بني عبد المطلب)(٧) .

نجدُ أنّ الإمام كان قد ارتفع بالمناظرة من كونها ذاتيّة شخصيّة كيديّة نَسَبِيّة، إلى دفعها لأن تكون موضوعيّة دعويّة نبويّة، فهو **(يعرف مثالب خصمه الخبيثة) الكثيرة** لكنّه لا يريد عرضها ، ولا الغوص في تكرار ذكرها . إذ كان ردّ الإمام ذكيًّا مختصرًا يعتمد الموقعة التاريخية الفاصلة معركة بدر، **(كنتم في هذا اليوم غير مانعين لما وراء ظهوركم)** . وسياق الردّ فيما يبدو سياق تهكّميّ ساخر، أي يقول شيئًا ويُلوّح إلى ما يخالفه ، فما يقوله لا يريده بل يريد خلافه ، بصيغ تفضيل متتابعة يقلب معناها ليصطدم هذا القلب بقوله : **وقد تبيّن ذلك يوم (بدر)** ، فينتهي التهكّم، بما يجمع بين الواقع والتهكم .

فيُلحظ أنّ الإمام استهجن حجج خصومه التي تقلب الحقائق، ولم تكن به حاجة إلى ردّ أربعة مُدّعيات متهافتة منفصلة، لأنها لا تستحقّ الردّ بالنفي مثلًا، إذ كانوا على وفق ادّعائهم : **أصبر على اللقاء، وأمضى في الوغاء، وأوفى عهدًا، وأكرم خيمًا**، ليَرُدَّ المُدّعى

٣٤٣

الخامس الذي هو : (**أمنع لما وراء ظهورهم**) ، بإظهار التناقض، بين القول والفعل، استنادًا إلى واقعة فاصلة يعرفونها ولا يمكن أن يجادلوا فيها، والربط بها ، إذ إنّها كانت معركة تثبيت الإسلام وهزيمة الخصوم ، التي كانت قد انتهت ما وصفه بقوله : (**قتلنا رجالكم، ومنّ النبيّ ﷺ على ذراريكم**) ؛ وقد استعان بالمعنى الروحي الكبير الذي تحمله هذه المعركة ، وكذلك بعبارات لغويّة مناسبة ، إذ استعمل (زعمتم أنكم) ، والزعم أصله الكَذِب ، قال تعالى : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ﴾ (سورة التغابن ٧) ، وقوله تعالى : ﴿ فَقَالُوا هَٰذَا لله بِزَعْمِهِمْ ﴾ ـ سورة الأنعام ١٣٦) أي بقولهم الكذب)[٨] .

ويُلحظ أيضًا أنّ هؤلاء الخصوم يستندون إلى قوّة السلطة، في الترويج لتفوّقها وعلوّ مكانتها الدنيويّة، وإلى المغالطات التهديديّة[٩] المحرجة لموقف الإمام، محاولين انتزاع فضائل الخصم وادّعائها للسلطان بحضوره وفي مجلسه، وأمام مريديه، والاجتهاد في ترسيخ وجود سلطته في أذهان المتلقّين؛ ومحاولة تأسيس خطاب يسيطر على فهمهم ووعيهم، بإثبات أحقّيّة من ينتصرون له ، والدفاع عن شرعيّته ، في واقع جديد وحكومة يراد لها أن تمتلك الكمال والمطلق .

أمّا الإمام فقد استدرك بأن لا (**يصوّر الكذب في صورة الحقّ**)، إذ من أساسيّات الحوار والتناظر أن يُلتزمَ الصدقُ والحقّ، أمّا قلب الحقائق وإخراج الباطل مخرج الحق، فهذا من الإفك ، فالذين يُزيّنون الباطل، ويقلبون الحقائق أفادوا من إمكاناتهم الفرديّة، ومما هُيّئ لهم من أجواء تساعدهم على الغلبة والتفوّق . وفي المقابل يعيدُ الإمام ذكر الفضائل المعلومة عند المخاطب: (أتذكرُ مصابيحَ الدجى، وأعلامَ الهدى، وفرسانَ الطراد، وحتوفَ الأقران، وأبناءَ الطعان، وربيعَ الضيفان، ومعدنَ العلم، ومهبطَ النبوة ؟)؛ سيل متتابع من الفضائل والمحاسن والمفاخر، وقد حذف ما يتمّم هذا التتابع لأنّه معلوم، و(أتذكر) ولم يقل أتنسى لأنّه أبلغ وأدلّ. أي أتذكر الموصوفون بهذه الأوصاف العظيمة، فكيف توازن غيرهم بهم؟! إذ (لا يُقاس بآل محمد ﷺ من هذه الأمّة أحد... هم أساس الدين، وعماد اليقين)[١٠]. (ورُوي مسندًا إلى رسول الله ﷺ أنّه قال نحن أهل البيت لا يقابل بنا أحد من عادانا فقد عادى الله ومن والانا وائتم بنا وقبل مِنّا ما أوحى الله تبارك وتعالى إلينا وعلمنا الله إياه وأطاع الله فينا فقد والى الله ونحن خير البرية وولدنا منا)[١١] .

(٢)

مناظرة ردّ الاعتبار لأمير المؤمنين عليه السلام، التي توصفُ بأنّها (أكثر المناظرات في الإسلام ضجيجًا وتحدّيًا وصراحة)، في قول المناظرين: (لنسبَّه ونسبَّ أباه، ونعيِّره ونوبِّخه ونخبره أنّ أباه قتل عثمان ونقرّره بذلك، ولا يستطيع أن يُغيّر علينا شيئاً من ذلك)[١٢]، لكن المتتبع يجد تظاهر رأس السلطة بعدم الرضى عن دعوة الإمام، أو التردّد في دعوته، أو منحه الحريّة في الردّ، ليُضفي هذا التظاهر شيئًا من ادّعاء الشرعيّة والإنصاف والموضوعيّة. وكأنّ المناظرة من دون رغبته، ولا في مصلحة تثبيت سلطانه، وقد حَذّرَ الذين استعدّوا للمناظرة من إمكانات من سيناظرون، ووجّههم بالتركيز على هدف محدّد: **(إن أباك قتل عثمان، وكره خلافة الخلفاء من قبله)**؛ ومن إتمام ما سَعَوا إلى إظهاره، إظهار احترام مَقْدَمِ الإمام الحسن لكسب ودِّ جمهور الحضور من غير المناظرين.

(فلما دخل على معاوية أعظمه وأكرمه وأجلسه إلى جانبه). وكان نداء الإمام بكنيته على غير عادة السلاطين: (يا أبا محمد: إن هؤلاء بعثوا إليك وعصوني!). (يا هذا: إنّي كرهت أن أدعوك، ولكن هؤلاء حملوني على ذلك مع كراهتي له، وإنّ لك منهم النِّصف ومنّي، وإنّ ما دعوناك لنقرّرك أنّ عثمانَ قُتِل مظلومًا وإن أباك قتله! فاستمع منهم ثم أجبهم، ولا تمنَعك وحدتك واجتماعهم أن تتكلم بكلّ لسانك!).

(تكلم عمرو بن العاص، فحمد الله وصلى على رسوله ثم ذكر عليًّا عليه السلام فلم يترك شيئًا يعيبه به إلّا قاله، وقال: إنه شتم أبا بكر وكره خلافته وامتنع من بيعته، ثم بايعه مُكرهًا، وشرك في دم عمر وقتل عثمان ظلمًا، وادّعى من الخلافة ما ليس له؛ ثم ذكر الفتنة يعيّره بها، وأضاف إليه مساوئ، وقال: إنكم يا بني عبد المطلب لم يكن الله ليعطيكم الملك على قتلكم الخلفاء، واستحلالكم ما حرم الله من الدماء، وحرصكم على الملك، وإتيانكم ما لا يحل! ثم إنك يا حسن، تحدث نفسك أن الخلافة صائرة إليك، وليس عندك عقل ذلك ولا لبُّه، **كيف ترى الله سبحانه سلبك عقلك، وتركك أحمق قريش، يُسخر منك ويُهزأ بك؟ وذلك لسوء عمل أبيك. وإنما دعوناك لنسبَّك وأباك**، فأما أبوك فقد تفرد الله به وكفانا أمره، وأما أنت فإنك في أيدينا نختار فيك الخصال، ولو قتلناك ما كان علينا إثم من الله

ولا عيبٌ من الناس! فهل تستطيع أن تردّ علينا وتكذّبَنا ؟ فإن كنت ترى أنّا كذبنا في شيء فاردده علينا فيما قلنا، وإلا فاعلم أنك وأباك ظالمان . ثم تكلم الوليد بن عقبة بن أبي معيط فقال : يا بني هاشم إنكم كنتم أخوال عثمان فنعم الولد كان لكم فعرف حقكم، وكنتم أصهاره، فنعم الصهر كان لكم، يكرمكم، فكنتم أول من حسده، فقتله أبوك ظلماً لا عذر له ولا حجة ... ثم تكلم عتبة بن أبي سفيان فقال : يا حسن كان أبوك شرَّ قريش لقريش، أسفكها لدمائها، وأقطعها لأرحامها، طويل السيف واللسان، يقتل الحي ويعيب الميت، **وإنكم من قتل عثمان**، ونحن قاتلوك به، وأما رجاؤك الخلافة فلست في زندها قادحاً ولا في ميزانها راجحاً، وإنكم يا بني هاشم **قتلتم عثمان**، وإن في الحق أن نقتلك وأخاك به، فأما أبوك فقد كفانا الله أمره ... وأما أنت فوالله ما علينا لو قتلناك بعثمان إثم ولا عدوان ؛ ثم تكلم المغيرة بن شعبة، فشتم عليًّا، وقال : والله ما أعيبه، في قضية يخون، ولا في حكم يميل، ولكنّه قتل عثمان؛ ثم سكتوا ؛ فتكلم الحسن بن علي عليه السلام **فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله صلى الله عليه وآله ثم قال : أما بعد يا معاوية فما هؤلاء شتموني ولكنّك شتمتني، فُحْشًا أَلِفْتَهُ، وسوءَ رأيٍ عُرفت به وخُلُقًا سيِّئًا ثبَتَّ عليه، وبغيًا علينا عداوةً منك لمحمد وأهله ! ولكن اسمع يا معاوية واسمعوا، فلأقولن فيك وفيهم ما هو دون ما فيكم ! أنشدكم الله أيها الرهط، أتعلمون أن الذي شتمتموه منذ اليوم صلى القبلتين كليهما، وأنت يا معاوية بهما كافر تراها ضلالة، وتعبد اللات والعزى غواية ؟! وأنشدكم الله هل تعلمون أنه بايع البيعتين كليهما بيعة الفتح وبيعة الرضوان، وأنت يا معاوية بإحداهما كافر، وبالأخرى ناكث! وأنشدكم الله هل تعلمون أنه أول الناس إيماناً، وأنك يا معاوية وأباك من المؤلفة قلوبهم، تُسرِّون الكفر وتظهرون الإسلام وتُستمالون بالأموال ! وأنشدكم الله ألستم تعلمون أنه كان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر، وأنّ راية المشركين كانت مع معاوية ومع أبيه، ثم لقيكم يوم أحد ويوم الأحزاب ومعه راية رسول الله ص، ومعك ومع أبيك راية الشرك، وفي كل ذلك يفتح الله له ويفلج حجته، وينصر دعوته، ويصدق حديثه، ورسول الله صلى الله عليه وآله في تلك المواطن كلها عنه راض، وعليك وعلى أبيك ساخط ! وأنشدك الله يا معاوية أتذكرُ يوماً جاء أبوك على جمل أحمر وأنت تسوقه وأخوك عتبة هذا يقوده، فرآكم رسول**

الله صلى الله عليه وآله فقال : اللهم العن الراكب والقائد والسائق ! أتنسى يا معاوية الشعر الذي كتبته إلى أبيك لمّا هَمَّ أن يُسلمَ تنهاه عن ذلك:

يا صخرُ لا تُسْلِمَنْ يوماً فتفضحنا بعدَ الذين ببدر أصبحوا فرقا

خالي وعمي وعم الأم ثالثهم وحنظل الخير قد أهدى لنا الأرقا

لا تركنن إلى أمر تكلفنا والراقصات به في مكة الخرقا(١٣)

أمّا الردّ الابتدائي للحسن فكان في استهجان الموافقة على أصل الاستدعاء للمناظرة ، وفي هذا الردّ قوّة لحضوره، ورفع لمقامه ، وعلوّ رتبته ، بموازاة ضعف المستدعي المغلوب على أمره ، الذي بادر إلى البراءة من هذا الاستدعاء، لكنّ الإمام لم يَعفِه منه ، ثُمّ يبدأ متن الردّ : باعتماد لازمة احتجاجه تفاعليّة ، هي : (**أنشدكم الله**) كرّرها الإمام خمس مرّات، كانت الأخيرة منها : (**أنشدك الله**) وخصّ بها الرأس نفسه .

ونشد نشدة : طلب ، ونشد بالله : استحلف ، وأنشدكم الله وبالله : أستحلفكم وأسألكم، وضمّن أهل اللغة هذا التركيب معنى الاستعطاف والتذكير(١٤) وهما مطلوبان في الشهادة وقول الحق .

فبهذه اللازمة (**أنشدكم الله**) ، احتج الإمام بشهادة خصمه على نفسه ، في دحض دعواه، وهذا من أقوى الحجج، لشيوع ما استعان به من دلائل دامغة ، وتهافت القول بالتنقيص والشتم ، وقد نوّع ما بعد (أنشدكم) الاستفهام الموجّه إلى المخاطبين ، إذ بدأه بالاستفهام بالهمزة ، ثمّ الاستفهام بتكرار «هل» مرتين ، ثم عاد إلى الاستفهام بالهمزة بتكرارين مرةً أخرى .

أنشدكم الله + أتعلمون

أنشدكم الله + هل تعلمون

أنشدكم الله + هل تعلمون

وأنشدكم الله + ألستم تعلمون

وأنشدك الله يا معاوية + أتذكرُ

كان الإمام قد استشهد في المرات الأربع الأولى لإظهار مضامين تتصل بأمير المؤمنين :

(صلى القبلتين كليهما) ، **(أنه بايع البيعتين)** ، **(أنه أوّلُ الناس إيمانًا)** ، أنّه **(صاحب راية رسول الله ﷺ يوم بدر)** . أمّا الشهادة الخامسة فشهادة الخصم على نفسه شهادة مباشرة تظهر ما كان منه وهي القاصمة في هذه المناظرة . واستبدل (أتعلمون) بـ (أتذكر) ، في الشهادة الخامسة ، وكان المتوقّع أن يقول الإمام (أتعلم) بحسب تتابع تكرار (تعلمون) ، لكنّ الإمام مَيّز هذه الشهادة من غيرها من الشهادات الأربع ، والقصد منها يختلف ، إذ لهذه الشهادة مزيّة إظهار تلبس الخصم بما كان منه ، فلا حاجة بـ (أتعلم) ، لأنَّ (أتعلم) لما يحيط بالإنسان ، أمّا (أتذكر) فهي الأنسب لأنّها شهادته على نفسه ، وما كان منه ، ومرتبطة بتذكّر اللعن وعدم نسيان الأبيات، وهما المهمّان في تاريخ الخصم ، لعن رسول الله الذي كان موثّقًا بالتذكير بلحظة اللعن زمانًا وصورته مكانًا.

وقد تَرَفَّع الإمام عن أن يردّهم بمثل كلامهم ، إذ ليس الخلاف خلافًا شخصيًّا بينه وبين المتصدّين لشتمه وشتم أبيه، بل هم أدوات سلطة ؛ فطلب شهادتهم في الموازنة بين الفريقين :

١-صلى القبلتين كليهما × وأنت كافر تعبد اللات والعزى ..

٢-بايع البيعتين بيعة الفتح وبيعة الرضوان × وأنت بإحداهما كافر وبالأخرى ناكث ..

٣-أوّلُ الناس إيمانًا × إنك وأباك من المؤلفة قلوبهم تُسِرّون الكفر وتُستمالون بالأموال

٤-صاحب راية رسول الله ﷺ يوم بدر وأُحُد والأحزاب × مع المشركين هو وأبوه ..

٥-يصدّق حديث رسول الله ﷺ وعنه راض × عليك وعلى أبيك ساخط ..

٦-× رآكم رسول الله ﷺ فقال : اللهم العن الراكب والقائد والسائق ! أتنسى يا معاوية ...

(٣)

توزّع **البناء الحواري في المناظرتين** على طرفين متقابلين تقابلًا فعليًّا مباشرًا ، أحدهما مُدَّعٍ والآخر معترض ، وكُلٌّ يدافع عن قضيّته ، ويستعين بوسائله ودلائله الحواريّة التي تحاول أن تقنع الجمهور وتدحض حجج الخصم ، إذ يستند البناء الحواري في المناظرة إلى أسس تدير الحوار وتضبط قواعده ، ومنها :

أوّلاً : الخاصّيّة المباشرة للحوار: ففي ردّ الإمام ضمير المتكلم الذي يعود عليه ، بمقابل ما يعود على الفريق بمجموعه أو بمعاوية وحده، مثل : فما هؤلاء شتموني ولكنّك شتمتني ... اسمع ... واسمعوا ... أن الذي شتمتموه ... وأنت ... تعبد ... تعلمون أنه ... وأنت ... وأنشدكم ... وأنك ... تُسرِّون ... وتظهرون ... وتُستمالون ... وأنشدكم الله ألستم تعلمون ... لقيكم ... ومعك ومع أبيك راية الشرك ... وعليك وعلى أبيك ساخط ! وأنشدك الله ... أتذكرُ يوماً جاء أبوك ... وأنت تسوقه وأخوك ... أتنسى ... كتبته إلى أبيك ... تنهاه ...

فالضمائر تحيل إلى أشخاص شاركوا في المناظرات ، وعبّروا عن آراء ، ومثّلوا وجهات نظر مختلفة ، بخصوص المعروض في هاتين المناظرتين ، ويحيل كلّ طرف عبر الضمير المحيل عليه ، إلى بناء موقفه وإقناع متلقيه بسداده ، ممّا يجعل من المناظرة خطابًا حجاجيًّا ، وإنّ هذه العلاقة التخاطبيّة التي يحدّدها اختلاف الضمائر في المناظرة ، دليل على خاصيّتها الاستدلاليّة، إذ لكل طرف قصد إقناعيّ وهذا القصد يتقلّب في المناظرة بين الادّعاء والاعتراض (١٥) .

ثانيًا : أدوار الكلام :

١ ـ **انتظام التناوب بين المتداخلين** : بتكرار الفعل (قال) بوصفه الفعل الذي يعبّر عن التناوب، ويميّز أدوار الكلام، ويفصل مداخلة كلّ طرف في الحوار من مداخلة الطرف الآخر: قال عمرو بن العاص : (يا حسن، إنّا تفاوضنا، فقلنا : إنّ رجال بني أميّة أصبر عند اللقاء ... ثمّ تكلم مروان بن الحكم فقال : كيف لا نكون كذلك وقد قارعناكم ... ثمّ تكلم زياد فقال : ما ينبغي لهم أن ينكروا الفضل لأهله ...) (١٦) [بعدها ينتقل الدور في الكلام إلى :] (الحسن عليه السلام فقال : ليس من الحزم أن يصمت الرجل عند إيراد الحجة، ولكن من الإفك أن ينطق بالخنا)(١٧) .

فتكلم عمرو بن العاص ... وقال : إنه أي أمير المؤمنين عليه السلام شتم أبا بكر ...ثم تكلم الوليد بن عقبة بن أبي معيط فقال : يا بني هاشم إنكم كنتم أخوال عثمان فنعم الولد كان لكم ... ثم تكلم عتبة بن أبي سفيان فقال : ياحسن كان أبوك شرَّ قريش لقريش ... ثم تكلم المغيرة بن شعبة، فشتم علياً، وقال : والله ما أعيبه، في قضية يخون، ولا في حكم يميل، ولكنّه قتل عثمان ... **ثم سكتوا** ؛ فتكلم الحسن بن علي عليه السلام **فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله** صلى الله عليه وآله **ثم قال** : أما بعد يا معاوية فما هؤلاء شتموني ولكنّك شتمتني...

وواضح مما تقدم النشاط الحواري في هذا الجنس الحجاجي مبدأ التناوب بين التكلم والإنصات ، أي إنّ المناظر يمنح غريمه حقّ التداخل ، ويلتزم وجوب الصمت والانتظار، إذ لكلِّ مشارك حقّ الاحتفاظ بالكلام للحظة معيّنة ، ثمّ عليه واجب منح الآخر فرصة الكلام في لحظة أخرى ، وثنائيّة الإرسال والاستقبال التي تنظمها أدوار الكلام تجسيد للصفة الحجاجية للمناظرة لأنّ الأدوار تحدّد الاختلاف ، ومن هذا ما كان في المناظرة الثانية، فبعد أن انتهى فريق السلطة من عرض مضمون ما يناظر به في المناظرة الثانية ، جاءت عبارة (ثم سكتوا) ، وبهذه العبارة يثبت أنّ المتداخلينَ مشدودونَ ومعنيون بما يجري ، فعَبرَ تناوبهما تبرز مشاركتهما ومفاوضتهما [١٨] .

٢ : ضبط آليّة نهاية الحوار من حيث التوقّف أو ربما الاستمرار أو التداخل : والتوقف يكون بصمت أحد المتناظرين لعجزه عن الاستمرار، والتسليم بحجج الخصم ، أو التنصل ممّا يترتب من نتائج المناظرة ، والواضح أنّ خصم الإمام الحسن كان قد عجز عن إقامة الدليل على مُدّعاه ، وسكت عن مواجهة ما كان من ردّ مباشر على جميع دعاواه . وقد بادر الإمام - في المناظرة الثانية - إلى التداخل ولما يستكمل خصمه الكلام ، ويسمّى مثل هذا التداخل باستراتيجية الهجوم الإقناعي ، إذ يتصيّد فيه أحد المتناظرين المدخل المناسب في كلام الآخر لبسط ادّعائه أو إعلان اعتراضه تعبيرًا عن حضور بديهته وانتباهه للمفاصل الحساسة في الحوار بل ووعيه بالسياق واللحظة المناسبين لتحويل القناعات[١٩] ؛ ومثاله فيما نحن فيه قول معاوية : (إن هؤلاء بعثوا إليك وعصوني ! فقال الحسن : سبحان الله ، الدارُ دارُك والإذن فيها إليك! والله إن كنت أجبتهم إلى ما أرادوا وما في أنفسهم إني لأستحيي لك من الفحش ! وإن كانوا غلبوك على رأيك إني لأستحيي لك من الضعف ! فأيّهما تقرر وأيهما تنكر؟) . فقد انخرط الإمام في الردّ ولما ينتهِ خصمه من كلامه ، فيما سُمّيَ هذا الانخراط بانشباك الكلام [٢٠] .

أمّا الاستبداد في الكلام ، والتحكّم في تحديد مضمون الحوار وزمانه ومكانه والمشتركين فيه ، فيشكل ترجيحًا لكفّة أحد المتحاورين وتقوية موقفه ، ومثاله استعداد فريق السلطة، في الترويج لتفوّقها وعلوّ مكانتها، وإلى المغالطات التهديديّة[٢١]

بمقابل انفراد الإمام واستدعائه متى شاء هذا الفريق لمحاولة إحراجه ، ومن مظاهر الاستبداد أيضًا فتح الحوار وإغلاقه ، وهذا واضح في قولهم : (وإن ما دعوناك لنقرّرك أنّ عثمان قتل مظلومًا، وأن أباك قتله !) . فالمجموعة استبدّت بالكلام في بداية المناظرة أي فتحته [٢٢] ، وكان لها ما هيّأت من جمهور وأجواء تناسبها .

ثالثًا : توسيع الحوار في المناظرة وإغلاقه : لمّا كان لا بُدّ للمناظرة من غاية ونتيجة (تقود إلى «الإفحام» أو إلى «الإلزام» ؛ فلا بُدّ من نتيجة تنتهي إليها ؛ يقول طاش كبري زاده موضّحًا ذلك، (لا يخلو البحث عن أمرين ، إمّا أن يعجز المعلّل عن إقامة الدليل على مُدّعاه ويسكت عن المناظرة، وذلك السكوت هو الإفحام في اصطلاحهم، أو يعجز السائل عن التعرّض للمعلّل، وذلك العجز هو الإلزام على اصطلاحهم، هكذا يتجاذب القبول والرفض... الذي يقود إلى رجحان أو انتصار موقف على آخر)[٢٣] . والواضح أنّ خصم الإمام الحسن كان قد عجز عن إقامة الدليل على مُدّعاه، وسكت عن مواجهة ما كان من ردّ مباشر على جميع دعاواه . ولّما لم يُسَلِّمْ المكابرون المعاندون، لِما انتهت إليه المناظرة، فقد انقطعوا عمّا وُوجهوا به من دلائل، وعجزوا عن المواصلة في الدفاع عن دعواهم، التي لا أساس لها، وقد هُدِمت هذه الأفضليّة التي فاخروا بها، وانتهت بإفحام المُدّعي وإسكاته، لكن لا سبيل إلى إقراره، ولا إلى تسليمه، ولا إلى تراجعه، استنادًا إلى أنّ المُدّعِي المناظِر ينفّذ رغبات السلطة المُلزَمَة بالتنازل والإقرار، فيتعذّر والحالة هذه إلزام هذا الخصم الذي هو الخصم والحكم في آن معًا، لأنّ السلطة لن تفرّط بادّعاء تمثيل شرعيّة الدولة الدينيّة، ولا تكتفي بغيرها في جميع الأحوال، لكنّ سكوت مناظري الإمام الحسن هو جواب في هذه المناظرة، اعترفوا أم لم يعترفوا .

ويمكن أن نستشهد لما نحن فيه من اختتام مناظرة الإمام الحسن للفريق الأمويّ بمثلها من المناظرات المفتوحة النهاية، من التي تنتهي بسكوت أحد طرفي المناظرة، الذي يمتنع من الردّ، فيما يصطلحون عليه بمصطلح (متوالية الإغلاق) ذلك ما جاء في كتاب بلاغة الإقناع : فيذكر المؤلف عبارات لتوقّف هؤلاء المناظرين عن مواصلة المناظرة، تقابل استعمال هذا المصطلح، مناظرات تنتهي بعبارات تدلّ على الإغلاق وتناسب المقام الذي نحن فيه من هزيمة المقابل : هي عبارة : (السكوت)، أو (العجز)، أو (الإفحام)، أو (الانقطاع)، أو (البَهَتُ)، أو (افتقاد الجواب) . أو (سقوط الاستدلال)[٢٤] .

رابعًا : أفعال الكلام : الأفعال التي ترتبط بإصدار الأحكام ، أو ممارسة السلطة ، أو التعهد والسلوك ... إلخ ؛ التي تسمّى بالاستلزام الحواري ، وأمثلتها العبارات الحكميّة التي انطوت على إصدار أحكام تحطّ من مقام أمير المؤمنين وترفع من مقام بني أميّة :

المناظرة الأولى : (إنّا تفاوضنا فقلنا : إنّ رجال بني أميّة أصبر عند اللقاء ، وأمضى في الوغى ، وأوفى عهدًا ، وأكرم خِيمًا ، وأمنع لما وراء ظهورهم ...) ، وأفعال ممارسة تتعلق بمواقف : (قد قارعناكم ، فغلبناكم ، وحاربناكم فملكناكم ، فإن شئنا عفونا، وإن شئنا بطشنا ...) ؛ في مقابل أفعال عرضيّة وهي أفعال تحليل وبرهنة تردُّ ما تقدّم ، مثل : (فتكلم الحسن عليه السلام ... تبيّن ذلك [الفعل] يوم (بدر)، حين نكصت الأبطال، وتساوت الأقران، واقتحمت الليوث، واعتركت المنيّة، وقامت رحاها على قطبها، وفرّت عن نابها، وطار شَرار الحرب، فقتلنا رجالكم، ومَنّ النبيّ صلى الله عليه وآله على ذراريكم، وكنتم لعمري في هذا اليوم غير مانعين لما وراء ظهوركم من بني عبد المطلب)[٢٥].

وفي المناظرة الثانية : الأفعال التي ترتبط بإصدار الأحكام ، أو ممارسة السلطة ، وأمثلتها العبارات الحكميّة الآتية : (... **إنما دعوناك لنسبّك وأباك**... إنك في أيدينا... ولو قتلناك ما كان علينا إثم من الله ولا عيبٌ من الناس!... أنك وأباك ظالمان... كان أبوك شرَّ قريش لقريش، أسفكها لدمائها، وأقطعها لأرحامها، طويل السيف واللسان، يقتل الحي ويعيب الميت، **وإنكم من قتل عثمان** ... وأما رجاؤك الخلافة فلست في زندها قادحاً ولا في ميزانها راجحاً ...) .

أمّا الأفعال المعبرة عن مواقف أمير المؤمنين عليه السلام في لحظات تاريخية حاسمة فمعروفة: **أنشدكم الله**... أتعلمون أن الذي شتمتموه... صلى القبلتين كليهما... هل تعلمون أنه بايع البيعتين كليهما... هل تعلمون أنه أول الناس إيماناً... ألستم تعلمون أنه كان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر... **وأنشدك الله** يا معاوية .

(٤)

الاستفهام في المناظرة : (الوسيلة الأكثر استخدامًا في أيّة مواجهة إقناعيّة بين طرفين ، وأداة المطارحة الكفيلة بمساءلة اعتقادات الآخر واستجواب قناعاته)[٢٦] .

أوّلاً : السؤال في افتتاح المناظرة : منطلقَ الحوار والحجاج ، لكن ليس سؤالاً يُطلب أن يُجاب عنه ، لأنّ السائل لا يجهل الجواب ، بل هو دافع من دوافع الإثارة والمطارحة المعرفيّة الحواريّة التي ينتجها البحث في المناظرة ، وهو الوسيلة الأكثر استعمالاً في الافتتاح والمواجهة والمدافعة ، وسببًا لتتابع التفاوض والخطاب والاستدلال ، لذلك يقول ميشال ماير : (إذا لم يكن هناك سؤال لن يكون هناك سجال ، لأنه لن يكون هناك إلا جواب واحد)[٢٧] . فتبدأ المناظرة بالاستفهام عن الأطروحة الأمويّة المفترضة في هذه المناظرة ، وهي : (إنّ رجال بني أميّة أصبر عند اللقاء ، وأمضى في الوغى ، وأوفى عهدًا ، وأكرم خِيمًا، وأمنع لما وراء ظهورهم من بني عبد المطلب !) ، وكان السؤال الذي انطلقت به المناظرة في الدفاع عن هذه الفرضيّة، هو: (**كيف لا نكون كذلك وقد قارعناكم ، فغلبناكم؟**).

وقبل أن تبدأ **المناظرة الثانية** استفهم الإمام استفهامًا ينكر به مضمون اعتذار معاوية ، الذي ينحصر بين الفحش ، أو الضعف ، فكانت صياغة الاستفهام عن : (**أيّهما تقرر وأيهما تنكر؟**) .

ثانيًا : لم يكن **أثر السؤال في افتتاح المناظرة** للاستعلام أو الاستخبار - مثلما عرضنا - بل لتقرير الخصم وإلباسه لبوس مضمون السؤال وحصره فيه في محضر من شَهِد المناظرة ، استباقًا لأيّ تنصّلٍ منه ، ليكون المناظر على أساس واضح منذ البدء .

ففي الافتتاح إعداد الخصم وتهيئته واستدراجه لما يُراد إيقاعه فيه ، لأنّ مضمون المناظرة مضمون جدّيّ علميّ وفكريّ وسياسيّ ، وفيه المضمون الأبرز للدعوة للمناظرة ، فالاعتناء باختيار السؤال على درجة عالية من الأهميّة ، ووسيلة غاية في الأهميّة في إقحام الخصم في المواجهة .

ويراد من الاستفهام في بداية المناظرة الاستعراض وشحن الأجواء وتهييج المشاعر ، لتكون الأسماع في مجالس المناظرات مصيخة ، والعيون محدّقة ، والعقول حادّة ، والألباب ناقدة ، فالسؤال في بداية المناظرة قد يكون لما يشبه الاستعراض المسرحي في المبالغة في حبك العقدة[٢٨] . وواضح أثر الشدّ والجرأة في الأسئلة المفتتح بها المناظرات.

فليس السؤال لطلب الجواب ، لأنّ المحاور يعرفه مسبقًا ، لكنها أسئلة تقريرية ، ويهدف المناظر منها الإشهاد على خصمه وحصره بما يسأله به ، ووضعه في زاوية وأرضية واضحة

يريده أن يكون فيها، ويستدرجه إليها، و(إنّ استفهامات الافتتاح في المناظرة لا تبعد كثيرًا عن هذا المقصد؛ إذ يَتَبَدّى سعيها إلى تحضير الخصم واستدراجه للنزال ... فيكون السؤال وسيلة لإقحام الخصم في المواجهة)[29].

فينطوي الاستفهام في افتتاح المناظرة أيضًا على مقصدية إثارة الخلاف، ورسم المسافة منذ البداية بين المتناظرين، فالسؤال سؤال إشكاليّة التناقض والاختلاف بين المتناظرين[30]، لأن السؤال مؤشّر على ما يحتمل التناقض، وأنّ عمليّة الإقناع لا تبدأ إلاّ حينما تبرز الأسئلة؛ ومحطّ السؤال في هذه المناظرات هي قضايا خلافيّة، تتبلور بخصوصها مواقف متعارضة بين المتناظرين[31]،

ثالثًا: السؤال في طوري المواجهة والمدافعة: إنّ طبيعة الأسئلة في المناظرة مقيدة ومحصورة في أحد اتجاهين، لتقييد البحث وتحديد الموضوع، وليس خوضًا مفتوحًا، واختيار سؤال التحديد (المحصور) يؤشّر إلى أنّ الطرفين المتناظرين ليسا خاليي الذهن، بل هما على معرفة مشتركة، وهما بصدد البحث في موضوع مشترك[32]، فسؤال الإمام: هل تعلمون أنه أول الناس إيمانًا.

- ألستم تعلمون أنه كان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر.

حصر المجيب بأحد جوابين: تعلمون أو لا تعلمون، ولمّا كان الأمر عامًّا معروفًا، فتكذيبه ونكرانه أقرب إلى المحال، فأسئلة الدفاع تستند إلى طلب شهاد الخصم في الدفاع عن رأي المناظر والتسويغ له، وفي تدعيم رأيه في البحث عن شرعيّة القول، وذلك باستعمال الأفعال الدالة على التسويغ والرأي والحجج الجارية على لسان الخصم، في مثل قول الإمام:

أنشدكم الله أيها الرهط ... وأنشدكم الله هل تعلمون ... وأنشدكم الله ألستم تعلمون ...

أتذكرُ يوماً جاء أبوك على جمل أحمر ... أتنسى يا معاوية الشعر الذي كتبته إلى أبيك ...

إنّ تلازم السؤال مع فعل الرأي، يكشف أنّه استفهام «موقفي» يتعلق بإثبات موقف وإعلان ادّعاء بخصوص القضيّة أو القضايا المطروحة للتداول، ويصبح السؤال تمييزًا للاعتقادات وبحثًا فيما تقوم عليه، ومن ثمّ يكتسي السؤال قيمته الإقناعيّة، فاستعماله يجسد مطالبة بتحديد موقع وموقف معينيين إزاء موضوع الحوار[33]. وللسؤال في المناظرة مقاصد أخرى منها الاستنكار الذي يوافق أكثر اللحظات التي يحتدم فيها الحوار، ومنها ما جاء في استفهام فريق السلطة:

كيف لا نكون كذلك وقد قارعناكم ؟ !

كيف ترى الله سبحانه سلبك عقلك ... ؟

وسؤال الاستنكار يراد به تمرير الخطاب السلبي ، لتهييج الشكّ ، وإرباك الخصم وإزعاجه ، وإضعاف موقفه ، وسيلة من وسائل دحره إلى مواقع دفاعيّة ، التي يحرم فيها المبادرة ، لينشغل برد النفي ، فضلًا عن التشهير بأخطاء الخصم والنفخ فيها ، حتى يتسرّب الارتياب ويتسع حجم فداحتها أمام الحضور[٣٤] .

ومن الاستفهام استفهام التقرير، الذي يبدو أنّه استفهام لكنه تقرير، مضمونه طلب الخبر، وإقراره على المخاطب الخصم ليضعه أمام تبعات هذا السؤال ، وبه يسحب الخصم للاعتراف بتهافت آرائه وتناقضها على رؤوس الأشهاد، ومنها قول الإمام : يا عمرُو افتخارًا بالكذب ، أي أتفتخر افتخارًا بالكذب .

أوَ تَجرُؤُ جراءة على الأفك ... فقد سعى الإمام إلى تقرير استنتاج يعرضه على الجمهور تمهيدًا لفضحه ، بقوله : ما زلت أعرف مثالبك الخبيثة ، أبديها مرّة بعد مرّة ...

ومن مقاصد السؤال سؤال التوريط[٣٥] ، مثل : (أتذكرُ مصابيح الدجى ؟ !) ، ثمّ يعطف بتقدير : أتذكر أنكم زعمتم أنكم أحمى لما وراء ظهوركم ، وقد تبيّن ذلك يوم (بدر) ... فالسائل يرمي إلى ما يزج بالخصم فيما ينافي ما يُريد ، استنادًا إلى قلب ادّعائه من أنّه أحمى للظهر ، فالتعقيب : (إنكم أحمى لما وراء ظهوركم : وقد تبيّن ذلك يوم بدر) ، أي : إنّكم أحمى لما وراء ظهوركم بدليل ما تحقّق لكم يوم بدر ، فينجرف الخصم إلى ما يناهض ما دبّره ، حتى يتحوّل الدليل عليه وليس له ، فالتعقيب جاء بما يضادد ما يدّعي انطلاقًا من منطقه وزعمه ، فالخصم في هذه الحالة لا يستطيع التخلّص ممّا تورّط فيه من أنّه جاء بما يضرّه في المناظرة ولا ينفعه .

فمع السؤال الارتجاعي، تنتفي شرعيّة السؤال الأوّل، وقد جلبت لهذا السائل المأزق، إذ زجّ نفسه فيما ينقلب عليه، فالسؤال الجوابيّ أثبت أنّ السائل الأوّل إمّا متسرّع، أو لم يحسب ما قد يجتلب له مما يناقض دليله ويهدم حجته، ولا يخفى أنّ الفعاليّة الإقناعيّة للسؤال الجوابي ، لا تتأتّى إلاّ لمن توافر له الحضور المتيقّظ وطاوعته سرعة البديهة[٣٦] .

(٥)

النفي في المناظرتين : أوّلاً : في خضم المواجهة بين المتناظرين يتناوب الادّعاء ونقضه ، أو الإثبات والنفي ، وتتكرّر أدوات النفي وأساليبه ، ذلك لحاجة ردّ أطروحة الخصم وجحد أدلّته ، ففي الخطبة الأولى يردّ الإمام ما ادّعاه مناظروه بقوله : (**ليس من الحزم أن يصمت الرجل عند إيراد الحجة ...**) ، ويتكرّر النفي في آخر ردّه في قوله : (**غير مانعين لما وراء ظهوركم**) ، فينفي زعمهم لما وراء ظهورهم ويستشهد بيوم (بدر) ؛ ويردُّ في المناظرة الثانية ما شتمه به مناظروه بمخاطبة راعي المناظرة ومدبّرها ، في قوله : (**يا معاوية فما هؤلاء شتموني ولكنّك شتمتني**) ، فترك الأذناب وردّ على الرأس ، فنفى أن يكون ما يدبرّه هؤلاء المناظرون منهم بل منه .

ومن النفي في المناظرة الثانية : أنشدكم الله ألستم تعلمون أنه كان صاحب راية رسول الله ﷺ يوم بدر .

ثانيًا : النفي والارتجاع بالتشكيك والتقويم : النفي الذي يؤشّر على مسار الاعتراض ، إذ يصدر كردّ فعل على قول الخصم ، فالنفي يتعقّب قولاً سبق ادّعاؤه أو إثباته ، فهو دائمًا فعل ارتجاعيّ أوثق بالردّ ، وليس فعلاً ابتداريًا ، وتضطلع خاصّيّة الارتجاع التي تميّز النفي ، فإنّ هذه الآليّة الإقناعيّة تضطلع بدور تشكيكي ، إنها تتدخل لكشف التوهّم والمغالطة ، ومنازعة الخصم أطروحته ، فهي تشتغل بغاية مراجعة الخصم في دعواه بوساطة هذا التشكيك . وهذا هو الحجاج التبكيتي أي المضاد ، لأنّ صاحب الادّعاء يجهد نفسه في تثبيت القضيّة التي يدّعيها ، في حين يتوجه المعترض إلى إبطالها، فيصبح النفي بمنزلة حجاج يفك محاولة الإقناع وينفي الحكم المبني على المغالطة والتشويه ، لأنّ استراتيجية الحجاج في المناظرة تتوخى أساسًا الإبطال وتجاوز إثبات ما يريده الخصم ، وخير مثال للتبكيت في كشف التوهّم والمغالطة ، في سياق ارتجاع وتعقّب ما ادّعاه فريق السلطة : (زعمتم أنكم أحمى لما وراء ظهوركم، وقد تبيّن ذلك يوم (بدر)، حين نكصت الأبطال، وتساوت الأقران، واقتحمت الليوث، واعتركت المنيّة، وقامت رحاها على قطبها، وفرّت عن نابها، وطار شَرار الحرب، فقتلنا رجالكم، ومَنّ النبيّ ﷺ على ذراريكم، وكنتم لعمري في هذا اليوم غير مانعين لما وراء ظهوركم من بني عبد المطلب) .

فقد تجاوز بهذا النفي عرض مقولة الخصم مشفوعةً بدليل ما ينقضها، مستبطنًا ارتجاعها بكشف خللها الملموس والمشاهد، استنادًا إلى الثغرات التي تنسفها وتبطلها من داخلها وأساسها.

(٦)

الشاهد في المناظرة الذي يستند إلى أقوال لا بُدّ لها من سلطة مرجعيّة مفترضة يُعترف بها الطرفان ويرجعان إليها ولا يخرجان منها، وتكون حاكمة عليهما وضابطة لتوجهاتهما، وأهمّ مرجعيّات مجتمع المسلمين القرآن والنبوّة والشعر والوقائع المشهودة، فلها قوّة مصدرها واقتناع المجتمع بها.

أوّلاً: الإحالة على النصّ القرآني:

١ ـ قام الحسن عليه السلام، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: إنّ الله لم يبعث نبيًّا إلاّ وجعل له عدوًّا من المسلمين، قال الله تعالى: ﴿ وكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ ... ﴾ (سورة الفرقان ٣١)، (جعلنا بعضَ أمّةِ كلّ نبيٍّ أشدّ عليه من بعض ...)[٣٧]؛ (أي وكما جعلنا لك عدوًّا من مشركي قومك جعلنا لكل نبي عدوًّا من كفار قومه)[٣٨].

٢ ـ قال الإمام: (إنك يا معاوية وأباك من المؤلفة قلوبهم تُسرّون الكفر وتظهرون الإسلام وتُستمالون بالأموال)، وهذا يحيل على قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾ (سورة التوبة ٦٠)، قال ابن عاشور في المؤلفة قلوبهم: (منهم من كان حديث عهد بالإسلام، وعُرِفَ ضعفٌ ـ حينئذ ـ في إسلامه، مثل أبي سفيان بن حرب ...)[٣٩].

٣ ـ في الاستعداد للمناظرة فيستشهد الإمام بقوله تعالى: ﴿ خرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ ﴾ سورة النحل ٢٦)؛ فيستعين بهذا النصّ على ما دعوه إليه، وما نصبوه له من مكائد، يريد (فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات كحال قومٍ، بنوا بنيانًا ... فسقط عليهم السقف وهلكوا ... وقيل: هو نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل ... فأهبّ الله الريح فخرّ عليه وعلى قومه فهلكوا)[٤٠]. (وقيل إنّ هذا مَثَلٌ ضربه الله سبحانه لاستئصالهم ... فأتى الله مكرهم من أصله أي عاد ضرر المكر عليهم وبهم ... كما قالوا أتى فلان من مأمنه أي أتاه الهلاك من جهة مأمنه)[٤١].

٤ ـ قول الإمام : (صَلّى القبلتين كلتيهما) (إحالة على القبلة التي كانت في أوّل الهجرة بالمدينة وهي استقبال بيت المقدس)[٤٢] وفي هذا فضيلة ، والفضيلة الثانية الثبات بعد التحوّل إلى الكعبة المشرّفة، وهذا ما جاء في سورة البقرة: ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ **قِبْلَتِهِمُ** الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ... وَمَا جَعَلْنَا **الْقِبْلَةَ** الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ ... قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ **قِبْلَةً** تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ (سورة البقرة ١٤٢ ـ ١٤٤).

ثانيًا : ما يدور بمدار صاحب الدعوة ﷺ: فصلة الإمام بصاحب الدعوة معروفة أكّدتها : (أتذكرُ مصابيح الدجى، وأعلام الهدى ... ومعدن العلم ، ومهبط النبوة ؟)، (وبغياً علينا عداوةً منك لمحمد وأهله).

(... رسول الله ﷺ في تلك المواطن كلها عنه راض، وعليك وعلى أبيك ساخط !)

الشعر: ما نقله الإمام عن معاوية الذي كتبه إلى أبيه لّما هَمَّ أن يُسلِمَ، وينهاه عن ذلك: يا صخرُ... الأبيات[٤٣].

الوقائع المعلومة زمانًا ومكانًا : وهي أحداث كبرى محلّ فخر واعتزاز مجتمع المسلمين وردت في المناظرات : القبلتان ، بيت المقدس ، والكعبة المشرّفة ، في قول الإمام : صلى القبلتين كليهما .

وبايع البيعتين كليهما بيعة الفتح وبيعة الرضوان .

وأول الناس إيمانًا وصاحب راية رسول الله ﷺ يوم بدر ويوم أُحُد ويوم الأحزاب .

وأبوك على جمل أحمر وأنت تسوقه وأخوك يقوده، فرآكم رسول الله ﷺ فقال: اللهم العن الراكب والقائد والسائق ! .

الخاتمة

حَفِظَ التراث تفوّق الإمام في هاتين المناظرتين ، وكانت غاية رجال السلطة رفع مقام معاوية ، والدفاع عن الأمويين، وتثبيت مضمون أطروحتهم التي تحاولُ الحطَّ من منزلة الهاشميّين ، وتحميلهم ومن يتبعهم شتم الخلفاء ، وكراهة خلافتهم، والامتناع عن بيعتهم؛ واتّهامهم بقتل عثمان .

ولم تنتهِ آثار هذه الأطروحة بانتهاء خلافة معاوية أو الأمويين ، بل صارت مقولة جدال ثابتة تتجدّد في كلّ زمان ومكان ، وأساسًا من أسس الاختلاف والتناقض والتشويش والعداء المستعر بين المسلمين ، وسببًا مباشرًا للاحتراب أو الاقتتال .

فلا بُدّ من إعادة قراءة التراث قراءة حياديّة منصفة، تسلّم للحقائق العلميّة الموضوعيّة، وتَتَخلّص من أعباء التعصّب، ومن الروايات المصنوعة التي تقابلها ، وتشوش مواقف الإمام الحسن ، من التي تجعله يخالف جدّه وأباه وشقيقه .

فتدفع هذه المناظرات مثل هذه الشبهات ، وتقويم الظروف التي أنتجتها ... والحمد لله رب العالمين.

الهوامش

١ - النور الساطع في الفقه النافع ٢/ ٥٨٠ ـ ٥٨١ .
٢ - المصدر نفسه .
٣-منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ٢/ ٤٠٥ .
٤-التحليل الحجاجي للخطاب ، عمّان ، ٢٠١٦ ، ٤١٩ .
٥-بلاغة الإقناع في المناظرة ١٧١ .
٦-المحاسن والمساوي ٧٣ ـ ٧٤ .
٧-المحاسن والأضداد، للجاحظ ١٢١ ـ ١٢٢ .
٨-لسان العرب ٣/ ١٨٣٥ ، وتاج العروس ٣٢/ ٣١٢ .
٩-تاريخ نظريّات الحجاج ٧٩ .
١٠-شرح نهج البلاغة ١/ ١١٠ .
١١-إرشاد القلوب ٢/ ٤٠٤ .
١٢-شرح نهج البلاغة ٦/ ٣٦٧ .
١٣-شرح نهج البلاغة ٦/ ٣٦٧ ـ ٣٧٠ ، وجمهرة خطب العرب ٢/ ٢٨ ٢/ ٢١ وأعيان الشيعة ١ / ٥٧٤ .
١٤-تاج العروس ٩/ ٢٢٠ ـ ٢٢١ .
١٥-بلاغة الإقناع في المناظرة ١٨٥ ـ ١٨٦ .
١٦-المحاسن والأضداد، للجاحظ ١٢١ ـ ١٢٢ .
١٧-المصدر السابق .
١٨-بلاغة الإقناع في المناظرة ١٨٨ ـ ١٨٩ .
١٩-نفسه ١٩٠ ـ ١٩٢ .
٢٠-نفسه ١٩٠ ـ ١٩٢ .
٢١-تاريخ نظريّات الحجاج ٧٩ .
٢٢-بلاغة الإقناع في المناظرة ١٩٣ .
٢٣-بلاغة الإقناع في المناظرة ١٧١ .
٢٤-نفسه ١٩٨ ـ ١٩٩ .
٢٥-المحاسن والأضداد، للجاحظ ١٢١ ـ ١٢٢ .
٢٦-بلاغة الإقناع في المناظرة ٢٠٧ .
٢٧-نفسه .
٢٨-بلاغة الإقناع في المناظرة ٢١١ .
٢٩-المصدر نفسه ٢١٠ .
٣٠-المصدر نفسه .
٣١-بلاغة الإقناع في المناظرة ٢١٠ .

٣٢-م . ن ٢١٣ .

٣٣-م . ن ٢١٥ .

٣٤-بلاغة الإقناع في المناظرة ٢١٦ .

٣٥-م . ن ٢١٨-٢١٩ .

٣٦-بلاغة الإقناع في المناظرة ٢٢٠ .

٣٧-معاني القرآن للفراء ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ٢/ ٢٦٧ .

٣٨-مجمع البيان ، للطبرسي ٨/ ٢٢١ .

٣٩-التحرير والتنوير ١٠/ ١٢٩ .

٤٠-الكشاف ٥٧١ .

٤١-مجمع البيان ، للطبرسي ٦/ ٤٦٢ .

٤٢-التحرير والتنوير ٢/ ٥ .

٤٣-شرح نهج البلاغة ٦/ ٣٦٧-٣٧٠، وجمهرة خطب العرب ٢/ ٢٨ ٢/ ٢١ وأعيان الشيعة : ١ / ٥٧٤.

المصادر والمراجع

*إرشاد القلوب ، للشيخ المفيد ، ط ٢، بيروت،١٩٩٣ .

*أعيان الشيعة ، السيد محسن الأمين، دمشق،١٩٣٦ .

*بلاغة الإقناع في المناظرة ، د . عبد اللطيف عادل، بغداد ، ٢٠١٣ .

*تاج العروس ، للزبيديّ ، تح مجموعة من الأساتذة ، الكويت ، د . ت .

*تاريخ نظريّات الحجاج فيليب بروتون وجيل جوتييه ، تر د محمد صالح الغامدي ، ١٤٣٢ .

*التحرير والتنوير، لابن عاشور، بيروت،٢٠٠٠ .

*التحليل الحجاجي للخطاب ، مجموعة بحوث محكمة ، عَمّان ، ٢٠١٦ .

*جمهرة خطب العرب ، أحمد زكي صفوت ، بيروت ، ١٩٨٥ .

*شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد ، ط ٢ ، بيروت ، ٢٠٠٤ .

*صلح الإمام الحسن عليه السلام قراءة جديدة ، السيد سامي البدري ، النجف ٢٠١٣ .

*الكشاف للزمخشري ، بيروت ، ٢٠٠٨ .

*لسان العرب لابن منظور ، القاهرة ، د . ت .

*مجمع البيان ، للطبرسي ، بيروت ، د . ت .

*المحاسن والأضداد، للجاحظ ، بيروت ، ٢٠٠٦.

*المحاسن والمساوي لإبراهيم بن محمد البيهقي، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ، ١٩٦١ .

*معاني القرآن للفراء ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٨٠ .

*مقاتل الطالبيين ، لأبي الفرج الأصفهاني ، النجف ١٩٦٥ .

*منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، لحبيب الله الخوئي تح: سيد إبراهيم ، طهران ، ط ٤ ، د . ت .

*النور الساطع في الفقه النافع ، الشيخ علي كاشف الغطاء (١٢٥٣ هـ)، النجف ، ١٩٦٤ .

الأداء الحجاجيّ بالأفعال الكلاميّة في عدد من النصوص المندّدة بصلح الإمام الحسن عليه السلام

د. محمد منصور حسين البياتيّ
مديرية تربية بابل

ملخص البحث

شغل تحليل الخطاب بشكل عام مساحة واسعة من فنون اللغات البشريّة؛ فلذا دأبت الأجيال المتعاقبة على تهذيبه وتقويمه، ولعلّ العامل الدينيّ والسياسيّ كانا سببين رئيسين في شيوعه وسعة مساحته؛ فلذلك تعددت وتشابكت الآراء والمعتقدات عند طيف واسع من المجتمعات البشريّة، وسعى كلّ منها إقناع المقابل والسيطرة عليه بشتى الوسائل والسبل، فكان الأداء الحجاجيّ مبرّزًا في ساحة العراك الفكريّ، وبخاصّة في المجتمع العربيّ الإسلاميّ؛ حيث ظهرت تيارات فكريّة متعددة كان منها الخطّ الأمويّ، الذي حاول جاهدًا استغلال الدين الإسلاميّ؛ لتنفيذ مآربه في السيطرة على مقاليد الحكم من خلال طمس الحقيقة وتزييفها، وإبعاد صاحب الحقّ في ذلك، إلا أنّ ذلك لم يُترك لهم سائغًا بل انبرى إليهم الخطّ النبويّ والمتمثّل بالإمام الحسن عليه السلام، داحضًا كلّ زيف وخداع يزعمونه، وبخاصّة الأباطيل التي حاكها معاوية وأذنابه ضد رجالات الإسلام المحمديّ الأصيل، مستخدما أداءً حجاجيًا قوامه منطق العقل والحجة المتينة المستند إلى الأحداث والوقائع القطعيّة، ومعتمدًا على تقنيّات وآليّات الخطاب العربيّ الأصيل؛ فلذلك سعى البحث إلى دراسة موضوع الأداء الحجاجيّ، الذي يعدّ مفهومًا تداوليًّا متميّزًا، والسعي إلى توضيح ذلك المفهوم من خلال الأفعال الكلاميّة، بمقاربة تطبيقيّة على نصّ عربيّ أصيل والمتمثّل بعيّنات من كلام الإمام الحسن عليه السلام، الحجاجيّ.

Abstract

Discourse analysis in general occupied a wide area of human language arts . Therefore, successive generations cultivated and corrected it, perhaps the religious and political factors were a major reason for its prevalence . The opinions and beliefs of human societies varied and intertwined, and each of them sought to persuade and control the counterpart by various means . The argumentative performance was prominent in the arena of intellectual struggle, especially in the Arab Islamic society . Various intellectual waves emerged, including the Umayyad line that tried hard to exploit the Islamic religion and to control the reins of government by obliterating and falsifying the truth, and removing the owner of the right . Rather, the prophetic line represented by Imam Hassan (peace be upon him), refutes every falsehood and deception .

The research study endeavours to tackle study the subject of argumentation performance as a distinct pragmatic concept to clarify that concept through speech acts with an applied approach to an authentic Arabic text represented by samples of the argumentative words of Imam Hassan .

مهاد...

عرفت فلسفة اللغات البشريّة فنّ الخطاب الحجاجيّ منذ بواكيرها الأولى؛ لما له من أهميّة بالغة في العمليّة التواصليّة بين الجنس البشري، فكان الحجاج عاملًا رئيسًا في تكوين الخطاب حتىّ قيل: «إنّه لا خطاب بغير حجاج»[1]، بل لعلّ هذا الأمر لا يقتصر على الجنس البشريّ؛ حيث سجّل القرآن الكريم صورًا للأداء الحجاجيّ على لسان الملائكة بمواضع متعددة، منها: عند معرفتهم بقضيّة استخلاف النبي آدم عليه السلام، في الأرض؛ حيث جاء الأداء الحجاجيّ واضحًا بقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[2]، إذ يظهر من النصّ القرآنيّ أداءً حجاجيًّا للملائكة مع الباريّ عزّ وجلّ، مستندًا كلّ طرف للاستدلال إلى مراده بالحجّة والبرهان، وعليه يمكن القول: إنّ الأداء الحجاجيّ أمر فطريّ للطبيعة الإنسانيّة، ولذلك اعتنى به علماء البشريّة وعلى رأسهم الفيلسوف اليونانيّ أرسطو طاليس، فقد ألّف كتابًا في الخطابة وعدّها ضرورة للمجتمع البشريّ وربطها بفنّ الإقناع إذ قال في تعريفه للخطابة: «بأنّها الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع في أيّ موضوع كان»[3]، وعلى هذا المنوال سارت البشريّة نحو التألق في الأداء الحجاجيّ وعلى مختلف المستويات، حتّى وصل المطاف إلى الخمسينيّات من القرن العشرين وما توصلت إليه مدارس اللغّة الحديثة[4] من بحوث مميّزة في تحليل الخطاب وربطها موضوع الحجاج بمعرفة آليّات الخطاب؛ حيث قررت أنّ «موضوع الحجاج هو دراسة تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدّي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو تزيد من درجة ذلك التسليم»[5]، من خلال اتباع المتكلّم شروط الاستدلال السليم الذي يقود المتلقّي إلى الإذعان بمحتواه الحجاجيّ، ويزداد الأمر نجاحًا كلّما التزم بـ«الشروط التي يؤدّي استيفاؤها إلى توفق المتكلّم في أداء الفعل الحجاجيّ»[6]، ولا شكّ أنّ الوصول إلى هذه النتيجة تتأثر بكفاءة المتكلّم اللغويّة الناتجة عن مستواه العلميّ والثقافيّ والنفسيّ.

سلّط البحث الضوء على بيان ماهيّة كلّ من الحجاج والأفعال الكلاميّة بمقاربة تداوليّة على نصّ عربيّ أصيل والمتمثّل بنماذج مختارة من كلام الإمام الحسن عليه السلام، الحجاجيّ، يوازن فيها بين الجانب النظريّ للحجاج والأفعال الكلاميّة وفق الخطوط العامّة لكلّ نظريّة وبما يتطلّبه المقام من معلومات، متجنّبًا الولوج في التفاصيل الجدليّة المملّة أو التي يمكن عدّها أمورًا بديهيّة، مثل: قصديّة اللغة التي تعّد من المبادئ الرئيسة القائمة عليها اللغة العربيّة، محاولًا الدمج بين هذه النظريّة وما تتبنّاه علوم العربيّة من أفكار وقواعد رئيسة لا يمكن في مثل هذه الدراسة مجانبتها أو الحياد عنها؛ فلذلك اقتصر البحث على بيان ثلاث نقاط محوريّة: تتمثّل الأولى ببيان ماهيّة الحجاج التداولي، وأمّا الثانية فتختصّ بدراسة مقتضبة للأفعال الكلاميّة، في حين جاءت النقطة الثالثة منصبة على الجانب التطبيقيّ، من خلال موضوعات الانشاء الطلبيّ المتوافرة في النصوص المعدّة للدراسة، التي يكون بيانها بالنحو الآتي:

أوّلًا: ماهيّة الحجاج التداوليّ

ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين اتجاهات لغويّة متعددة تهدف إلى تجديد الخطاب البلاغيّ بعد مدة من الجمود الذي شهدته البلاغة وبخاصّة «في القرن التاسع عشر، حتى تمّ إقصاؤها من البرامج الدراسيّة»(٧)، إلا أنّه لم يدم الأمر كثيرًا حتى تكلّلت جهود الباحثين من فلاسفة اللغة المنادين بالخطابة الجديدة «بكتابات الفيلسوف والقانوني البلجيكيّ، الأستاذ في جامعة بروكسل، شاييم بيرلمان(٨) (١٩٨٤- ١٩١٢)، الذي نشر في عام ١٩٥٨، ثم في عام ١٩٧٠، بمشاركة لوسي أولبيرشتس تيتكا كتاب: رسالة في الحجاج»(٩)، إذ يعدّ هذا الكتاب بمنزلة الميلاد الجديد لعلم البلاغة أو الخطاب الجديد، الذي يهدف إلى إقناع المتلقّي سواء أكان فردًا أم جماعة، حاضرًا أم غائبًا، بالأفكار التي تحملها المدلولات اللفظيّة، وعادة ما يكون ذلك من خلال عدّة مسلّمات مبنيّة على مجموعة من التقنيّات والآليّات اللغويّة أو غير اللغويّة والتي يُنتج بها العمليّة التواصليّة، ومن هذه المسلّمات الأسلوب الحجاجيّ، والذي يعد استراتيجيّة ذات أولويّة في اللغات البشريّة، والذي يهدف إلى إذعان المتلقي بالفكرة المقصودة من دون قسر أو إكراه؛ حيث يحقّ للمتلقّي الردّ أو عدم قبول تلك الأفكار على وفق منطق العقل والفكر السليم، ومن هذا المنطلق عرّف شاييم

بيرلمان الحجاج بأنّه: «دراسة التقنيّات الاستدلاليّة التي تمكّن من الدفع إلى تصديق العقول للدعاوي المعروضة عليها من أجل أن تقبلها أو تقويته»(١٠)، أو كما عُرّف بأنّه: «مجموعة من الترتيبات والاستراتيجيات التي يستعملها المتكلّم في الخطاب قصد إقناع سامعيه»(١١).

بناءً على ما سبق يظهر أنّ الحجاج يشارك بعض العلوم في الغاية ومن ذلك علم البلاغة، الذي يعد إقناع المتلقي من غاياته الرئيسة؛ وذلك من خلال إيصال مراد المتكلّم بوضوح إلى المتلقي، وهذا يظهر جليًّا من خلال تعريف أساطين العلماء لها وعلى رأسهم السكّاكيّ(١٢)؛ حيث عرّف البلاغة بقوله: «هي بلوغ المتكلّم في تأدية المعاني حدًّا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقّها وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها»(١٣)؛ ولعلّه لأجل ذلك التوافق في الغاية ربطت كثير من الدراسات الغربيّة بين البلاغة والنظريّة الحجاجيّة، حتّى قرنت كثير من الدراسات الحجاجية عنوانات بحوثها بالمصطلح البلاغيّ، إلا أنّ الصواب لا يمكن عدّ الحجاج جزءًا من البلاغة أو بديلًا عنها؛ لأنّ حقيقة الحجاج واحدة لا تتغيّر بتغيّر الآليّات والتقنيّات التي يتحقق بها سواء أكانت هذه التقنيّات بلاغيّة أم غير بلاغيّة؛ فهو أمر فطريّ، وهذا الأمر ينطبق على أنواع الحجاج الأخرى: الفلسفيّة منها والتداوليّة؛ لأنّ أداءها الحجاجيّ هو الذي يكون فلسفيًّا أو تداوليًّا أو غير ذلك من الأقسام والأنواع التي أثبتتها بعض الدراسات، فارتباط الحجاج بالنظريّة التداوليّة ارتباط شديد؛ لأنه منبثق عنها و«غير منفك عن استعمال اللغة»(١٤)، والذي يشكّل مرتكزًا رئيسًا للتداوليّة؛ لأن الحجاج من الأساليب الخطابيّة فمن الطبيعي ألا ينفك عن الاستعمال اللغويّ التداوليّ، وهذا الأمر لا يختصّ بالحجاج، بل إنّ كلّ الأساليب الخطابيّة لا بدّ أن يتوسل لتأديتها بآليّات أو تقنيّات تداوليّة؛ فكلّ منها وبخاصّة الأداء الحجاجيّ «يتشكل في علاقة خطابيّة متداخلة، وهو نشاط عقلاني، يتطلب استخدام اللغة»(١٥)، وعلى هذا يكون الأداء الحجاجيّ داخلًا ضمن النظريّة التداوليّة بفضائها الواسع أكثر وأشمل من أيّ اتجاه لغويّ أو معرفيّ آخر.

بناءً على ما سبق يمكن القول: إنّ الحجاج هو حقيقة واحدة ليس له أنواع أو أقسام، وإنّما أداؤه بتقنيّات وآليّات مختلفة هو الذي يجعله ضمن دائرة التقسيم لأنواع متعددة سواء أكانت بلاغيّة أم فلسفيّة أم تداوليّة.

ثانيًا: ماهيّة نظرية الأفعال الكلاميّة

تعدّ نظرية الأفعال الكلامية أحد المفاهيم الرئيسة في الدراسات التداوليّة؛ لما لها من وسائل وأساليب متعددة تتيح للمتكلّم إيجاد عمليّة التواصل والتأثير في المتلقّي، وهذا يجعل عملية الحجاج وفق الآليّات التداوليّة أكثر نجاحًا، من خلال تأكيد أشياء، أو إعطاء أوامر، أو طرح أسئلة، أو تقديم وعود أو غير ذلك من الأفعال التداولية التي تهدف إلى صناعة مواقف بالكلمات مع ميل المتكلّم إلى التأثير في المخاطب سواء أكان ذلك التأثير على مستوى التفكير الأيدلوجيّ أو الواقع السلوكيّ، وعليه فالتلفظ بأيّ لفظ لا بدّ «أن يكون له تأثير معيّن»[١٦]، وهذا التأثير هو النقطة الجوهريّة التي تقوم عليها نظريّة الأفعال الكلاميّة، وبذلك قال أوستن[١٧]: «إنّ التكلّم بشيء ما، هو فعله وانجازه»[١٨]، وأدّى ربط أوستين الكلام بالفعل والإنجاز إلى تقسيمه الجمل على: وصفيّة وانشائيّة، وجعل الحكم بالصدق والكذب معيارًا للتفريق بينهما فالجمل الوصفيّة يحكم عليها بالصدق والكذب بخلاف الجمل الانشائيّة فلا توصف بهما، وتنفرد الجملة الانشائيّة بعدّة خصائص، منها: إنّها تُسند إلى ضمير المتكلّم في زمن الحال، وتتضمّن فعلًا مضارعًا، إلا أنّه سرعان ما تبيّن له أنّ المقابلة بين الجمل الوصفيّة والانشائيّة ليس أمرًا يسيرًا كما كان يظنّه؛ فتبيّن له أنّ بعض الجمل الانشائيّة لا تسند إلى ضمير المتكلّم ولا تتضمّن فعلًا مضارعًا، من قبيل: (رُفعت الجلسة)، وهذا دفعه إلى الإقرار بأنّ كلّ جملة تامّة مستعملة تقابل إنجاز عمل لغويّ واحد على الأقل؛ ولذلك ميّز بين ثلاثة أنواع من الأعمال اللغويّة: العمل القوليّ، والعمل المتضمّن في القول، وعمل التأثير في القول[١٩]، والظاهر من هذا التقسيم تخلّي أوستين من فكرة «تمييز الجمل الانشائيّة من الجمل الوصفيّة»[٢٠]، ولعلّ هذا الأمر دفعه إلى تصنيف الأفعال الكلامية من حيث المعنى إلى مجموعات ذات طابع وظيفيّ، تكون بالنحو الآتي[٢١]:

-الأفعال الدالّة على الحكم، وهي أفعال كلاميّة دالّة على أنّ من يمارسها يتمتّع بسلطة رسميّة نحو: التبرئة، الحكم، التقدير، التحليل.

-الأفعال الدالّة على الممارسات، وهي أفعال كلاميّة تدلّ على فرض واقع جديد، نحو: الانتخاب، التعيين، الاستشارة، الترشيح.

-الأفعال الدالّة على الوعد، وهي أفعال كلاميّة تدلّ على أنّ المتكلّم ملزم بفعل ما، نحو: الرهان، التعهد، الضمان.

-الأفعال السلوكيّة، وهي أفعال كلاميّة دالّة على ردّ فعل لحدث ما، نحو: الاعتذار، التهنئة، التعزية، الشكر.

-أفعال العرض، وهي أفعال كلاميّة تدلّ على استعمالها في بيان وجهات نظر ما، نحو: الإثبات، التأكيد، النفي، الوصف، التعريف، التأويل.

بناءً على ما سبق يظهر الدور الرئيس الذي اداه الفيلسوف الإنكليزيّ جون أوستين في نشأة نظريّة الأفعال الكلاميّة، على رغم أنّ «تقسيمه لم يحظ بالإجماع»[٢٢]؛ لذلك توالت بعده الأفكار والدراسات الهادفة إلى إعادة تناول النظريّة بالتهذيب والتشذيب والتطوير؛ لتكون أكثر نضجًا وإحكامًا، وبخاصّة الأعمال التي قدّمها تلميذ أوستين، وهو الفيلسوف الأمريكي جون سيرل (John Searle)[٢٣]، حيث يُنظر إلى الدراسات التي قدمها «في هذه النظريّة على أنّها محاولة وضع حدود واضحة لأطراف النظريّة»[٢٤]، تجعلها أكثر دقّة ورصانة، والمتمثلة بالعمل على سدّ الثغرات التي خلّفها أوستين في النظريّة؛ إذ «طورّ فيها بعدين من أبعادها الرئيسة، هما: المقاصد والمواضعات»[٢٥]، كما عمل على إيجاد البديل لتقسيم الأفعال الكلاميّة بعيدًا عن وقوع «تداخل بين مجموعة وأخرى»[٢٦]؛ فحصرها في خمسة أصناف، هي[٢٧]:

-الإثباتية، وهي أفعال كلاميّة تدلّ على أنّ المتكلّم يقدّم الخبر للمتلقّي بوصفه تمثيلًا لحالة موجودة في العالم، نحو: الأحكام التقريريّة والأوصاف الطبيّة، والتصنيفات، والتفسيرات.

-التوجيهيّة، وهي الأفعال التي تحمل المتلقّي على فعل شيء ما، وتكون في الأوامر والنواهي والطلبات.

-الإلزاميّة، وهي الأفعال التي تدلّ على التزام المتكلّم بفعل شيء ما، نحو: المواعيد والنذور والرهون والعقود والضمانات.

-التعبيريّة، وهي الأفعال التي تدلّ على حالة المتكلّم الشعوريّة، نحو: الاعتذار، والشكر، والتهنئة، والتعزية، والترحيب.

-التصريحيّة، وهي الأفعال التي تدلّ على إحداث تغيير في العالم، نحو: إعلان المسؤول أو الرئيس الحرب على بلد آخر، أو إعلانه فصل موظف وطرده من العمل.

بناءً على ما سبق يظهر تمتّع الأفعال الكلاميّة الإنجازيّة بأساليب لغويّة متعددة تجعل العمل الحجاجيّ أكثر نجاحًا؛ فلذا سيقتصر البحث عليها، لأنّها بصيغتها الحاليّة وإن كانت منبثقة عن الدرس اللغويّ الغربيّ الحديث، إلا أنّ امتداد جذورها في التراث اللغويّ العربيّ لا يمكن إنكاره، بل يمكن القول: إنّ الإنشائيات في البلاغة العربيّة لها أغراض إنجازيّة تعدّ أكثر دقّة ممّا وصل إليه الدرس اللغوي الغربيّ الحديث؛ فلذلك يكون تطبيقها على النصّ العربيّ الأصيل أكثر قربًا من إسقاط النظريّة بتمامها عليه؛ لتمايز اللغات البشريّة بسمات وخصائص يفرضها المحيط الخارجيّ الذي تنشأ فيه.

ثالثًا: الأداء الحجاجيّ للأفعال الكلاميّة بالإنشاء الطلبيّ

يهدف هذا المطلب إلى بيان الحجاج بعدد من الأفعال الكلاميّة الانشائيّة الطلبيّة في جملة من النصوص المنددة بصلح الإمام الحسن عليه السلام، والتي يمكن بيانها بالنحو الآتي:

١-الأمر، هو طلب إيجاد الفعل «على سبيل الاستعلاء»[٢٨]؛ أيّ: الإلزام، وهو يوافق الأفعال الكلاميّة الدالة على الحكميّات الصادرة عن «سلطة معترف بها»[٢٩]، سواء أكانت هذه السلطة دينيّة أم دنيويّة، وجاءت هذه الأفعال في النصوص المنددة بالصلح في عدّة مواضع منها ما رواه ابن قتيبة الدينوريّ: إنّه بعد سنتين من الهدنة التي حصلت بين الإمام الحسن عليه السلام، ومعاوية أقبل جمع من الشيعة مظهري الأسف والحسرة على تركهم القتال؛ فتوجهوا إلى الإمام الحسن يلومنه على ذلك ويطلبون منه قتال معاوية، وكان في جملتهم سليمان بن صرد الخزاعيّ[٣٠]، إلا أنّ الإمام الحسن عليه السلام، أجابهم بقوله: "**أَنْتُمْ شِيعَتُنَا وَأَهْلُ مَوَدَّتِنَا فَلَوْ كُنْتُ بِالْحَزْمِ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا أَعْمَلَ وَلِسُلْطَانِهَا أَرْكَضَ وَأَنْصَبَ، مَا كَانَ مُعَاوِيَةُ بِأَبْأَسَ مِنِّي بَأْساً وَلَا أَشَدَّ شَكِيمَةً، وَلَا أَمْضَى عَزِيمَةً، وَلَكِنِّي أَرَى غَيْرَ مَا رَأَيْتُمْ وَمَا أَرَدْتُ بِمَا فَعَلْتُ إِلَّا حَقْنَ الدِّمَاءِ فَارْضُوا بِقَضَاءِ اللهِ وَسَلِّمُوا لِأَمْرِهِ وَالْزَمُوا بُيُوتَكُمْ وَأَمْسِكُوا- أَوْ قَالَ: - كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ أَوْ يُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ**"[٣١].

تضمّن النصّ عدّة مواضع للأمر: (فارضوا، وسلّموا، والزموا، وامسكوا)؛ إذ جاءت جميعها بصيغة فعل الأمر الدّالّ على وجوب إتيان المأمور به بنحو الفور وعدم التراخي؛ "لأنّه الظاهر من الطلب، ولمتبادر الفهم" (٣٢)، لدلالات المأمور به التي يمكن عدّها قرائن خارجيّة توجب إمتثال المتلقّي للمأمور به من دون مهلة أو توانٍ.

تحمل جمل الإنشاء الطلبيّ عدّة أغراض إنجازيّة، يمكن بيانها بالنحو الآتي:

-الرضا بقضاء الله؛ أي: لحكمه تعالى، والمتمثّل بالصلح الذي أبرمه الإمام الحسن عليه السلام.

-التسليم لأمر الله تعالى، الذي يتجلّى بما يصدر عن الإمام عليه السلام، من أوامر.

-الزام البيوت وعم التصرّف من دون إذن أو توجيه قطعيّ صادر عن الإمام عليه السلام.

- مسك الأيدي أو كفّ الأيدي عن العدو ما دام الموجب للشرط متحقّق: إمّا وجود الإمام على قيد الحياة، أو موت معاوية (الفاجر).

تمثّل الأغراض الإنجازيّة آنفة الذكر حججًا لا يمكن للمتلقّي الحياد عنها؛ لما تتمتّع به من وضوح في الدلالات المبيّنة للغموض الحاصل عند عدد كثير من عامّة أتباع أهل البيت عليهم السلام، بل ولعلّ الشبهة سرت إلى عدد من وجهائهم وأعيانهم أمثال: سليمان بن صرد الخزاعيّ، وحيث إنّ المتلقّي يمثّل ركنًا رئيسًا في الأداء الحجاجيّ فلا بدّ للمتكلّم من إيلائه أهميّة كبرى؛ بغية إيصال رسالته بما تحمل من معان ودلالات إليه بشكل واف ومن دون لبس أو غموض، ويعتمد هذا الأمر على ما يتمتع به المتكلّم من حنكة ودربة ولياقة لغويّة يستطيع من خلالها مساعدة المتلقيّ إدراك المعاني الصريحة والضمنيّة بعيدًا عن اللّبس والغموض؛ ليقطع الطريق أمام المغرضين والمشككين الذين يحاولون إيهام المتلقي بمعان ضمنيّة غير مطلوبة، وممّا لا شكّ فيه تمتّع الإمام الحسن عليه السلام، بصفات أوحديّة تجعل له قدم السبق بالفصاحة والبلاغة؛ فهو ابن أمير المؤمنين عليه السلام، الذي وصف بلاغتهم بقوله: "**وَإِنَّا لَأُمَرَاءُ الْكَلَامِ وَفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُه**"(٣٣)، كما أنّه عاش في صدر الاسلام الذي بلغت فيه اللغة العربيّة رفعة وسموًّا، فصارت البلاغة العربيّة محطّ فخر وعتزاز يتبارى بها زعماء القوم وساداتهم؛ فلذلك جاء الدين الإسلاميّ الحنيف متحديًا العرب بالقران الكريم، فخاطبهم: ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ**﴾(٣٤).

٢-النهي، هو طلب ترك الفعل «على سبيل الاستعلاء»[٣٥]، ودلالته تناسب الأفعال الإنجازيّة التوجيهيّة المتوافرة في "الأوامر والنواهي والطلبات"[٣٦]، وفق تصنيف سيرل للفعل الكلاميّ، وجاء النهي في النصوص المنددة بالصلح في مورد واحد بكلام الإمام الحسن عليه السلام، ردًّا على رجل خارجيّ[٣٧]: **"وَيْحَكَ أَيُّهَا الخَارِجِيُّ لا تُعَنِّفْنِي، فَإِنَّ الَّذِي أَحْوَجَنِي إِلَى مَا فَعَلْتُ: قَتْلُكُم أَبِي، وَطَعْنُكُم إِيَّاي، وَانْتِهَابُكُم مَتَاعِي، وَإِنَّكُم لَمَّا سِرْتُم إِلَى صِفِّينَ كَانَ دِينكُم أَمَامَ دُنْيَاكُم، وَقَدْ أَصبَحْتُم اليَوْمَ وَدُنيَاكُم أَمَامَ دِينِكُم"** [٣٨].

تضمّن النصّ موردًا للنهي، جاء غرضه الإنجازيّ زجر المخاطب بقرينة السياق اللغويّ المتصل المتمثّل بجملة: (**وَيْحَكَ أَيُّهَا الخَارِجِيُّ**)؛ حيث دلّت الجملة على ذمّ المخاطب وزجره باسم الفعل (ويح)، واسم الفاعل (الخارجيّ)، وبناءً على ذلك يظهر أنّ النهي لا يدلّ على الزجر حقيقة كما ذهب بعضهم، ومنهم الأصفهانيّ في تعريفه للنهي على إنّه: «الزجر عن الشيء»[٣٩]، بل «هو تعريف للشيء ببعض العوارض المفارقة له؛ إذ النهي والزجر بينهما عموم وخصوص من وجه؛ فيمكن أن يجتمعا في مورد ويمكن أن يفترقا في كثير من الموارد»[٤٠]؛ لأنّ كلمة الزجر «تدلّ على الانتهار»[٤١]، وهذا لا يُتصوّر إلا للعاصي المخالف لحكم النهي المتوجه إليه عن علم وعمد؛ ولذلك هذا المقام، وهو النهي المقرون بالزجر، ناسب الرجل الخارجيّ؛ لكونه عنّف الإمام الحسن عليه السلام، لا عن حسن نيّة منه، ولا حرصًا منه على الإمام عليه السلام، بل محاولة منه التنكيل وذمّ الإمام الحسن عليه السلام، أمام جمع من الشيعة الذين حصل لهم لبس وغموض وشبهة إتجاه الصلح «فمنهم رفض هذا الصلح وعدّه خذلانًا للمسلمين، كما حصل مع الإمام علي عليه السلام، في حرب صفين»[٤٢]، وهذا النوع من الحجاج يراد به إيهام الجمهور؛ لأن «الخلو عن الاعتقاد يجعل الناطق، إمّا ناقلًا لقول غيره، فلا يلزمه اعتقاده، وإمّا كاذبًا في قوله، فيكون عابثًا في اعتقاد غيره»[٤٣]، ولكن الإمام الحسن عليه السلام، كان له بالمرصاد في دحض حجّته، وفضح سريرته، وبيان موقف الخوارج الفئة الباغية التي ينتمي إليها ذلك الرجل بسلسلة من الحجج الدامغة والتي تعدّ كل واحدة منها شاهدًا تاريخيًّا قطعيًّا مشهورًا بين المسلمين جميعهم لا يمكن لأحد إنكاره:

- قتل أمير المؤمنين عليه السلام، على يد عبد الرحمن بن ملجم وهو «من كبار الخوارج وهو أشقى هذه الأمة بالنص الثابت عن النبي صلى الله عليه وآله بقتل علي بن أبي طالب فقتله أولاد علي وذلك في شهر رمضان سنة أربع وأربعين»(٤٤).

-طعنهم الإمام الحسن عليه السلام، على يدّ الخارجيّ «الجراح بن سنان الأسدي، فجرحه بمعول في فخذه، وقبض على لحية الجراح ثم لواها فدقّ عنقه، وحُمل الحسن إلى المدائن وقد نزف نزفًا شديدًا، واشتدّت به العلّة، فافترق عنه الناس، وقدم معاوية العراق، فغلب على الأمر، والحسن عليل شديد العلّة، فلما رأى الحسن أنْ لا قوة به، وأنّ أصحابه قد افترقوا عنه فلم يقوموا له، صالح معاوية، وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أيُّها الناسُ! إنَّ الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا، وقد سالمتُ معاوية وإن أدري لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين»(٤٥).

-نهبهم مضارب الإمام الحسن عليه السلام، وما فيها من متاع في المدائن(٤٦).

تمثّل كل هذه الوقائع والأحداث افتراضات مسبقة تتيح للمتكلّم إقامة الحجّة والزام الخصم من خلال سلسلة من الأقوال التقريريّة التي أنتجت كلّ منها فعلًا إنجازيًّا وصل من خلالها المتكلّم إلى غرضه الرئيس لإقناع الجمهور وإقامة الحجّة عليهم؛ لأنّ «عمليّات الافتراض هي ما يعتبره المتكلّم أرضيّة مشتركة مسلّمًا بها لدى كلّ أطراف المحادثة»(٤٧).

٣-الاستفهام، هو طلب تحصيل الفهم من المتلقي لأمر مجهول عنده، وهذا المعنى تدلّ عليه صيغة (استفعال)؛ ولذلك قيل: «ومعناه طلب المراد من الغير على وجهة الاستعلام»(٤٨)، فالغرض الإنجازي الحقيقي للاستفهام هو طلب الفهم لأمر يجهله، أمّا إذا كان الأمر غير مجهول للمتكلّم فإنّ الاستفهام يخرج من خانة الحقيقة إلى فضاء المجاز ليؤدّي أغراضًا إنجازيّة متعددة يحددها السياق الوارد فيه.

جاء الأداء الحجاجي بالاستفهام في كلام الإمام الحسن عليه السلام، بعدّة مواضع منها ردًّا على أبي سعيد(٤٩): «**يَا أَبَا سَعِيدٍ، أَلَسْتُ حُجَّةَ الله تَعَالَى ذِكْرُهُ عَلَى خَلْقِهِ وَإِمَاماً عَلَيْهِمْ بَعْدَ أَبِي عليه السلام؟، قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: أَلَسْتُ الَّذِي قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله، لِي وَلِأَخِي: الحُسَنُ وَالحُسَيْنُ إِمَامَانِ قَامَا أَوْ قَعَدَا؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَأَنَا إِذَنْ إِمَامٌ لَوْ قُمْتُ، وَأَنَا إِمَامٌ إِذْ لَوْ قَعَدْتُ يَا أَبَا سَعِيدٍ، عِلَّةُ مُصَالحَتِي**

لِمُعَاوِيَةَ عِلَّةُ مُصَالَحَةِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله، لِبَنِي ضَمْرَةَ وَبَنِي أَشْجَعَ وَلِأَهْلِ مَكَّةَ حِينَ انْصَرَفَ مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ أُولَئِكَ كُفَّارٌ بِالتَّنْزِيلِ وَمُعَاوِيَةُ وَأَصْحَابُهُ كُفَّارٌ بِالتَّأْوِيلِ وَإِنْ كَانَ وَجْهُ الْحِكْمَةِ فِيمَا أَتَيْتُهُ مُلْتَبِساً، أَلَا تَرَى الْخَضِرَ عليه السلام، لَمَّا خَرَقَ السَّفِينَةَ وَقَتَلَ الْغُلَامَ وَأَقَامَ الْجِدَارَ سَخِطَ مُوسَى عليه السلام، فِعْلَهُ لِاشْتِبَاهِ وَجْهِ الْحِكْمَةِ عَلَيْهِ حَتَّى أَخْبَرَهُ فَرَضِيَ هَكَذَا أَنَا سَخِطْتُمْ عَلَيَّ بِجَهْلِكُمْ بِوَجْهِ الْحِكْمَةِ فِيهِ وَلَوْ لَا مَا أَتَيْتُ لَمَا تُرِكَ مِنْ شِيعَتِنَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ إِلَّا قُتِلَ»(٥٠).

تضمّن النصّ عدّة مواضع للاستفهام غير الحقيقيّ، وغرضها الإنجازيّ تقرير المستفهم في ذهن المتلقّي وتأكيد أهميّته فالتقرير هو: «حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه وإلجائه إليه (بإيلاء المقرر به الهمزة)؛ أيّ: بشرط أن يذكر بعد الهمزة ما حمل المخاطب على الإقرار به»(٥١)، وهذا النوع من الأداء يسمّى فعل إنجازيّ غير مباشر؛ لأنّ الفعل الإنجازيّ المباشر هو ما يطابق قوته الإنجازيّة (الاستفهام مثلًا)، مع قصد المتكلّم، في حين أنّ الفعل الإنجازيّ غير المباشر لا تتطابق فيه القوّة الإنجازيّة وقصد المتكلّم كما في النصّ؛ إذ إنّ قصد الإمام الحسن عليه السلام، في المواضع جميعها هو تقرير المستفهم في ذهن المتلقّي، وهذا يخالف القوّة الإنجازيّة للاستفهام التي تدلّ على طلب الفهم بنحو الحقيقة من المتلقيّ، ولجأ المتكلّم الى استعمال الأفعال الإنجازيّة غير المباشرة لبواعث تحمل دلالات ضمنيّة متعددة يظهرها السياق الواردة فيه للمتلقيّ بشكل جليّ لا لبس فيه بل قد يكون التواصل بها أبلغ من الكلام الصريح؛ فلذلك «نتواصل بها أكثر من تواصلنا بغيرها»(٥٢).

٤-النداء، هو طلب إقبال المنادى، بحرف نائب مناب الفعل المحذوف (أدعو، أو أقبل)، «وإنما فعلوا هذا بالنداء لكثرته في كلامهم؛ ولأنّ أول الكلام أبدًا النداء إلا أن تَدَعْهُ استغناءً بإقبال المخاطب عليك، فهو أوّل كلّ كلام لك به تعطف المتكلم عليك فلما كثر وكان الأوّل في كلّ موضع حذفوا منه تخفيفًا»(٥٣)، ودلالة النداء تناسب دلالة الأفعال الكلاميّة التوجيهيّة؛ لأنّ غرضها الإنجازيّ هو حمل المتلقّي «على فعل شيء ما»(٥٤)، وهذا هو المعنى الحقيقي للنداء كما هو واضح.

ورد النداء في النصوص المنددة بالصلح بعدّة مواضع، يمكن بيانها بالنحو الآتي:

-جاء منها في النص السابق للإمام الحسن عليه السلام، مخاطبًا أبا سعيد، بقوله: «**يَا أَبَا سَعِيدٍ، أَلَسْتُ حُجَّةَ اللهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ عَلَى خَلْقِهِ وَإِمَاماً عَلَيْهِم بَعْدَ أَبِي عليه السلام؟**»، حيث يتضح من السياق

إنّ النداء في النصّ ليس حقيقيًّا، بل الغرض الإنجازي منه هو إظهار الرحمة والشفقة بالمتلقّي؛ لاستمالته وتوجيهه لمراد المتكلّم، فيكون هذا الخطاب أبلغ أثرًا على المتلقّي، ويدلّ على ذلك السياق اللغويّ الذي ورد فيه النداء؛ حيث استعمل الإمام الحسن عليه السلام ألفاظًا تشعر المتلقّي بالمحبّة والاحترام والتي تتمثّل بالكنية (أبا سعيد)، فهي "عند العرب يقصد بها التعظيم"[٥٥]، وهذا الأسلوب لا محالة يكون أبلغ أثرًا على المخاطب.

-كما ورد النداء في مواضع أخرى من كلامه عليه السلام، مخاطبًا حجر بن عديّ[٥٦]: "**يَا حُجْرُ، قَدْ سَمِعْتُ كَلامَكَ فِي مَجْلِسِ مُعَاوِيَةَ، وَلَيْسَ كُلُّ إِنْسَانٍ يُحِبُّ مَا تُحِبُّ وَلا رَأْيُهُ كَرَأْيِكَ، وَإِنِّي لَمْ أَفْعَلْ مَا فَعَلْتُ إِلَّا إِبْقَاءً عَلَيْكُمْ، وَاللهُ تَعَالَى كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**"[٥٧].

ورد النداء في النص حاملًا غرضًا إنجازيًّا دالًّا على بعد المخاطب وإعراضه عن المتكلّم؛ فلذلك جيء بـ(يا)، التي ينادى بها البعيد تحقيقًا أو تقديرًا، والتي يستعملونها إذا أرادوا أن يمدوا أصواتهم للشيء المتراخي عنهم، أو للإنسان المعرض عنهم[٥٨]، فيؤتى بـ(يا)، التي تتيح للمتكلّم امتداد الصوت ورفعه[٥٩]؛ لتنبيه المخاطب واقباله نحو المتكلّم لأمر يروم إبلاغه، من خلال ما يتمتّع به حرف النداء من نغم صوتيّ مميّز يحاكيّ الفكرة التي يريد أن ينبه عليها المتكلّم، فأحرف النداء وبخاصّة الأحرف الثلاثة التي هي: (يا)، و(أيا)، و(هيا)، أواخرهنّ ألفات، والألف ملازم للمدّ[٦٠]، الذي يناسب وظيفة التنبيه، فضلًا عن الأغراض الإنجازيّة السياقيّة الأخرى التي تؤدّا بالنداء، وهذا الأمر لا محالة يناسب الحجاج بمختلف أنواعه وأشكاله؛ لكون توجه المخاطب، وفهمه مراد المتكلّم، وكفائته اللغوية تعدّ أمرًا رئيسًا في إنجاح عملية التواصل، بل ومن دون هذه المعرفة لا يعلم المشاركون حول ماذا يدور الكلام[٦١]، وهذا الأمر بديهيّ؛ فالجمهور المشارك الذي يحدث أمامة الخطالب الشفاهيّ إذا لم يكن حاذقًا متمتّعًا بكفاية لغويّة لا يمكنه فهم مغزى الحديث وما يريده المتكلّم من دلالات.

-ورد الأداء الحجاجيّ في كلام الإمام الحسن عليه السلام، مخاطبًا رجلاً خارجيّاً بقوله: "**وَيْحَكَ أَيُّهَا الخَارِجِيُّ لا تُعَنِّفْنِي، فَإِنَّ الَّذِي أَحْوَجَنِي إِلى مَا فَعَلتُ: قَتْلُكُم أَبِي، وَطَعْنُكُم إِيَّاي، وَانْتِهَابُكُم مَتَاعِي، وَإِنَّكُم لَمَّا سِرْتُم إِلى صِفِّينَ كَانَ دِينكُم أَمَامَ دُنْيَاكُم، وَقَد أَصبَحْتُم اليَوْمَ وَدُنيَاكُم أَمَامَ دِينِكُم**"(٦٢).

ورد النداء في النصّ مؤدّيًا غرضًا إنجازيًّا مفاده تخصيص مدلول المنادى (الخارجيّ)، وتمييزه من بين أفراد جنسه المشتركين معه في الصفات؛ فهو ينبئ عن خطر خطب المنادى له، أو غفلة المنادى(٦٣)، وهذا المعنى واضح وظاهر من النصّ فأمر الرجل الخارجيّ لا محالة يمثّل خطرًا على معتقدات الناس وزعزعتها اتجاه الإمام عليه السلام؛ لأنّه لم يكن صادقًا بكلامه؛ فلذلك جاء ردّ الإمام عليه السلام، حازمًا مشفوعًا بعدّة شواهد ودلالات تظهر كذبه وزيف حرصه على الدين من خلال سلسلة من الأعمال الشنيعة التي قام بها هذا الرجل ومن يتبعه، فتمثّل هذه التفسيرات التي أثبتها الإمام الحسن عليه السلام، دليلًا إثباتيًّا على كذب ادعاء الرجل الخارجيّ من خلال عدد من الوقائع التي «لا تكون عرضة للدحض أو الشك، وهي تشكل نقطة انطلاق ممكنة للحجاج»(٦٤)، حيث تمثّل هذه الحجج سلّمًا حجاجيًّا مترابطًا داحضًا المحاجج ومقنعًا المتلقّيّ الواعي الحذق الذي يستطيع فهم مراد المتكلّم من خلال ربطه الكلام بالمواقف والأحداث السابقة؛ لأنّ «الاستدلال هو عمليّة منطقيّة لربط المعطيات الملفوظة والسياقيّة والمحادثيّة والتداوليّة من أجل إنشاء دلالة»(٦٥).

الخاتمة

توصل البحث إلى عدد من النتائج، يمكن بيانها بالنحو الآتي:

-أثبت البحث أنّ التراث العربيّ الأصيل يمتلك نصوصًا حجاجيّة متقنة من حيث البناء اللغويّ الشكليّ والدلاليّ، والاستدلال المنطقيّ، إذ يمكن عدّها نصوصًا حجاجيّة من الطراز الأول.

-بيّن البحث بشكلّ موجر غير مخلّ مجمل النظريّة الحجاجيّة والأفعال الكلاميّة بمقاربة تطبيقيّة على نصّ عربيّ أصيل مبتعدًا عن إثقاله بتفاصيل الجانب النظريّ.

-أوضح البحث الأداء الحجاجيّ للأفعال الكلاميّة من خلال أساليب الإنشاء الطلبيّ؛ لأنه منبثق عن الدرس اللغويّ الغربيّ الحديث، وله جذور ممتدّة في عمق التراث اللغويّ العربيّ، وهذا جعل البحث مساوقًا للدرس اللغويّ الحديث وغير بعيد عن روح الأصالة.

-قام الأداء الحجاجيّ في كلام الإمام الحسن عليه السلام على تنوع الأدوات والأساليب؛ فلذلك جاء النصّ زاخرًا بالدلالات الصريحة والضمنيّة، حيث كلّ أداة أو أسلوب يحمل محتوى دلاليًا خاصًّا يناسب المقام الذي ورد فيه.

-اعتمد الأداء الحجاجيّ في كلام الإمام الحسن عليه السلام، على وضوح الأسلوب وقوّة الحجّة، المتقوّمة بالبراهين العقليّة والأخبار القطعيّة الثابتة من السنة الشريفة أو الأحداث التاريخيّة المتواترة، التي شكّلت بمجملها وقائع حجاجيّة دامغة.

الهوامش

١-طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، المركز الثقافي، الرباط، ط١، ١٩٩٨م، ص٢١٣

٢-البقرة، ٣٠.

٣-أرسطو، فن الخطابة، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، ص٢٩.

٤-أشهرها الدراسات التي وضعها المفكر البولونيّ المولد البلجيكيّ المقام بيريلمان perelman تحت اسم مقال في البرهان في عام ١٩٥٨م، ينظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، ١٩٩٢م، ص٦٥.

٥-صمّود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، مشورات كلية الآداب/ جامعة منوبة، تونس، ط١، ١٩٩٨م، ص٢٩٩.

٦-طه عبد الرحمن، التواصل والحجاج، مطبعة المعارف، الرباط، ١٩٩٣م، ص١٣.

٧-فيليب بروتون، وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة: محمد صالح الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة السعودية، ط١، ٢٠١١م، ص٣٨.

٨-شايمم بيرلمان عالم فيلسوف وعالم لغة بلجيكي ولد سنة ١٩١٢م، وتوفي سنة ١٩٨٤م، درس القانون والفلسفة وحصل في كلّ مهما على شهادة الدكتوراه؛ فانعكس ذلك الاندماج بين علم القانون والفلسفة على تطوير ملكته اللغوية، فألف عدداً من الكتب في النظرية الحجاجيّة، فلذلك يعد رائد النظرية الحجاجيّة المعاصرة. ينظر: شاييم بيرلمان، الأمبراطويّة الخطابيّة/ صناعة الخطابة والحجاج، ترجمة: الحسين بنو هاشم، دار الكتاب الجديد، ط١، ٢٠٢٢م، ص٥.

٩-فيليب بروتون، وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، المرجع السابق، ص٤١.

١٠-شاييم بيرلمان، الأمبراطويّة الخطابيّة/ صناعة الخطابة والحجاج، المرجع السابق، ص٤١.

١١-آن رويل، وموشلار، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة: مجموعة من الباحثين، دار اللسانيات، تونس، ط٢، ٢٠١٠م، ص٩٣.

١٢-أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد السكاكي، من أهل خوارزم علامة، إمام في العربية والمعاني والبيان والأدب والعروض والشعر متكلم فقيه متفنن في علوم شتى وهو أحد أفاضل العصر الذين سارت بذكرهم الركبان ولد سنة أربع وخمسين وخمسمائة وصنف مفتاح العلوم في اثني عشر علماً أحسن فيه كل الإحسان وله غير ذلك. ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٤٠٠هـ، ج٢٠، ص٥٩.

١٣-السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ، ص٤١٥.

١٤-فيليب بروطون، الحجاج في التواصل، ترجمة: محمد مشبال، وعبد الواحد التهامي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م، ص٢٣.

١٥-فيليب بروتون، وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، مرجع سابق، ص٩٤.

١٦-جورج يول، التداوليّة، ترجمة: قصي العتابي، دار الأمان، الرباط،ط١، ٢٠١٠، ص٨٣.

١٧-جون لا نغشو أوستين (١٩١١-١٩٦٠)، فيلسوف إنكليزي، وهو أحد أهم ممثلي فلسفة اللغة، والفلسفة التحليليّة، تخرّج من جامعة أكسفورد متخصصًا في الأدب اليونانيّ والرومانيّ، وعمل فيها حتى وفاته. ينظر: الموسوعة العربيّة، arb-ency.com.

١٨-أوستين، نظرية أفعال الكلام العامّة/ كيف ننجز الأفعال بالكلمات، ترجمة: عبد القادر قنيني، دار الشرق، المغرب، ط٢، ٢٠٠٨م، ص٢٥.
١٩-آن رويل، وموشلار، القاموس الموسوعي للتداولية، مرجع سابق، ص٣١، ٣٢.
٢٠-المرجع نفسه، ص٣٢.
٢١-عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحيّ في ضوء النظرية التداوليّة، دار الأمل، الجزائر، ط٢، ص١٥٠.
٢٢-عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحيّ في ضوء النظرية التداوليّة، مرجع سابق، ص١٥١.
٢٣-فيلسوف أمريكي معاصر، يعد من أبرز مريدي الفيلسوف الإنكليزي أوستين صاحب نظرية الأفعال الكلاميّة، حيث عمل على تطويرها وتشذيبها من الإشكالات التي أثيرت عليها. ينظر: آن رويل، وموشلار، القاموس الموسوعي للتداولية، مرجع سابق، ص٣٣.
٢٤-هاشم الطباطبائي، نظرية الأفعال الكلاميّة بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٤، ص١٢.
٢٥-آن رويل، وموشلار، القاموس الموسوعي للتداولية، مرجع سابق، ص٣٣.
٢٦-المرجع نفسه، ص٢٥.
٢٧-جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع/ الفلسفة في العالم الواقعيّ، ترجمة: سعيد الغانمي، الدار العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦، ص٢١٧.
٢٨-السكاكي، مفتاح العلوم، مصدر سابق، ص٣١٨.
٢٩-عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحيّ، مصدر سابق، ١٥٠.
٣٠-سليمان بن صرد الخزاعي من التابعين الكبار ومن زهادهم وما نسب إليه من لوم وتعنيف للإمام الحسن عليه السلام، لا يتخيل صدوره من أمثاله، وإنّما يحتمل أنّ هذه النسبة وقعت خطأ من الرواة وبخاصّة أنّ أصل هذه الروايات جاءت عن طريق أبناء العامة؛ لعدم معرفتهم الكاملة برجالات الشيعة وطبقاتهم أو لغلبة رواة بني أميّة المندسين الذين يعملون على تشويه واضعاف خطّ الإمامة، واللافت للنظر أخذ الشريف الرضي تلك الأحاديث من هؤلاء من دون نقد أو إشارة تظهر رفضه أو تأمّله فيها، ينظر: الشريف الرضي، تنزيه الأنبياء، دار الأضواء، ط٢، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص٢٢٣.
٣١-ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، تحقيق: طه الزيني، مؤسسة الحلبي، ج١، ص١٤١.
٣٢-يحيى بن حمزة العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز، مطبعة المقتطف، مصر، ١٩١٤م، ج٣، ص٢٨٣.
٣٣-الرضي، نهج البلاغة، تحقيق: صبحي الصالح، قم المقدسة، ط١، ١٤١٤هـ، ص٣٥٥.
٣٤-البقرة، ٢٣.
٣٥-السكاكي، مفتاح العلوم، مصدر سابق، ص٣٢٠.
٣٦-جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، مصدر سابق، ص٢١٨.
٣٧-أثبت ابن الجوزيّ في التذكرة إنّ هذا الرجل هو سفيان بن أبي ليلى، ولكن هذا الكلام غير صحيح؛ لأنه ابن أبي ليلى من حواريي الإمام الحسن عليه السلام، وأصحابه المخلصين، واستبعاد نسبة الكلام إلى ابن أبي

ليلى لا يعني رفض الخبر المنسوب إلى الإمام الحسن عليه السلام؛ لعدم الملازمة فإنّه يمكن أن يكون المخاطب به شخص آخر، ولعلّ هذا خلط وتوهم من ابن الجوزي؛ لعدم معرفته برجالات الشيعة وتاريخهم، إلا أنّ من المستغرب جري العلامة باقر شريف القرشيّ وراء ابن الجوزيّ في ذلك، ينظر: باقر شريف القرشيّ، حياة الإمام الحسن عليه السلام، دراسة وتحليل، تحقيق: مهدي باقر القرشي، مؤسسة الإمام الحسن عليه السلام، النجف الأشرف، ط١٤، ١٤٣٤هـ، ج٢، ص٢٧٣، وهذا الأمر يمكن أن يجري في كلّ الأخبار المنسوبة إلى رجالات الشيعة المخلصين.

٣٨-سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، مكتبة: نينوى، طهران، ص١٩٩.
٣٩-الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت، ط٤، ٢٠٠٥م، ص٥٠٩.
٤٠- محمد منصور، متضمّنات القول في كلام آل البيت عليهم السلام، نماذج مختارة، أطروحة دكتوراه في اللغة العربيّة وآدابها، الجامعة الإسلاميّة في لبنان، بيروت، العام الدراسي ٢٠١٧م، ص٣٧.
٤١-ابن فارس، مقاييس اللغة، ، تحقيق، عبد السلام هارون، الناشر المكتب الإعلامي الإسلامي، قم المقدسة، د.ط، ١٤٠٤هـ، ج٣، ص٤٧ مادة: (زجر).
٤٢-محمد منصور، الاستعمال التداوليّ وأثره في فهم النصّ دراسة نصيّة في بنود صلح الإمام الحسن عليه السلام نموذجًا، بحث منشور في: مجلة تسليم، المجلد السابع، العددان الثالث عشر والرابع عشر، شوال ١٤٤١هـ/ حزيران ٢٠٢٠م، ص١٥٢.
٤٣-طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلّي، مرجع سابق، ص٢٢٥.
٤٤-ابن حجر، الإصابة في معرفة الصحابة، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ج٥، ص٨٥.
٤٥-اليعقوبي، تاريخ اليعقوبيّ، دار صادر، بيروت، ج٢، ٢١٥.
٤٦-اليعقوبي، تاريخ اليعقوبيّ، المصدر نفسه، ج٢، ٢١٥.
٤٧-جورج يول وبروان، تحليل الخطاب، ترجمة: محمد لطفي ومنير التريكي، دار النشر والمطابع، ١٩٩٧م، ص٣٧.
٤٨-العلوي، الطراز، مصدر سابق، ج٣، ص٢٨٦.
٤٩-اسمه دينار، ويكنى بأبي سعيد، ولقبه عقيصًا؛ لشعر قاله، وهو من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، والحسين عليه السلام، من بني تيم الله بن ثعلبة، ينظر: معجم رجال الحديث، للسيد الخوئي، ط٥، ١٩٩٢م، ج٨، ص١٥٢.
٥٠-الصدوق، علل الشرايع، المكتبة الحيدريّة، النجف الأشرف، ١٩٦٦م، ج١، ص٢١١.
٥١- التفتازاني، شرح مختصر المعاني، دار الفكر، قمّ المقدّسة، ط١، ١٤١١هـ، ص١٣٧.
٥٢-محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغويّ، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ٢٠٠٠م، ص٥١.
٥٣-سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ج٢، ص٢٠٨.
٥٤-زيبيله كريمر، اللغة والفعل الكلاميّ والاتصال، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهرة الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠١١م، ص٩٧.
٥٥-الرضي، شرح الرضي على الكافية، تصحيح: يوسف حسن، جامعة قاريونس، ١٩٧٨م، ج٣، ص٢٦٤.

٥٦-حجر بن عديّ من أعيان الشيعة ووجهائهم عرف بإخلاصه وولائه لأهل البيت ﵈، وصفه أصحاب التراجم الرجاليّة بصفات قل نظريها وكان من الأبدال من أصحاب أمير المؤمنين علي ﵇، وعده الشيخ الطوسي من أصحاب الحسن ﵇، وعده البرقي من أصحاب أمير المؤمنين ﵇، وعده الفضل بن شاذان من التابعين الكبار ورؤسائهم وزهادهم، فلا يعقل أن يتفوّه بكلام سمج مخاطبًا الإمام الحسن ﵇: أما والله لوددت انك مت في ذلك اليوم ومتنا معك ولم نر هذا اليوم فانا رجعنا راغمين بما كرهنا ورجعوا مسرورين بما أحبوا، بل الظاهر أنّ هذه محاولة ممنهجة من قبل الخطّ الأمويّ للإساءة لعظماء أصحاب الأئمة وخلصائهم، ينظر: معجم الرجال، للسيد الخوئي، ج٥، ص٢١٧.

٥٧-ابن شهر آشوب، مناقب آل ابي، تحقيق: لجنة الأساتذة، المطبعة الحيدريّة، النجف الأشرف، ١٩٥٦م، ج٣، ص١٩٧.

٥٨-سيبويه، الكتاب، مصدر سابق، ج٢، ص٢٠٨.

٥٩-ابن يعيش، شرح المفصل، ج٨، ص١١١.

٦٠-ابن يعيش، شرح المفصّل، ج٨، ص١١١.

٦١-فان دايك، النص والسياق/ استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٠م، ص٢٦٢.

٦٢-سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، مصدر سابق، ص١٩٩.

٦٣-الفخر الرازيّ، التفسير الكبير، المطبعة البهيّة، مصر، ج٢٥، ص١٨٩.

٦٤-عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ميسكلياني للنشر، تونس، ط١، ٢٠١١م ص٢٤.

٦٥-فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة: صابر حباشة، دار الحوار، سوريا، ص١، ٢٠٠٧م، ص١٥٣.

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم
*أرسطو، فن الخطابة، تحقيق: عبد الرحمن بدوي.
*أبو القاسم الخوئيّ، معجم رجال الحديث، ط٥، ١٩٩٢م.
*آن رويل، وموشلار، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة: مجموعة من الباحثين، دار اللسانيات، تونس، ط٢، ٢٠١٠م.
*أوستين، نظرية أفعال الكلام العامّة/ كيف ننجز الأفعال بالكلمات، ترجمة: عبد القادر قنيني، دار الشرق، المغرب، ط٢، ٢٠٠٨م.
*التفتازاني، شرح مختصر المعاني، دار الفكر، قمّ المقدّسة، ط١، ١٤١١هـ.
*باقر شريف القرشيّ، حياة الإمام الحسن عليه السلام، دراسة وتحليل، تحقيق: مهدي باقر القرشي، مؤسسة الإمام الحسن عليه السلام، النجف الأشرف، ط١٤، ١٤٣٤هـ.
*جورج يول وبروان، تحليل الخطاب، ترجمة: محمد لطفي ومنير التريكي، دار النشر والمطابع، ١٩٩٧م.
*جورج يول، التداوليّة، ترجمة: قصي العتابي، دار الأمان، الرباط، ط١، ٢٠١٠.
*ابن حجر، الإصابة في معرفة الصحابة، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
*زيبيله كريمر، اللغة والفعل الكلاميّ والاتصال، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهرة الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠١١م.
*الرضي، شرح الرضي على الكافية، تصحيح: يوسف حسن، جامعة قاريونس، ١٩٧٨م.
*الرضي، نهج البلاغة، تحقيق: صبحي الصالح، قم المقدسة، ط١، ١٤١٤هـ.
*الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت، ط٤، ٢٠٠٥م.
*السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق : نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.
*سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، مكتبة: نينوى، طهران.
*سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١.
*شاييم بيرلمان، الأمبراطويّة الخطابيّة/ صناعة الخطابة والحجاج، ترجمة: الحسين بنو هاشم، دار الكتاب الجديد، ط١، ٢٠٢٢م.
*الشريف الرضي، تنزيه الأنبياء، دار الأضواء، ط٢، ١٩٨٩م.
*ابن شهر آشوب، مناقب آل ابي، تحقيق: لجنة الأساتذة، المطبعة الحيدريّة، النجف الأشرف، ١٩٥٦م.
*هاشم الطباطبائي، نظرية الأفعال الكلاميّة بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٤.
*جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع/ الفلسفة في العالم الواقعيّ، ترجمة: سعيد الغانمي، الدار العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦.
*ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، تحقيق: طه الزيني، مؤسسة الحلبي.
*ابن فارس، مقاييس اللغة، ، تحقيق، عبد السلام هارون، الناشر المكتب الإعلامي الإسلامي، قم المقدسة، د.ط، ١٤٠٤هـ.
*الصدوق، علل الشرائع، المكتبة الحيدريّة، النجف الأشرف،١٩٦٦م.
*صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، ١٩٩٢م.
*صمّود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية،

مشورات كلية الآداب/ جامعة منوبة، تونس، ط١، ١٩٩٨م.
*طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، المركز الثقافي، الرباط، ط١، ١٩٩٨م.
*طه عبد الرحمن، التواصل والحجاج، مطبعة المعارف، الرباط، ١٩٩٣م.
*فان دايك، النص والسياق/ استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٠م.
*الفخر الرازيّ، التفسير الكبير، المطبعة البهيّة، مصر.
*فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة: صابر حباشة، دار الحوار، سوريا، ص١، ٢٠٠٧م.
*فيليب بروتون، الحجاج في التواصل، ترجمة: محمد مشبال، وعبد الواحد التهامي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م.
*عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحيّ في ضوء النظرية التداوليّة، دار الأمل، الجزائر، ط٢.
*فيليب بروتون، وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة: محمد صالح الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة السعودية، ط١، ٢٠١١م.
*عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ميسكلياني للنشر، تونس، ط١، ٢٠١١م.
*محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغويّ، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ٢٠٠٠م.
*محمد منصور، الاستعمال التداوليّ وأثره في فهم النصّ دراسة نصيّة في بنود صلح الإمام الحسن عليه السلام نموذجًا، مجلة تسليم، المجلد السابع العددان الثالث عشر والرابع عشر، شوال ١٤٤١هـ/ حزيران ٢٠٢٠م.
*محمد منصور، متضمّنات القول في كلام آل البيت عليهم السلام، نماذج مختارة، أطروحة دكتوراه في اللغة العربيّة وآدابها، الجامعة الإسلاميّة في لبنان، بيروت، العام الدراسي ٢٠١٧م.
*اليعقوبي، تاريخ اليعقوبيّ، دار صادر، بيروت.
*يحيى بن حمزة العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مطبعة المقتطف، مصر، ١٩١٤م.

الشبهات الأموية في مرآة الفضائل الحسنية

أ.م.د. صابرين زغلول السيد
جامعة عين شمس / كلية البنات
جمهورية مصر العربية

ملخص البحث

كان بنو أمية في حياة الرسول يبحثون عن المنافع والماديات المتمثّلة آنذاك في التجارة والأموال والزعامة، فخاضوا لأجلها الحروب ضد الدين الحق والنبي الخاتم، بل استجلبوا القبائل من شتى البقاع لمحاربة النبي، ورغم أنف الأمويين والقرشيين جميعًا، انتشر الدين دون أن يعتبر أبو سفيان من المعجزات التي أيدت الرسالة الوافدة ونبيها الصادق الأمين، فتأخر عن اعتناق الدين إلى يوم الفتح، حتّى رأى بعينه كتائب مسلمة لا سبيل إلى مواجهتها عسكرياً، فأسلم مضطرًا مرغمًا تحت قوة الإسلام التي أضحت لا تقاوم. فكان من الطلقاء الذين وسعهم عفو النبي الكريم.

ولم يكن للأمويين وجود من أي نوع أو سابقة من أي صنف أو لون في التمكين لهذا الدين حال استضعافه، بل دخلوا مضطرين مذعنين لقوة الوافد الجديد لعلهم يبحثون في قوته عن قوةٍ لهم، وفي ملكه عن ملكٍ لهم، ولم يدُر بخلدهم غير هذا المعنى، إلا أنّ بعض العلماء على رأسهم ابن خلدون اتّخذوا خطأً لقلب الحقائق وتزييفها حيث زينوا صراع الأمويين على الخلافة بأنه مجرد اختلاف في وجهات النّظر، سواء بين الإمام علي، (عليه السلام)، ومعاوية، أو بين الحسن المجتبى، (عليه السلام)، ومعاوية. والذي انتهى بمعاهدة الصلح، ذلك أنّ هذا الضّرب من الصّراع لم يكن إلا خلاف بين طباعيْن لا يلتقيان أبدًا، وفكرتيْن ليس بينهما أيّة قواسم مشتركة.. أحدهما يسعى إلى ملكٍ عضود أوصاه به أبوه وأمره بالعض بالنواجذ عليه، وآخر يريد إقامة فضائل الدّين من عدلٍ وشورى وحرية فكرية وعقدية .

ولم يكن الأمر مجرد خلاف في وجهة النّظر، لكنه خلاف وصل إلى عمق النفوس، نفسٌ تلهث خلف المنافع حيثما حطت رحالها.. ونفس تسعى نحو الطمأنينة مهما بلغت ضريبتها. لم تكن هذه النفس المطمئنة إلاّ نتاج لبيئة عظيمة ونسل طاهر هو نسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فمن رحِم المعاناة الاجتماعية ، والمخاض العصيب، الّذي يخوضه المجتمع الإسلامي بكافة فئاته، وعلى شفا وقيعة عظمى، تبدّت حكمة الإمام الحسن (عليه السلام) وفضائله . بدا ذلك من خلال العديد من الراء والقرارات منطلقا من حكمة و رجاحة عقل لإدارة الأوضاع الراهنة آنذاك. بما اصطفاه الله عز وجل من فوق سبع سموات. فقد كان (عليه السلام) ممن يضع بعض حظوظ نفسه.

لـذا جـاءت كل قراراتـه ﷺ، ثمـرة تربيـة نفسـيّة سـليمة نشـأت عـلى هـدي النّبـوة لا تنطـق إلا بالحكمـة المسـتلهمة مـن كلام الله عـز وجـل .

وفي هـذا البحـث ، سـأحاول تسـليط الضـوء عـلى بعـض الشـبهات التـي وجّهـت للإمـام ﷺ ، والتـي كان لبنـي أميـة اليـدّ الطـولى في ترويجهـا مـن أجـل تحقيـق أطماعهـم ونـشر أهدافهـم الأيديولوجيّـة التـي مـن شـأنها إشـعال نـيران الفتنـة بـين المسـلمين، سـعيا إلى إظهـار الـدّروس المسـتفادة مـن حكمـة الإمـام ﷺ، وبيـان صلاحهـا لحـلّ مشـاكل الواقـع المعيـش.

Abstract

In the life of the Prophet, the Umayyads were looking for the benefits in trade, money and leadership, so they fought for them against the true religion and the seal of the prophets . They brought tribes from various parts to fight the prophet . Despite of the Umayyads and Quraish , the religion spreads without considering Abu Sufyan .

The Umayyads did not have a presence of any kind to support religion . Rather, they entered into Islam as compelled to submit to the power of the entity . However, some scholars led by Ibn Khaldun took a line to twist truth and falsify facts and decorated the Umayyad struggle over the caliphate as just a difference of viewpoints, whether between Imam Ali and Muawiyah, or the sense of divergence between Al-Hassan Al-Mujtaba and Muawiyah that ended with the peace treaty. Yet what happened between Muawiyah and Imam Ali and between Imam al-Hassan and Muawiyah was nothing but a disagreement between two types of people that never meet under any condition .

, and two ideas that have no common denominators.

المقدمة

يعد الإعلام أحد الأسلحة الأساسية التي لها أثر كبير في مجريات الأحداث التاريخية، لا سيما في نشر الافتراءات والشبهات كنوع من الحرب الباردة بخلط الأوراق على الناس لتزييف الحقائق وإشاعة الأمور والمفاهيم المغلوطة والعمل على انتشارها ، ومنذ القدم فطن البشر إلى أهمية هذا السلاح في تحقيق أهدافهم ومصالحهم المرجوة وأصبح جزءًا لا يتجزأ من واقعهم المعيش لدرجة أن الغالبية خلقوا من خلاله عالمًا بعيدًا كل البعد عن واقعهم الحقيقي الملموس ، فأصبحوا فريسة للشك المعرفي الهدام وأصبحو لا يميزون بين ما هو افتراءات، وما هو مجرد شائعات مدسوسة أرادوا نشرها بأدوات إعلامية كاذبة ليلقفها العوام والتابعون لترويجها ، لتنتقل عبر شرائح المجتمع من فريات إلى شائعات مكذوبة لتصبح شبهة لا تمت للواقع والحقيقة بصلة، لذلك كان سلاحًا في أيدي أصحاب النفوذ والساسة ممن يمتلكون أطماعًا شخصية، وقد فطن بنو أمية لدور الإعلام ووسائله باستعمال أدوات الإعلام المغلوطة المعتمدة في ذلك العصر من خلال إطلاق الشائعات والأكاذيب والعمل على نشرها بين أوساط العامة التي كان يغلب عليها طابع الجهل والبساطة ، مع بث الأحاديث المغلوطة لإسباغ الصفة الشرعية عليها ، وانتشرت الأقلام المأجورة منذ عصر النبي عليه الصلاة والسلام مرورًا بعصر الإمام الحسن (عليه السلام) وحتى عصرنا الحالي لاثبات زعامتهم وأحقيتهم السياسية والدينية في الحكم ، فشرعوا في نسج الافتراءات التي تحولت إلى شبهات يتناقلها الموالين للدولة الأموية والمعارضين لآل البيت عليهم جميعًا السلام بإلصاق الفريات التي لا تليق بآل البيت ومكانتهم ، وهي جريمة عظمى في حق آل البيت عليهم جميعا السلام ، ولم يردعهم في نشر افتراءاتهم أن يكون الإمام (عليه السلام) سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله) و سيد شباب أهل الجنة ، حيث لم يسلم من الأساليب الملتوية ، والشبهات المضللة التي أطلقوها عنه (عليه السلام) من أجل قلب الرأي العام ضده من خلال اتباع الحيل والمكائد و إطلاق الافتراءات ، فافتروا بالأحاديث المكذوبة وخالفوا الحقائق وخلطوا الأوراق على عوام الأمة ليشككوا بالإمام ، في محاولة منهم لتشويه صورته .

من أجل ذلك كان عليهم هدم دولة الإمام ومنزلته الدينية في نفوس الناس عن طريق نشر الفريات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ...وغيرها الكثير ، وهي الجوانب التي يؤسس عليها اختيار الحاكم ، لذا أحاطوا الإمام عليه السلام بالافتراءات التي تحولت إلى الشبهات في محاولة للنيل من شخصه الكريم .

فمن الناحية الاجتماعية أثاروا قضية كثرة زيجات الإمام الحسن عليه السلام وكثرة طلاقه، ومن الناحية السياسية ادّعوا أن الإمام كانت تنقصه الشجاعة والحنكة السياسية لذلك تنازل عن الحكم طلباً للراحة .

ومن الناحية الاقتصادية نسبوا للإمام الإسراف و التبذير وغيرها من الافتراءات والشبهات التي لا همَّ لهم من خلالها سوى تشويه صورة الإمام ومن ثم الإسلام.

وسوف نتطرق في هذا البحث تباعاً لبعض من الشبهات الملفقة من بني أمية ضد الإمام الحسن عليه السلام ، في مقابل فضائله الكريمة التي كانت نتاجاً لبيت النبوة وتربية جده رسول الله صلى الله عليه وآله الذي كان تعليمه لا يصدر عن هوى نفسه ورأيه ، وإنما الذي ينطق به ، هو وحي من الله – تعالى – أوحاه إليه على سبيل الحقيقة التى لا يحوم حولها شك أو ريب .

أولا : الشبهة الاجتماعية : تعدد الزوجات

اعتاد بنو أمية تلفيق أنواع مختلفة من الافتراءات واتخاذها كأساس لاغتيال شخصيات آل البيت عليهم جميعا السلام فمثلما زعموا أن الإمام علياً عليه السلام أراد الزواج من ابنة أبي جهل ، بنفس الطريقة نسجوا من خيالهم افتراءاتهم و ادعاءات الإفراط في تعدد الزوجات على الإمام الحسن عليه السلام.

وقد استغلوا وجود ظرف تاريخي حرج عملوا من خلاله على تشتيت التوجهات والتيارات الدينية والفكرية والعقائدية والسياسية وانعكاساتها على الأمة الإسلامية ككل، فعمدوا إلى تحريف الإسلام بما يتناسب مع أهوائهم ومصالحهم بإلصاق التهم والافتراءات للإمام المجتبى عليه السلام من أجل ابعاد الالتفاف الشعبي ، فوضعوا له في ذلك العديد من الأقاويل المكذوبة ونسجوا فيها القصص والحكايات وأكثروا فيها الخوض عن ولع الإمام بالزواج وأفرطوا في عدد زوجاته، وبالغوا فيها إلى حد كبير وغير معقول ، واعتمد معظم

الرواة والمؤرخين والمستشرقين هذه الأقاويل والمرويات الموضوعة وذكروها في كتبهم دونما تحقيق في السند أو المتن، إما تساهلًا في نقل النصوص الروائية وإما بُغضًا لأئمة أهل البيت (سلام الله عليهم أجمعين) ، ومن هذه الروايات ما نسبوه إلى الإمام علي عليه السلام قوله:

«يا أهل الكوفة لا تزوجوا الحسن فإنه رجل مطلاق ، فقال رجل من همدان :والله لنزوجنّه فما رضي أمسك وما كره طلق» (١)

وقالوا عنه عليه السلام أيضاً : « كان الحسن رجلاً كثير نكاح النساء وكن قلّما يحظين عنده وكان قل امرأة تزوجها إلا أحبته وصبت إليه »(٢)

كما نسبوا إلى جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام أنه قال « كان الحسن يتزوج ويطلق، حتى خشيت أن يورثنا عداوة في القبائل.» (٣)

وزعموا أيضاً «وكان الحسن ربما عقد على أربعة وربما طلق أربعاً » (٤)

وغيرها الكثير من الروايات التي لا تصدق والتي لا يتّسع المجال لذكرها إلا أنهم لم يكتفوا هؤلاء بهذا القدر (إلّا أنّ هؤلاء لم يكتفوا) من الافتراءات بل زادوا عليها كثيرًا واختلفوا حول عدد زوجات الإمام الحسن فانقسموا في الأغلب على ثلاثة آراء :

الرأي الأول :

إن عدد زوجات الإمام الحسن سبعون امرأة وتبنّى هذا الرأي المدائني والذهبي وابن كثير، ومن هذه الروايات القائلة بهذا الرأي ما قال المدائني: « أحصيت زوجات الحسن بن علي فكن سبعين امرأة » (٥) ، وأيضاً يقال أنه « أحصن سبعين امرأة » (٦) وكذلك « تزوج سبعين امرأة ويطلقهن » .(٧)

الرأي الثاني :

يذهب إلى أنه عليه السلام تزوج تسعين امرأة وتبنى هذا الرأي كل من الشبلنجي والسيوطي فذكرا « وأحصن تسعين امرأة» .(٨)

الرأي الثالث : وهو أقرب إلى الخيال منه إلى الواقع وانفرد به أبو طالب المكي حيث ذكر «تزوج الحسن بن علي عليهما السلام مائتين وخمسين امرأة وقيل ثلاثمائة ». (٩)

وقد امتدت فريات بني أمية التي تحولت إلى شبهات حتى وصلت إلى بعض المستشرقين الذين بنوا أحكامهم على الإمام الحسن عليه السلام معتمدين على مثل هذه الافتراءات، من دون وجه حق، فنجد المستشرق البريطاني دوايت م. دونالدسون (١٨٨٤-١٩٧٦) يقول في كتابه عقيدة الشيعة: « وقد قضى زهرة شبابه في الزواج والطلاق حتى بلغ من تزوجهن المائة، وسمِّي المطلاق وخلق لعلي أعداء خطرين [١٠] مستنداً لكلام سلفه هنري لامانس(١٩٦٢-١٩٣٧) في دائرة المعارف الإسلامية [١١] وقد استدل على كلامه ببعض الأباطيل المدسوسة في بعض كتب الشيعة قائلاً: «ويعترف الشيعة أنفسهم أنه كان للحسن ستون زوجة وعدد كبير من السرايا فنقرأ أن عدد نسائه الشرعيات بلغ الستين عدا السرايا أو اللواتي تمتع بهن، وقد ذكر أن عددهن كان بين الثلاثمائة والتسعمائة وقد طلق كثيراً منهن فسمي بالمطلاق. وقد بلغت عليًا عدة شكايات من أناس بارزين في أن الحسن كان يتزوج بناتهم ولا يلبث أن يطلقهن، وكان الجواب الوحيد لعلي هو أن لا ينكحوه بناتهم» [١٢]

ولابد للسامع أن يستعين بعقله وبما منحه الله من فطرة سليمة تأبى تصديق هذه الأكاذيب، ذلك أن خطاب العقل المستنير يفرض علينا الرد بالمنطق والحجة والدليل

أولًا: نتوقف عند الرواية التي نسبوها للإمام علي عليه السلام بأنه يحذر أهل الكوفة وينصحهم بأن لا يزوجوا ابنه الحسن وقد نسبوا سندها للإمام الصادق (سلام الله عليه) فهل يعقل أن الإمام الصادق يروي عن أجداده أحاديث كهذه ؟!

وهل من المعقول أن يقوم الوالد وهو خليفة المسلمين بتحذير الناس من تزويج ولده على المنبر وأمام الملأ ؟!

ولِـمَ لَمْ يحذره دون التشهير به أمام عامة الناس فهل يعقل أنه حذّره وامتنع سيد شباب أهل الجنة عن الامتثال لأمر أبيه مما دفع الإمام أمير المؤمنين بتحذير أهل الكوفة من تزويجه؟!

وإن كان التعدّد حلالًا فالإمام علي لا يحرم حلالًا وإن كان حرامًا فهل يفعله سيد شباب أهل الجنة ؟!

إن الدليل واضح على شخصية الإمام الحسن عليه السلام التي لا تشوبها شائبة.

فعلى الرغم من تحريم أمير المؤمنين عليه السلام، استمر الناس في اعطائه بناتهم، مما يدل على ثقتهم في شخصية الإمام الحسن عليه السلام.

ثانيا : الفرية التي نشروها بأنه كان مزواجا مطلاقا ، هذه الفرية تواردت فيها الأقوال وتواترت ، فكيف بخبر واحد يتواتر فيه أرقام مختلفة ، فإذا تواتر قول واحد بأرقام مختلفة فهذا قول كاذب اتفقوا فيه على الكذب من أجل النيل من سمعة الإمام عليه السلام والتجريح فيه، ذلك أن هذا الخبر ينقسم على جزأين :

الأول: أنه مزواج مطلاق .

والثاني :عدد مرات الزواج والطلاق.

فلو قلنا إن الاختلاف في الأرقام ربما يقول القائل أن هذا يثبت أنه كان مزواجًا مطلاقًا و ينفي صحة العدد ولكن ذكر العديد من الأرقام المختلفة فهذا يثبت الخلل في هذا الخبر ليس فقط في عدد الأرقام بل بالجزء الأول أنه كان مزواجًا مطلاقًا ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يعجز الدليل التاريخي عن تحديد العدد الحقيقي لزوجات الإمام الحسن عليه السلام على النحو الدقيق أو القريب منه لوجود التدخلات والأهواء والغايات غير النزيهة التي تلاعبت بهذه المسألة حتى أخرجتها عن الحد غير المقبول .

وفي مثل هذه الحالات وحينما يكون الدليل التاريخي عاجزاً عن إيصال الباحث إلى الحقيقة ، لابد أن يسلك طرقًا أخرى سواء كانت منطقية علمية أو تحليلية تاريخية للوصول من خلالها إلى الحقيقة ربما لا نستطيع الوصول بشكل قطعي ولكن سنصل لمرحلة هي أقرب للحقيقي ولعل أفضل ما يمكن الاعتماد عليه في هذه المسألة ، قاعدة عقلية فطرية دلالة الأثر على وجود المؤثر ويعبر عنه بقاعدة « دلالة المعلول على وجود العلة »(١٣) هذه القاعدة يتفق عليها كل الحكماء والعقلاء في جميع الأزمان والأجناس و الأديان ، فعندما نرى دخانًا يتصاعد من مكان ما ، لابد لنا أن نحكم بوجود نار في هذا المكان ، وفي هذه المسألة (كثرة عدد الزوجات وكثرة طلاقهن) فكل زوجة كان لها اثر ثابت في التاريخ سنلزم أنفسنا بها أما اللائي ليس لهن أثر فهذا يدل على عدم وجودهن .(١٤) والمتتبع للكتب التي أرخت لزوجات الإمام الحسن عليه السلام يجد بعد الأدلة والبراهين العقلية بأن « عدد زوجات الإمام الحسن يتراواح بين السبع زوجات والعشر .(١٥) وهو القول الذي يتناسب مع عدد أبناء الإمام عليه السلام ، فذكر الشيخ المفيد أن عدد أبنائه خمسة عشر ولدًا ذكرًا

وأنثى [١٦] ، وهـذا العـدد تستطيع امرأة واحـدة انجابـه لا سيما أن مـن افـتروا بهـذه الشـبهة لم يذكـروا ولـو في موضـع واحـد مـرض أي مـن زوجـات الإمـام عليه السلام

وعليـه فعـدد البنـات والذكـور لا يتناسـب مـع هـذه الكثـرة الهائلـة التـي يُدعـى عـلى أن الإمـام الحسـن قـد تـزوج بهـن ، وعندهـا لابـد أن نعـرف أن هـذه الروايـات التـي تـروي كثـرة الـزواج للإمـام الحسـن سـاقطة مـن الاعتبـار ولم تكـن إلا مجـرد اختـلاق وجـاء البعـض بحسـن النيـة فذكرهـا وتحـدث عنهـا .

ثالثًا: لم يكـن الإمـام الحسـن عليه السلام رجـلاً ثريًـا جـدًا، لم يكـن لديـه الكثـير مـن الثـروة ليدفـع الصـداق ونفقـة الكثـير مـن الزوجـات ولهـذا كان ينبغـي للزوجـات أن يطلبـن الطـلاق وليـس أن الإمـام الحسـن عليه السلام يريـد أن يطلقهـن ، وأن يكـن عازمـات عـلى الـزواج منـه.

رابعًا: إذا علـم أن شـخصاً قـد طلـق مرتـين أو ثلاثـاً ، فمـن المنطـق أن لا أحـد يكـون مسـتعدًا أن يسـلمه يـد ابنتـه.

إنـه كـمال الإمـام الحسـن عليه السلام أنـه حتـى بعـد العديـد مـن حـالات الطـلاق ، ظلـت احتـمالات الـزواج قائمـة.

خامسًا: استشـهد الإمـام عليه السلام بعمـر ٤٧ عامـاً فكيـف تحقـق لـه الـزواج مـن هـذا العـدد المهـول مـن النسـاء خاصـة إذا مـا أخذنـا بعـين الاعتبـار الظـرف السـياسي الـذي عاشـه الإمـام والحـروب التـي خاضهـا ومهامـه الدينيـة كإمـام مفـترض الطاعـة.

ونتسـاءل الآن إذا كان هـؤلاء المؤرّخـون يتذكـرون ويحصـون عـدد زيجـات الإمـام الحسـن عليه السلام فلـماذا لم يحصـوا أسـماءهن ؟

الإجابة ببساطة أن الكذاب لديه ذاكرة بسيطة لا يستطيع تذكر إلا ما افترى عليه.

ومن ثمّ فإن جميع هذه الآراء مرفوضة جملة وتفصيلاً.

الشبهة السياسة : وصف الإمام عليه السلام بالجبن من خلال معاهدة السلام.

بعـد مناقشـة فريـة تعـدد الزوجـات التـي لفّقهـا بنـو أميـة مـن أجـل النيـل مـن سـمعة الإمـام، هنـاك حاجـة إلى بعـض النقـاش حـول قضيـة معاهـدة السـلام التـي وصفـوا فيهـا الإمـام عليه السلام بالجبـن، حيـث دسّـت أقـلام السـلطة الأمويـة مجموعـة مـن الأباطيـل والأكاذيـب عملـوا عـلى

نشرها، وبثها بين المستشرقين الغربيين، فقد كتب المستشرق دونالدسون عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام قائلاً: «إلا أنه مهما كانت درجة التشابه الظاهري مع النبي صلى الله عليه وآله فإن الأخبار تدل على أن الحسن كانت تنقصه القوة المعنوية والشجاعة والضبط النفسي والقابلية العقلية لقيادة شعبه ...»(١٧).ولم يكلف دونالدسون نفسه العناء في البحث والتقصي عن الحقيقة، بل استقى معلوماته من المستشرق لامنس، كما سبق وذكرنا من قبل، و المعروف عن لامنس حقده وكراهيته للإسلام وآل البيت (عليهم جميعا السلام) ولايحتاج موقف لامنس من الأمويين لطول حديث لوضوح الأسباب فالدولة الأموية تختلف عن الخلافة الراشدة في التعامل مع النصارى، والتاريخ يثبت اتصال الفكر الأموي بالفكر المسيحي المحرف، حيث اعتاد بنو أمية على تثقيف أبنائهم على يد مسيحيين وهذا ليس بالمستغرب منهم لا سيما أن ميسون زوجة معاوية المفضّلة ووالدة يزيد مسيحية من قبيلة كلب المسيحيّة اليمنيّة المرابضة في بادية السماوة وقرب تدمر» (١٨)

وكانت القبائل المسيحيّة العربيّة أمثال تغلب وتنوخ وكلب لا تزال قويّة وكانت جيوشها أكبر داعم للأمويّين ضد معارضيهم لذلك كانت محكمة معاوية مليئة بالممثلين المسيحيين. وكان الطبيب الشخصي لمعاوية من أتباع المسيحية، وقد تربي يزيد بن معاوية لدى أخواله المسيحيّين في البادية وكان من أهم أصدقائه سرجون بن منصور يوحنا الدمشقي (١٩) الذي كان والده منصور خازن بيت المال في عهد جده يزيد وأبيه معاوية، وتعد كتابات يوحنا الدمشقي أو القديس يوحنا الدمشقي وفقاً للكنيسة من أوائل الكتابات التي أساءت لرسول الله صلى الله عليه وآله وحاولت تشويه صورته، ولأن الله عز وجل يأبى أن ينطفئ نوره فقد سخّر بعض العلماء من المنصفين للردّ بشكل مفصل ودقيق » (٢٠).

وتلك الشبهة - شبهة الجبن - تعرض لها النبي الكريم صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام من قبل، ولكن في ذلك الوقت اختلفت الظروف فلم يكونوا مضطرين لمواجهة الظروف التي واجهها الإمام الحسن عليه السلام، ورغم هذه الصعوبة واصل مهمته في نصرة الإسلام والمسلمين ولم يقدم أي ذريعة للظالم لإساءة استخدامها من أجل القضاء على بيت النبوة وعلى آل البيت عليهم جميعا السلام.

ولكي نفهم الحقائق لا بد لنا من معرفة المشهد النفسي الذي دفع بني أمية لاغتصاب الحكم من ناحية الظروف المحيطة بالإمام الحسن عليه السلام قبل معاهدة الصلح.

أولًا : المشهد النفسي الذي دفع بني أمية لاغتصاب الحكم

إذا توقفنا عند المشهد النفسي لبني أمية في عصر الإمام الحسن ، يتضح لنا أن تأخر معاوية عن الإسلام حتى يوم الفتح، و لقب «الطلقاء» كان أشبه بالنقيصة التي يشعر بها في قاع ذاته، حيث كان تاريخه وأبوه ضد النبى صلى الله عليه وآله وآل بيته وأصحابه وعلى رأسهم الإمام علي عليه السلام يثير في نفسه الغضب الدفين والثورة الكامنة ، لا الثورة التى يندم صاحبها على فوات الخير، ولكن الثورة التى يعض صاحبها أنامل الغيظ إذ تأخر حين كان ينبغي أن يتقدم.. وإذ تخلف إذ كان ينبغي أن يحضر ، ثورة لا سبيل إلى الفكاك منها غير ازدراء الطرف الآخر الذى يشعل في نفسه الإحساس بتلك الفوارق.. محاولة التقليل منه ومن سابقته، وإن استطاع إلى التشكيك في نسبه فليفعلن لإضفاء شيء من الطمأنينة على ذاته الهالعة التى تُذكره دوماً بأسبقية علي وبنومه في فراش الرسول صلى الله عليه وآله ليلة الهجرة وبقرابته منه وبمصاهرته له، وبإنجابه أحفاد النبى صلى الله عليه وآله الذين أحبهم وتعلق بهم ، كل هذا لا سبيل إليه، فليس سوى أحد بديلين، إما الوثوب على السلطة لتعويض هذا الشعور القاسى، وإما الوثوب على الإمام علي عليه السلام ذاته بالإنتقاص من مكانته واحتقار شأنه لعله يجد في ذلك بعض الردم لتلك الهوة السحيقة التى لا يبلغ بها ردم.. أي ردم...ولا يقلص مساحتها الشعور..أي شعور..هذا المشهد النفسى الوجدانى يصوره العقاد ببراعة.. « إن معاوية ملك وبايع بالملك ليزيد وهو يعلم أنه غالب بالسلاح والمال مغلوب بالسمعة والشعور، فكان الناس يفضلون عليًا عليه وهو لا يملك أن يفاضله بقرابة النبى صلى الله عليه وآله ولا بالسابقة إلى الإسلام، ولا بالعراقة في قريش، فتجنب النسب والسابقة، وعهد إلى شخص علي في منازعات الخلافة فاتهمه بتفرقة كلمة المسلمين، وأمر بلعنه على المنابر عسى أن يُضعف من تلك المكانة التي هو مغلوب بها، ويستبقي الدولة التى هو بها غالب، ولج في ذلك حتى قتل أناسًا لم يطيعوه في لعن علي واتهامه، وأبى أن يجيب الحسين بن علي إلى شرطه الذي أراد به أن يرفع اللعن عن أبيه، وكان معاوية على حصافته يجهل أنه قد أضاع سمعة وشعورًا من حيث حارب عليّاً في مقام السمعة والشعور »[٢١] .

لقد ظل مطلب معاوية بالملك حلمًا يراوده بين الحين والحين، وظل مطلب الإمام علي عليه السلام بإقامة الدين حُلماً يراوده هو الآخر، إذ لم تقبل نفسه الأبية أن يتحول حكم الدين الشوري

العادل إلى ملكية عضوضة ظالمة ترتد بالناس إلى الجاهلية الأولى، التي ما كانت الدعوة ولا كانت دماء الشهداء إلا لأجل تبديد ظلماتها والقضاء على آفاتها التي عصفت بالإنسانية، إن معاوية إذا أراد شيئًا ورى به وفتح له الأبواب ومهدَّ له السُبُل كما حدث في أخذه البيعة ليزيد .

ثانيا : الظروف المحيطة بالإمام الحسن عليه السلام قبل معاهدة الصلح

بعد مقتل الإمام علي عليه السلام صلى عليه الحسن عليه السلام وكبر عليه أربع تكبيرات، ثم دفنه ، في ذلك الوقت توجهت الأنظار إلى الإمام الحسن عليه السلام فلم يعادله أحد للخلافة، فبايعوه على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله .

وكانت بيعة الحسن بن علي عليه السلام في شهر رمضان من سنة ٤٠ هـ ، وذلك بعد استشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقد اختار الناس الحسن بعد والده ولم يعين أمير المؤمنين أحدًا من بعده، فقد أخرج الطبري بسنده ما وقع لما كان علي عليه السلام في انقطاع من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ما نصه : « سمعت عليًا يقول: لتخضبن هذه من هذا، فما ينتظربي الأشقى قالوا: يا أمير المؤمنين، فأخبرنا به نبير عترته، قال: إذن تالله تقتلون بي غير قاتلي قالوا: فاستخلف علينا قال: لا، ولكن أتركم إلى ماترككم إليه رسول الله صلى الله عليه وآله قالوا: فما تقول لربك إذا أتيته قال: أقول: اللهم تركتني فيهم ما بدا لك، ثم قبضتني إليك وأنت فيهم، فإن شئت أصلحتهم، وإن شئت أفسدتهم وفي رواية: أقول اللهم استخلفني فيهم ما بدا لك، ثم قبضتني وتركتك فيهم وبعد مقتل علي صلى عليه الحسن ابن علي وكبر عليه أربع تكبيرات، ... وكان أول من بايعه قيس ابن سعد بن عبادة الخزرجي، قال له: ابسط يدك أبايعك على كتاب الله عز وجل وسنه نبيه، وقتال المحلِّين، فقال له الحسن عليه السلام على كتاب الله وسنة نبيه فإن ذلك يأتي من وراء كل شرط: فبايعه وسكت وبايعه الناس.» (٢٢) ويعد الإمام الحسن عليه السلام خامس الخلفاء الراشدين ،(٢٣) وبالتالي فخلافته كانت خلافة حقة، وقد ورد أن عدد المبايعين للحسن عليه السلام أكثر من أربعين ألفاً، وهم الذين بايعوا أباه على الموت . (٢٤)

لقد تسلم الإمام الحسن زمام الخلافة في أعقاب سلسلة من الحروب والتمردات العسكرية منذ مقتل عثمان بن عفان وحتى مقتل أبيه الإمام علي عليه السلام ، في هذه المدة

تصاعدت الصراعات على النفوذ والمواقع ، ولا نريد هنا دراسة جذور هذا الصراع ، لكن القضية الرئيسة هنا هي رفض معاوية وأتباعه الاعتراف بالحسن عليه السلام خليفة للمسلمين، حيث انفرد بالشام ، وأقام فيها ما يشبه الإمبراطورية .

وهنا نلاحظ نقطة مهمة جدًا هي أن حال الأمة في ذلك الوقت ، لم يكن متحدًا تماما بين الخليفة وأمته، في مدة تولي الإمام الحسن عليه السلام ، فسادت حالة من التمرد وعدم الطاعة، والتي « كانت مبطنة في واقع الأمة و(لا شعورها)، وأن ذلك كان سببًا في الفوضى وتفاقمها..» (٢٥)

ولو استقرأنا الأحداث فسوف نجد:

أولًا – عندما خطب الإمام الحسن بعد بيعته قال: تسالمون ما سالمت وتحاربون ما حاربت، وذلك كشرط لقبول تسلم الخلافة، نجد أن المجتمع قد تعامل مع هذا الشرط تعاملاً سلبيًا ، فيرى الطبري أن الأمة ارتابت لأنه لا يريد الحرب .» (٢٦)، في حين أن ابن الأثير قد نقل أن ارتياب الأمة كان لأنه أراد الحرب» (٢٧)

ثانيًا – إن ابن عباس قد هرب والتحق بمعاوية، والطبري نقل أن الهارب هو عبد الله « وعرف الحسن أن قيس بن سعد لا يوافقه على رأيه ، فنزعه وأمر عبد الله بن عباس، فلما علم عبدالله بن عباس، بالذي يريد الحسن عليه السلام أن يأخذه لنفسه كتب إلى معاوية يسأله الأمان ويشترط لنفسه على الأموال التي أصابها، فشرط له ذلك معاوية » (٢٨)

أما ابن الأثير واليعقوبي فإنهما نقلا أنه عبيد الله ، فيقول :« إنّه – يعني معاوية – أرسل إلى عبيد الله بن عباس ، وجعل له ألف ألف درهم ، فصار إليه في ثمانية آلاف من أصحابه، وأقام قيس بن سعد على محاربته » (٢٩).

ثالثًا – لقد أشيع في قوات قيس الأمامية أن الإمام الحسن عليه السلام قد صالح، وأشيع في قوات الإمام الحسن عليه السلام مصالحة قيس، رغم عدم حدوث هذا(٣٠).

رابعًا – في الوقت ذاته أرسل معاوية للاجتماع مع الإمام الحسن عليه السلام جماعة فيهم المغيرة ابن شعبة وعبد الله بن عامر بن كريز، وبعد أن خرجوا من الاجتماع أشاعوا في الجيش مصالحة قائدهم رغم أن هذا لم يحدث » (٣١)

هنا يتوقف اليعقوبي عن سرد الأحداث، وينقل أن الصلح قد أبرم بعدها، فقد وصل إلى قمته وطعن الإمام الحسن، وبوصول معاوية إلى العراق اضطر الإمام عليه السلام للصلح.

خامسًا : أخذت «دسائس معاوية تشقّ طريقها إلى المعسكر حيث وجدت المجال الخصب بوجود المنافقين ومن يؤثرون العافية ، وكانت الشائعة الكاذبة « أنّ الحسن يكاتب معاوية على الصلح فلم تقتلون أنفسكم ؟ » (٣٢)

وقد وجدت رسائل معاوية ترحابًا في النفوس الضعيفة إستجابة لداعي الخيانة تاركين وراءهم جيش الإمام عليه السلام مخلّفين وراءهم لعنة التاريخ ، وتمرّدًا وفوضى شاملة في الجيش .

وشاع جوّ من المحنة في النفوس ، وشعر الإمام عليه السلام بالطعنة في الصميم تأتيه من أقرب الناس اليه وأخصّهم به ، وتسرّبت إليه أنباء عن مكاتبة بعض رؤساء الأجناد والقوّاد لمعاوية وطلبهم الأمان لأنفسهم وعشائرهم ، ومكاتبة معاوية لبعضهم بالأمان والمواعيد ، وأخذت حرب الشائعات والأكاذيب تأخذ طريقها في استغلال نقاط الضعف ، واستغلال كلّ ما من شأنه أن يوهن العزيمة ويشلّ القوى فيهم ، فقد عمل معاوية على الوقيعة بالجيش الكوفي ، وتفتيت قواه ، وكانت قوة الإشاعات التي تبثها عيونه ، والحزب الأموي في جيش الإمام الحسن عليه السلام لها أكبر تأثير في اضطرابه ، فيذكر الطبري أثناء قيادة قيس بن سعد لجيش الإمام الحسن عليه السلام أشيع بين الجيش « مقتل قيس بن سعد(٣٣) ، بينما يذكر اليعقوبي « بإنّ قيس بن سعد وهو قائد مسكن بعد فرار ابن عباس قد صالح معاوية وصار معه » (٣٤) ، وهذه طبيعة الأمويين في نشر الشائعات المزدوجة لتضليل الناس فأن لم تلق واحدة ثمارها، غزت الأخرى على النفوس الضعيفة ، من أجل تفجير كوامن الفتنة واضطرب تماسك الجيش ، في ذلك الوقت لاحت في الأفق بوادر المحنة ، ودقت الحرب ناقوس الخطر، فهل يترك الإمام دماء المسلمين تراق وينقطع حبل الله بينهم ؟

لقد علم الإمام ما في نفس معاوية من حب للسلطة وتطلع إليها وتشوق، فآثر أن يُسكّن تلك النفس بما تطلّعت إليه ويحقن دماء المسلمين ويعطي صورة أخرى من صور الحق وهي إيثار الجماعة والوحدة تحت أي ظرف، وكفى ما أعطاه أبوه من الوجه الآخر للحق ممثلاً في مقاومة الطغاة والبغاة ومناوئة الظالمين.

وافق الإمام الحسن عليه السلام على الصلح حقنًا لدماء المسلمين ، واشترط بعض البنود التي أملاها على معاوية ، والتي من خلالها يتضح مدى ذكاء وفطنة الإمام في إبعاد معاوية عن

أي مكسب ديني ، نذكر من هذه البنود:

١ - أن لا يسمّيه أمير المؤمنين (٣٥)

٢ - أن لا يقيم عنده شهادة (٣٦)

٣ - أن لا يتعقّب على شيعة عليٍّ عليه السلام شيئاً (٣٧)

٤ - أن يفرق في أولاد من قُتل مع أبيه يوم الجمل وأولاد من قُتل مع أبيه بصفين ألف ألف درهم، وأن يجعل ذلك من خراج دار أبجرد(٣٨).

٥ - وأن لا يشتم عليًا (٣٩).

فمِن المسلّم أنَّ الإمام من المؤمنين بل على رأسهم، فإذا كان معاوية ليس أميرًا للمؤمنين عملًا بالبند الأول فهذا يعني أنه ليس أميرًا على الحسن بل على سائر المؤمنين، وكذلك البند الثاني، فكيف يكون خليفة ولا تقام عنده الشهادات؟! فالإمام عليه السلام هو الأقوى ، وبالتالي فالمتأمل في هذه البنود سيجد أنّها بنفسها تنفي الخلافة عن معاوية، وهذا من تدبير الله عز وجل أوحى به إلى الإمام عليه السلام ليتصدى لهؤلاء الظالمين الذين حاولوا أن يبطلوا الحق، فبعث لهم قانونًا من الحق متمثلًا في شخص الإمام عليه السلام، ذلك أن الله يأبى « ... إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ »(٤٠)

وبهذا التنازل يقدم الإمام الحسن عليه السلام المثل الأعظم للوجه الآخر من الحق.

وهنا ربما يتساءل البعض، أكان الإمام علي عليه السلام مخطئًا في تلك الحروب، فلماذا لم يتنازل كما فعل ابنه الحسن عليه السلام؟

وهذا سؤال منطقي لا يجب الإلتفاف عليه.. ولكن الحق أحق أن يُتبع، فالإمام علي عليه السلام بويع من الصحابة الأصلاء الذين جاهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله ومعاوية هو من بغى عليه.. نفذ إنقلابًا عسكريًا بعدة وسائل وصور متعددة، ومن ثمَّ كان ينبغى للخليفة الشرعي أن يواجه الخارجين عن دولته الذين يفرقون كلمة الأمة ويشقون وحدة صفها وهو ما فعله الإمام عليه السلام دون أن تُتح له بدائل أخرى.. هكذا كانت ظروف العصر وظروف البيعة ومقتضى الحال.. علي عليه السلام حاكم شرعي، ومعاوية باغ، أيهما ينزل للآخر، الباغي ينزل على الكتاب والسنة ويُسلم للحاكم الشرعي، أم الحاكم الشرعي يتنازل للبغاة، لتضيع الدولة

الإسلامية وتُهدم أسسها القويمة ومبادئها الراسخة، ولتُسن بذلك سُنة سيئة مؤداها أن صاحب الشوكة أو المتغلب إذا تمكن من الخليفة الشرعى صار حاكمًا تجب طاعته

هنا عمق القضية، وهكذا ينبغى أن تُصاغ. !!

لم يكن أمام الإمام علي عليه السلام أية بدائل أخرى غير محاولة إخضاع البغاة من حزب معاوية لسلطة الدولة، لذا التمس لذلك كل الوسائل، وما ارتدع معاوية .. لقد عاد الزبير وطلحة إلى الدولة بمفاوضات اتخذت سبيلها نحو العقل وقادها الحق الصراح ولولا السبئية [41] ما سقطت نقطة دماء واحدة في معركة «الجمل» ولكنهما عادا إلى رشدهما إذ اتضحت أمامهما السُبُل وبان لهما الحق. أما معاوية فلم تُغن معه المفاوضات، ولم تردعه الدلائل الواضحة ، بل التف على ثوابت الدين وظل في طريقه حتى النهاية، حتى صار إليه الأمر، وتقلّد الحكم .

فموقف الإمام علي عليه السلام إذن هو الصواب، وهو ما لا يجيد الرجل سواه بشجاعته وقوته في الحق، وهكذا ورَّث الشجاعة والصلابة في الحق للحسين عليه السلام ليجاهد الظالمين وقُطاع الطرق، ليحاول قطع الطريق أمام الدولة السلطوية المستبدة، الملكية العضودية، وليقيم دولة الدين الراشدة العادلة، دون أن تفلح مبادئه في هزيمة السيف والذهب.

أما الإمام الحسن عليه السلام فأمامه البدائل متاحة، فإن استمر خليفة للمسلمين فهو الحق والصواب والأولى بحكم صحة بيعته وخلافته، وإن تنازل فبفضل نفسه وسمو خلقه، والأمر متروك تقديره له في النهاية..

لقد فعل الرجال الأربعة ما جُبلت عليه نفوسهم، فلم يخطئ أحدهم حيث ينبغى أن يصيب، وما أصاب أحدهم حيث ينبغى أن يخطى.. فعلي عليه السلام قاوم البغاة ولم يعط الدنية من نفسه أو دينه.. وتابعه الحسين على ذات الموروث.. أما الحسن عليه السلام فحقق السيادة من وجهها البعيد الذي لا تطيقها النفس البشرية في وجهتها تلك.. وأما معاوية فقد أصاب هدفه الذي تربى عليه وغُرس فيه صغيرًا، فما كان للدين بديلاً عند علي أو الحسين عليهما السلام وما كان للملك بديلاً عند معاوية، فقدم كلٌ منهم دوره المنوط به دون أدنى تقصير.

وإذا قلنا بأن ظروف عصر الإمام الحسن عليه السلام كانت مغايرة لظروف أبيه، وأن البدائل أتيحت أمامه، وأنه تنازل عن الحكم لمعاوية، فالسؤال الحق أيضًا، ولماذا لم يتنازل معاوية؟!

لماذا لم يتنازل من قبل للإمام علي عليه السلام وقد بدا له الحق ووجه الحقيقة كالشمس ليس دونها سحاب؟

ثم لماذا لم يكن هو المتنازل للإمام الحسن عليه السلام؟

في إجابة هذا السؤال يظهر الحق كالقمر ليلة التمام، وفي إجابته يكمن الفارق بين الرجلين، بل بين العائلتين، بني أمية، وبنى هاشم، فهما صنفان متغايران غير صنوان، لم يلتقيا ولو في لحظة واحدة من لحظات التاريخ إلا وبدا الفارق بينهما بعيدًا، أبعد كثيرًا من تلك المسافة التى ابتعد بها الأبناء والأحفاد عن الجد عبد شمس.

لقد تنازل الحسن عليه السلام لأن الدين كان وجهته، ولم يتنازل معاوية لأن الملك كان وجهته.. تنازل الحسن عليه السلام لأنه يقصد إقامة خلافة تسعى لصالح الناس لا لتكون مصدرًا لتسليط السيوف على رقابهم، فآثر إصلاح ذات البين.. ولم يتنازل معاوية لأن السلطة كانت مقصده وغايته ووجهته حيثما ولى وجهه في أي شطر كان.

لقد كانت رؤية الإمام الحسن عليه السلام لهذا الصلح مع معاوية تتمثل في ابتغاء سلامة الناس وحقن دمائهم لأنه يعلم أن أطماع معاوية لا حدَّ لها، ولن يتوقف معاوية عن شق الصف، ومن ثَمَّ كانت خشيته أن يُسأل أمام الله عن هذه الدماء .

وما تأخر الحسن عليه السلام في تلبية صوت نفسه، وما أخطأ فطرته وجبلته.. وما أخطأ معاوية أيضًا تلك الفطرة التى تربت على حب الزعامة والإمارة.. ولك أن تضع المشهدين وجهًا لوجه.. الإمام علي عليه السلام يرسل إلى معاوية بالمبايعة والسلام وألا يشق وحدة الأمة، ورد معاوية كان الرفض القاطع تذرعًا بدم عثمان .. ومعاوية هذا الذى رفض الصلح، يرسل إلى الإمام الحسن عليه السلام من يطلب منه الصلح فيقول لرسوله: «اذْهَبَا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ (الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ)، فَاعْرِضَا عَلَيْهِ» (٤٢) وما كان من الحسن عليه السلام إلا أن يجيب إلى الطلب وزيادة عليه، وما كان من معاوية إلا رفض دعوة الإمام علي عليه السلام من قبل بما فُطر عليه وجُبل.

وأُفضى الأمر إلى معاوية، فأحب أن يأخذ البيعة من أهل العراق حيث مقر خلافة الإمام علي عليه السلام فذهب إليهم، ثم طلب من الإمام الحسن أن يخطب في الناس، لتتم بيعة الناس عن قناعة بأن خليفتهم قد تنازل بإرادته، وما كانت إرادة عن حرية ونزاهة، ولكنها

كانت إرادة أُخذت بسيف الحياء وبجمال الدين وحسن الخلق، إنما كانت ستأخذ صفة الحرية والنزاهة حال يرفض الإثنان الخلافة ويؤثر كل واحدٍ صاحبه، أما أن يكون أحدهما مترفعًا عنها والآخر ذا نهمٍ عليها فإنه لا يتنازل إرضاءً لنفسه بقدر ما يتنازل إرضاءً لغرور وطموحات خصمه.. وقام الإمام الحسن عليه السلام خطيبًا فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: « يا أيها الناس إن الله قد هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا وإن لهذا الأمر مُدة، والدنيا دول..[٤٣] ثم نظر إلى معاوية وقال عليه السلام « وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ » [٤٤].

وكم لخص المشهد ببلاغة بتلك الآية، فالإمارة لا تُطلب، لا يُسعى إليها، فتلك مبادئ حاكمة من أساسيات هذا الدين، فما بالك بمن يقتتلون عليها!!

إن رسول معاوية إلى الإمام الحسن عليه السلام عبد الرحمن بن سمرة هو نفسه الذي سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله حديث النهي عن الإمارة، بل هو ما اختُص بهذا التوجيه النبوي، فعنه أنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله : « يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة أكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها»[٤٥].. أفلا يكون قد حدث معاوية بهذا الحديث؟!

وعن أبي موسى عليه السلام قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وآله أنا ورجلان من بنى عمى فقال أحدهما: يا رسول الله أمّرنا على بعض ما ولاّك الله عز وجل، وقال الآخر مثل ذلك، فقال صلى الله عليه وآله « إنا والله لا نولى على هذا العمل أحدًا سأله، ولا أحدًا حرص عليه»[٤٦]

والإسلام هنا يسد الذرائع أمام الفساد أو النفعية من غير وجهها الصحيح، حتى لا يستغل أحد منصبه، وحتى لا تتحول المناصب عن مقاصدها حيث خدمة الناس وتمهيد السُبُل لهم إلى خدمة السلطان والحاشية وتمهيد السبل لهم..

كان الأولى بمعاوية أن يُذكّر نفسه بهذه الأحاديث خاصة أن بعض رواتها من المقربين لديه ومن بنى عمومته.. ولكن دون جدوى.

إن اتهام الإمام بنقص الشجاعة والجبن لا تثبتان إلا لرجل ضعيف النفس، هزيل الشدة ، وهذا مخالف لقول النبي صلى الله عليه وآله كما جاء في الحديث عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ليس الشديد بالصُّرَعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب[٤٧] فلقد تمالك الإمام

الحسن نفسه في غضبه وهوى نفسه ، في حين أن عدوه ملكه هوى نفسه، وحرّكه غضبه ،وساقه ضلاله ، ففقد على اثر ذلك الشدة ، فانهزم أمام دوافعه المادية ، فأيهما الشديد وأيهما الضعيف ؟ وهل ننتظر جواباً في حكم وقد أفتانا رسول الله في تلك المسألة؟ إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب .

وهنا كانت صفة الشدة متأصلة في حكمة الإمام عليه السلام فلم يكن بالذي يتأخر أبدًا عن أي صلح فيه عصمة للدماء، فقد كان بطبعه مؤثرًا للسلام تحت أي ظرفٍ، فالحسن عليه السلام من ذوي الميول البالغة الطيبة، من أولئك النفر القليل الذين أوتوا قدرات فوق البشرية في هذه الناحية، فهو يمتلك قدرًا من التسامح غير مشروط، يمّكنه هذا القدر من الرضا بأى شئ ما لم يكن فيه معصية، ويؤثر دومًا حظوظ الآخرين على حظ نفسه، ولما لا وهو عليه السلام من ميراث النبوة، فروى الترمذى أن فاطمة عليها السلام دخلت بالحسن والحسين على أبيها وقالت: « يا رسول الله ، هذان ابناك فورثهما»، فقال عليه السلام « أما الحسن فله سخائي وهيبتي، وأما الحسين فله شجاعتي وسؤددي»(٤٨)

لقد كان الحسن عليه السلام ممن يضع من حظوظ نفسه ويسلبها كل حقٍ، وإن كان في هذا الخلق سيادة شهد له بها جدَّه عليه السلام ، فعن أبي بكرة قال: رأيت النبي صلى الله عليه وآله على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: « إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يُصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»(٤٩)..

كان الحسن شبيهًا بالنبي صلى الله عليه وآله في سخائه وتسامحه، وكان الحسين عليه السلام شبيهًا بالنبي في شجاعته وطلبه للحق..

كان الحسن شبيهًا في الصورة والشكل بالنبي عليه السلام لقد حمله أبو بكر ذات مرة فقال: « بأبي شبيه بالنبى ليس شبيه بعلي» (٥٠) وعلي ينظر ويضحك.. وكان الحسين شبيهًا بالنبي في قوته في طلب الحق وغضبه إذا انتُهكت محارم الله، فكان بداخله ثورة دائمة على الظلم والظالمين أيًا كانت منزلتهم وسلطتهم، يقابلها رحمة وحنو على الضعفاء والمساكين بذات القدر أو يزيد.

ومرة أخرى يأتي صريح العقل مع صحيح النص ليبرئ الإمام مما نسب إليه من فريات .

ثالثا :- الشبهة الاقتصادية :شبهة الإسراف

من الشّبهات الجسيمة الّتي حاول الأمويون إلصاقها بالإمام الحسن عليه السلام هي الشبهة الاقتصادية ، شبهة الإسراف والتّبذير ، علمًا أن الإسراف: صرف الشيء فيما ينبغي زائدًا على ما ينبغي ، بخلاف التّبذير؛ فإنه صرف الشيء فيما لا ينبغي [٥١] فبينهما عموم وخصوص إذ قد يجتمعان فيكون لهما المعنى نفسه أحيانًا، وقد ينفرد الأعم وهو الإسراف [٥٢] وقد حذّر القرآن منهما جميعًا ومصداق ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ [٥٣] وكذلك قوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [٥٤]

وهنا فالمبذرون والمسرفون هم الأكثر بعدًا عن شريعة الإسلام الذي يتطلب الوسطية في الإنفاق ، لذلك لم يجد المضللين المكذبين، شبهة أحب إليهم من صفة التبذير والإسراف فأرادوا إسقاط ما فيهم على الإمام الحسن عليه السلام من أجل تشويه صورته الكريمة في أعين الناس ، فادعوا بأنه : «خص كل امرأة من نسائه بمال كثير [٥٥] وأضافوا بأنه كان سببًا في تبذير « أموال طائلة خلال خلافة علي بالزمن الذي كانت الخلافة نفسها شديدة الافتقار» [٥٦] إضافة إلى ادعاءات المستشرق دونالدسن بأن معاوية كان يرسل للإمام الحسن الأموال وهو يبذرها فكانت النتيجة أنه مات بالسل عندما بلغ بالعمر خمسًا وأربعين سنة . [٥٧]

وهذا كلام لا يصدقه أرباب العقول الذين يتدبرون آي الذكر الحكيم ، ويعلمون جيدًا طهارة أئمة أهل البيت من جميع الأرجاس الظاهرة منها والباطنية ، يقول تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [٥٨]

وللرد على هذه الفرية نقول لهؤلاء الضالين : إن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام قد ورث المصادر المالية من أبيه علي عليه السلام ، وهي كثيرة منها ما كان يملكه من أراض زراعية في منطقة ينبع [٥٩] المشتهرة بأبيار علي عليه السلام حاليًا والتي جعلها في الصدقات [٦٠] وكانت مما أفاء الله على رسوله وأعطاها للإمام علي عليه السلام « [٦١] وكان علي عليه السلام ينفق على نفسه من مالها» [٦٢]

وكانت للإمام عليه السلام ممتلكات وموقوفات في أطراف المدينة من أملاكه وأملاك فاطمة

الزهراء عليها السلام أوصى بها لولده الحسن وجعلها وقفًا على بني هاشم، وكان هو الوصي بعد أبيه فله تلك الأملاك والعقارات والأراضي الزراعية مع الأموال الشرعية التي كانت تجبى إليه ، فلا حاجة له في مال معاوية وهو سيد

شباب أهل الجنة وأعلم بحلالها من حرامها .

وكان الإمام الحسن قد أدرج بعض البنود المالية في وثيقة الهدنة مع معاوية

وهذا نابع من معرفة الإمام بأن الحاكم الإسلامي لابّد من أن يدير اقتصاد الأمة فشرط على معاوية تعويض عوائل شهداء حرب صفين والجمل بمبلغ مليون درهم(٦٣) وكان هو الوصي بعد أبيه فله تلك الأملاك والعقارات والأراضي الزراعية مع الأموال الشرعية التي كانت تجبى إليه من بل الشيعة فلا حاجة له في مال معاوية وهو سيد شباب أهل الجنة وأعلم بحلالها من حرامها . (٦٤)

أما ما ذهب اليه المستشرق دونالدسن من أن الإمام مرض بداء السل نتيجة تبذير الأموال ولعله قصد أنه تعرض لداء السل نتيجة إسرافه في الأكل والشرب فهذا: « ادعاء باطل لأنه علميًا لم يكن هناك من دليل على أن الإسراف في الأكل والشرب يورث السل ومن ثم لم يشر إلى مصدر هذه المعلومة فهو أطلقها على عواهنها والمصادر تكاد تتفق على أن الإمام الحسن عليه السلام توفي نتيجة السم وعلى يد زوجته جعدة بنت الأشعث»(٦٥)

إنّ الغاية من هذا الاتهام ومن هذه الشّبهة هي الإساءة لسمعة الإمام عليه السلام لإسقاطه من أعين النّاس وإبعاده عن أهليته لتولي مسؤوليّة الولاية العامّة ولهذا الغرض وُضعت الأحاديث وحبكت القصص وأُلّفت الأخبار.

إنّ الفضائح الأخلاقيّة الأمويّة الّتي عكستها مرآة الفضائل الحسنيّة دعت بني أمية إلى مزيد من التّرويج إلى أنّ الإمام الحسن عليه السلام ميّال إلى مباهج الحياة والانكباب عليها بشكل مبالغ فيه ما ألهاه عن القيام بشؤون الخلافة، وما تتطلّبه من القوة والتّصدّي إلى المؤامرات والحروب.

إن شبهة التبذير والإسراف ، بعيدة كل البعد عن خلقه السامي ، لأنه عاش حياة بالغة في الزهد والتقشف عن لذائذ هذه الدنيا الدنيئة ، والأجدى بهم أن يتحدثوا عن صفة الكرم و السخاء التي هي أبرز الصفات التي تميَّز بها الإمام الحسن عليه السلام ، فكان المال عنده وسيلة لا غاية ، يسعى من خلالها إلى كسوة عريان ، أو إغاثة ملهوف ، أو وفاء دين غريم، أو إشباع جوع جائع والجدير، إلى غير ذلك من الأغراض السامية والأهداف الإسلامية النبيلة.

ومن هنا عُرف عليه السلام بكريم أهل البيت، ذلك أن الكرم لغة هو : الإنفاق عن طِيب خاطر، والجود دون انتظار مقابل (٦٦) ، وهذا هو حال الإمام عليه السلام فقد قاسم الله أمواله ثلاث مرّات، نصف يدفعه في سبيل الله ونصف يبقيه له، بل وصل إلى أبعد من ذلك، فقد أخرج ماله كلّه مرّتين في سبيل الله ولم يُبقِ لنفسه شيئاً، فهو كجدّه رسول الله صلى الله عليه وآله يعطي عطاء من لا يخاف الفقر، الذي أوصى دائمًا بإكرام الضيف بل جعله شرطًا للإيمان ، يقول صلى الله عليه وآله: «مَنْ كانَ يؤمِنُ بالله واليومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضيفَهُ .»(٦٧) وهو سليل الأسرة التي قال فيها ربّنا سبحانه وتعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٦٨) وآية أُخرى تحكي لسان حالهم: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيماً وأسيراً *إنما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ الله لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا ﴾ (٦٩)

هذا هو الأصل الكريم لإمامنا الحسن عليه السلام الزكي من الشجرة الطيّبة التي تؤتي أُكلها كل حين، فمن كريم طبعه عليه السلام أنّه لا ينتظر السائل حتّى يسأله، ويرى ذل المسألة في وجهه، بل يبادر إليه قبل المسألة فيعطيه.

شواهد كرمه عليه السلام:

١- روي أنَّ الإمام الحسن عليه السلام خرج مع أخيه الإمام الحسين عليه السلام وعبد الله بن جعفر حُجَّاجاً، فَجَاعوا وعطشوا في الطريق، فمرّوا بعجوز في خباء لها، فقالوا: (هلْ مِن شراب)؟ فقالت: نعم هذه شَاة احلبوها، واشربوا لبنها، ففعلوا ذلك، ثمّ قالوا لها: (هلْ مِن طَعَام)؟ فقالت: لا، إلاّ هذه الشاة، فليذبحها أحدكم حتَّى أُهيئ لكم شيئاً تأكلون، فقام إليها أحدهم فذبَحَها وكشطها، ثمّ هَيَّأت لهم طعاماً فأكلوا، فلمّا ارتحلوا قالوا لها : نحن نَفَرٌ من قريش، نريد هذا الوجه، فإذَا رَجعنا سالمين فأَلِمِّي بنا فإنَّا صانعون إليكِ خيراً، ثمّ ارتحلوا،

وأقبل زوجُها، وأخبرَتْه عن القوم والشاة، فغضب الرجل وقال: وَيْحكِ، تذبحين شاتي لأقوام لا تعرفينهم، ثمّ تقولين: نَفَرٌ من قريش ، ثمّ بعد مدَّة أَلجَأَتْهُم الحاجة إلى دخول المدينة فدخلاها، فمرَّت العجوز في بعض سِكَك المدينة، فإذا بالحسن عليه السلام على باب داره، فَسَلَّمَت عليه، فعرفها الإمام عليه السلام، وأمر أن يُشتَرَى لها ألف شاة، وتُعطَى ألف دينار ، وأرسل معها غلامه إلى أخيه الحسين عليه السلام، فقال: (بِكَمْ وصلك أخي الحسن)؟ فقالت: بألف شاة وألف دينار، فأمر عليه السلام لها بمثل ذلك ، ثمّ بعثَ عليه السلام بها مع غلامه إلى عبد الله بن جعفر، فقال: بكم وَصَلك الحسن والحسين عليهما السلام؟ فقالت: بألفي دينار وألفي شاة، فأمر لها عبد الله ابن جعفر بمثل ذلك، فَرجِعَت العجوز إلى زوجها بذلك. (٧٠)

٢- قال علي بن الحسين عليهما السلام: خرج الحسن يطوف بالكعبة فقام إليه رجل فقال: يا أبا محمد، اذهب معي في حاجتي إلى فلان، فترك الطواف وذهب معه، فلما ذهب خرج إليه رجل حاسد للرجل الذي ذهب معه، فقال: يا أبا محمد تركت الطّواف وذهبت مع فلان إلى حاجة؟ قال: فقال له الحسن: وكيف لا أذهب معه ورسول الله صلى الله عليه وآله قال: من ذهب في حاجة أخيه المسلم فقضيت حاجته كتبت له حجّة وعمرة وإن لم تقض له كتبت له عمره فقد اكتسبت حجّةً وعمرة ورجعت إلى طوافي (٧١)

٣- قال ابن الصبّاغ: «الكرم والجود غريزة مغروسة فيه، واتصال صِلاته للمعتقين نهج ما زال يسلكه ويقتفيه » (٧٢)

٤- روى ابن عساكر بإسناده عن شهاب بن عامر: «أنّ الحسن بن عليّ عليه السلام قاسم الله تعالى ماله مرّتين حتى تصدّق بفرد نعله» (٧٣)

٥- وروي عن ابن سيرين: «أنّ الحسن بن علي كان يجيز الرجل الواحد بمائة ألف »(٧٤)

٦- وروي عن سعيد بن عبد العزيز: « أن الحسن بن علي بن أبي طالب، سمع إلى جنبه رجلاً يسأل أن يرزقه الله عشرة آلاف درهم فانصرف فبعث بها إليه» (٧٥)

٧- وروي عن الحسن بن علي أنه كان ماراً في بعض حيطان المدينة فرأى أسود بيده رغيف يأكل لقمة ويطعم الكلب لقمة إلى أن شاطره الرغيف، فقال له الحسن: ما حملك على أن شاطرته ولم تغابنه فيه بشيء؟ فقال: استحت عيناي من عينيه أن أغابنه، فقال له:

غلامُ مَنْ أنت؟ قال: « غلام أبان بن عثمان، فقال له: والحائط؟ قال: لأبان بن عثمان، فقال له الحسن: أقسمت عليك، لا برحت حتى أعود إليك فمرّ فاشترى الغلام والحائط وجاء إلى الغلام فقال :يا غلام قد اشتريتك ، فقام قائماً، فقال: السمع والطاعة لله ولرسوله ولك يا مولاي، قال: وقد اشتريت الحائط، وأنت حرٌّ لوجه الله، والحائط هبة مني إليك ، قال: فقال الغلام: يا مولاي قد وهبتُ الحائط للذي وهبتني له» (٧٦)

٨- مَرَّ الإمام الحسن عليه السلام على جماعة من الفقراء، قد وضعوا على وجه الأرض كسيرات من الخبز، كانوا قد التقطوها من الطريق، وهم يأكلون منها، فدعوه لمشاركتهم في أكلها، فأجاب عليه السلام دعوتهم قائلاً: «إنَّ الله لا يُحِبُّ المتكبِّرين وجعل يأكل معهم حتى اكتفوا والزاد على حاله ببركته ثم دعاهم إلى ضيافته وأطعمهم وكساهم» (٧٧)

من هذه القصص ، وغيرها الكثير، يتّضح لنا كيفية تعامل الإمام الحسن وأهل البيت عليهم السلام مع المال، فهم بتوكّلهم على الله حقّ التوكّل، يعطوا عطاء من لا يخاف الفقر، لأنّ الشيطان عندما يرى المؤمن يريد العطاء يوسوس له ويظهرله قيوداً كثيرةً حتّى لا يبذل المال، يقول تعالى: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَالله يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَالله وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٧٨)

من هنا طبق الإمام الحسن كل ما جاء به القرآن الكريم ، الذي نزل للأمة الاسلامية جميعها نظاما تشريعيًا كاملًا متكاملًا ، لا يحمل بين جنباته عبادة فقط أو علاقة بين العبد بربه ، بل كان شاملاً لينظم علاقة المخلوق بجميع مخلوقات الله الأخرى ، فأوجب عليهم ما أوجب ، ونهاهم عما نهى ، وترك لأولي الأبصار والنهى النظر والعمل والتبليغ ، ومن أهم تلك التوافقات الشمولية ، هي العطاء ، سواء متمثلة في زكاة أو صدقة ، ومتمثلة أخرى بأن تكون مالية و سواها ، وجعل تلك العلاقة ثلاثية الأبعاد ، كأن يعطي العبد أخيه، حيث أن الله جعل العبد المعطي لمرضاته ، كأنه أقرض الله قرضًا حسناً ، وجعل لذلك أجرًا عظيمًا .

وهكذا هو الخُلُق الحسن ، للإمام الحسن عليه السلام الذي ينبغي على كل مؤمن الاقتداء به، والمسيرة على نهجه في التعامل مع الناس، وهكذا كان الإمام الحسن كريم أهل البيت عليهم السلام هو القدوة الصالحة نقتدي به في كل زمان ومكان.

الخاتمة

من خلال ما سبق تنجلي مرآة الفضائل الحسنية لتمحو الشبهات الأموية ، فإذا تأملنا سيرة الإمام الحسن عليه السلام ، نجدها خلاف ما ادّعاه الأمويون وغيرهم من أعداء آل البيت (عليهم جميعا السلام) ، لَيتضح لنا النتائج الآتية :

١-تهافت فرية كثرة الزواج والطلاق عند الإمام الحسن عليه السلام وذلك بانعدام بنائها المنطقي وعدم ثبوتها من الناحية الاستقرائية ، وهي ناحية علمية بحتة فلابد للمقدمات الصادقة أن تؤدي إلى نتائج صادقة ، وهو عكس ما وجدناه في هذه الفرية ، فالمكذبون مروجو الشائعات من الدولة الأموية وأتباعهم ، انطلقوا من مقدمات لا يقبلها عقل ومن ثمّ كانت النتيجة لا يقبلها العقل أيضًا ، لذلك تهافتت المقدمة والنتيجة .

النتيجة المقبولة هو تعدد زواج الإمام عليه السلام بعشر زوجات يقلوا أو يزيدوا قليلاً.

لذلك كانت الروايات التاريخية التي تشير إلى الأعداد الخيالية في زواج الحسن عليه السلام لا تثبت من حيث الإسناد ، ومن ثمّ لا تصلح للاعتماد عليها نظراً للشبه والطعون التي حامت حولها ، ومن هنا لا بد من دراسة علم الجرح والتعديل والحكم على الروايات لمعرفة الدور العظيم الذي قام به علماء الحديث في بيان زيف مثل هذه الأخبار، وبيان الروايات الضعيفة والموضوعة .

٢- وضحت شبهة الجبن من خلال معاهدة الصلح والسلام ، أن ما بين الإمام الحسن ومعاوية خلاف وليس اختلافًا كما حاول بعض المؤرخين (٧٩) تزييف ذلك ، فالخلاف بين الإمام الحسن ومعاوية خلاف بين طباعين لا يلتقيان أبدًا، وفكرتان ليس بينهما أية قواسم مشتركة.. أحدهما يسعى إلى ملكٍ عضوض أوصاه به أبوه وأمره بالعض بالنواجذ عليه، وآخر يريد إقامة الدين من عدلٍ وشورى وحرية فكرية وعقدية .

ولم يكن الخلاف مجرد خلاف في وجهة نظر، لكنه خلاف وصل إلى عمق النفوس، نفسٌ تلهث خلف المنافع حيثما حطت رحالها.. ونفس تسعى نحو الطمأنينة مهما بلغت ضريبتها، لم تكن هذه النفس المطمئنة إلا نتاج لبيئة عظيمة ونسل طاهر هو نسل رسول الله صلى الله عليه وآله ، فمن رحم معاناة اجتماعية ، ومخاض عصيب ، يخوضه المجتمع الاسلامي بكافة فئاته ، وعلى شفا وقيعة عظمى ، تبدت حكمة الإمام الحسن عليه السلام ، من خلال قرار بالصلح

والسلام منطلقاً من حكمة و رجاحة عقل لإدارة الأوضاع الراهنة آنذاك ، بما اصطفاه الله عز وجل من فوق سبع سموات بنبوءة الصلح ، فأصلح به الله بين انقسامات المجتمع المسلم ، وضبب فتقه ، وأقام حائطه بعدما رمّم شرخه ، فلم يكن قراره ﴿عليه السلام﴾ إلا محض حكمة ، واتزان عقلي يعجز من بعده أن يأتي بمثله ، لتوظيف تلك المبادئ العقلية ، التي كان لها عظيم الأثر على الآخر ، حيث كان قراره ﴿عليه السلام﴾ لا ينفك عن أسس الرحمة والإيثار ، لإعطاء الأخر ما يتنازل عنه طوعا لتحقيق نبوءة ، وتصديقا بلم شمل الآخرون على كلمة واحدة . وما كان تنازل الإمام الحسن عن الخلافة راضيًا مرضيًا رغم كونه الخليفة الشرعى، ورغم أنه بويع له بالخلافة قبل مبايعة أهل الشام لمعاوية، ورغم أن الأمصار كافة بايعته في حين لم يبايع معاوية إلا أهل الشام.. لم يكن ذلك إلا من خلال تنشئة نفسية سليمة متزنة. إذ كان يقرأ مطويات نفس معاوية فأراد إشباعهما بما تطلّبت وتطلّعت .

فقد كان ﴿عليه السلام﴾ ممن يضع من حظوظ نفسه ويسلبها كل حقٍ، لقد جاء قراره ﴿عليه السلام﴾ بالصلح نتاج تربية نفسية سليمة نشأت على هدي النبوة لا تنطق إلا بالحكمة الموحى بها من الله عز وجل ، وما كان قراره بالصلح إلا نبوءة تنبأ بها جده رسول الله عليه الصلاة السلام ولا شك أن نشأة وتربية الإمام الحسن في بيت النبوة جعلته ﴿عليه السلام﴾ يمتلك ملكات اصطفاه بها الله دون سائر البشر حيث كان يميز ببصيرة إلهية بين النافع والضار .

لقد كانت فلسفته تجاه الآخر فيها استشراف لقضايا حقوق الإنسان بعدم التعدي بالضر على الآخر ، وتقديم النفع له ، مما يؤكد أن الإسلام لم يكن ديناً ذاتياً ، بل ديناً اجتماعياً ، الآخر فيه له من الحقوق كما عليه من الواجبات .

لقد أدت مكنونات حكمته ﴿عليه السلام﴾ في معاهدة الصلح ، إلى نتائج ظهرت ايجابياتها على المجتمع المسلم ككل ، فقد كانت رؤيته رؤية استشرافية يجب على مجتمعنا المعاصر تدريسها في علم السياسة ، ذلك أن سلب شرعية الحكم ، سيقود إلى تهيئة المبرر الديني والقانوني للقيام بالثورات ، ومن ثمّ كانت حكمة الإمام واستراتيجيته ممثلة للإسلام والدين الصحيح، إذ حقنت دماء المسلمين من خلال الصلح وقضت على مشروع الدولة الأموية على المدى البعيد، وما كان لها أن تكون، لولا وقوع الصلح، وفرض شروطه!

وهنا كانت فَضِيلَة الْحسن عليه السلام في ورعه وتركه للملك و الدنيا رغبة فيما عِنْد الله تَعَالَى، وَلم يكن ذلك لعلة ولاذلة ولا قلة ، خاصة أن بايعه على الموت أربعون ألفًا -كما سبق وذكرنا - فكانت مصلحته هي مصلحة دينه ومصلحة الْأمة، وَكفى بِهِ شرفاً وفضلاً، فَلَا أسيَد مِمَّن سَمَّاهُ رَسُول الله، صلى الله عليه وآله، سيداً

٣-وضحت شبهة الإسراف وجود حالة مرضية عند الأمويين، وهي مرض الإسقاط النفسي الكامن في نفوس بني أمية ، فهو حيلة دفاعية من الحيل النفسية Projection اللاشعورية، وعملية هجوم يحمي الفرد بها نفسه بالصاق عيوبه ونقائصه ورغباته المحرمة أو المستهجنة بالآخرين، كما أنها عملية لوم للآخرين على ما فشل هو فيه بسبب ما يضعونه أمامه من عقبات وما يوقعونه فيه من زلات أو أخطاء، وهو آلية نفسية شائعة يعزو الشخص بوساطتها أو عن طريقها ، والمعروف عن الأمويين ، حبهم لحياة الترف والرفاهية ،من خلال قصورهم التي بنوها في بلاد الشام، وكان ما اقتبسوه عن الفرس المتقدمين في نمط حياة القصور وسياستهم في الحكم.

لابد للباحث عن الحقيقة أن يستعين بعقله وما منحه الله من فهم سليم ليحلل الشبهات والمرويات المكذوبة التي صدرت من ألسنة أصحاب النفوس الضعيفة التي دافعها الحسد والغيرة من أهل البيت لتفضيل رب العالمين باصفائه وتنقيته لهم من كل رجس وشائبة قد تشوبهم .

ولابد لكل باحث أن يفهم أن هدف بني أميّة إبعاد أهل البيت عن الحكم فوظّفوا لذلك كلّ الأسلحة الماديّة والمعنويّة ، فألصقوا تهمة الإسراف والتّبذير بشخصه ، ولو كان الإمام عليه السلام مبذرًا أو مسرفًا، ما كان له أن يجيّش الجيوش في المدينة والكوفة ، ولو كان الإمام عليه السلام مسرفًا كما يقولون فإنّه لا يستقيم عقلًا أن يعرض عليه معاوية بأنّ يكون قائد جيش عنده. وما سلاح التّهم والتّشويه إلا سلاح العاجزين عن المواجهة في ساحة الوغى، ولا أدلّ على ذلك من اتّهام الأنبياء عليهم السلام بالجنون والمروق لأنّ القلوب، كما يقال، إذا امتلأت بالزيغ والظلم فاضت بذلك كله على الألسنة .

بناء على ما تقدّم، يجدر بأبناء الأمّة الواحدة أن يقفوا صفّاً واحداً من أجل تحقيق العزّة والمناعة. ولذلك اقترح عقد مائدة لحوارٍ (إسلامي إسلامي) بين السنة والشيعة ، من أجلِ إقرار الوحدة والتَّقارُب والتَّعارف، ومن أجل الأُخوَّة الدينيَّة والإنسانية، لنبذ أسباب الفُرقة والفتنة والنِّزاع الطَّائفي على وجْهِ الخصوص، ويُركَّز فيه على نقاطِ الاتِّفاق والتَّلاقي ، لاسيما محبة أهل البيت عليهم جميعا السلامة وللتصدي معًا لمثل هذه الشائعات والفريات التي تنسب لآل البيت عليهم السلام .

الهوامش

١-عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي : تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ط١، مصر - ١٩٥٢ ، ص٧٧

٢-المرجع السابق : ص ١٤٢

٣-المطهر بن طاهر المقدسي : البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة، مصر، بورسعيد ، المجلد الخامس ،بدون تاريخ نشر ، ص٢٨١.

٤-أبو طالب المكي : قوت القلوب في معاملة المحبوب ، ج٢ ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٦١، ص٢٢٠.

٥-عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين: شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج١٦، دار إحياء الكتب العربية، بيروت ، ١٩٦٢، ص٢٢.

٦- ابن كثير: البداية والنهاية ، تحقيق عبدالله بن عبد المحسن التركي ، ج٨ ، دار هجر للطباعة والنشر ، مصر ، ١٩٩٧، ، ص٤٢.

٧-شمس الدين الذهبي : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام شمس الدين الذهبي : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق : بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، ط١ ، بيروت ٢٠٠٣ ، ص٤٩٨.

٨-السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ج١ ص٧٧ ، كذلك انظر الشبلنجي (مؤمن بن حسن) : نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار ، دار المعرفة ، بيروت (لبنان)٢٠٠٥ ، ص ٢٤٧ وابن عساكر، : تاريخ دمشق، تحقيق : عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر للطباعة والنشروالتوزيع، دون مكان النشر ص١٥٢

٩-أبو طالب المكي : قوت القلوب في معاملة المحبوب، ج٢ مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر ، ١٩٦١، ص٢١٩.

١٠-دوايت م. دونالدسن: عقيدة الشيعة، تعريب: ع.م.، مؤسسة المفيد، ط ٢، بيروت — ١٩٩٠، ص٨٩.

١١-لامانس هنري: دائرة المعارف الإسلامية، نقله إلى العربية : محمد ثابت الفندي وآخرون، دار المعرفة ، بيروت ـ د.ت ، ج ٧ ، ص ٤٠٠ ـ ٤٠٣؛ مادة : (الحسن بن علي بن أبي طالب).

١٢-دوايت م. دونالدسن: عقيدة الشيعة ، ص٩٠.

١٣-وسام برهان البلداوي : القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن ، قسم الشؤون الفكرية والثقافية ، العتبة الحسينية المقدسة ، العراق ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٨ ص ٢٨٣ .

١٤-المرجع السابق : ص ٢٨٣

١٥-المرجع السابق : ص ٢٩١

١٦-أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان البغدادي الملقب بالشيخ مفيد : الإرشاد في معرفة حُجَج الله على العباد، باب ذكر ولد الحسن بن علي عليه السلام،ج٢ ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، إيران ، قم الطبعة الأولى ، ١٩٩٥، ص٢٥.

١٧-دوايت م. دونالدسن: عقيدة الشيعة ، ص٨٩.
١٨-أحمد بن إسحاق أبو يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ط١/ ١٩٩٣م ، ص ٣٠.
١٩-سرجون بن منصور المسيحي ، أو سرجون بن منصور الرومي وفقاً للمؤرخين المسلمين، التغلبي أو الكلبي وفقاً لمؤرخين أو الملكي السرياني وفقاً لآخرين. يوحنا الدمشقي هو منصور بن سرجون بن منصور الذي تحدثنا عن أبيه وجده -وعنه قليلاً- وعن علاقتها بالدولة الأموية، وذكرنا انه تربى مع يزيد.
وُلِدَ يوحنا في دمشق. ولُقب بالدمشقي إشارة إلى مسقط رأسه، ولُقبه المسيحيون بدفاق الذهب أو ناقل الذهب، وهو اسم لنهر بردى، نهر مدينته، لما تحوي مؤلفاته من كنوز روحية ثمينة وفقاً لرأيهم. وقد تم تحديد مولده بين سنتي ٦٧٠ و٦٨٠ م.
والده منصور كان يشغل منصِب مدير المالية في الدولة الرومانية، وعيّنَه الإمبراطور البيزنطي موريس حاكم دمشق وأبقاه هرقل في منصبِه بعد اجتياح الفرس. يقول عنه ابن عساكر « سرجون بن منصور الرومي كاتب معاوية وابنه يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان ذكره أبو الحسين الرازي في تسمية كتاب أمراء دمشق وذكر أنه كان نصرانياً فأسلم وهو الذي ينسب إليه جبر بن سرجون عند باب كيسان ويقال له سرحة وله عقب وكان يقال إن الكنيسة التي خارج باب الفراديس بحذاء دار أم البنين محدثة بنيت بعد الفتح لسرحة كان كاتباً لمعاوية بن أبي سفيان ثم أسلم على يديه وبقيت الكنيسة". انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٢٠ ص١٦١ "
٢٠-علي محمد الصلابي : أمير المؤمنين ، الحسن بن علي بن ابي طالب عليه السلام (شخصيته وعصره) ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، مصر ، الطبعة الأولى ،٢٠٠٤ ، ص٢٧-٣٤.
٢١-عباس محمود العقاد : أبو الشهداء الحسين بن علي ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، ٢٠١٣، ص٢٣
٢٢-محمد بن جرير الطبري : تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥نشر دار التراث ، بيروت، الطبعة الثانية –ص١٥٧ ، ١٩٦٨ م.
٢٣-اختلفت الأقاويل في زمن خلافته عليه السلام فقيل : ستة أشهر واثنا عشر يوماً، وقيل: ستة أشهر وشيء ،وقيل: ثمانية أشهر ، هذه الخلافة مع قصر زمانها، هي خلافة راشدة، والحسن عليه السلام هو خامس الخلفاء الراشدين، مصداقًا لحديث رسول الله صلى الله عليه وآله: « خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله الملك من يشاء أو ملكه من يشاء» . وهذه المدة القصيرة المباركة هي المكملة للثلاثين السنة المذكورة في الحديث
٢٤-حسين بن محمد ابن الحسن الديار بكري : تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، ج٢ ، مطبعة عثمان عبد الرزاق ، القاهرة ، ١٨٨٤، ٢٦٩.
٢٥-عمار محمد الكعبي: صلح الإمام الحسن عليه السلام الأسباب.. الأهداف مركز الإمام الحسن للدراسات التخصصية رقم ٤١ ، ١/ ١٠/ ٢٠١٥

٢٦-الطبري : تاريخ الطبري: ج٤ ص١٢٣
٢٧-ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣ ، بيروت، دار صادر، ١٩٦٥، ص٤٠٢.
٢٨-الطبري : تاريخ الطبري: ج٤ ص١٢٢.
٢٩-اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٢٢.
٣٠-المرجع السابق : ج٢ ص١٢١.
٣١-الطبري : تاريخ الطبري: ج٤ ص١٢٢.
٣٢-عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين: شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج١٦، دار إحياء الكتب العربية، بيروت ، ١٩٦٢، ص ٤٢
٣٣-ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣ ، بيروت، دار صادر، ١٩٦٥ ، ص٤٠٦.
٣٤-اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٢ / ١٩١ .
٣٥-أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي : علل الشرائع ، تحقيق وتقديم : السيد محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبوعاتها، إيران (قم) ، ١٩٦٦، ص٢١٥
٣٦-المرجع السابق : ج١ ص٢١٥
٣٧-المرجع السابق : ج١ ص٢١٥
٣٨-المرجع السابق : : ج١ ص٢١٥
٣٩-المرجع السابق : ج١ ص٢١٥
٤٠-الصف :٨
٤١-يرجع هذا الإسم إلى عبد الله بن سبأ الملقَّب بابن السَّوداء ، وغاية ما جاء به ابن سبأ اراءٌ ، ومعتقداتٌ ادَّعاها ، واخترعها من قبل نفسه ، وافتعلها من يهوديَّته الحاقدة ، وجعل يروِّجها لغايةٍ ينشدها، وغرضٍ يستهدفه ؛ وهو الدَّسُّ في المجتمع الإسلامي بغية النَّيل من وحدته ، وإذكاء نار الفتنة ، وغرس بذور الشِّقاق بين أفراده ، فكان ذلك من جملة العوامل الّتي أدَّت إلى قتل عثمان وتفرُّق الأمَّة شيعاً، وأحزاباً . أثر السبئية في الفتنة – موقع الدكتور علي الصلابي ، مقالة رقم ٤٧ / https: / /alsallabi.com /article/ ١١٦٥/ ٤٧
٤٢-البخاري : كتاب الفتن ، ح ٢٧٠٤ .
٤٣-عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق عبدالله بن عبد المحسن التركي ، مركز هجر للدراسات والبحوث الإسلامية، ط١، القاهرة، ٢٠٠٣، ص٣٤٢
٤٤-الأنبياء :١١١
٤٥-البخاري : كتاب الأحكام، باب من لم يسأل الإمارة أعانه الله عليها ، حديث رقم ٦٧٦٤
٤٦-البخاري : ، كتاب الأحكام، باب ما يكره من الحرص على الإمارة، برقم (٧١٤٩)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها، برقم (١٧٣٣).
٤٧-البخاري : باب الحذر من الغضب ، ح/ ٦١١٤
٤٨-الحافظ أبو القاسم بن أحمدالطبراني : المعجم الكبير، تحقيق حمدي السلفي، ، مكتبة ابن تيمية، ط٣،

القاهرة، ١٩٨٣ ، ٢٢ : ٤٢٣
٤٩-البخاري:كتاب الصلح ، ٢٥٥٧ باب قول النبي صلى الله عليه وآله للحسن بن علي عليهما السلام :ابني هذا سيد، ٢٥٥٧، ٣٦٥ /٥
٥٠-البخاري : كتاب المناقب ، باب صفة النبي صلى الله عليه وآله ٦/ ٣٣٤٩
٥١-الجرجاني :التعريفات ، ص٢٢
٥٢-موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وآله: اشراف: الشيخ صالح بن حميد، عبد الرحمن بن ملوح ، دار الوسيلة للنشر والتوزيع ، جدة ١٩٩٨ ٩/٤١١٥
٥٣-الإسراء :٢٦-٢٧
٥٤-الأعراف :٣١
٥٥-دونالدسن : عقيدة الشيعة، ص ٨٣ .
٥٦-الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح(الإربلي) : كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج٢، دار الأضواء، ط٢، بيروت، ١٩٨٥. ص١٧١.
٥٧-دونالدسن : عقيدة الشيعة، ٩٠
٥٨-الأحزاب :٣٣
٥٩-يا قوت الحموي : ، معجم البلدان، تحقيق : فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، (بدون تاريخ)، ج ٥، ص٥٣١.
٦٠-ابن شبة البصري : تاريخ المدينة المنورة أو أخبار المدينة، علق عليه وخرج أحاديثه: علي محمد دندل وآخرون، ج٣، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٩٦، ص٣١٦ - ٣١٧.
٦١-الكليني : الفروع من الكافي، ج ٧، ص ٥٤.
٦٢-ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، اعتنى بتصحيحها: عادل أحمد الرفاعي، ج ٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦ ، ص١١٢.
٦٣-الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص١٦٢
٦٤-علي زهير هاشم الصراف : دراسات المستشرقين عن الإمام الحسن السبط عليه السلام ، مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة ، العدد السابع ٢٠١٦.
٦٥-البلاذري : أنساب الأشراف، تحقيق: محمود فردوس العظم، دار اليقظة العربية، (دمشق - ٣٣٣٧)، ج ٢، ص ٣٩٥
٦٦-ابن مسكويه :تهذيب الأخلاق لابن مسكويه، ص :٣٠، ابن أبي الدنيا: مكارم الأخلاق ، ص :١٠٧، ابن منظور لسان العرب ، ٧/ ٣٦٨١-
٦٧-البخاري : كتاب الأدب ، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه ، ٥/ ٢٢٧٣
٦٨-سورة الحشر: آية ٩.
٦٩-سورة الإنسان: آية ٨ -٩.
٧٠-محمد باقر المجلسي : بحار الأنوار : دار الكتب الإسلامية ج٣ . (كتاب اليكتروني تم الدخول بتاريخ ١٠/ ٩/ ٢٠٢٢) ص٣٤٨.

٧١-أحمد بن الحسن (البيهقي) : شعب الإيمان ، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: د عبد العلي عبد الحميد حامد، ج٦ ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، ص١١٥ .
٧٢-ابن الصباغ المالكي : الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ج٢، دار الاضواء للطباعة والنشر والتوزيع، عمان (مسقط) ، ط٢، ١٩٨٨ ، ص٧٠٧.
٧٣-ابن عساكر، : تاريخ دمشق، تحقيق : عمرو بن غرامة العمروي، ج١٣، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا (دمشق) ، الطبعة الأولى، ٢٠٠١، ص٢٤٤.
٧٤-المرجع السابق : ص٢٤٤
٧٥-المرجع السابق : ص٢٤٤
٧٦-المرجع السابق : ص٢٤٦
٧٧-ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب ابن شهر آشوب: الناشر : تصحيح :لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية - النجف الأشرف (كتاب الكتروني)ج٣،ص١٨٧. تم الدخول بتاريخ ص٥/ ٧/ ٢٠٢٢
٧٨-البقرة : ٢٦٨
٧٩-حاول ابن خلدون في مقدمته تزييف كل الحقائق لصالح الأمويين ولا يخفى على القارئ نواياه في طمس الحقيقة الواضحة ،ولايسع المجال هنا للاستطراد في ذلك ، فهذا يحتاج بحثًا آخر مفصلاً عن تزييف ابن خلدون للتاريخ .

المصادر والمراجع

*أولا : المصادر

* القرآن الكريم

*كتب الأحاديث

*ثانيًا : المراجع

*ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، اعتنى بتصحيحها: عادل أحمد الرفاعي، ج ٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦

*ــــــــــ: الكامل في التاريخ، ج٣ ، بيروت، دار صادر، ١٩٦٥.

*ابن الصباغ المالكي : الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ج٢، دار الاضواء للطباعة والنشر والتوزيع، عمان (مسقط)ط٢، ١٩٨٨.

*ابن شبة البصري : تاريخ المدينة المنورة أو أخبار المدينة، علق عليه وخرج أحاديثه: علي محمد دندل وآخرون، ج٣، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٦.

*ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب ابن شهر آشوب: الناشر : تصحيح :لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية - النجف الأشرف (كتاب الكتروني)

*ابن عساكر، : تاريخ دمشق، تحقيق : عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا (دمشق) ، الطبعة الأولى، ٢٠٠١.

*ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق عبدالله بن عبد المحسن التركي، ج٨، دار هجر للطباعة والنشر، مصر، ١٩٩٧.

*أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح(الإربلي) : كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج٢، دار الأضواء، ط٢، بيروت، ١٩٨٥.

*أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي : علل الشرائع ، تحقيق وتقديم : السيد محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبوعاتها، إيران (قم) ١٩٦٦

*أبو طالب المكي : قوت القلوب في معاملة المحبوب، ج٢ مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٦١.

*أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان البغدادي الملقب بالشيخ مفيد : الإرشاد في معرفة حُجَج الله على العباد، باب ذكر ولد الحسن بن علي عليه السلام، ج٢، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، إيران ، قم الطبعة الأولى ، ١٩٩٥

*أحمد بن إسحاق أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ط١/ ١٩٩٣م.

*أحمد بن الحسن البيهقي: شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: د عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م

*البلازري : أنساب الأشراف، تحقيق: محمود فردوس العظم، ج ٢، دار اليقظة العربية، دمشق ، ١٩٩٦.

*الجرجاني : التعريفات، (كتاب الكتروني تم الدخول بتاريخ ٥/ ١٠/ ٢٠٢٢)

*حسين بن محمد ابن الحسن الديار بكرى : تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، ج٢ ، مطبعة عثمان عبد الرزاق ، القاهرة ، ١٨٨٤ .

*دونالدسن دوايت .م: عقيدة الشيعة، تعريب: ع.م، مؤسسة المفيد، ط ٢، بيروت، ١٩٩٠.

*شمس الدين الذهبي : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق : بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت ٢٠٠٣ .

*عباس محمود العقاد : أبو الشهداء الحسين بن علي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٣.

* عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين: شرح نهج البلاغة،

تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج١٦، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ١٩٦٢.
*عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي : تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ط١، مصر - ١٩٥٢
*عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق عبدالله ابن عبد المحسن التركي، مركز هجر للدراسات والبحوث الإسلامية، ط١، القاهرة، ٢٠٠٣
*ـــــــــ : تاريخ الخلفاء، مركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، السعودية، جدة، ٢٠١٣.
*علي محمد الصلابي : أمير المؤمنين، الحسن بن علي ابن ابي طالب عليه السلام (شخصيته وعصره)، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٤
*عمار محمد الكعبي: صلح الإمام الحسن عليه السلام الأسباب.. الأهداف، مركز الإمام الحسن للدراسات التخصصية رقم ٤١، ١/١٠/٢٠١٥
*محمد باقر المجلسي : بحار الأنوار : دار الكتب الإسلامية ج٣. (كتاب الكتروني تم الدخول بتاريخ ١٠/ ٩/ ٢٠٢٢)
*محمد بن جرير الطبري : تاريخ الطبري- تاريخ الرسل والملوك الطبعة الثانية، نشر دار التراث، بيروت، الطبعة: الثانية - ١٣٨٧ هـ، ١٩٦٨ م.
* محمد بن يعقوب (الكليني : الفروع من الكافي (كتاب الكتروني. تم الدخول بتاريخ ١٥/ ١٠/ ٢٠٢٢)
*المطهر بن طاهر المقدسي : البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة، مصر، بورسعيد، المجلد الخامس، بدون تاريخ نشر.
*مؤمن بن حسن الشبلنجي: نور الابصار في مناقب ال بيت النبي المختار، دار المعرفة، لبنان، بيروت، ٢٠٠٥.
*وسام برهان البلداوي : القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، العتبة الحسينية المقدسة، العراق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨
*ثالثًا: المجلات العلمية
*علي زهير هاشم الصراف : دراسات المستشرقين عن الإمام الحسن السبط عليه السلام، مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، العدد السابع ٢٠١٦.
* رابعًا: شبكة الانترنت
*موقع الدكتور علي الصلابي، أثر السبئية في الفتنة -، مقالة رقم ٤٧ https://alsallabi.com/article/1165/47 تم الدخول بتاريخ ٥/ ٨/ ٢٠٢٢
*خامسًا: الموسوعات والمعاجم ودوائر المعارف
*الحافظ أبو القاسم بن أحمد الطبراني : المعجم الكبير، تحقيق حمدي السلفي، ، مكتبة ابن تيمية، ط٣، القاهرة، ١٩٨٣
*موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وآله: إشراف: الشيخ صالح بن حميد، عبد الرحمن بن ملوح، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة ١٩٩٨
*هنري لامانس : دائرة المعارف الإسلامية، نقله الى العربية : محمد ثابت الفندي وآخرون، ج عمادة : (الحسن بن علي بن أبي طالب). دار المعرفة، بيروت.
*يا قوت الحموي : معجم البلدان، تحقيق : فريد عبد العزيز الجندي، ج٥، دار الكتب العلمية، بيروت.

الحكمة الحسنية

تقديم وحدة الأمة على فتنة السلطة

أ.م.د. ثريا بن مسمية

كلية أصول الدين / جامعة الزيتونة

تونس

ملخص البحث

تقتضي بعض صروف الحياة ضربا من السّلوك الضامن للانسجام مع القوانين السّامية كالذي سلكه الإمام الحسن عليه السلام ساعة حاقت الفتن بأهلها. فقد وجد الإمام نفسه في ظرف خوّل له الارتقاء إلى مصاف تأويلي جعله يقدّم المصلحة العامّة على كلّ أحقيّة في الحكم، واستحقاق في تحمّل المسؤولية الجماعيّة.

إنّ بعد النّظر وعمق التّبصّر ونفاذ البصيرة لدى الإمام الحسن عليه السلام، حدا به إلى التّنازل عن إمامة المسلمين فيما عرف بعام الجماعة، وهو دليل عل مدى انشغاله بمصلحة الأمّة، وهو انشغال جعله يتنازل عن حقّه المحض، بمفعول البيعة التي تحصّل عليها، لصالح منافسيه وخصمه. إنّ ذلك من أصنع الأدلّة على رجاحة العقل وبالغ الحكمة. ولمّا كانت مجريات الواقع والتّاريخ على خلاف المراد الحكيم والرؤية الصائبة، فإنّ إنصاف الحكمة وأهلها يقتضي المعالجة العلميّة الرّصينة والبحث المعمّق، ولعلّ هذا البحث يمثّل محاولة في الحفر والتّمحيص في صفحات هذه الحكمة متعدّدة الجوانب اجتماعياً وسياسياً وانسانيّاً.

تلك سيرة تسترعي الانتباه وتشدّ الدارس إليها. وهذا البحث يقوم على فرضية مفادها حاجة المسلمين إلى الغرف من فيوضها سعياً إلى استنداد الحلول التي تصلح لمعالجة أبرز ما يتخبّطون فيه من ضعف الحوكمة الرّشيدة وضرورة تغليب مصلحة الأمّة على المصلحة الذاتية. ولعلّ المنهج التحليلي المقارن هو أوفق الطّرق لتناول هذه السيرة بالدّراسة من أجل الوقوف على خلاصات لها من الدّفق الحيوي ومن القوة المعنوية ما يجعلها تتوهّج بالحداثة والمعاصرة.

Abstract

Some of the circumstances of life require a kind of behavior that guarantees harmony with the lofty laws, such as the one that Imam Al-Hussein took at a time when calamities encompass people. The imam found himself in a circumstance that allowed him to rise to the level of interpretation that made him prioritize the public interest over all eligibility to rule , it is entitlement for him to bear collective responsibility.

After so profound scrutiny , Al-Hussein relinquishes the leadership of the Muslims , such is known as the year of the community to be an evidence of his preoccupation with the interest of the nation. This is one of the best proofs of his . The current research represents an attempt to dig and ponder over the pages of this wisdom that is multi-dimensional socially and politically .

This research is based on the hypothesis that Muslims need to learn from such knowlwdge and sapience to find solutions suitable to address the most prominent defects in a society : man gives priority to the interest of the nation over self-interest. Perhaps the comparative analytical approach is the best way to study this chronicle to identify its conclusions from the vital flow and the moral strength that make it glow with modernity and contemporary.

المقدمة

حين تتوقف الأمم في لحظات من تاريخها الحضاري أمام خطبٍ جللٍ كالذي شهدته لحظة الصلح بين الإمام الحسن بن علي عليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان، فسنكون أمام مشهدين متناقضين تناقضاً جوهرياً: الأول، مشهد ديمومة الوحي الإلهي الذي تمثله سياسة الحاكم الشرعي الذي اختارته الأمة وهو الإمام الحسن عليه السلام، والمشهد الثاني هو افتتاح تاريخ جديد من دنيا السلطة وأهوائها المنقطعة عن الغيب التي تمثّل أيمّا تمثيل ما نبّه إليه الرسول الأعظم وأشار اليه بالمُلك العضوض الذي سيأتي من بعده. وهو المُلك الذي أسَّست له دولة بني أمية بقيادة معاوية بن أبي سفيان.

ومن البيّن أن استقراءً متأنياً لهذين المشهدين الانعطافيين سوف يفضي إلى حقائق دامغة لجهة الانفصال المريع الذي أجرته دولة معاوية بين رحمانية رسالة الوحي ومنفعية سياسة معاوية وأهوائها. تلقاء هذه البيِّنة التاريخية سنجد كيف أن الإمام الحسن عليه السلام أخذ برحمانية الوحي الإلهي سبيلاً لصلاح أمر الأمة أنَّى تكن النتائج والآثار.

ولا شكّ في أنّ كلّ صلح يعقد بين عادل وظالم. وعلى الرغم من كلّ ذلك، تنجرّ عن هذا الصّلح فوائد عامّة كالعفو وإطفاء نار الحقد، وتجاوز الشّرور والابتعاد عن الثّأر. فغايات الصّلح عادة هي الطّموح إلى العيش الكريم، ولذلك اتّجهت الآيات الكثيرة والأحاديث إلى الدّعوة إلى الصّلح لأنّ الصلح خيرٌ كلّه يؤلّف بين القلوب. وتعظّم فوائده عندما يتمّ تجنّب الفتن. وقد أصّل الفقه وأصوله هذا الجانب من المعاملات لأنّه أقرب إلى العدل والقسط، وهو ركن ركين في المعاملات بين النّاس.

والمهمّ أنّ تاريخ أهل بيت النبوَّة عليهم السلام طافح بهذه المعاني المتسامية، وهو ما دلَّت عليه السياسة الرحمانية للإمام الحسن بن علي عليه السلام في لحظة حرجة وحاسمة من تاريخ الإسلام الأول، وهو ما تمثل بالصلح الذي عقده مع معاوية بن أبي سفيان حين أعرض عن الخلافة درءاً للفتنة مؤْثِراً مصالح الأمة على دنيا الخلافة وأهوائها. فما أبعاد الصّلح الحسني؟ وما ملامح سياسة أهل البيت؟ وكيف ساهمت في فضح مخطّطات الخصوم.

أبعاد الصّلح الحسني:

كيف لنا اليوم أن نقرأ صلح الإمام الحسن عليه السلام؟

عـادة مـا تخضع معاهـدات الصلح لقـراءة سياسـية، ولكـن هـل يمكـن إخضـاع منهـج الأنبيـاء وأحفادهـم لهـذه القـراءة؟ وهـل يمكـن المقاربـة بـين منهـج الإمـام عليه السلام في التحـاور السياسي السلمي ومنهج معاوية؟ وهل كانت غاية معاوية في الحكم ترقى إلى نظرة الإمام وأهـل البيـت عليهم السلام لهـذا التكليـف؟

هـذا المدخل التأسيسي في قراءة «الصلح» يجعلنا نقرّ بداية أن أهل البيت عليهم السلام أصحاب رسالة أخلاقيـة بالأسـاس، فهـم ورثـة الأنبيـاء كـما أن شرعيـة الحكـم كانـت بديهيـة للإمـام الحسـن عليه السلام ، فكان من السهل عليه البقاء والتصدي لمعاوية بالقوة، لكن دخول معايير وأحكام على هذه المسألة جعل الصلح قراراً حكيماً في المواجهة، إذ تقتضي بعض ظروف الحياة ضرباً من السلوك الضامن للانسجام مع القوانين السامية كالذي سلكه الإمام الحسن ساعة حاقت الفتن بأهلها . فقد وجد الإمام نفسه في ظروف خوّلت له الارتقاء إلى مصاف تأويلي جعله يقدّم المصلحة العامّة على كل أحقية في تحمّل المسؤولية الجماعية .

إن بعد النّظر وعمق التبصّر ونفاذ البصيرة لدى الإمام الحسن، دعاه إلى التنازل عن خلافة المسلمين فيما عرف بعام الجماعة وهو دليل على مدى انشغاله بمصلحة الأمة، وهو انشغال جعله يتنازل عن حقّه المحض، بمفعول البيعة التي تحصّل عليها، إذ بويع من أغلبيّة المسلمين. ولما كانت مجريات الواقع والتاريخ على خلاف المراد الحكيم والرؤية الصائبة. فإن إنصاف الحكمة وأهلها يقتضي المعالجة العلمية الرصينة والبحث المعمّق، ولعل هذا البحث يمثل محاولة في الحفر والتمحيص في صفحات هذه الحكمة متعددة الجوانب اجتماعياً وسياسياً وانسانياً.

وإذْ تتعدّد جوانب الصّلح الحسني، فإنّ من جوانبه الجوهريّة نذكر إفشاء الصّلح بيْن أفراد الأمّة تأسيًا برسالة جدّه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله. ففلسفة الصلاح تجري من الإمام الحسن عليه السلام مجرى الدّم من الجسم. وصلاح الأمّة يبدأ من صلاح الفرد. ولا أدلّ على هذا الصّلاح من ضرب المثل الصّالح في تنازل الإمام الحسن عليه السلام عن منصب الخلافة. ولو كان طلب الدّنيا يحتلّ في تفكير الإمام الحسن عليه السلام أيّة منزلة ما كان له أنّ يتخلّى عن الخلافة وهي أكبر منصب

سياسي. ولكنّ الدنيا عند العارفين لا تُساوي جناح بعوضة. فالمناصب السياسيّة في فلسفة الإمام الحسن عليه السلام هي بالأساس تكليف وليست تشريفا، لأنّ قيمة الدنيا تتحدّد في ضوء الآخرة. ولذلك ترك المطالب الدنيويّة وخاطب الجارين وراءها والمتهافتين عليها من بني أميّة بكلام يشبه كلام أبيه عليه السلام حين قال: « ملأتم قلبي قيحاً، وشحنتم صدري غيظاً، وجرعتموني نغب التهمام أنفاساً، وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان». ما يحيل عل تفشّي الفساد الأخلاقي وتدهور القيم في هذه الحقبة من الزمن على قربها من حياة الرّسول الكريم صلى الله عليه وآله.

لقد مثّل الصّلح الحسني ما يشبه النّور في ظلمات الفتن بدءاً من مقتل أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام وصولاً إلى ما صرّح به معاوية بن أبي سفيان حين تمكّن بمفعول الصّلح من اعتلاء سدة الحكم في قوله: ما قاتلتكم من أجل صلاة أو صيام، وإنّما قاتلتكم من أجل أن أجعل ما صالحت عليه الحسن تحت أقدامي. وهكذا يبدو أنّ أهمّ بعد للصلح هو كشف عيوب الخصوم والأعداء.

تلك سيرة تسترعي الانتباه وتشدّ الدّارس إليها، وهذا البحث يقوم على فرضية مفادها حاجة المسلمين إلى الغرف من فيوضها سعياً الى استمداد الحلول التي تصلح لمعالجة أبرز ما يتخبطون فيه من ضعف الحوكمة الرشيدة وضرورة تغليب مصلحة الأمة على المصلحة الذاتية. وانظر إلى راهنيّة هذا الحلّ وصلاحيّته، فالمسلمون في هذا العصر يقتل بعضهم بعضاً من أجل مصالح شخصيّة أو خدمة لدوائر استعماريّة.

وفي هذا الإطار، علينا أن نؤكد أولاً أن تغليب مصلحة الأمة على المصلحة الذاتية وأن الصلح كان طلباً من معاوية نفسه. وفي هذا يقول الإمام عليه السلام: «ألا وإن معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عزّ ولا نصفة، فإن أردتم الموت رددناه عليه، وحاكمناه إلى الله عز وجل بظُبا السيوف، وإن أردتم الحياة قبلناه، وأخذنا لكم الرضا»(1). لكن الصلح الذي وافق عليه الإمام كان بشرط وبنود، وكانت الحكمة منها بالأساس كشف خداع معاوية وفضح سريرته، كما أن عدّة عوامل اضطرت الإمام الحسن لهذا الصلح منها ان تركيبة الجيش غير متكافئة، وخيانة بعضهم للإمام بمراسلة معاوية سرّاً، واستجابة آخرين لإغراءات معاوية بالمال والمنصب ومنهم على سبيل المثال عبد الله بن العباس الذي اشترى معاوية ذمته

بالمال: «لأن الحسن بعث إلى معاوية قائداً من كندة في أربعة آلاف، فلما نزل الأنبار، بعث إليه معاوية بخمسمائة ألف درهم، ووعده بولاية بعض كور الشام والجزيرة، فصار إليه في مائتين من خاصته، ثمّ بعث رجلاً من مراد، ففعل كالأوّل، بعد ما حلف بالأيمان التي لا تقوم لها الجبال أنّه لا يفعل، وأخبرهم الحسن أنه سيفعل كصاحبه.»(٢)

لم يكتف معاوية بهذا الفعل بل استعمل دهاءه في نشر الأكاذيب والإشاعات في حق الإمام الحسن عليه السلام، وأعلن أنه وافق على الصلح من قبل أن يجيبه وبهذا أدخل البلبلة في صفوف الجيش وأهل الكوفة، فكان من رصانة الحسن عليه السلام أن يوقف الفوضى ويقبل الصلح تنازلاً منه عن حقّه حفظاً للأنفس وحقناً للدماء وكشفاً لغدر معاوية أمام مسانديه وتابعيه. وبهذا يكون قد كُشف للرأي العام بهذا الصلح، وعلى هذا الوجه فاق ذكاء الإمام خُبث معاوية في كتابة تاريخ على أسس الصدق والوضوح في مقابل الكذب والافتراء .

لقد بدت رصانة وحكمة الإمام واضحة «حين خطب معاوية بالكوفة لّما دخلها، والحسن والحسين جالسان تحت المنبر، فذكر علياً عليه السلام، فنال منه ثم نال من الحسن، فقام الحسين ليردّ عليه. فأخذ الحسن بيده فأجلسه، ثم قام فقال: أيها الذاكر علياً، أنا الحسن وأبي علي، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمي فاطمة وأمّك هند، وجدّي رسول الله وجدّك عتبة بن ربيعة، وجدّتي خديجة وجدّتك قتيلة ... فلعن الله أخملنا ذكراً، وألأمنا حسباً، وشرّنا قديماً وحديثاً، وأقدمنا كفراً ونفاقاً. فقال طوائف من أهل المسجد: آمين.»(٣)

سياسة أهل البيت تفضح الخصوم

لقد اتّسمت سياسة أهل البيت بالتعقل والتقوى و الزّهد وهي المنهج الديني القويم في العمل بالخلق الإسلامي، ولكن من يطلب الدنيا كمعاوية منهجه المكر والخداع، لذا كان له الحكم الآني وكان لأهل البيت عليهم السلام الخلود بالتزامهم بمنهج الرسل والأنبياء .

الإمام الحسن عليه السلام ، أول سبط لرسول الله صلى الله عليه وآله ، قد جسد في حياته ، أسمى معاني الزهد في الحكم حفاظاً على تماسك الأمة ، حتى بلغ به الأمر زهده في حقه ، مما كان له من النتائج والاثار التي حافظت على الهوية الاسلامية ، وانتمائهم .

وقد كان أهل البيت عليهم السلام مثالا يحتذى به ، وقدوة يرنو إليها الطرف في الزهد ، فلقد علموا المجتمع الاسلامي أن الزهد من صفات أهل الإيمان ، قال سبحانه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾(٤) وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾(٥). ولعل ارادة الله في تطهير أهل البيت جاءت لتموضع الزهد في قلوبهم ، وارتكازه في نفوسهم ﴿ ... إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾(٦) .

ومن زهد الإمام الحسن ، الذي كان نموذجاً لا يزال يجب تدريسه لكل قائد مسلم ، ولكل فرد في مجتمع مسلم ، إن أرادوا إصلاحا . فمن نماذج زهد الإمام البيت عليهم السلام ، نفرد غيضاً من فيض ، وقليلاً عظيم القدر من كثير كبير الحجم :

١- حجَّ الإمام الحسن عليه السلام خمساً وعشرين مرةً ماشياً ، والنجائب تقاد من بين يديه . وكلما مرّت به طائفة صعقت وخفت بالنزول إجلالاً لسموِّه وكبير مكانته . فلم يزل حتى يعدل بطريقه عن الشارع العام ، ليبلغ في تذلله للخالق كلّ مبلغ .

٢- وكان إذا ذكر الله عزَّ وجلَّ بكى ، وإذا سُمّي لديه القبر بكى ، وإذا قيل في البعث شيء بكى ، وإذا ذُكّر بالصراط في المعاد بكى . وأما إذا ذُكر لديه العَرض الأكبر إذ الخلائق بين يدَي الله القدير ، كلٌ ينظر في شأنه ، ولهم شؤون تغنيهم عن الآخرين ، فهناك شهق شهقة وغشي عليه خوفاً وذعراً .

أما إذا حدَّث بالجنة والنار اضطرب اضطراب السليم ، وسأل الله الجنة واستعاذ به من النار .

وإذا توضأ فإنه كان يصفرُّ لونُه وترتعدُ فرائصُه ، فإذا قام إلى الصلاة اشتد اصفرار لونه وارتعاد فرائصه .

٣- وأما أمواله فقد قاسَمَ الله فيها ثلاثَ مرات ، نصفاً بذل ونصفاً أبقى . وقد خرج من ماله كله مرتين في سبيل الله ، فلم يبقَ له شيء إلا أعطاه في سبيل الله .

٤- ولا تمر عليه حال من الأحوال إلا ذكر الله عزّ وجلّ رغَباً ورهَباً .

٥- أما ما قال فيه معاصروه ، فقد قالوا : وكان أعبد الناس في زمانه وأزهدهم بالدنيا.(٧)

و لكن لم تقف مكائد معاوية للحسن عليه السلام فقد ضاق ذرعاً من نفوذه العلمي والروحي الذي انتشر في كل أقطاب العالم الإسلامي ، فقرر اغتياله ، لكن بالرغم من أخذه غدراً الا أنه في لحظات استشهاده تجلى واضح لزهده فيصفح عن قاتله موصياً الحسين عليه السلام بحقن الدماء قائلاً له :

« فإني أوصيك يا حسين بمن خلفت من أهلي و ولدي و أهل بيتك أن تصفح عن مسيئهم و تقبل من محسنهم و تكون لهم خلفاً و والدا و أن تدفنني مع رسول الله صلى الله عليه وآله فإني أحق به و ببيته فإن أبوا عليك فأنشدك الله و بالقرابة التي قرب الله منك و الرحم الماسة من رسول الله صلى الله عليه وآله ألا يهراق من أمري محجمة من دم حتى تلقى رسول الله فتخصمهم و تخبره لما كان من أمر الناس إلينا »(٨)

على هذا الوجه يظهر الإمام الحسن عليه السلام من الرجال المخلصين و الآل الطاهرين ، رجل أثر في مجرى تاريخ الأمة جمعاء ، فكان سداً منيعاً لفتنة أعظم ،كادت تقع بين فئتين عظيمتين من الأمة ، وحده حضرت فيه نبوءة الصلح ، ليختاره الله من سبع سموات ، لجميل خَلْقه وعظيم خُلقه ورجاحة عقله ، التي كانت من نتائجها ادارة حكيمة ناتجة عن زهد كان له أعظم الأثر في الحفاظ على الهوية الاسلامية ، في أشد مراحل الأمة حرجاً .

إنّ الظلم الذي سلط على الإمام وعلى أهل البيت عليهم السلام عامّة كان عاملاً أساسياً في تأريخ رفعة أخلاقهم، وفي تنازلهم عن السلطة حفاظاً على شيعتهم وحقنا لدماء المسلمين «فكان الحسن بن علي، عليه السلام، بين أمرين، إمّا أن يستعين بهذه القلّة من المخلصين ضدّ

هذه الجموع الكبيرة، وإمّا أن يلجأ لمصالحة معاوية، فكان هذا الخيار الأخير هو الذي ترجّح عند الحسن، لحفظ البقية الباقية من مُحبّي الإمام علي وأهل البيت، لعلّهم ينشرون علومهم وسيرتهم. وكان اللجوء للخيار الأوّل (محاربة معاوية) يعني – إلى حدّ كبير – القضاء على كل من يذكر الإمام علياً بخير من أهل العراق، وبهذا يضيع فضل وآثار (الثقل الثاني) بعد كتاب الله»[٩]

وفي فضاء هذه السّياسة الرّشيدة وعلى هذا الوجه كان الصلح منعرجاً تاريخياً يعلن ظاهراً مصالحة وولاية معاوية ولكن المعاهدة وبنودها كانت تسجيلاً رسمياً للمبادئ الأساسية للرسالة المحمدية وتوثيقا لها على مرّ التاريخ، إذ أكّد فيها الإمام الحسن العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله كما وثق ضرورة عودة الخلافة إلى أهل البيت عليهم السلام، وفي هذا اقرار ضمني بعدم مشروعية معاوية بل ما هو إلا ضرورة حقناً للدماء كما أسلفنا القول إلى جانب التأكيد في البند الثالث والرابع أهمية أمن الناس وأصحاب علي عليه السلام وشيعته ثم البند الخامس أمان الحسن والحسين وأهل البيت عليهم السلام من مكر معاوية وفي البند السادس توضيح لعدم مشروعية معاوية بإلزامه بدفع ما في بيت مال الكوفة للحسن عليه السلام وكان سابع بند عدم سب أو شتم أمير المؤمنين عليه السلام.

كل هذه البنود مثّلت رؤية استباقية للحسن عليه السلام لما سيقوم به معاوية، لذا سجّل له تاريخيا ما يعرف أنه لن يلتزم به ليفضحه وليظهر للناس عامّة أن مبادئ الإسلام من تقديس لكتاب الله وسنّته واحترام لأهل البيت عليهم السلام وأمان شيعتهم ليسوا من منهج حكم معاوية الذي رمى بالوثيقة وبالعهد ومال الى حكم نفسه الأمارة بالسوء والكارهة للسلم والمحبّة. يصف العقاد هذا التّصرّف بقوله: «كانت له حيلته التي كرّرها وأتقنها وبرع فيها، واستخدمها مع خصومه في الدولة، من المسلمين وغير المسلمين، وكان قوام تلك الحيلة العمل الدائب على التفرقة والتخذيل بين خصومه، بإلقاء الشُبهات بينهم، وإثارة الإحن فيهم، ومنهم من كانوا من أهل بيته وذوي قرباه. كان لا يطيق أن يرى رجلين ذوي خطر على وفاق فلو أنه استطاع أن يجعل كل من في دولته حزباً منابذاً لغيره من رجال الدولة كافة لفعل، ولو حاسبه التاريخ حسابه الصحيح، لما وصفه بغير مُفرّق الجماعات»[١٠].

فما كان الحسن (عليه السلام) بموافق على طلبه للصلح إلا بعد ما كشف عبر مراحل عدّة تبادل فيها الرسائل معه، قدرته على التلاعب والنفاق، فلو كان الأمر يتطلب شجاعة فردية من الإمام فقط لحفظ الخلافة وما كان ليتردد في قرار الحرب، فهو كما وصفه كامل سليمان « كان من أركان الحرب عند أبيه، ومن أمراء جيشه، وهو منه ساعد قوي ومعوان عظيم، فأبو تراب يزحف وأولاده من حوله، يشدّون أزره، ويسندون ظهره، وكلّهم ليث قاصم الضربة»[١١].

لقد بايعت الامّة الإمام الحسن فخطب فيها خطاباً بليغاً فقال: «أيها النّاس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي، وأنا ابن النبي، وأنا ابن الوصي، وأنا ابن البشير، وأنا ابن النذير، وأنا ابن الداعي الى الله بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا من أهل البيت الذي كان جبريل ينزل إلينا ويصعد من عندنا، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً، وأنا من أهل البيت الذين افترض الله مودّتهم على كل مسلم، فقال تبارك وتعالى لنبيه: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً»، فاقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت [١٢].

لكن حين بلغ معاوية أمر البيعة قام بدسّ الجواسيس، لينقلوا له الأخبار، وحين فطن الحسن (عليه السلام) للأمر ،همّ فأرسل إليه تنبيهاً: «أمّا بعد، فإنّك دسست إليّ الرجال للاحتيال والاغتيال، وأرصدت العيون، كأنّك تحب اللقاء، وما أشك في ذلك، فتوقعه إن شاء الله، وقد بلغني أنّك شمتّ بما لا يشمت به ذوو الحجى، وإنّما مثلك في ذلك كما قال الأوّلون:

وقل للذي يبغي خلاف الذي مضى　　تجهّز لأخرى مثلها فكأنّ قد

وأنا ومن قد مات منّا لكالذي　　يروح فيمسي في المبيت ليفتدي[١٣]

لكنه أجاب بالإنكار وانتهج النفاق للإقناع وما كان بمغالط للحسن (عليه السلام) فقد كان فطناً وواعياً بشخصية معاوية وأطماعه وحاول أن يثنيه عن نواياه الخبيثة لكن دون جدوى، لذا كانت آخر رسالة وجهها إليه ذات لمحة تحذيرية أعلن فيها إغلاق باب التفاوض والحوار ولكن بعد ما لمسه من تخاذل الجيش وتفرّقه وشراء ذممه بالأموال قرر التعقل وحقن دماء المسلمين. وقد قال في ذلك: « و الله ما معاوية بأدّهى منّي ، و لكنّه يغدر و يفجر ، و لولا كراهية الغدّر ، لكنت من أدّهى النّاس و لكن كل غدرة

فجرة ، و كل فجرة كفرة ، و لكلّ غادرٍ لواء يعرف به يوم القيامة »[١٤].

علينا أن نقرّ بعد كل هذا أن المنهج الحواري الذي انتهجه الحسن عليه السلام من خلال إرسال الرسائل إلى خصمه والرد عليه مراراً ،ما هو إلا دليل على حكمته في خلاص الأمّة وبتر مشروع معاوية الأساسي في القضاء على الإسلام بجاهلية الحروب والفتن .

لذا يمكن لنا أن نخلص إلى أن الحسن عليه السلام **رجل السلم** بامتياز فرغم ما عايشه من مكر وفتن وخداع إلا أنّه تمسك بالسلم فكان سابق عصره في إرساء مبادئ السلام العالمي وتأكيد الحريات والحفاظ على أمن الشعوب وأمانها ضد الحروب. فحقن الدماء واختار السلم على الحكم فهو بهذا سابق لغاندي ولغيره من الشخصيات العالمية الحديثة التي نالت جائزة نوبل للسلام إذ إن سياسته كانت سياسة حكم الشعب فهو تفاوض وشعبه، كما اختار مصلحتهم على حكمه لهم، وانتهج مع عدوه منهج التحاور والمراسلات وحكم معه لمعاهدة صلح، وإذا ما رجعنا الى هذه المعاهدة وبنودها نلاحظ أنها انبنت على التنازل عن السلطة والزهد فيها رغبة في قيام الأمة والمصالحة بين أفرادها للتعايش السلمي على أسس إسلامية.

فمعاهدة الصلح انبنت على مبدأ إنكار الذّات و الزّهد في السلطة و اختيار التعايش السلمي لتخليص المجتمع من الفتن و الحروب، و لو أعدنا النظر في بنود هذه المصالحة لتجلّى لنا الفهم المعاصر للإمام الحسن عليه السلام لحقوق المواطنة و لحرية التعبير و غيرها من القيم المدنية المؤسسة لسياسات الدول المتقدّمة .

لذا سنحاول استعراض هذه البنود مع ما يقابلها اليوم من مبادئ الحقوق المدنية :

البند الأول : أن يعمل معاوية بكتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه وآله، و يقابله اليوم العمل بالدستور المتمثّل في كتاب الله و سنّة رسوله بالنسبة للأمّة الإسلامية ، و في هذا سنٌّ لقانون ربّاني يحفظ كيان الدّولة و يضمن مصلحتها و حقوق مواطنيها .

البند الثاني : أن لا يعهد من بعده لأحد عهدا ، و أن يسلّم الخلافة من بعده إلى الحسن ثمّ الحسين عليهما السلام ، و في هذا تأكيد عدم توريّث الحكم و السلّطة و أن لا يختار الحاكم خليفته، و إنّما ترجع للأصلح و لا أصلح من أهل البيت الذين تنازلوا عنّها له ، ليؤكّد هذا الشرّط مرّة أخرى عدم شرعية معاوية و يرجع الحقّ لأهله .

البند الثالث : النّاس آمنون حيث كانوا من أرض الله ، من شامهم و يمنهم و عراقهم و حجازهم ، و في هذا التزام بعدم التعرض للمخالف و المعارض السياسي و ضمان حرية الرأي و الفكر .

البند الرّابع : أصحاب علي من شيعته آمنون على أنفسهم و أموالهم و نسائهم و أولادهم حيث كانوا ، و في هذا أيضاً كفالة لحقّ المعارضة و تأكيد أن معاهدات الصّلح ليست حبراً على ورق بل هي التزام سياسي و أخلاقي ، و هو ما سيبيّن من بعد عدم جدارة معاوية بأي عمل سياسي أو التزام أخلاقي .

البند الخامس : أن لا يبغي معاوية على الحسن و أخيه الحسين، و لا أحد من اهل بيت النبي سرّاً أو علانية و لا يخيف أحد منهم في أفق من الآفاق ، و هذا مبدأ يتناسب اليوم و منح الخصم والمخالف السياسي حقّ الحياة الآمنة و عدم التعرض له و لحزبه بأي ضرر معنوي أو ماديّ.

البند السادس : أن يعطي معاوية للحسن عليه السلام ما في بيت الكوفة و مبلغه خمسة آلاف، و خراج دارابجرد من فارس و في هذا حفظ لأموال المسلمين ، و التعامل مع معاوية على أنه عامل في الدّولة ليس قائما عليها .

البند السابع : عدم سبّ أو شتمّ أمير المؤمنين عليه السلام ، و في هذا تذكير بالخلق الإسلامي و السياسة الرّاقية في احترام المخالف .

السياسة على هذا الوجه من التحليل و من تقديم الإمام الحسن لها في بنود الصلح هي سياسة العدل و الإنصاف ضد الظلم و الخداع و المكر ، فهي انبنت على مواقف واضحة و منهج صريح كما اهداف ساميّة في العدل و المساواة، لذا ترقى هذه السياسة إلى القانون العالمي لإدارة الحروب بين الدّول .

الخاتمة

تحتاج كلّ أمّة ترغب في التّقدم إلى إعادة النّظر في سير عظمائها لتسلتهم منها العبر والفوائد، ولا سيّما في أوقات انحدار الحضارة وانغلاق الثّقافة. وفي هذا الإطار، تمّ الالتفات إلى سيرة الإمام الحسن ﷺ فكان الّلافت للانتباه فيها هو حبّه لأمّته وحرصه على حفظ دمائها. فكان ذلك بمنزلة المرآة الصّافية التي فضحت مخطّطات السلطة الأموية التي شقت طريقها نحو مُلكٍ عضوض لَّما تزل الأمة تكابد مرارته إلى يومنا الحاضر..

الهوامش

١-تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج١٣، ص ٢٦٨، أسد الغابة، ابن الأثير، ج ٢، ص ١٣، سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٢٦٩ .

٢-أعيان الشيعة، ج ١، ص ٥٦٩

٣-شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ج١٦، ص ص ٤٦ ٤٧، مقاتل الطالبيين، ص ٤٦، الإرشاد ج٢، ص ١٥، المناقب، ابن شهر آشوب، ج ٣، ص ١٩٨ .

٤-الشورى: ٢٠

٥-طه: ١٣١

٦-الأحزاب : ٣٣

٧-وللاستزادة ، فلقد أفرد بعض الكتّاب الأولين ، موضوع زهد الإمام الحسن عليه السلام ، في مجلد خاص، مثل محمد بن علي بن الحسين بن بابويه المتوفي سنة ٣٨١ في كتابه (كتاب زهد الحسن عليه السلام) .

٨-محسن الأمين : أعيان الشيعة : ١ / ٥٨٥

٩-قراءة في كتب العقائد، حسن بن فرحان المالكي، ص ص ٧٠-٧١

١٠-معاوية، العقاد، ص ص ٣٦ و٣٧

١١-الحسن بن علي، كامل سليمان، ص ٣٥

١٢-المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، ج٣، ص ١٧٢ .

١٣-مقاتل الطالبيين، ص ٣٣، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ٣١

١٤-شرح نهج البلاغة ، جزء ١ ، ص ٢١١

-Leech, G. and Short, M. ,"Style and Fiction", London, Longman, 1981, p.13

- Simpson, Paul (1993). Language, Ideology and Point of View. London: Routledge.

-Short, M. H. (1996). Exploring the language of poems, plays and prose. London: Longman.

-Thompson, N. (1990). Communication and Language. New York: Macmillan.

-Van Dijk, T. A. (1993). Discourse and Cognition in Society. In D. Crowley, & D. Mitchell (Eds.), Communication Theory Today (pp. 107-126). Oxford: Pergamon.

المصادر العربية

- الطبرسي ،الخبير أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب. (١٩٥٩). الاحتجاج، ط١ ،ج١،ايران، منشورات الشريف الرضي.

- محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي. (٢٠٠٦). الايديولوجيا،ط٢، المغرب ، دار توبقال للنشر.

Conclusion

Depending on what has been analyzed , the following conclusions have been found :

1) The main purpose of communicative process in the religious discourse is identifying and uncovering the underlying ideology that reflects the speaker's ideas by using various linguistic devices .

2) critical stylistics provides useful analytical tools through which literary or nonliterary work can be analyzed . These devices fall into various types : grammatical , syntactical , semantic , stylistic and pragmatic tools . All these types are found in the analyzed present discourse .

3) The concept of identity encompasses of a set of notions and beliefs that are needed to be accessed critically . Al Imam Al –Hasan tries to present the real identity of Al Imam Ali (عليه السلام) which is disregarded by Bano Omya as well as the real identity of Bano Omaya and their bad beliefs and deeds towards Ahlu Baity .

4) All the employed tools are worthy for the critical interpretation of Al Imam Al –Hasan's speech concerning his father's right and priority of imamate .

English References

- Fairclough, N. (1989). Language and Power. New York: Longman.

-Fowler, R. (1996) 'On critical linguistics', in Caldas-Coulthard, C. and Coulthard, M.(eds) Texts and Practices. London: Routledge. 3–14.

-Grice, H. P. (1975). 'Logic and Conversation', in Cole, P. and Morgan, J. (eds) Syntax and Semantics3:Speech Acts. New York:Academic Press,41–58.

-Halliday, M. A. K. (1967). Notes on transitivity and theme in English, Part 1. Journal of Linguistics, 1967(3),37-81.

http://dx.doi.org/10.1017/S0022226700012949

- (1985). Dimensions of Discourse Analysis: Grammar. In T. A. Van Dijk (Ed.), Handbook of Discourse Analysis: Vol. 2. Dimensions of discourse (pp. 29-56). London: Academic Press.

- (2000). An Introduction to Functional Grammar (2nd ed.). London: Edward Arnold/Beijing:Foreign Language Teaching and Research Press.

-Jeffries , L.(2007). Textual Construction of the Female Body : A Critical Discourse Approach . Basingstoke : Palgrave Macmillan .

- (2009). Opposites in Discourse . London : Continuum.

-(2010). Critical Stylistics: The Power of English. New York: Palgrave Macmillian.

ally by assigning the verbiage a high proportion of assumed truthfulness . By this way , Al Imam avoids any potential slanting or misrepresentation of truth that may be claimed by the hostile party .

Table(1) :Tools and Types in the Whole Data

Utterances	Tools	Types
– ولكـن شـتمتني وسـببتني فحشـاً منـك ،وسـوء رأي، وبغيـاً وعدوانـاً وحسـداً علينـا ،وعـداوة لمحمـد ﷺ – الملأ المجتمعون المتعاونون عليَ – يفلج الله حجته ،ويحق دعوته ويصدق أحدوثته وينصر رايته	Naming and Describing	Choice of noun and noun modification
– يفلـج الله حجتـه ، ويحـق دعوتـه ويصـدق أحدوثتـه وينـصر رايتـه – أنشدكم، هل تعلمون	Transitivity	- Material action intentional verbs -Mental cognition verbs
– وانت يا معاوية بالأولى كافر وبالأخرى ناكث – الحمد لله الذي هدى أولكم بأولنا وآخركم بآخرنا	Equating	Parallelism
– وكل ذلـك رسـول الله يـرى عنـه راضيـاً في المواطـن كلهـا سـاخطا عليـك	Contrasting	Explicit Oppositions
– أنشـدكم بـالله هـل تعلمـون أن الرجـل الـذي شـتمتوه صـلى القبلتـين كلتيهـا وبايـع البيعتـين كلتيهـا	Assuming	Existential Presupposition
– مـا شـتمني غـيرك ومـا هـؤلاء شـتموني ، ولا سـبني غـيرك ومـا هـؤلاء سـبوني	Negation	Negating Tools
– ولكـن شـتمتني وسـببتني فحشـاً منـك ، وسـوء رأي ، وبغيـاً وعدوانـاً وحسـداً علينـا ، وعـداوة لمحمـد ﷺ قديـاً وحديثـاً.	Enumerating	
– إنه لقيكم مع رسول ﷺ يوم بدر ....ولقيكم يوم أحد .	Exemplifying	
أنشـدكم بـالله أتعلمـون أن رسـول الله ﷺ قـال في حجـة الـوداع : أيهـا النـاس إني قـد تركـتُ فيكـم مـا لم تضلَـوا بعـده : كتـاب الله وعـترتي أهـل بيتـي .	Presenting others speech and thoughts	Narrator's Report of Speech

who cursed Al- Imam Al-Hasan . These tools together with the mental perception verb ‘ اسمعوا ‘ (hear) and the mental cognition verb in ‘ أعيروني فهمكم’ give a vivid mental picture of meanness and ignobility of Muawiyah and his followers.

- Regarding enumerating Al Imam Al- Hasan uses this rhetorical style as an ‘ emotional trigger ‘ through which he gives a six- part list of things to present Bano Omaya’s malice and hating towards Prophet Muhammed and his family . His list is a repetition of essentially the same idea (hatred) in different words since the items within the list are not entirely distinct . You , Muawiyah , who planned for such crowd to curse me and my father , and this hatred is rooted in you (Bano Omaya) , is the implication of this list as in :

ولكن شتمتني وسببتني فحشاً منك ، وسوء رأي ، وبغياً وعدوانا وحسدا علينا، وعداوة لمحمد ﷺ قديما وحديثا).

- As for exemplifying, Al Imam gives two examples of generic categories :

البيعة (allegiance) , and الحروب (the wars) as in :

وبايع البيعتين، بيعة الرضوان وبيعة الفتح....إنه لقيكم مع رسول الله ﷺ يوم بدر ومعه راية النبي ﷺ والمؤمنين ومعك يا معاوية راية المشركين .... ولقيكم يوم أحد ومعه راية النبي ﷺ ومعك يا معاوية راية المشركين ولقيكم يوم الأحزاب ومعه راية رسول الله ﷺ ومعك يا معاوية راية المشركين .....

The ideological impact of these examples is to give the impression of completeness of loyalty and courage of Al Imam Ali on one hand and completeness of cowardliness and unfaithfulness of Muawiyah particularly and Bano Omaya generally rather than providing a comprehensive list of items .

- As for presenting others’ speech and thought , Al Imam employs a narrator’s report of speech as one category of speech presentation in which he reports Prophet Muhammad’s speech in ‘ حجة الوداع ‘ (The farewell pilgrimaging) as in :

أنشدكم بالله أتعلمون أن رسول الله قال في حجة الوداع : أيها الناس إني قد تركتُ فيكم ما لم تضلَوا بعده : كتاب الله وعترتي أهل بيتي .

In this quotation , Al Imam Al –Hasan wants to influence the listeners intention-

Significantly , the verbs ‘ أنشدكم ‘ (I appeal you) , and تعلمون (you know) are mental cognition verbs which are repeated to evoke the addressees’ feelings and memory . These verbs are ideologically employed to represent past events and actions in which Al Imam Ali’s heroism and devotion to God and His messenger on one hand and Muawiyah’s cowardice , disbelief , and oppression towards the Prophet and his family on the other . Al Imam Al –Hasan ideologically exploited parallel structures to make the intended idea easier for the listener to catch as in الحمد لله الذي هدى أوَلكم بأوَلنا ،وآخركم بآخرنا in which the parallel structure is used to equate two ideas by placing them in the same textual context . The parallel structure أوَلكم بأوَلنا refers to the superiority of Prophet Muhammad over (Quraysh) whereas the parallel structure آخركم بآخرنا indicates the virtue of Prophet’s Muhammad family over the nation of Islam that will be under the banner of Al Imam Mahdi . The other parallel structure is وأنت يا معاوية بالأولى كافر وبالأخرى ناكث in which intensive relational equivalences ‘كافر ،ناكث (disbelief and renegade) have the same referent , that is ; Muawiyah .

In contrast , the explicit oppositions in وكل ذلك رسول الله ﷺ يرى عنه راضيا في المواطن كلها ساخطا عليك (satisfied X discontent) refer to different referents . The first one is Al- Imam Ali Whereas the second one is Muawiyah .

- As for implying and assuming , the word ‘ الرجل’ (the man) in :

أنشدكم بالله هل تعلمون أن الرَجل الذي شتمتموه صلى القبلتين كلتيهما ....وبايع البيعتين كلتيهما ....

implies an existential presupposition which carries an ideological content that Al Imam Ali is a man of monotheism , pure servitude to God , and absolute loyalty to His Prophet . This ideological assumption is emphasized by the past verb ‘ صلى’ (prayed) , and ‘ بايع’ (pledged allegiance).

- The negative sentences :

ما شتمني غيرك وما هؤلاء شتموني ولا سبني غيرك وما هؤلاء سبوني))

The negation tools (لا , ما) , and the negative pronoun (ما هؤلاء) which gives a sense of ‘ nobody’ produce the logical presupposition that Muawiyah is a vile one

structural and grammatical tools that shed light on the ideology of Al Imam in presenting his own identity and his father's identity and their right in the immanate after the prophet Muhammad . Such an ideology is reflected by legitimation strategy which is represented by relationalization , universalization and narrativization according to Thompson (1990) model of ideology . By relationalization , Al Imam gives a chain of reasoning which aims at defending and justifying his right of imamate . Concerning universalization , Al Imam tries to present his father's and his right of alimamate as the interest of all rather than as a concept held by few people . The two above strategies are supported by ' narrativization ' through which past stories or events are recounted to treat the present as part of cherished past .

-As for naming and describing , Al Imam chooses suitable nouns and descriptions by noun phrases to refer to his father and his status in the Islamic society and religion as well as names and describes their enemies . This is apparent in the following examples :

ولكن شتمتني وسببتني فحشاً منك ،وسوء رأي ،وبغيا وعدواناَ وحسداً علينا ،وعداوة لمحمد ﷺ قديما وحديثا.

These noun have negative connotations and allude to the evildoers who didn't live with prophet Muhammadand Al Imam Ali peacefully and treated them hostilely . Stylistically , these nouns fit the notion of العداوة (enmity) .

is modified by post 'الملأ' wherein the noun "الملأ المجتمعون المتعاونون علي" The noun phrase gives also the sense of 'hostility ' on Muawyia , 'المجتمعون المتعاونون' modifiers the adjectives .and his followers' part

The nouns in the noun phrases يفلج الله حجته،ويحق دعوته ، ويصدق أحدوثته، وينصر رايته gives positive connotations and indicate that Al-Imam Ali is a righteous man . Stylistically , these collocations fits the notion of ' immamate' .

- At the same time , transitivity process through the material action verbs : يفلج (shows) , ' يحق '(reinforces) ; يصدق' (ensures) , and 'ينصر' (evangelizes) emphasize the idea that Al Imam Ali ia a man of actions rather than merely words . They also mirror the inner mind of Al Imam Al- Hasan by portraying of the righteousness of Al Imam Ali of al imamate and leadership which are supported by God and His messenger .

هـؤلاء سبوني، ولكـن شـتمتني وسـببتني فحشـاً منـك، وسـوء رأي، وبغيـاً وعدوانـاً وحسـداً علينـا ، وعـداوة لمحمـد ﷺ قديـماً وحديثـاً، وأنـه والله لـو كنـت أنـا وهـؤلاء يـا ازرق مشـاورين في مسـجد رسـول الله ﷺ وحولنـا المهاجـرون والأنصـار مـا قـدروا أن يتكلمـوا بـه ولا اسـتقبلوني بـما اسـتقبلوني بـه . فاسـمعوا منَـي أيهـا المـلأ المجتمعـون المتعاونـون عـليَ، ولا تكتمـون حقـاً علمتـوه ، ولا تصدّقـوا بباطـل إن نطقـت بـه،. أنشـدكم بـالله هـل تعلمـون أن الرَجـل الـذي شـتمتموه صـلى القبلتـين كلتيهـما، وانـت تراهمـا جميعـاً وأنـت في ضلالـة تعبـد الـلات والعـزَى ، وبايـع البيعتـين كلتيهـما ؛ بيعـة الرضـوان وبيعـة الفتـح ، وأنـت يـا معاويـة بـالأولى كافـر وبالأخـرى ناكـث))؟

ثـم قـال : ((أنشـدكم بـالله هـل تعلمـون أن مـا أقـول حقـاً ، إنـه لقيكـم مـع رسـول الله ﷺ يـوم بـدر ومعـه رايـة النبـي ﷺ والمؤمنـين ، ومعـك يـا معاويـة رايـة المشركـين وأنـت تعبـد الـلات والعـزَى، وتـرى حـرب رسـول الله ﷺ فرضـاً واجبـاً ، ولقيكـم يـوم أُحـد ومعـه رايـة النبـي ﷺ ، ومعـك يـا معاويـة رايـة المشركـين ،ولقيكـم يـوم الاحـزاب ومعـه رايـة النبـي ﷺ ،ومعـك يـا معاويـة رايـة المشركـين ،كل ذلـك يفلـج حجتـهُ ، ويحـق دعوتـه، ويصـدّق احدوثتـه ، وينـصر رايتـه ، وكل ذلـك رسـول الله ﷺ يـرى عنـه راضيـاً في المواطـن كلَهـا سـاخطاً عليـك ؟

ثـم قـال:((انشـدكم بـالله أتعلمـون أن رسـول الله ﷺ قـال في حجَـة الـوداع : أيهـا النـاس إني قـد تركـتُ فيكـم مـا لم تضلَـوا بعـده : كتـاب الله وعـترتي أهـل بيتـي ،فأحلَـوا حلالـه ، وحرَمـوا حرامـه ، واعملـوا بمحكمـه ، وآمنـوا بمتشـابهه ، وقولـوا : آمنَـا بـما أنـزل الله مـن الكتـاب ، وأحبَـوا أهـل بيتـي وعـترتي ، ووالـوا مـن والاهـم ، وانصروهـم عـلى مـن عاداهـم ، وإنهـما لـن يـزالا فيكـم حتـى يـردا عـليَ الحـوض يـوم القيامـة ؛ ثـم دعـا وهـو عـلى المنـبر عليـاً فاجتذبـه بيـده فقـال : اللهـمَ والِ مـن والاه أوعـادِ مـن عـاداه، اللهـمَ مـن عـادَ عليـَا فـلا تجــــعل لـه في الارض مقعـداً ،ولا في السـماء مصـــــعداً ، واجعلـه في أسـفل درك مـن النَـار ؟ (الطـبرسي، ١٩٥٩: ٣٥٧).

This speech of AL-Imam al Hasan is in the presence of معاويـة بـن إبي سـفيان، عمـرو بـن العـاص، عمـرو بـن عثـمان بـن عفـان، عتبـه بـن أبي سـفيان ، الوليـد بـن عقبـة ، المغـيرة بـن أبي شـعبه who conspired on one thing, that is; cursing and degrading Al-Imam al Hasan’s and his father Al –Imam Ali’s value and status . It is enriched with different

, i.e., They will not change *their opinion anymore* which presupposes that they changed their opinion before .

5-Using comparative structures , for example , *Lisa is more beautiful than Linda* which presupposes that Linda is beautiful .

4.1.7 Negating

It is the textual practice which may have an ideological significance through creating an alternative reality or non – existent versions of the world which are created for many various reasons . This device is realized by four triggers:

1. Adding the negative particle to the verb phrase either to the auxiliary verb or to the dummy auxiliary (do).

2. Using pronouns such as ‘ no one ‘ , no body , nothing , etc.

3.Using certain words which have negative connotations like the nouns’ absence’, ‘ lack’ , verbs (omit , reject), adjectives (scarce , absent), adverbs (seldom , hardly) .

4. Using the words whether adjectives or verbs with negative connotative morphemes such as ‘ un’ in ‘unprofessional’ and ‘ dis ‘ in ‘ disagree’ respectively .

4.1.8 Presenting Others’ Speech and Thoughts

By this textual device the speaker consider the viewpoint of the others concerning a certain person , event , or state . It encompasses direct and indirect forms of speech presentation . The former present –exactly the other’s speech whereas the latter presents a reported version of the same speech . The ideological effect of presenting other’s speech depends on “ the perceived authority of the text producer , the context , and content of the text , the background and attitudes of the reader as well as the manner of speech and thought presentation “ (Jeffries , 2010 :137).

5. Data Analysis

The research select a debate between Al Imam Al – Hasan and Muawiyah and his followers to examine how Al-Imam Hassan refutes the suspicions concerning imamate right using Jeffries (2010) model of critical stylistics .

((فتكلم أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام فقال الحمد لله للذي هدى أولكم بأوَلنا وآخركم بآخرنا وصلى الله على جدي محمد النبي وآله وسلم . اسمعوا مني مقالتي وأعيروني فهمكم وبك أبدأ يا معاوية : إنَه لعمر الله يا ازرق ما شتمني غيرك وما هؤلاء شتموني ، ولا سبني غيرك وما

4.1.5 Prioritizing

This analytical device includes some syntactic possibilities for prioritizing or down playing the content of utterances through transformation (from active to passive or vice versa , a fronting process by which the main clausal element of a sentence is placed at the beginning of the sentence and subordination (Jeffries , 2010:77-78).

4.1.6 Implying and Assuming

This tool is related to the field of pragmatics since it is concerned with what is implicit in language than what is explicit . It reflect " the ability to use assumption and implication to make ideologies appear to be common sense " (Jeffries , 2010:93) . Concerning implying , the model of implicatures is drawn from Grice's (1975) work which is based on the notion of the cooperative principle and Grice's four maxims (maxim of quality , quantity , relation , and manner) . Any breaching in one or more of these maxims will cause implicature(the implied meanings that must be revealed by the reader).

Regarding assuming , it is so related to presupposition that refers to " assumption that are built into the text " (Jeffries , 2010 : 94) . She further states that there are two main kinds of presupposition :

1) Existential presupposition is always the result of using definite noun phrases which are identified with the determiner (the) , or a demonstrative (this , these , that , those) , or a possessive (my , his , our , your ….) .

2) Logical presuppositions which are harder to identify than existential ones as Jeffries , (2010:95) states . They involve the following triggers :

1- changing the state of the verbs which presuppose the earlier state of affairs ; i.e., " You have stopped snoring since you lost weight " .

2- Using factive verbs including realize , regret , understand , discover , and some senses of know . These verbs are often used with the subordinator ' that ' to make clausal complement that is presupposed , i.e. ; " They understand that they have lost the battle ".

3- Using a cleft sentence which introduces a presupposition in the post – modifying relative clausal complement, i.e.,"It was Jamie that broke your vase" .

4-Using iterative words such as anymore , again , yet , or verbs like revisit , rewrite , etc. These expressions presuppose a process which happens earlier or later

3) Mental –cognition process which involves three subcategories :mental cognition (realizing , understanding , etc.); mental reaction (hate , feel , etc.); and mental perception(hear , see , hate , etc.) .

4) Relational Process : It " represents the static or stable relationships between carriers and attributes rather than any changes or dynamic actions (verbs to be) , possessive relational process (verbs to have) , and circumstantial relations which involve (verbs of movement and the verb' be' as well) " (Jefrries , 2010 :43) .

4.1.3 Equating and Contrasting

According to Jefferies (2010:52-59) , both of the similar constructions which are represented by equating and opposition constructions that are represented by contrasting can create relationships between words and phrases in the text . These relationships can be realized by certain syntactic triggers or linguistic forms . There are three equating triggers :

1. Intensive relational equivalence ; X is Y; X seams Y ; X became Y;X appears Y etc.

2. Appositional equivalence X,Y,Z .

3.Metaphorical equivalence X is Y ; X is like Y .

Eight oppositional trigger are set by Jones (2002) , Davies (2008) and Jeffries (2007 , 2009) (Jeffries , 2010 :55) :

1- Negated opposition X not Y .

2-Transitional opposition Turn X into Y.

3- Comparative opposition more X than Y

4- Replacive opposition X instead of Y

5- Concessive opposition Despite X,Y

6- Explicit oppositions X by contrast with Y

7- parallelism He liked X she liked Y

8-Contrastives X, but Y

4.1.4 Exemplifying and Enumerating

These two related textual functions can be seen in the text . Exemplifying involves " larger category is being represented by only a few cases ".This tool can be made explicit by phrases like ' for example ' 'for instance' and ' to exemplify'. Enumerating can be represented by a long list of the members of category or a group(Jeffries ,2010: 67).

(form) and language in context (function) . Jeffries states that such conceptual functions might not be a comprehensive , but they present a coherent model .

4.1.1 Naming and Describing

This includes three practices : the choice of a noun , noun modification , and nominalization . The choice of a noun includes the choice of certain nouns to indicate a specific referent . The selection of a certain noun rather than another has certain ideological effects , for instance the choice between ‘ smile ‘ and ‘leer’ . Noun modification involves the construction of noun phrase which may be labeled ‘ noun group ‘, and a verb phrase which also may be labeled ‘ verb group’ . “ These two elements of the sentence present entities in the case of noun phrase and the processes in the case of verb phrase “ Jeffries , 2010:18) . They do not form the proposition of the clause but they give additional information that can be involved to modify the noun (ibid :21) . The last technique of this tool is nominalization by which a verb is transformed into a noun such as ‘invade’ becomes ‘ in vension’ . These three forms according to Jeffries have particular ideological potentials .

4.1.2 Representing Actions/ Events / States

This tool refers to transitivity choices that involves the choice of verbal elements in the sentence to show how language users depict their mental picture of reality and how their experience of the world around them is exemplified (as an action , event , state) . Jeffries in her model (2010) discards the previous models of transitivity such as the Latin –based model and adopts , Simpson’s(1993) model which is highly influenced by Halliday’s (1967) model . The adopted model which is adopted by CDA is concerned more with the hiding meanings behind verb choices rather than the meaningful aspects in favor of structural aspects . In this model the lexical verbs are categorized in four main categories :

1) Material action process which involves three subcategories :material action intention which comprises conscious being , supervention which consists of unintentional actions , and material action event that includes the use of an inanimate actor .

2) Verbalization process which comprises the actions that use human language and involve verbs such as reported , told , etc.

tics . She makes use of transitivity that is concerned with how the experience and knowledge of human are encoded and decoded by lexicogrammar system in the clause . So , it is a process- centered system (Halliday , 1967) . Transtivity involves the choice of verbal elements in the sentence that convey the user's experience of the external world of the senses and the internal world of the mind , that is ; how a speaker preconceives a situation (as an action , event , or state) in addition the ideological consequences of the transitivity choice . The process that is realized by a verbal group includes material , mental , verbalization and relational process . These verbal elements represent the ideational function of linguistic choices in Halliday's (1985) model . The interpersonal function is represented by the term ' hypothesizing' in Jeferries (2010) model . Jeffrries makes use of Simpson's (1993) model of modality by which the speaker's ideology in relation to his recipients is indicated .

The meanings of modal forms fall into three main categories : epistemic modality which concerns the speaker's certainty or uncertainty of something , deontic and boulomaic modality which express the speaker's desirability of something . Different underlying meanings can be created by the modal verbs depending on the context , content and the delivery in the spoken language (Jeffries , 2010:117) .The textual function is represented by exemplifying &and enumerating items .

Exploiting of Short's(1996) model of stylistics in unearthing the speaker's ideologies and point of view of the world and his/her attitudes towards the addressed audience is manifested in using tropes ' figurative language ' which can be grouped according to four levels : phonological (alliteration , assonance), lexical (repetition of the same lexical item , synonyms ….), semantic(metaphor, personification , metanomy) . The lexical and semantic levels are termed in Jeffries model as lexical semantics . Syntactic level includes parallel structures .

4.1 Model of Analysis

According to what is mentioned in the previous section , the model of analysis makes use of miscellaneous tools from three disciplines : functional linguistics , stylistics , and critical discourse analysis . The adopted model is the textual conceptual functions model which is set by Jeffries (2010) for her critical stylistic approach . These functions represent meaning as a mediated level between language structure

3.2 Legitimation

This strategy presents the relations of power and hegemony by three sub-branches : **rationalization** through which the producer of a text tries to convince the audience by using a series of reasoning to defend or justify what he/she believes in , **universalization** by which certain interests become the interests of all , and **narrativization** wherein a sense of belonging is created by a reference to the traditions and history of the community through recounting the past (ibid.:69)

3.3 Dissimulation

It is a strategy Wherein power is maintained by "being concealed , denied or obscured , or by being represented in a way which deflects attention from existing relations " (ibid :62) . Such mode is achieved by displacement whereby a term typically is used to refer to one object or individual ,can be used to refer to another . Euphemization is another way to represent dissimulation " where social relations , actions , and institutions are described or re-described in terms which elicit a positive valuation " (ibid).

Significantly , Jeffries (2010:9) states that in some contexts such as in totalitarian regimes , an ideology may be very evident and explicit . In contrary , in other contexts , an ideology may be more insidious to the extent it becomes naturalized as self –evident or common sense . Additionally , Jeffries asserts that there is " an inverse relationship between the extent to which an ideology is naturalized in a particular community or society , and the extent to which it is consciously used by a text producer"(ibid.:10) .

4. Methodology

The data of the study will be analyzed according to Jeffries's (2010) Model which makes use of multiple tools from the disciplines : functional linguistics , stylistics , and (CDA) . Accordingly , this a comprehensive model incorporates the work of systemic functional grammar which is put forward by Halliday (1985) , that pays great attention to the way by which utterances and texts are generated to convey the speaker's intended meaning or message . Jeffrries makes use of the three metafunctions (ideational , interpersonal , and textual) under certain linguistic structures and meanings which include phonetics, phonology , morphology , syntax , and seman-

reveal the underling ideologies found in texts . Consequently , she adds to the existing CDA theories a framework of analysis which consists of ten analytical tools and stylistic choices to represent a version of reality with ideological consequences .

To recapitulate , CS as a modern stylistic analysis integrates the tools of the two disciplines: stylistics and CDA . Stylistics , as the Encyclopedia Britannica defines is concerned with "the devices in language such as rhetorical figures and syntactical patterns to produce expressive or literary style " . CDA investigates the underlying ideologies that are expressed by the text producer (Fowler , 1996:186) . CS is a discipline that looks at the different ways in which ideologies are contained in language " (Jeffries , 2010 :8) .Ideology refers to a set of representations (images , legends , ideas , and perceptions according to the circumstances) within a society whose practical societal function exceeds its theoretical function . This system enables the adopter of a specific ideology to justify his/her personal behavior , confer legitimacy on his behavior and defend it (2006:9) محمد وعبدالسلام

3-Ideology : Definition &Modes

In accordance with the axiom that a text is not a mere grammatical unit , but it is a semantic unit that has form and content (meaning) , Jeffries (2010) proposes that all kinds of texts , whether literary , political , religious , and newspapers have meaning and imply a specific ideology . This ideology is so related to the way the author portrays his/her views of the world in a linguistic form .

Thompson (1990:64) refers to five modes by which ideology can be represented in discourse :

3.1 Unification

This ideological strategy plays a vital role in dissolving differences among individuals and putting them in a collective unity disregarding racial , social , gender , political , and religious differences . This aim can be achieved by two ways : **standardization** and **symbolization of unity.** Standardization reflects the consensus of different parties that include , users , intergroups , firms , governments and standards organizations which can help maximize compatibility and safety . **Symboization of unity** involves presenting symbols of unity and collective identity with which the individuals should be bound (ibid) .

1-Introduction

The present study adopts the emerging branch of stylistics , called critical stylistics(CS henceforth)which combines stylistics analysis and critical discourse analysis(CDA henceforth) in one encompassed network . This branch of stylistics concerns the textual meanings and how these meanings are conveyed by the writer or the speaker to unravel the underlying ideologies and how they are interpreted by the readers or the listeners . For different purposes in the study of style , various stylistic analyses have been conducted with diverse linguistic models based on the socio-cultural approach (Fairclough , 1989), the socio – cognitive approach (Van Dijk,1993) and systemic functional grammar (Hailliday , 2000). In 2010, Jeffries developed CS in which she adds a set of analytical tools to the existing CDA theories . These analytical tools enable the user of language to convey the intended meanings and ideologies as well as help the receiver to understand and interpret these meanings and discover the ideologies in literary or non literary texts including religious ones . Religious sermons and debates contain a set of thoughts and beliefs that are represented by different linguistics tools as it will be shown in the following analysis of Imam Al- Hassan's debates with Muawiyah .

2- Critical Stylistics :Definition and Scope

Providing a remedy of the notch between stylistics and CDA, CS is invented as an approach for analyzing the textual choices and investigating textual ideologies with the aim of " understanding the precise ways in which texts may transmit , reinforce or inculcate ideologies in their reader " (Jeffries , 2010:12).

This emerging branch of stylistics combines stylistics , as the linguistic study of wherein style is described as a dress of thought (Leech &Short , 1981 :13) , and CDA . Fairclaugh (1989) and VanDijk(1993) suggest a discourse analytical approach that investigate critically social inequality as it is expressed , legitimized and constituted by language use .This approach is called CDA . For them , there are specific meanings which are socially constructed among groups by lexical items , syntactic structures and linguistic processes . Underneath these linguistic structures , there are hidden ideologies that are expressed by the text producer .

Jeffries (2010:12) pinpoints that CDA as an analytical approach is not enough to

ملخص البحث

اللغة وسيلة للتواصل توفر أدوات لغوية مختلفة لتبرز العلاقة بين اللغة والقوة والفكر . إنها تمكّن المتحاورين من فهم الطرق التي من خلالها يمكن للنصوص أن تنقل أو تعزز أو تغرس أيدولوجيات عند قرائها ،لذلك تعد اللغة وسيلة للتأثير وإقناعاً الآخرين وكذلك تعبرعن مواقفهم وايديولوجياتهم وهذه هي نقطة تركيز الأسلوبية النقدية التي من خلالها تتم معالجة مسألة الكشف عن الايديولوجيات الكامنة للنصوص .

هذا البحث هو محاولة لتسليط الضوء على الأدوات التحليلية التي تعكس أيدويولوجية الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في إبراز حق والده الإمام علي عليه السلام وحقهُ في الإمامة وكذلك إبراز فضلهُ وفضل أبيه بحضرة معاوية وأتباعه . الباحث تبنى بعض مفردات أنموذج التحليل لـ (Jeffries: ٢٠١٠) لتحليل البيانات . بيانات التحليل هي مناظرة للإمام الحسن عليه السلام على جماعة المنكرين لفضله وفضل أبيه وحقه وحق أبيه بالخلافة بحضرة معاوية وأتباعه

Abstract

Language , as a means of communication , offers various linguistic tools to show connections between language , power , and ideology . It enables the interlocutors to understand the ways in which texts may transmit , enhance , or embed ideologies in their readers . So, it is a means of influencing and persuading others as well as changing their stances and ideologies . This is the focus of critical stylistics by which the issue of uncovering or discovering the underlying ideologies of the texts are addressed . This paper is an attempt to shed light on the analytical devices that reflect the ideology of Al-Imam Al-Hasan Al- Mujtabah in presenting Al Imam Ali's as well as his right in the imamate as well as highlighting his grace and virtue and his father's. The researcher adopts Jeffries's (2010) model of critical stylistic analysis. The data of the analysis is a debate of Al-Imam Al-Hasan with a group of deniers of his and his father's favor and worth of the caliphate in the presence of Muawiyah and his followers.

Refutation of the Suspicions of Entitlement of the Caliphate in Al-Imam Al –Hasan's Debates: Critical Stylistic Analysis

Inst. Dr. Adawyia SattarAbood

Thi-Qar Education Directorate

Nasiriyah Department

قال: تزوج الحسن بن علي ﷺ أربعمائة وثمان وأربعين زوجة، ما من امرأة الا قد بذلت له من دنياها ما أمكن، فما مد إلى ذلك يداً ولا عيناً.

(مستدرک الوسائل ج١٤ ص٢٩٦)

Appendix :2 Frequencies of Hadiths5-14

No.	RV inside Isnad			RV outside Isnad		
	Verb	Tran.	Freq.	Verb	Tran.	Freq.
5.	قال	Said	1	قال	Said	1
6.	روى	Narrated	1	قال	Said	1
7.	أخبرنا	Told	1	قال قالت	Said	4
	عن	From	1	حدث عن	Narrated from	1
	قال	Said	1	أخبر	Told	1
8.	قال	Said	1	قيل يقول	Said	2
9.	-			قال يقول	Said	2
	-			سمع	Heard	1
10.	أنبأنا	Told	1	قال	Said	2
	عن	From	3	أخبر	Told	1
	قال	Said	1	-		
11.	قال	Said	2	قال	Said	2
	حدثني	Told	1	-		
	عن	From	2	-		
12.	عن	From	6	قال	Said	2
	قال	Said	1	-		
13.	عن	From	1	-		
14.	عن	From	4	-		
	قال	Said	1	-		

خطب الحسن والحسين عليهما السلام وعبد الله بن جعفر عليهما السلام إلى المسيب بن نجبه ابنته الحسان، **فقال** لهم: إن لي فيها أميرا لن اعدو أمره، فأتى علي بن أبي طالب **فأخبره** خبرهم واستشاره، **فقال** له علي: أما الحسن فإنه رجل مطلاق وليس تحظين عنده، وأما الحسين فإنما هي حاجة الرجل إلى أهله، وأما عبد الله بن جعفر فقد رضيته لك فزوجه المسيب ابنته.

(تاريخ مدينة دمشق ج٢٧ ص٢٦١)

Hadith 11

قال وأنا محمد بن عمر **حدثني** حاتم بن إسماعيل **عن** جعفر بن محمد **عن** أبيه **قال**: **قال** علي يا أهل الكوفة لا تزوجوا الحسن بن علي فإنه رجل مطلاق، **فقال** رجل من همدان: والله لنزوجنه فما رضي امسك وما كره طلق.

(تاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٢٤٩)

Hadith 12

عن عدة من أصحابنا، **عن** أحمد بن محمد، **عن** محمد بن إسماعيل بن بزيع، **عن** جعفر بن بشير، **عن** يحيى بن أبي العلا، **عن** أبي عبد الله عليه السلام **قال**: إن الحسن بن علي عليه السلام طلق خمسين امرأة فقام علي عليه السلام بالكوفة **فقال**: يا معشر أهل الكوفة لا تنكحوا الحسن فإنه رجل مطلاق، فقام إليه رجل **فقال**: بلى والله لننكحنه فإنه ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وابن فاطمة فإن أعجبه أمسك وإن كره طلق.

(المحاسن ج١ ص٦٠١)

Hadith 13

و**عن** أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ع أَنَّهُ: اجْتَمَعَ يَوْماً مَعَ أَخِيهِ زَيْدٍ فَعَدَّا مَا تَزَوَّجَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ع فَأَثْبَتَا سِتّاً وَخَمْسِينَ وَمَا اسْتَكْمَلَا آخِرَهُنَ.

(دعائم الاسلام ج٢ ص١٩٢)

Hadith 14

الشريف الزاهد أبو عبد الله محمّد بن علي بن الحسن بن عبد الرحمن العلوي الحسيني في كتاب التعازي: بإسناده **عن** الحسن بن مجاشع، **عن** العامري، **عن** أبي سلمه ، **عن** زيد بن علي

أبي قيس عن إبراهيم بن عبد الأعلى **عن** سويد بن غفلة **قال**: كانت الخثعمية تحت الحسن بن علي فلما أن قتل علي وبويع الحسن بن علي دخل عليها الحسن بن علي **فقالت** له ليهنئك الخلافة فقال الحسن اظهرت الشماتة بقتل علي أنت طالق ثلاثا فتلفعت في ثوبها و**قالت** والله ما اردت هذا فمكث حتى انقضت عدتها وتحولت فبعث إليها الحسن بن علي ببقية من صداقها وبمتعة عشرين ألف درهم فلما جاءها الرسول ورأت المال قالت متاع قليل حبيب مفارق. **فأخبر** الرسول الحسن بن علي فبكى و**قال** لولا أني سمعت أبي **يحدث عن** رسول الله ﷺ جدي انه **قال** من طلق امرأته ثلاثا لم تحل له حتى تنكح زوجاً غيره لراجعتها.

(تاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٢٥٠)

Hadith 8

قال أَبُو طَالِبٍ الْمَكِّيُّ فِي قُوتِ الْقُلُوبِ: أَنَّهُ ﵇ تَزَوَّجَ مِائَتَيْنِ وَخَمْسِينَ امْرَأَةً **وَقِيلَ** ثَلاثَمِائَةٍ وَكَانَ عَلِيٌّ يَضْجَرُ مِنْ ذَلِكَ فَكَانَ **يَقُولُ** فِي خُطْبَتِهِ إِنَّ الْحَسَنَ مِطْلَاقٌ فَلَا تُنْكِحُوهُ .أَبُو عَبْدِ اللهِ الْمُحَدِّثُ فِي رامش أفزاي: إِنَّ هَذِهِ النِّسَاءَ كُلَّهُنَّ خَرَجْنَ خَلْفَ جَنَازَتِهِ حَافِيَاتٍ.

(مناقب آل أبي طالب ج٤ ص٣٠)

Hadith 9

فِي إحياء علوم الدين للغزالي: أَنَّهُ خَطَبَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ع إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بِنْتَهُ فَأَطْرَقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ **فَقَالَ** واللهمَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَنْ يَمْشِي عَلَيْهَا أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْكَ ولَكِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ ابْنَتِي بَضْعَةٌ مِنِّي وَ أَنْتَ مِطْلَاقٌ فَأَخَافُ أَنْ تُطَلِّقَهَا وَإِنْ فَعَلْتَ خَشِيتُ أَنْ يَتَغَيَّرَ قَلْبِي عَلَيْكَ لِأَنَّكَ بَضْعَةٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ فَإِنْ شَرَطْتَ أَنْ لَا تُطَلِّقَهَا زَوَّجْتُكَ فَسَكَتَ الْحَسَنُ وَقَامَ وَخَرَجَ **فَسَمِعَ** مِنْهُ **يَقُولُ** مَا أَرَادَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَ ابْنَتَهُ طَوْقاً فِي عُنُقِي.

(مناقب آل أبي طالب ج٤ ص٣٨)

Hadith 10

أنبأنا أبو القاسم علي بن إبراهيم وأبو الوحش سبيع بن المسلم وغيرهما **عن** أبي الحسن بن نظيف المقرئ أنا أبو الفتح إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن سيبخت البغدادي نا أبو بكر محمد بن يحيى بن العباس الصولي حدثني عون **عن** أبيه عن الهيثم نا ابن عياش **عن** أبيه **قال**:

Arabic References

ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، دار صادر – بيروت

ابن شهر آشوب، (١٣٧٦ هـ. ق.)، **مناقب آل أبي طالب**، المكتبة الحيدرية – النجف الأشرف

ابن عساكر، (١٤١٥ هـ. ق.)، **تاريخ مدينة دمشق**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان

ابن كثير، (١٤٠٨ هـ. ق.)، **البداية والنهاية**، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان

البرقي، أحمد بن محمد، (١٣٧٠ هـ. ق.)، **المحاسن**، دار الكتب الإسلامية – طهران

القاضي النعمان المغربي، (١٣٨٣ هـ. ق.)، **دعائم الإسلام**، دار المعارف – القاهرة

النوري الطبرسي، ميرزا حسين، (١٤٠٨ هـ. ق.)، **مستدرك وسائل الشيعة**، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث – بيروت – لبنان

Appendix 1: Hadiths 5-14

Hadith 5

قال علي بن محمّد: و**قال** قوم ... وكان الحسن أحصن تسعين امرأة.

(تاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٢٤٩)

Hadith 6

رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ أَنَّهُ: خَطَبَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ﷺ إِلَى مَنْظُورِ بْنِ رَيَّانَ ابْنَتَهُ خَوْلَةَ **فَقَالَ** وَاللهِ إِنِّي لَأُنْكِحُكَ وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ غَلِقٌ طَلِقٌ مَلِقٌ، غَيْرَ أَنَّكَ أَكْرَمُ الْعَرَبِ بَيْتاً وَأَكْرَمُهُمْ نَفْساً فَوُلِدَ مِنْهَا الْحَسَنُ بْنُ الْحَسَنِ.

(مناقب آل أبي طالب ج٤ ص٣٨)

Hadith 7

أخبرنا أبو القاسم الشحامي أنا أبو بكر البيهقي أنا أبو الحسن علي بن الحسين بن علي البيهقي صاحب المدرسة بنيسابور أنا أبو حفص عمر بن احمد بن محمد القرميسيني بها نا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن زياد الطيالسي نا محمد بن حميد الرازي نا سلمة بن الفضل نا عمرو بن

English References

Abdul Fattah Abu Ghuddah Thalathatu rasa'il fi ulum al-hadith; risalat abi dawud ila ahl makkata fi wasf sunanihi, pg 36, footnote. Beirut: Maktaba al-Matbu'at al-Islamiyah: 2nd ed 1426/2005.

al-Asqalani, Ahmad ibn 'Ali (2000). Fath al-Bari (in Arabic). Vol. 1. Egypt: al-Matba'ah al-Salafiyyah. p. 193. ISBN 978-1-902350-04-2.

Al-Fadli, Abd al-Hadi (2011). Introduction to Hadith (2nd ed.). London: ICAS Press. p. 62. ISBN 9781904063476.

al-Kulayni, Muhammad ibn Ya'qub (2015). Al-Kafi (Volume 6 ed.). New York: Islamic Seminary Incorporated. ISBN 9780991430864.

B. Hallaq, Wael (1999). "The Authenticity of Prophetic Ḥadîth: A Pseudo-Problem". Studia Islamica. No. 89 (1999) (89): 75–90. doi:10.2307/1596086. JSTOR 1596086.

Brown, Jonathan A.C. (2009). Hadith: Muhammad›s Legacy in the Medieval and Modern World (Foundations of Islam). Oneworld Publications. ISBN 978-1851686636.

Campo, Juan Eduardo (2009). "Hadith". Encyclopedia of Islam. ISBN 9781438126968.

Coupland, Nikolas (ed.) 1988. Styles of discourse. London: Croom Helm.

Crone, Patricia (10 June 2008). "What do we actually know about Muhammad?". Open Democracy. Retrieved 16 April 2018.

Leech, G. N. (1983) Principles of Pragmatics. Longman, London & New York.

Scott C. Lucas, Constructive Critics, Ḥadīth Literature, and the Articulation of Sunnī Islam, p. 106. Leiden: Brill Publishers, 2004.

Shafi, Mohammad. "The HADITH - How it was Collected and Compiled" (PDF). Dar al-Islam. Archived from the original (PDF) on 1 November 2019. Retrieved 26 October 2019.

have agreeably decided on the fact that there is no absolute confirmation with regards to the forgery of the hadiths under scrutiny (especially those of Shia Muslims). Nonetheless, there are several factors which played a key role in hinting at the inauthenticity of the hadiths. These factors are summed up as follows:

The narration style and choice of descriptive vocabulary is suspiciously alike across the hadiths, all of which stress that the Imam has married many women and divorced countless others. When such matters are emphasized and repeatedly stressed, it would genuinely indicate a sense of forgery and rumored conduct on behalf of the narrators. Stylistically, this is evident in the hyperbolic language used to denote the number of wives and divorcees, as well as the typical strategy of repetition in both style of narration and wording choice. With regards to the latter, the SAVs seem to be strangely alike, as with the transfer verb (عن) and the say verb (قال), in terms of number, type, and structure.

The number of wives is constantly changing, and never once has a number been confirmed more than once. There is a dispute of whether they were 50, 70, 150, or 300, or much more. Accordingly, this could be a strong clue for the inauthenticity of the hadiths, especially since the numbers vary considerably and irrationally.

The matter is also questionable with regards to his children. Inevitably, marrying 300 or more wives must be the reasonable cause of having many children, especially because the Prophet himself emphasized on having plentiful offspring. Again, such numbers of children are not existent in historical accounts, nor are their names known or revealed anywhere in Muslim narrations.

1.The first hypothesis, which proclaims “the choice of SAVs inside and outside the isnad are indicative of the authenticity of a hadith” is partially validated by means of the adopted model, whereby the neutrality of SAV served as an indicator of the weak authenticity of the narrated hadiths referencing Imam Al-Hassan’s polygamy.

2.The second hypothesis, which reads “there are considerable differences between RV in terms of their association with the following direct or indirect speech” is refuted since all the hadiths under scrutiny have been noted to use the same SAV with no significant association with the following DS or IS.

3.The third hypothesis, which states “the frequency of SAVs inside the isnad surpass those outside the isnad” is verified mainly due to the fact that the isnad itself is the embodiment of the chain of narrators whom the hadith has been passed through in order to reach us. Although in H9, the opposite seems to be the case where the main RVs are located outside the isnad (in the matin).

6.Conclusions and Findings

The topic of Imam al-Hassan’s alleged polygamy remains a controversial subject matter in Islamic literature. The aim of the study was to shed light on some of the hadiths that have addressed and rumored the allegations from a stylistic perspective, namely in light of the SAVs used by various narrators both inside and outside that isnad of the hadiths.

The authenticity of the fourteen hadiths has also been put up for analysis, all of which have proved to be *dha’if* (weak) by the researchers. The number and type of SAVs were certainly taken into consideration when it came to the authenticity of the hadith, especially once the narrator’s background was taken into account. Moreover, the exaggerated form of narration struck the analysis as stylistically deviant, especially with the lack of foundational evidence. Indeed, it was mainly the hyperbolic nature of the narrated message that rendered the hadiths *dha’if*, especially since the allegations contradict the most basic qualities of the infallible Imams. Additional factors that render a hadith weak include: the anonymity of the narrator, the unreliability of the narrator, and at other times the halt in the chain of narration.

In light of the data analysis and aforementioned observations, the researchers

H3 is shorter than its predecessors and therefore has only a total of four RV that could be detected inside the isnad of the hadith only. The chain of neutral SAV is followed by DS reported on behalf of the original narrator. Indeed, the neutrality of RV may be more or less a signifier of a hadith non-authenticity.

Hadith 4

قال الواقدي: **حدثني** علي بن عمر **عن** أبيه **عن** علي بن الحسين **قال**: كان الحسن بن علي مطلاقا للنساء، و كان لا يفارق امرأة إلا و هي تحبه.

(البداية والنهاية ج٨ ص٣٨)

No.	RV inside Isnad			RV outside Isnad		
	Verb	Tran.	Freq.	Verb	Tran.	Freq.
4.	قال	Said	2	-		
	حدثني	Told	1	-		
	عن	From	2	-		

As with H3, H4 is short and only uses RV inside the isnad, with a total of five altogether. The neutrality of choice may be indicative of the hadith's weak authenticity. Again, it is noted that the SAV are followed by DS on behalf of the first narrator.

5.Results and Discussions

The aforementioned four hadiths, as well as the remaining ten attached in appendix 1 with their frequencies in appendix 2, are all of the neutral SAV. This means that they are associated with both DS and IS being reported via a chain of narrators. The authenticity of the hadiths is also being put up for verification, most of which are deemed weak due to their neutral choices of RV.

Indeed, Arabic language is known for its rainbow of vocabulary, many of which may reference the same meaning. Therefore, the variation of choice in RV is a matter of style and choice on behalf of the narrators, or it may be in accordance with the reassurance of the hadiths' authenticity. That being said, it is time to revisit the research hypotheses in an attempt to verify them and highlight their noteworthiness to the overall conclusions.

قال: أخبرنا علي بن محمد **عن** عبد الله بن عبد الرحمن **عن** عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم **قال**: خطب الحسن بن علي امرأة من بني همام بن شيبان. **فقيل** له: إنها ترى رأي الخوارج. **فقال**: إني أكره أن أضم إلى صدري جمرة من جهنم.

(الطبقات الكبرى ج١٠ ص٣٠٣)

No.	RV inside Isnad			RV outside Isnad		
	Verb	Tran.	Freq.	Verb	Tran.	Freq.
2.	قال	Said	2	قال - قيل	Said	2
	أخبرنا	Told	1	-		
	عن	From	2	-		

With a frequency of five to two, the RV inside the isnad take the upper hand in number and variation. Interestingly, the preposition (عن) is used as an RV in function, with the equivocal meaning of "reported from". The substitution could be for brevity reasons or for stylistic variation in SAV. Significantly a mixture of DS and IS is noted to follow the neutral SAV in H2.

Hadith 3

قال الواقدي: **وحدثني** عبد الله بن جعفر **عن** عبد الله بن حسن **قال**: كان الحسن بن على كثير نكاح النساء، و كان قل ما يحظين عنده، و كان قل امرأة تزوجها إلا أحبته و ضنت به.

(البداية والنهاية ج٨ ص٤٣)

No.	RV inside Isnad			RV outside Isnad		
	Verb	Tran.	Freq.	Verb	Tran.	Freq.
3.	قال	Said	2	-		
	حدثني	Told	1	-		
	عن	From	1	-		

4.Analysis

The fourteen hadiths are enlisted below and scrutinized subsequently in accordance with the model of analysis. The RVs are highlighted in bold and the most frequently occurring SAVs are stylistically analyzed for their choice and recurrence inside and outside the hadith isnad.

Hadith 1

أخبرنا محمد بن عمر، **قال**: **حدثنا** عبدالرحمن بن أبي الموالي، **قال**: **سمعت** عبدالله بن حسن **يقول**: كان حسن بن علي قلما تفارقه أربع حرائر فكان صاحب ضرائر، فكانت عنده ابنة منظور بن سيار الفزاري، وعنده امرأة من بني أسد من آل خزيم، فطلقهما وبعث إلى كل واحدة بعشرة آلاف درهم وزقاق من عسل متعة، **وقال** لرسوله يسار بن سعيد بن يسار وهو مولاه: احفظ ما **تقولان** لك، **فقالت** الفزارية: بارك الله فيه وجزاه خيراً، **وقالت** الاسدية: متاع قليل من حبيب مفارق، فرجع فأخبره، فراجع الاسدية وترك الفزارية.

(تاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٢٤٩)

No.	RV inside Isnad			RV outside Isnad		
	Verb	Tran.	Freq.	Verb	Tran.	Freq.
1.	أخبرنا	Told	1	قال تقولان قلت	Said	4
	قال – يقول	Said	3	-		
	حدثنا	Told	1	-		
	سمعت	Heard	1	-		

A large variety of SAV are used in H1, namely those presenting DS. The RV inside the isnad are six in total whereas outside the isnad only four RV of the same root (قال) are utilized in the narration of the accusing hadith. Most notable are the SAV inside the isnad, where the chain of narrators prefer different choices of RV including: سمعت, حدثنا, أخبرنا, and the prototypical قال.

Hadith 2

3.Methodology

The study at hand deals with unexplored territories and crosses new boundaries to come up with a new perspective to identifying the authenticity of a hadith based on insights to style and the use of reporting verbs across different hadiths of the same content. The following is a description of the data and model of analysis adopted by the authors.

3.1. Data Collection and Description

Data Collection and Description

Indeed, the main subject of interest in this study is the search for hadiths depicting the polygamous nature of Imam Hassan's (as) marriages, especially those which sought to distort his reputation as a man who married and divorced a lot of women. No doubt, the literature written on the matter is best preserved in Islamic hadiths, which are not to be refined from forgery and falsification. The process of data collection was decided on behalf of the topic matter. After a thorough investigation of the many hadiths referencing Imam Al-Hassan's (a) marriages, a total of only fourteen hadiths were selected from Islamic literature, all of which explicitly address the polygamous accusations.

3.2. Model of Analysis

The study adopts leech's (1983) classification of speech-act verbs as a model for the analysis of reporting verbs in the selected hadiths. The following figure demonstrates Leech's classification of SAV with a focus on the neutral type for their association with both direct and indirect reporting of hadiths:

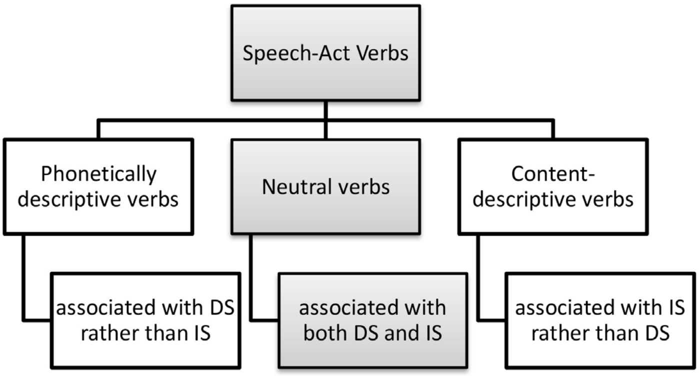

Figure (2) Leech's (1983) tripartite classification of speech-act verbs

2.3. Hadith Discourse

Language is a compilation of varying discourses, each with its distinct features and functions. Perennially, hadiths represent a historically significant type of discourse that has been transmitted across the centuries through chains of narrators. Defined by Campo (2009: 13), a hadith refers to "reports of statements or actions of Muhammad, or of his tacit approval or criticism of something said or done in his presence." Accordingly, the intended meaning of a hadith in religious tradition is not found in the Quran, but is in fact something attributed to the prophet himself.

In her definition of hadiths, Crone (2008) includes reports by others than Prophet Mohammad: "short reports recording what an early figure, such as a companion of the prophet or Mohammad himself, said or did..." Contrastingly, Shiite Muslims tend to refer to the sayings of Ahl Al-Bayt in deriving the Sunnah of the Prophet, namely in cases where there is no Quranic statement or hadith.

Typically, Islamic hadiths are unique for their persistent structure and tenacious form. According to Brown (2009: 4), a hadith is composed of two major aspects: the text of the report (matn) and the chain of narrators (isnad). The former contains the actual narrative, whereas the latter documents the route by which the report has been transmitted (Campo, 2009: 55). Literally, isnad means 'support' and has been named so due to the reliance of the hadith specialists upon it in deciding the authenticity or weakness of a hadith.

The narrators in the isnad are listed chronologically, each mentioning the one from whom they heard the hadith. No doubt, the first people to hear hadith were the companions, who preserved it and then conveyed it to those after them, whom in return conveyed it to those after them, and so on. So a companion would say, "I heard the Prophet say such and such." The Follower would then say, "I heard a companion say, 'I heard the Prophet."" The one after him would then say, "I heard someone say, 'I heard a Companion say, 'I heard the Prophet..." """ and so on (Mualami, n.d.: 16). Ultimately, the chronological chain of narrators is known to end with the originator of the matn, along with the matn itself.

on the general assumption that within the language system, the same content can be encoded in more than one linguistic form. Operating at all linguistic levels (e.g. lexicology, syntax, text linguistics, and intonation), stylisticians analyze both the style of specific texts and stylistic variation across texts. These texts can be literary or nonliterary in nature. Generally speaking, style may be regarded as a choice of linguistic means; as deviation from a norm; as recurrence of linguistic forms; and as comparison (Coupland, 1988: 15).

With regards to the present study, style is considered as choice. To put it simply, there are a multitude of stylistic factors that lead the hadith narrators to prefer certain reporting verbs to others. These factors can be grouped into two categories: user-bound factors and factors referring to the situation where the language is being used. User- bound stylistic factors include, among others, the speaker's or writer's age; gender; idiosyncratic preferences; and regional and social background. Situation-bound stylistic factors depend on the given communication situation, such as medium (spoken vs. written); participation in discourse (monologue vs. dialogue); attitude (level of formality); and field of discourse (e.g. technical vs. nontechnical fields).

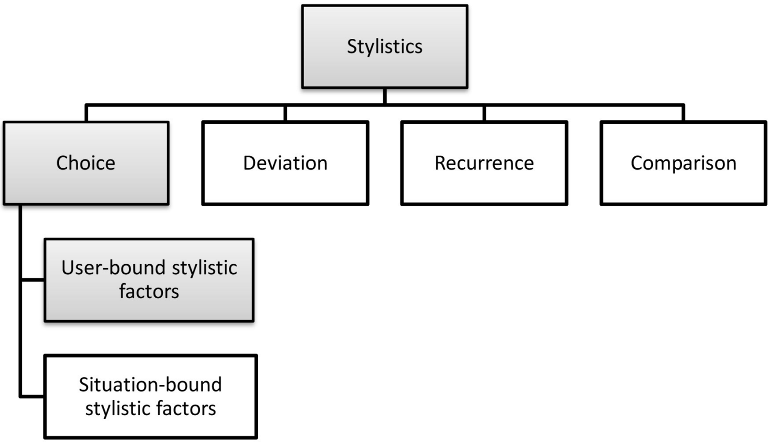

Figure (1) Different facets of stylistics

outside the isnad are indicative of the authenticity of a hadith; (2) there are considerable differences between RV in terms of their association with the following direct or indirect speech; and (3) the frequency of SAVs inside the isnad surpass those outside the isnad.

Theoretical Framework

2.Theoretical Framework

This section reviews the literature concerning the core pillars of the present study, namely reporting verbs (2.1), stylistics (2.2), and hadith discourse (2.3).

Reporting Verbs

2.1. Reporting Verbs

It is commonly stated that reporting verbs, in any genre, not only have a linguistic function, but also evaluate the discourse being reported (see Zwicky 1971; Verschueren 1980; Rudzka-Ostyn 1988; Levin 1993; Caldas- Coulthard 1994; Klamer 2000; Kissine 2010; Urban and Ruppenhofer 2001, among others). Unfortunately, the interpretative value of reporting verbs tends to be discussed only with regard to those specific verbs that reveal information related to the "affective meaning" (Leech 1974, 14) of the utterance; the meaning contributed by features that reveal the feelings of the speaker.

Taking a different perspective, Leech (1983: 212-3) points out that, as a form of reporting verbs, speech-act verbs can be divided into two classes: phonically descriptive verbs and content-descriptive verbs. The meaning of the former partly concerns the manner of utterance rather than the matter. He also explains that the former are associated with direct speech (DS) rather than indirect speech (IS), while the latter tend to be more acceptable with IS than with DS. He further mentions that between these two types there is a neutral type, which seems to occur equally readily with DS and with IS. Neutral verbs contain to say, to ask, to reply and so on, which are the focus of the present study for their abundant frequency in Islamic hadiths.

2.2. Stylistics

Stylistics is the description and analysis of the variability of linguistic forms in actual language use. The concepts of 'style' and 'stylistic variation' in language rest

1.Introduction

In the Muslim world, hadiths are known for their profound and controversial influence on tafsir (Quranic commentaries). Moreover, they form the basis of Islamic fiqah and shariah. Indeed, the initial act of recording narrations (hadiths) started during the early days of the Islamic era. Muslims were keen on conserving the hadiths of the Prophet Mohammed (saww), for they had heard several hadiths and verses encouraging them to document. Allah says in the holy Quran (59:7):

﴿وَما آتاكُمُ الرَّسولُ فَخُذوهُ وَما نَهاكُم عَنهُ فَانتَهوا﴾

"So accept whatever the Messenger gives you, and refrain from whatever he forbids you."

In hadith al-Thaqalayn, the deposed will of the last prophet of humanity, the Prophet Mohammed was reported to have said:

(إنّي تاركٌ فيكم الثقلين: كتابَ الله وعترتي أهلَ بيتي، لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوضَ)

"Verily, I am leaving behind two weighty things: the Book of God and my kindred household (Ahl Abayt), for indeed, the two will never separate until they come back to me by the Pond (of al-Kawthar on Judgment Day)."

However, the concern of this paper centers on a discrete cluster of accusational hadiths, which reference the marginalized character of Imam Al-Hassan Bin Ali (a). Nicknamed Al-Mujtaba, Al-Hassan (a) is the second of the twelve infallible Imams of the Shiite, the grandson of Prophet Mohammed (saww), the son of Imam Ali and Lady Fatimah, and the brother of Imam Al-Hussain (a). Admittedly, one of the key pillars in the Shiite school of thought is the principle of infallibility, which is typical of Prophets, Imams and Lady Fatimah. By all means, if any hadith or narration goes against their infallibility, it should either be interpreted in a way that is no longer considered offensive to their infallibility or it should be ignored completely.

Significantly, the aim of the study is two-folded, where on the one hand a stylistic comparison is made between the RV inside and outside the isnad of the hadiths, while on the other hand the hadiths are scrutinized equivocally to unearth the forgery behind the polygamous narrations accusing Al-Hassan. Accordingly, the study puts forth the following hypotheses: (1) the choice of SAVs inside and

ملخص البحث

للأحاديث والروايات أهمية كبيرة في الفكر الإسلامي، لأنها تشكل أكبر مصدر لاستخراج الأحكام وثاني أهم المصادر بعد القرآن الكريم. ومن المهم معرفة أن ظاهرة وضع الحديث ليست أمراً جديداً، حيث يدور الكلام في هذه الورقة البحثية حول ظاهرة وضع الحديث وبالأخص فيما رُمي به الإمام الحسن عليه السلام من كثرة تعدد الزوجات. على المستوى اللغوي، يهدف البحث لتسليط الأضواء على أفعال الأقوال المستخدمة في بعض النصوص المشتبه بها في وضع الحديث، من منظر أسلوبي. ولتحقيق ذلك، يسعى البحث وراء هدفين أساسيين في نهاية المطاف: أولاً مقارنة أسلوبية بين أفعال الأقوال في إسناد الحديث وخارجه، وثانياً مقارنة عامة للأحاديث تثبت وجود التزييف العام وراء مزاعم تعدد الزوجات. ومن أجل الالتزام بالموضوعية، تم اختيار أربعة عشر حديثاً لغرض التحليل البنائي واللغوي. وفقا لذلك، سيتم دراسة الأسلوب وكذلك الترتيب العام للأحاديث بغاية كشف دقتها وموثوقيتها. ومن الجدير بالذكر أنه رغم اختلاف التصنيفات الموجودة للروايات، والتي تتراوح على أساس مصدرها ووثاقتها وعدد رواتها، إلا أن هذه الدراسة تتحدد فقط بجانب واحد وهو عدد الرواة لما فيه من أهمية في إبراز وظيفة أفعال القول في مجال البحث الأسلوبي بين الرواة. كما بينت الاستنتاجات في هذه الدراسة أن اختبار وثاقة صدور هذه الروايات والأحاديث، أوضحَ عن الوضع وَالتزييف الذي وقع في عددٍ كبيرٍ منها بناءً على الاختلاف الأسلوبي الذي جرى في طريقة روايتها.

Abstract

Ranking second in place after the Quran, Hadiths represent the backbone of Islamic civilization. However, it should be noted that forgery is not as uncommon in hadiths as one might expect. Case in point is the derogatory accusations of polygamy attributed to Imam Al-Hassan Bin Ali, which sought to challenge his infallibility and marginalize his formidable role. Accordingly, this paper sheds light on hadith forgery from a stylistic perspective, with a keen eye to the use of reporting verbs (RV). The aim of the study is two-folded, where on the one hand a stylistic comparison is made between the RV inside and outside the isnad of the hadiths, while on the other hand the hadiths are scrutinized equivocally to unearth the forgery behind the polygamous narrations accusing Al-Hassan. For the purpose of objectivity, fourteen samples of hadiths are selected to undergo scrutiny adopting Leech's (1983) model of speech-act verbs (SAV). Hence, both style and narration structure will be observed in relation to the authenticity and accuracy of the hadiths. It should be noted that although the classifications of hadiths vary according to origin, authenticity, and number of narrators, the interest of the present study falls on the latter type, due to its focus on the stylistic role of SAV across narrators. With authenticity being put to the test, the bigger percentage of hadiths are refuted as being forged or fabricated, due to their varying narrative style.

A Stylistic Account of Reporting Verbs in Forged Hadiths Referencing Imam Al-Hassan's Polygamy

Maha Al-Mohammed
Department of English \ College of Arts
Imam Ja'afar Al-Sadiq University
Haidar Ali M.H.
Department of EnglishCollege of Languages
University of Kufa

References

[1] Mark Galli and Craig Brian Larson. Preaching That Connects. Using Journalistic Techniques to Add Impact Zondervan, Grand Rapids, Michigan 49530; 1994.

[2] Ron Sisk. Preaching Ethically goodfaithmedia.org.

[3] Sheik Sadouq. Meaning of distinct Imam. Maani al-Akhbar. 2nd ed. Karachi: Al Kisa Publishers; 2008. Volume 1, pp. 132-133, 136, 138-143.

[4] Sulaim Bin Qais Kufi Ameri Hilali (ra). Book of Sulaim Bin Khais. Lukhnow:Abbas Book Agency; 1999. Pp.32

[5] Wilfered Madelung. The Succession to Muhammad, A study of the early Caliphate. UK: Cambridge University Press; 1997. Pp.150

[6] Allama Ahmed Qazi Zahedi Gulpaigani. Translated by Allama Zulfeqar Ali Sayeedi Qummi. Sawal Awam ke Jawab Imam ke. Lahore; Idara Minhajul Saleheen. 2010. Volume 4, pp.19-20

[7] Allama Majlisi (ra), Translated by Moulana Syed Hasan Imdad. Bihar ul Anwar. Lucknow; Nizami Press, Volume 10; pp.235-236

[8] Al-Khawarizmi, Maqtal al-Husayn, vol. 1, p. 147.

[9] Ibn Shahrashub, al-Manaqib, vol. 2, p. 149. Al-Mubarrad, al-Kamil, vol. 1, p. 190.

[10] Al-Ahkam al-Sultaniya, p. 4. Al-Muqaddama, p. 135.

Some historians and biographers have related the case of Imam al-Hassan (A.S) and his making peace with Mu'awiya. They have dealt with its surface meaning and its simple form without any analysis, explanation, checking, and without taking into consideration the circumstances of the event, its conditions, principles, and objectives. They have condemned it because they have not reflected on it and carefully considered it.

There is no doubt that Imam Al-Hassan is the possessor of the highest merits and perfections after Imam Ali (A.S) and the Holy Prophet (SWAS) but sadly, the other aspect is also equally true, that he is the most oppressed, the most troubled, the most heart-broken and aggrieved of all the Imams (A.S). Imam Al-Hassan (A.S.) is the oppressed one in the truest of senses; rather he is the greatest amongst those who have been oppressed. This is because he is the greatest and loftiest of all, after the Holy Prophet (SWAS).

In this manner the Imam (A.S) was a model of noble humanity and a symbol of great manners. Anger did not excite him, and the detested things did not bother him. He put before his eyes the words of Allah, the Exalted: "And not alike are the good and the evil. Repel (evil) with what is best, then lo! he between whom and you was enmity would be as if he were a warm friend." He treated everyone with kindness even those who mistreated him and harbored malice against him.

Conclusion

Identifying and fathoming the journalistic and historical aspects in the four sermons of the Imam are considered the base of the Ahlul-Bayt's ethical discourse. It is not easy to visualise the times when Imam Al-Hassan (A.S.) suffered from difficulties and calamities. It is hard to be reminded of those times and it is intolerable for his admirers. The Imams' (AS) fight against Muaviyah was not a fight of two people to win leadership, but it was between two ways of thinking and a matter of life and death. Winning this fight meant eternity for one of the ideologies. The two rivals were standing before each other just for that. Ideological wars does not mean winning by weapons as they do not indicate true victory. It, however, verifies the predominance of one side over the other and is becoming eternal and surviving of that side. This victory is won by the side that seems to be defeated in the battle by weapons. In those days since Muslims were separated into groups according to their ideologies, there were camps on two sides, each side defended their ideology and devoted themselves in every way possible. These two were the Alavi and Ummayad ideologies, with their camps located in Kufa and Syria. Muslims nobleman and survivors between Muhajireen and Ansar, moved to the centre of Iraq from all corners. Kufa became the headquarters for the Hashimite Caliphate and Islam. Syria, on the other hand, was the centre for the Ummayad reign and gathered people globally. Imam Al-Hassan (A.S.) declared war against the Ummayad's principal alone and without any help by accepting peace. He won over that ideology without weapons and freed Islam from being buried forever by the Ummayad's lies and deceitfulness. He saved Islam from undoubted decay and the Islamic history from alteration and tampers. Imam Al-Hassan's decision to abdicate was forced upon him by the circumstances and was not a result of free will.

3. He overlooked those who mistreated him and he kindly treated them. He had an ewe. One day, he came to know that the ewe's leg was broken. Imam Al-Hassan asked his servant:

-Who has done that?

-I.

-Why have you done that?

-To grieve you!

The Imam smiled and said: "I will delight you!" He set him free and gave him many gifts.

4. Once, Imam Al-Hassan was sitting in some place. While he was going to leave, a poor man came. He welcomed the poor man and treated him with kindness. He said to him:

-You came when I was ready to leave. Do you permit me to go?

-Yes, O son of Allah's Apostle!

Most surely respecting the rights of the one who sits with you is among the social good manners which bring love and friendship, and also finds cooperation and strong relationships among people. For this reason, Islam has ordered and urged Muslims to cling to them.

5. There was a person from among those whom Mu'awiya made harbor hatred and malice against Ahlul Bayt. The Imam passed by the person, and he abused him several times. As for the Imam, he kept silent and refuted nothing of the person's words. After the person had finished abusing, the Imam turned to him and addressed him with soft words. The Imam smiled at him and said: "O Sheikh, I think you are a stranger? If you ask us (for money), we will give you. If you ask us for guidance, we will guide you. If you ask us to maintain you, we will maintain you. If you are hungry, we will give you food. If you are in need, we will grant your need. If you are homeless, we will lodge you." The Imam (A.S.) went on treating the Syrian man with kindness, that he might uproot evil and enmity from him. The old Syrian man became so astonished from the Imam's behavior that he was unable to refute the Imam's speech. He was perplexed and ashamed. He thought of a way to apologize to the Imam and to repair his sin, and said: "Allah knows where He places His message!"

penalty. And then, I say no more than what you know about the prince of Muslims Ali bin Abi Talib (Allah guided him and cherished his victory). He sent me to you to direct you to the rightness and to make you follow the Quran to fight (jihad) for the sake of Allah. Although you hate what to hurry in such a thing but you will love what you will find later on with Allah wills. You had been taught that Ali had prayed alone with the prophet Mohammad (Allah blessing him and his family) and believed him when he was 10 years old. He had witnessed all wars with the prophet Mohammad making his diligence in obeying Allah to obtain His pleasure and the pleasure of his prophet and his good effect in Islam. …etc. You have to worship Allah, obey His orders, work seriously, and be patient as well as asking Allah for help to hurry in applying the instructions of Imam Ali the prince of Muslims. Allah helps us to avoid guilt as He had done before with His prophets and real believers. I ask Allah to inspire how to be faithful to fight (make jihad) against His enemies. Finally, I ask Allah to forgive me and you all.

These moral traits were available in Imam Al-Hassan (A.S) which he inherited from his great grandfather. History has mentioned many examples of his moral traits. Some of them will be summarized:

1. Some poor people collected some pieces of bread from the streets. They put them on the ground and began eating them. Imam Al-Hassan passed by them, and they invited him. He responded to them and said: “Most surely Allah does not love the arrogant!” After he had the food, he invited them. Then he entertained them and gave them clothes. He showered them with his boons and kindness. Humbleness is a proof on that the soul is perfect, high, and noble. It has been mentioned in the tradition: “Most surely humbleness adds to the servant (nothing) except highness; therefore, behave humbly, may Allah have mercy on you!”

2. While some boys were having food, Imam Al-Hassan passed by them. They invited him, and he responded to them. Then he took them to his house. He showered them with his kindness and charity and said: “They have the favor, for they had nothing other than that which they give to me as food; while we find what we give to them.”

Imam al-Hassan (A.S) was similar to his father in his good style and eloquence. He has left behind him an excellent inheritance and eloquent, wise sayings containing the principles of social morals, advice, guidance, and immortal preachments. They have been inlaid with perfect pronunciation and high meaning.

Imam Al-Hassan (A.S.) has a brilliant history full of the most wonderful pages of heroism and jihad. He has noble manners beating with justice and piety. His life flows with unique abilities and good tendencies. Noble traits, original thoughts, and deep thinking meet together in that personality. The biographers have unanimously agreed on that al-Hasan (A.S) was the most clement of the people, and the ablest of them in restraining rage, showing patience toward harmful and detested things. He was kind to people and always pardoned them and forgave their mistakes. He was like his grandfather, the Prophet (SWAS), whose ethics and clemency embraced all the people.

There was a sufficient witness indicating his great clemency. The witness was stated by Marwan bin al-Hakam, who was his bitter opponent. Marwan hurried to carry al-Hassan's (A.S) sacred body, but al-Husayn (A.S), the master of martyrs, found that strange and asked him: "Why have you carried his corpse while you had grieved him?" "I did that to one whose clemency was as much as mountains!" replied Marwan.

Sermon Four

Imam Al-Hassan (A.S) said:

Praise to Allah the Al- Mighty the omnipotent, the unique, the irresistible, the big, the most high. Whether you hide your saying or you announce it, whether you‟re hidden at night or visible at the day, I thank Him for the best of the affliction and donating boon. And for the best of what we obeyed or refused the adversity and comfort. I bear witness that there is no God but Allah alone with no partner, and Mohammad (swas) is His slave and messenger. Allah gifted us His prophet and devoted him for His message and sent the afflatus down for him and He preferred him above all the creatures. And sent him for all humans and fairs (jinn) especially when statues are worshiped, the devil had been obeyed, and the merciful Allah had been defied. So Allah may bless him and his family and awarded him the best

right to find and form Prophethood, he has no right in finding and forming the Imamate. That is because none knows the infallibility, which is among the qualities of the Imam, except Allah, Who knows all that is hidden in every soul.

Sermon Three

Imam Al-Hassan (A.S) said :

He praised Allah and prayed for the prophet Mohammad (swas) then said: This night death has been come to a man who is neither preceded by previous great man nor followed by a next great one like him. He was fighting with the prophet Mohammad and he had redeemed him. The prophet had directed this man with his flag as he had surrounded by Gabriel from his right and Michael from his left and thus he did not comeback until Allah achieves the victory by this man. Then he died at the same night in which Jesses had been ascended into the heaven and Joshua son of Noon had died. Actually he passed away without leaving any piece of money (neither silver nor gold) except 700 dirham to purchase a servant to his family. ....then Imam Hassan cried for his father's death and his audience cried with him too...then he said: I"m the son of the auspicious and the warner, I"m the son of the brightening light, I"m the son of the caller for Allah, I"m the son of those who Allah removed all abomination from them and made them pure. I"m the son of those where Allah mentioned them in His Quran saying "No reward do I ask of you for this, except the love of those near of kin" . Finally anyone do good deeds we increase his work and the best good deeds is to love and follow us as the family of the prophet Mohammad (swas).

All the perfect qualities presented themselves in Imam Al-Hassan (A.S), and his noble personality that was distinguished by them. From among his wonderful qualities was eloquence and good style in speech. He was skilful and the most eloquent in saying correct speeches during ceremonies, the ablest of them in abridgement, inimitability, and creativity of speech. Indeed he was such, for he branched from the tree of the good style, eloquence, and sound judgment. His grandfather, Allah's Apostle (SWAS) was the most eloquent of those who spoke Arabic, and his father, Imam Ali (AS), was the master of eloquence.

5. Courage, help, ability to protect the entity of Islam, and waging holy jihad against enemies.

6. Lineage; it is that the Imam should belong to Quraysh.

7. Infallibility; theologians have defined infallibility as the: “Mercy Allah has given to the most perfect of His servants, and through which he (the Imam) refrains from committing crimes and offenses intentionally or unintentionally.” The Shia have unanimously agreed on that the Imam should be infallible, with the proof of it being included in Hadith al-Thaqalayn in which Allah’s Apostle (SWAS) has compared the Qur’an to his family. As the Qur’an is infallible of errors and slips, and so are the Prophet’s family; the comparison and equality between them is incorrect.

None has such qualities except the Imams from Ahlul Bayt, who managed to protect Islam led people to the good path of Allah. Al-Kumayt, the poet, has described them, saying:

- They are close to generosity and far from the injustice in the ties of the precepts.
- They give the right answers to the matter over which people differ. They have established the rules of Islam.
- They are sufficient protectors at war when it becomes hot.
- They are like rain when the people suffer from drought. They are like a shelter for the nursemaid of orphans.
- They are overweighing in opinion, having perfect justice in behavior, and knowledgeable of heavy affairs.
- They are leaders, but they are not like those who rule people and sheep in the same way.

Most surely, the Imams from Ahlul Bayt (PBUT), have displayed their infallibility of errors and slips through their behavior and guidance. The events have proved that and indicate that they are unique in the history of mankind, for they had great merits, fear of Allah, and commitment to the religion.

His Appointment

The Shia believe that the community and the influential have no right to appoint the Imam. They also believe that electing an Imam is invalid and choosing him is impossible. Therefore, Imamate is similar to Prophethood. As man has no

The Imam's Duties

The Imam's Duties may be summarized according to the following points:

1. He should keep the religion, guard Islam, and protect it from those who take advantage of its values.

2. He should carry out the religious precepts, put an end to disputes, and take the right of the oppressed from the oppressive.

3. He should protect the Muslim countries from any external influences, whether they are is military or cultural as they include some destructive doctrines that tried to destroy the foundations, Islam has established.

4. He should administer the prescribed punishments and put an end to all the crimes that bring unhappiness to man.

5. He should fortify the borderline cities.

6. He should wage the holy jihad.

7. He should collect properties such as zakat, land taxes, and other affairs the Islamic law has determined.

8. He should employ trustworthy personalities in the government. He should not employ them out of favoritism or preference.

9. He should supervise the subjects' affairs and not depend on others to supervise them, for that is among the subjects' rights on him.

10. He should put an end to unemployment, spread inclusive welfare throughout the regions of the community, and save them from poverty and deprivation.

The Imam's Qualities

The Imam should have the following qualities:

1. Justice in all its exclusive conditions, such as refraining from committing great sins and insisting on small ones.

2. Knowledge of what the community needs in all fields, the reasons of the revelation and the religious precepts.

3. Consider sense receptors such as the ears, the eyes, and the tongue, that he may use to undertake what he wants to imply. The other senses should have no defect.

4. Opinions leading to ruling the subjects and managing the general interest.

(swas). And we calculate our consultation to Allah and the best father His prophet Mohammad (swas) regarding our sadness of Imam Ali (a.s) (the prince of Muslims) who died without leaving any wealth except a very few money to purchase a servant to his family.

Imam al-Hasan (A.S) reached the top in his merits, achievements, genuine opinion, exalted thinking, strong fear from Allah, abundant clemency, good manners, and the like of his talents on which Muslims pride themselves. Some of them will be mentioned below:

His Imamate

The most prominent quality that characterized him was the Imamate, for the Imamate required ideals and abilities that were not available but in those whom Allah has chosen from among his servants. Allah had endowed him with it. The noble Prophet announced that, when he said in respect of him and his brother: “Al-Hassan (A.S) and al-Husayn (A.S) are two Imams whether they rise or sit down.”

It is necessary to explain the meaning of the Imamate and some factors related to it, for they display the Imam’s high position and his divine importance.

The Meaning of the Imamate

Theologians have defined imamate saying: “Imamate is the leadership of a human being over the affairs of the religion and the world.” Therefore the Imam, according to this definition, is the leader who has an exclusive authority over people in respect of their religious and worldly affairs.

The Necessity of Imamate

The Imamate is among the necessities of life that none is in any need of it under all circumstances. Through it the crooked regulation of the world and the religion is set right, the greatest justice Allah wants on his earth is established, security and peace among people are achieved, turmoil is repelled and the strong are prevented from controlling the weak. The most important reason for the existence of an Imam is that he helps people worship Allah, spread His laws and teachings, and supply society with the spirit of faith and piety, in the hopes that people will be far from evil and head for the good. So it is recommended for the community to follow the Imam so the community may have a chance to be set right, be united, and guided towards the right path.

of) legal commandments and the leadership of the Muslims, should not be miser, for his greed would make him wish for people's wealth, nor should he be ignorant, as he would then mislead them with his ignorance, nor should he be of rude behavior lest he would estrange them with his rudeness, nor should he deal unjustly with them by preferring one group to another, nor should he accept a bribe while taking decisions, as he would forfeit (others') rights and hold them up without finality, nor should he ignore the Sunna as he would ruin the people."

Imam Al-Hassan (A.S.) views that whoever undertakes the Muslims' affairs, should be generous, free from miserliness, knowledgeable of what the community needs, not dealing unjustly with wealth, not take a bribe for his deeds, not cancel Allah's laws, and not leave the Sunna of His Prophet (SWAS). If he is void of these qualities, the community will face many problems during his reign and the country is liable to crises and disasters.

Sermon Two

Imam Al-Hassan (A.S) said:

Praise to Allah who is the first in His priority, alone in His eternity, great in His highness, proud of His pride and mightiness. He started what He has invented and created what He has created without any sample preceded his creation. Our Allah is the most kind by His kindness (sympathy) of His highness. And He is great by His knowledge about Himself. He had created everything by the greatness of His ability. So no one can change what He had created and vary what he had made, no one can protest against His ruling (authority), no objections to His orders, and no rest to stop praying for Him. There is no vanishing to His kingdom and no elapsing for His existence. He is above everything and under the core of everything. Thus, He appeared to His creature without being visible. He hid His light and portrayed for being above in comprehensive view. He has elevated by His great highness so He hide Himself inside his creatures. Then He sent them a witness and send them prophets as well as auspicious and warners to make people live and die through their prevision. Also to make them realize everything about Allah. So they can know Him by His lordship after they ignored Him. Hence, praise to Allah who pinpointed the matter of caliph to be for us (the family of the prophet Mohammad

Chapter Three
Journalistic and Historical Aspects in the Sermons

Imam al-Hasan(A.S.) was an eloquent orator. He was the most skilful and capable of orators in improvising and creating speeches. Four of his sermons will be discussed:

Sermon One

Imam Al-Hassan(A.S) said:

Praise be to Allah the one without having likeness, the mortal without being created the lofty without committing difficulty, the creator without feign, the descriptive one without purpose, the famous without limitation. The precious who still ancient since the ancient times. The hearts are frightened for His highness and the minds are astonished for His pride, and the life of all the creatures are under His capacity. People cannot imagine His greatness, know the essence of His glory, and cannot know the essence of His Highness. The scientists cannot realize Him by their minds and the thinkable people cannot cogitate how things are done by Allah. The most knowledgeable people about Allah are those who realize that there is no limitation to describe Him. "vision comprehendeth Him not, but He comprehendeth (all) vision. He is the subtle, the aware". After then, Ali is like a gate, whoever enters this gate he will be safe and whoever get out of this gate he will be in danger. I admit this fact to you and I ask Allah to forgive us.

Parallelism can be found in the following structures:

-"the one without having likeness"

-"the mortal without being created"

-"The hearts are frightened for His highness"

-"the minds are astonished for His pride"

-"the life of all the creatures are under His capacity"

Emphasis is achieved by the use of certain adjectives like:

-the mortal , the lofty , the creator , the precious , the aware.

Imam Al-Hassan (A.S) has talked about the qualities of one who undertakes the leadership of government and manages the affairs of the country. He has said: "You certainly know that he, who is in charge of honor, life, booty, (enforcement

ministry, current events and congregational life all need to be addressed in due season. Focusing on a single emphasis or issue gives people a truncated view of the message.

Finally, let your preaching reflect your own spiritual journey. Hamiltonians argue about how much we should tell our own story from the pulpit. Too much confession can degenerate into group therapy or an exercise in narcissism. This calls for discernment. Still, one of the most authentic things we have to offer is a window into our own doubts, struggles and affirmations about the life of faith.

If you struggle with an issue or doctrine, and you believe it would help to tell them, tell them. Let your own pilgrimage inform the truth you offer. People will respect your honesty. And, in this world, respecting the preacher's honesty has become an essential first step toward listening to the preachers' proclaim.

One plausible explanation of these disagreements is that all people recognize some common ethical norms but interpret, apply, and balance them in different ways in light of their own values and life experiences. For example, two people could agree that murder is wrong but disagree about the morality of abortion, because they have different understandings of what it means to be a human being.

Most societies also have legal rules that govern behaviour, but ethical norms tend to be broader and more informal than laws. Although most societies use laws to enforce widely accepted moral standards and ethical and legal rules with similar concepts, ethics and law are not the same. An action may be legal but unethical or illegal but ethical. Ethical concepts and principles can also be criticized, evaluated, proposed, or interpret laws. Indeed, in the last century, many social reformers have urged citizens to disobey laws they regarded as immoral or unjust. Peaceful civil disobedience is an ethical way of protesting laws or expressing political viewpoints.

Chapter Two
The Importance of Ethics for the Addresser and Addressee

Among the various critics and thinkers, Raymond Bailey and Gaylord Noyce, have tried to help by setting forth a basic system concerned with the ethics of preaching. While it is impossible to compel preachers to go by these standards, it cannot be denied that they would be better off if they did. Both Bailey and Noyce emphasize that preachers should do their own work first. Authentic preaching is the result of a conversation among preacher, scripture, and scholars. Shortcutting that process in any way produces a less than authentic result.

These days, of course, the proliferation of source books and Internet sermon sites tempts the busy preacher perhaps more than ever before. And there is nothing wrong with using every possible tool for your research at all. Nor is there anything wrong with using someone else's idea—with proper credit. But honest preaching requires an honest preacher. Nothing less is worthy of the gospel of Jesus.

Second, treat Scripture faithfully. I once had one of the most famous preachers fill the pulpit for me. As he was reading his text, I discovered he had changed the words of the Scripture to fit the outline he planned to preach! Ethical preaching seeks to discover the authentic meaning of a text and represents that text faithfully, even when its meaning is inconvenient, uncomfortable or does not lend itself to alliteration.

Third, never manipulate a congregation. Every preacher is tempted to do this. We are tempted to make our point with a heartrending story or to shape our delivery to play on people's emotions. But I vividly recall my then 6-year-old son turning pale, as a visiting missionary told graphic stories of child abuse in Eastern Europe. Preaching should never seek to produce any result that is other than the freely considered choice of those listening in response to the Holy Spirit.

Fourth, be intellectually honest. Preachers fail this test in at least two ways. One is the intentional "dumbing down" of Quranic interpretation to fit congregation's prejudices. The other common failure is the use of the pulpit to undergird one's own political beliefs. Right and left both fail here. The pulpit is not the place for partisan posturing.

Fifth, maintain a balanced content. The preacher of a congregation should seek to give the whole message over time. Evangelism, pastoral care, discipleship, social

g. Pacing

Good pacing is like a heartbeat. With it, lifeblood flows to every capillary of the sermon. Without it, there is a good chance somebody is dead.

A historicist text, with the reliance on the definition of new historicism, could be defined as a text that takes into consideration the cultural, social and historical events that make up the core content of the text. Some elements that are worth noting about the historicist text include:

1. Their keen interest in recovering lost histories, which is a characteristic shared by new historicist and cultural materialists.

2. Having a key interest in life system, culture, past and present events among other institutions.

3. Holding the perception that each and every cultural event is key in making history and should be considered for historical analysis.

4. Viewing literature as more than just a work of art or rather an artefact as the new criticists do and also preventing having the view of liberal humanists who believe that literature has timeless significance and have universal value.

5. Comprehend literature through its historical and cultural context while analysing the cultural and intellectual history portrayed by the piece of literature.

6. Having an interest in questions about justice, moral lessons and wisdom.

7. Identifying and situating literary historicism.

irony, even wordplay.

a. Comparison

Comparison, or the use of metaphors and similes, is probably the most common form of artistic speech and offers the most imaginative potential. Scripture is full of examples: “The Lord is my rock, my fortress, and my deliverer.”

b. Contrast

Contrast accentuates and intensifies, just as a match which is unnoticeable in the sunlight, yet burns brightly in a deep cave. Contrast creates an appealing balance: “He is infinite God and I am a finite man.”

c. Parallelism

Parallel words, phrases, clauses, and sentences make our thoughts appealing. Parallel structure is a memorable way to show the relationship between abstract ideas:

“Sow a thought, reap an act. Sow an act, reap a habit. Sow a habit, reap a character. Sow a character, reap a destiny.”

d. Repetition And Refrain

Repetition and refrain are another way of bringing power to a sermon. Not only are these used in such passages as the Beatitudes “Blessed are the ..., for they shall...”, but also when he chastised:

“Woe to you teachers of the law and Pharisees, you hypocrites! You shut the kingdom of heaven in men’s faces.”

“Woe to you teachers of the law and Pharisees, you hypocrites! You travel over land and sea to win a single convert.”

e. Hyperbole And Understatement

King Saul has just defeated the Amalekites. He and his troops are returning from battle, giddy over triumph, with sheep and cattle, fat calves and lambs plundered from the enemy.

f. Artistic Sound: Rhyme And Alliteration

Alliteration — using proximate words that begin with similar sounds — accents comparison or contrast: “This time through a similar whirlwind God brings not ruin but revelation, not disaster but disclosure.”

and a time to uproot. Sometimes people go about killing, other times they give themselves to healing,

7. Avoid Jargon: For preachers, jargon should be in line with the hearers.

8. Avoid Clichés: A cliché is a phrase so commonplace that it is predictable.

9. Express Ideas Positively: The word not often clutters a sentence: "He did not believe that daily Bible study was a necessary activity." Better: "He believed daily Bible study was unnecessary."

10. Use Short Words: Beware of words that end with -ness, -tion, -ization, -ful, -five,-ious, -ence, -ance. Such words often signal passive construction as well as abstraction. "Mothers are the means to the continuation of creation." Better: "Mothers continue creation." "He planned a banquet of pure perfection." Better: "He planned a perfect banquet."

11. Save The Best For The Last, or The First

12. Avoid Sexism: These include seven solutions to a contemporary problem: How to speak about a generic individual without assuming the individual is male. This is enough of a concern for enough of our people that we are wise to figure out a way to deal with it. Some listeners stumble if we consistently use masculine pronouns to refer to generic individuals.

13. Break The Rules For Good Reason: Every rule mentioned here can be broken with impunity, depending on what you are trying to accomplish. Break the rules when the positive effect you will achieve outweighs the drag of clutter. Needless words should be omitted, but in some cases, words that are needless for content are needed for rhythm. Strunk and White have noted this in analysing a famous line of Thomas Paine: "These are the times that try men's souls." It's not hard to shorten it:

Times like these try men's souls.

These are trying times for men's souls.

Soulwise, these are trying times.

These are trying times.

14. Literary Devices: It is to impress listeners with cleverness, use artistic elements like understatement, hyperbole, periphrasis, simile, repetition, parallelism,

cry at the sound of thunder." This construction makes the preacher's remembering the principle activity of the sentence. Listeners are not interested that the preacher remembers, but more in *what* the preacher remembers.

c. No Vague Adverbs: Ironically, the word very dilutes the force of a word. "They stopped very abruptly" is less abrupt than "They stopped abruptly." Better still, say it clipped with a pause afterward: "They stopped." Or what does very add to these sentences? "Peter was a very diligent apostle".

No Redundancy: If one word or phrase in a sentence does the work of another, it is redundant: "My friend has written one of the classic books on preaching that's in the literature of the field today"

3. Verbal Punctuation: In spoken language, verbal punctuation is often employed; this means that words and phrases signal breaks in the sermon:

"Now, we need to remember that when…" The use of "now" is useless in written English, but in a sermon it can signal the beginning of a paragraph. And often acts as a comma or period. "Well," often acts like a comma or an exclamation point that precedes the clause to be emphasized: "Paul was, well, a Pharisee of the Pharisees." "By the way" works like a parentheses: "By the way, when Paul uses the word righteousness…" The caution here is do not be careless. In the right place, verbal punctuation helps the sermon. Overused, it weighs the sermon down.

4. Use Active Constructions: In baseball, intentional walks draw yawns. In football, prevent defence is boring. In novels, characters who get pushed around by force beyond their control become tedious. In most settings, passive seems to be dull. This is especially true in communication. Passive verbs passify. Active verbs invigorate. When a sentence uses active verbs, fewer prepositions and forms of the verb (to be) clutter the scene; more importantly, the subject and action are clear, unless having good reasons to use a passive construction.

5. Be Specific: A prosaic preacher might have begun by saying "The streets were crowded that morning in the city, filled with children, parents, and the aged, as well as merchants selling their wares"

6. Keep Parallelism Parallel: There is a time for everything, and a season for every activity under heaven: a time to be born and a time to die, a time to plant

All ways for the trustworthy people were blocked so they could not defend their religion in the hopes that their power would be weakened. The unfaithful and hypocrites have always denied them. Allah therefore sent prophets according to the need across the different ages as well as prophets and their descendants as successors and Imams to avoid the spread of falsification. Imams are then the heirs of prophets, protectors of the religion and dominion of God over its people.

Chapter One

Journalistic and Historical Features in a Text

Journalistic writing is the style of writing used to report news stories in newspapers, television broadcasts, on the radio and Internet. Unlike other styles of writing, which can be flexible and casual, the characteristics of journalistic writing are pretty easy to spot. For instance, if you open a book on a chapter and compare it next to a newspaper article, you would probably notice that, unlike the book, the article is written in short sentences and paragraphs and quickly gets to the point.

In addition to their brevity, news stories have a particular structure that is recognized easily. The big, bold headline, for example, is intended to grab the readers' attention, while the first sentence or paragraph lays out the story so the reader knows what to expect. These are the most common elements of journalistic writing and they have a lot to do with the function of journalism in society. Words are chess pieces in the preacher's game. They aim to hold the listeners' attention in check. The preacher, of course, plays white.

According to Mark Galli and Craig Brian Larson in Preaching That Connects: Using Journalistic Techniques to Add Impact (2009), there are certain features that set a sermon resonant in heart and soul:

1. No Needless Words: "Vigorous writing is concise." A sentence should not contain unnecessary words and sentences, the same reason that a drawing should not have any unnecessary lines or a machine having unnecessary parts.

a. No Cumbersome Constructions: Some words do not add anything to a sentence.

b.Red Herring Verbs: Many preachers introduce illustrations from their past with the useless phrase "I remember: "I remember when I was a small boy. I would

Abbreviations:

(SWAS): Sallallaho Alaihe Wa Aalehi Wa Salam – peace be upon him and his progeny

(AS): Alaihi Salam – peace be upon him

Introduction

Based on general religious division, people can be classified into three major groups. The first group includes the religious and the pious; the second group are the atheists or non-believers; the third group includes those who are in between the two due to confusion or bewilderment. Despite this division, it can be seen that all three groups come to a certain form of awareness that following a religion is a necessity to gain peace and tranquillity. It has also been proven that Islam is the best and preferred path in different religions, because it is the path of knowledge, logic and proof. In Islam, some theories have emerged from the earliest times; since the time of the Prophet (SWAS) and even before, that showed an opposition to the divine representatives sent by Allah based on what has been narrated by the Qur'an. They summarize the differences that arose since the time of the Prophet (SWAS), especially the group of hypocrites including personalities like Harb, Abu Jahl, Abu Sufyan and so on, during the rule of the Umayyad and Bani Abbas. Such hypocrisy promoted nothing but hatred, enmity and rebellion. All kinds of atrocities were inflicted on the offspring of the Prophet (SWAS).

The infidels and polytheists became aware of the ever-increasing power of Islam and for this reason they sided with the hypocrites. The three groups attempted to change the concept and trust of the original principles set by Allah, called for by the Messenger of Allah (SWAS) and the Imams (AS). As a result, enmity, murder and terror were associated with their selfish purposes of taking advantage of the power the religion of Islam withheld. Hypocrites have done everything they could to rule the people to make this polytheistic and oppressive movement a success. Three major points were evident which may be summarized as follows: A) Misrepresentation created doubts in religious beliefs, such as the idea of the forcefulness of God, which led to the creation of a different sect. B) People were living a tribal life at the time and each tribe had its chief. They made the tribes and chieftains their supporters and gave gifts and rewards to exploit them. C) Bait ul Mal, the treasury misused and squandered for this purpose.

ملخص البحث

الإمامة هي شكل من أشكال القيادة الدينية التي يمكن تحديدها على أنها الأكثر جلالة من حيث القيمة، أعظم من حيث المجد، أعلى مكانة، أقوى طاعة، وأبعد عن الذل الذي قد يصل إليه الناس من خلال كلامهم. لهذا السبب ليس البشر في حالة اختيار الإمام بأنفسهم لأنهم يفتقرون إلى مستوى أهمية وقيمة هذا المفهوم كما أن اختلاف آراء الناس ووجهات نظرهم يجعل من الصعب أيضًا تعيين شخص ما كإمام لأن معظمهم سيعتمد اختيارهم على تفضيلاتهم الشخصية.

هناك سبب رئيسي لاختلاف الآراء حول مفهوم الإمامة. تنحصر القضايا في أولئك الذين لم يتلقوا التعاليم الدينية من آل بيت النبي محمد ﷺ فهم لا يعترفون بالإمامة على الإطلاق ولهذا السبب هناك الكثير من الخلافات والقضايا الناشئة بينهم من جهة أخرى، يمكن ملاحظة أن أولئك الذي تلقوا علومهم من آل البيت عليهم السلام ليس لديهم أي خلافات حول الإمامة على الاطلاق.

ينبغي النظر في جوانب مختلفة عند تحليل تعاليم أهل البيت عليهم السلام. يمكن العثور على جوانب مثل الجوانب الصحفية والتاريخية بوضوح في الخطب الدينية لخطب أهل البيت بالنظر إلى خطب الإمام الحسن، من الواضح أنها تتضمن مجموعة من الأخلاق تتجاوز الوصف والتي تجسد رؤية وبصيرة المرسل إليه. تسعى هذه المقالة إلى تتبع الجوانب الصحفية والتاريخية في أربع خطب مختارة للإمام وإثبات فعاليتها في إظهار نبل لغته وسموها للقيام بذلك، هناك ثلاثة فصول مع مقدمة وخاتمة؛ يتناول الفصل الأول السمات الصحفية والتاريخية في النص يلقي الفصل الثاني الضوء على أهمية الأخلاق بالنسبة للمخاطب والمرسل إليه والفصل الثالث يحلل الجوانب الصحفية والتاريخية كما تم توظيفها في الخطب المختارة التي ألقاها الإمام الحسن

Abstract

Imamate is a form of religious leadership that may be identified as the most glorious in terms of value, the greatest in terms of glory, the highest in terms of position and standing, the strongest in obedience and the furthest away from humiliation that people may reach through their words. That is why it humans are not in a state of choosing an Imam by themselves because they lack the level of importance and value of this concept. People's different opinions and perspectives also make it hard to appoint someone as Imam for most would base their choice on their personal preference.

There is a main reason for the differences of opinions regarding the concept of Imamate. The issues are confined to those who did not learn the religious teachings from Prophet Muhammad (SWAS)'s family. They do not acknowledge Imamate at all and that is why there are a lot of disagreements and issues rising among them. On the other hand, it can be seen that those who have learnt their religious teachings from Ahlul Bayt (SWAS), do not have any considerable disagreements about Imamate whatsoever.

Analysing the teachings of Ahlul Bayt (SWAS), different aspect should be considered. Aspects like the journalistic and historical aspects can clearly be found in the religious sermons of Ahlul Bayt's sermons. Considering Imam Hasan's (SWAS) sermons, they evidently include a set of ethics beyond description that captures sight and insight of the addressee. The present article seeks to trace the journalistic and historical aspects in four selected sermons of the Imam and to prove them effective in showing the nobility and sublimity of his language. In doing so, there are three chapters with an introduction and conclusion; the first chapter takes hold of journalistic and historical features in a text, the second chapter sheds light on the importance of ethics for the addresser and addressee and chapter three analyses the journalistic and historical aspects as employed in the chosen sermons given by Imam Hasan (SWAS).

Journalistic and Historical Aspects: Ethics of Imam Al-Hassan (as) in His Sermons

Dr. Zeeshan Abbas Razvi
Editor \ Education Today Magazine Hyderabad \ India

مغربي , إيمان عبدالرحمن محمود. (٢٠٢٠). الحزن ضوابطه وطرق علاجه في ضوء القرآن الكريم: دراسة موضوعية. القاهرة: مكتبة الاداب مجلة العلوم الإسلامية الدولية، المجلد٤، العدد٣(٧١-٤١).

منال , شوابح. (٢٠١٣). موازنة بين بكائيات المهلهل بن ربيعة والخنساء دراسة فنية موضوعية.
(http://bib.univ-oeb.dz:8080/jspui/bitstream/123456789/5736/1/MEMOIRE.pdf

Jackson, Liz.(2021). **Beyond Virtue: The Politics of Educating Emotions.** Cambridge: Cambridge University Press.

Kövecses Zoltan. (1990). **Emotion concepts**. New York: Springer.

Lauwerijssen, Krista. (2008).**Sadness. (**http://arno.uvt.nl/show.cgi?fid=113006)

Lewis, M. (2008)**. Handbook of Emotions.** New York**:** The Guilford Press.

Sandström, Karin.(2006). When Motion Becomes Emotion: A Study of Emotion Metaphors Derived from Motion Verbs. (http://epuble.ltu.se/1402-1552/2006/022/LTU-DUPP06022.SE.pdf.)

Shirai Shirai, Mariko and Suzuki, Naoto. (2017). Is Sadness Only One Emotion? Psychological and Physiological Responses to Sadness Induced by Two Different Situations: “Loss of Someone” and “Failure to Achieve a Goal”(file:///C:/Users/hp/Downloads/fpsyg-08-00288.pdf)

Wierzbicka, Anna. (1992). Defining Emotion Concepts. **Cognitive Science**, 16, 539-581.

-----------------------. (1999). Emotional Universals. **Language Design 2** (23-69)

B- Arabic References

القران الكريم.

أبو دوشة , يحيى بن محمد. (٢٠١٨). ظاهرة الحزن في شعر غازي القصيبي ديوان حديقة الغروب أنموذجًا.**مجلة الدراسات العربية، المجلد ٣٧، العدد (٩-٤٩)**٨.

الياسين , ابراهيم منصور. (٢٠١٦). ظاهرة الحزن في شعر تيسير السبول. دراسات – **العلوم الإنسانية والاجتماعية: الجامعة الأردنية** ، المجلد٤٣، العدد (٦٧-٧٦)١.

بوذينة , حليمة. (٢٠١٩). **الحس المأساوي من خلال صرخة في وجه الموت.**
(http://archives.univ-biskra.dz/handle/123456789/12872)

جبل , محمد حسن حسن. (٢٠١٠). المعجم الاشتقاقي الموصل لالفاظ القرآن الكريم.. القاهرة: مكتبة الاداب.

المالكي , جاسم غالي. (٢٠١٠). لفظ الحزن ودلالاتها في القرآن الكريم. مجلة اداب البصرة،العدد(٥١)٦٩-(٩٠).

stands for Imam Ali's death. This linguistic device signifies feeling sad severely.

The drums of sadness resound. Imam Hasan cannot get rid of the memories which are exemplified by the absence of his father. Time of suffering and grave crises has started. He wants to share his sufferings with others reminding them of his father's achievements.

4. Conclusions

1-It is concluded that sadness is compatible with other emotions such as anger, fear and patience.

2- Visualizing Imam Hasan's experience of pain, devices of sadness are employed differently.

3 -As the calmness of the deep ocean, Imam Hasan is able to endure every kind of hardship. He is sad without being pessimistic.

4 - In the light of the data selected, some words, *first personal pronouns* are employed extensively rather than others. This can lead to the conclusion that they are more able to carry the sighing of sadness than others.

Bibliography

Ali, Abdullah Yusuf. (2006). **The Meaning of The Noble Qur'an** (https://www.holybooks.com/wp-content/uploads/2010/05/english-quran-with-commentar-iesyusuf-ali.pdf)

Diessner, Rhett and Solom ,Rebecca C. (2005). Love as the Mother Emotion. (https://www.yumpu.com/en/document/read/11472636/love-as-the-mother-emotion-lewis-clark-state-college).

Ekman, P. (2003). **Emotions revealed.** New York: Times Books

Esenova, Orazgozel.(2011). Metaphorical Conceptualization of Anger, Fear and Sadness in English.

(http://doktori.btk.elte.hu/lingv/orazgozelesenova/diss.pdf)

Fussell, Susan R. and Kreuz, Roger J. (1998). **Social and Cognitive Approaches to Interpersonal Communication**. New York: Psychology Press.

Gu, Simeng; Wang, Fushun; Patel, Nitesh P.; Bourgeois, James A., and Huang, Jason H. (2019). A Model for Basic Emotions Using Observations of Behavior in Drosophila. **Front Psychol**.(10: 781).

3.2.2 Semantic Level

Text-4-

(اللَّهُمَّ بَقِيتُ وَحْدِي.... فَكُنْتُ كَكَظْمِهِمْ أَكْظِمُ وَ بِنِظَامِهِمْ أَنْتَظِمُ)

(Oh God, I stayed alone.... I was suppressing like them, and in their order I was regulated)

Imam Hasan's supplication reveals his strength. He dramatizes his suffering using simile. This particular device depicts the scene of being socially rejected. Imam Hasan feels lonely which is much harder than living the experience itself. He numerates the sad circumstances behind his spirit.

Sadness arises in this text in which Imam Hasan bears all calamities patiently. Here, sadness is compatible with pain and sorrows.

Text-5-

﴿ لَقَدْ فَارَقَكُمْ بِالْأَمْسِ رَجُلٌ كَانَ سَهْماً مِنْ مَرَامِي الله ﴾

(Oh people of Kufa, yesterday one of God's arrows left you)

Twisting the truth, Imam Hasan addresses his listeners reminding them of his father's death. Using the verb " فَارَقَكُمْ " reveals his hurtful feelings which are brought by thoughts of grief. With a melancholic sense of suspense, Imam Hasan depicts the agonies and mysteries of that period.

3.2.3 Phonological Level

Text-6-

﴿ قَدْ قُبِضَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ رَجُلٌ لاَ يَسْبِقُهُ الأَوَّلُونَ بِعَمَلٍ، وَلاَيُدْرِكُهُ الآخِرُونَ .وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يُعْطِيه رَايَتَهُ فَيُقَاتِلُ وَجبْرِيلُ عَنْ يَمِينِهِ، وَمِيكَائِيلُ عَنْ يَسَارِهِ، فَمَا يَرْجِعُ حَتَّى يَفْتَحُ اللهُ عَلَيْهِ ﴾

(A man was taken on this night who was not preceded by the first in work and the last people did not recognizing his status. And the Messenger of God, peace be upon him, gave him his flag. So he will fight, with Gabriel on his right, and Michael on his left, and he will not return until God conquers him.)

With a tone full of sadness, Imam Hasan employs Al- jinas in order to illustrate the loss of his father. Euphemistically, alliteration (al- jinas) الآخِرُونَ (الأَوَّلُونَ)

﴿ وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْنِي فَأَنَا الْحَسَنُ بْنُ علي؛ وَأَنَا ابْنُ النَّبِيِّ؛ وَأَنَا ابْنُ الْوَصِيِّ؛ وَأَنَا ابْنُ الْبَشِيرِ؛ وَأَنَا ابْنُ النَّذِيرِ؛ وَأَنَا ابْنُ الدَّاعِي إلى اللهَ بِإِذْنِهِ؛ وَأَنَا ابْنُ السِّرَاجِ الْمُنِيرِ... ﴾

(And whoever does not know me, I am Al-Hassan bin Ali. I am the son of the Prophet; I am the son of the guardian; I am the son of the forerunner and harbinger; I am the son of the shining light...)

Being worthless and meaningless, Imam Hasan considers life as being unfriendly. This excessive use of the first personal pronouns indicates Imam Hasan's prestigious of others. Imam Hasan's uprightness is related to other shining virtues like "courage, purity, piety and benevolence". Sadly, Imam Hasan first personal pronouns is used to show their closeness to Allah so as to dull his misery.

Text-2-

﴿ أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ غَرَرْتُمُونِي كَمَا غَرَرْتُمْ من كان قبلي ﴾

(O people, you deceived me as you have deceived whoever was before me)

Spiritually, Imam Hasan is unable to suppress his inner suffering. The vocative symbolizes his sadness which is compatible with anger. He is complaining of the duality of that age.

In this text, the vocative reflects the meanness of his age. He is astonishing of seeing people prefer this earthly life at the expense of the hereafter. With heartbroken, Imam Hasan utters these harsh words. The negligence of his society affects him so much.

Here, Imam Hasan realizes that there is a line of demarcation that separates him from the savage world when he lives.

Text-3-

﴿ مع أي إمام تقاتلون بعدي؟ مع الظالم الكافر الزنديق الذي لم يؤمن بالله ورسوله قط؟ ﴾

(With which imam will you fight after me? With the unjust heretic infidel who never believed in God and His Messenger?)

Bleeding from the depth, Imam Hasan makes use of rhetorical questions to criticize them. The main reason for such rhetorical question is to reflect their betrayal. In this text, the scene of sadness is loaded with anger and loss of hope.

"In order that ye may not despair over matters that pass you by, nor exult over favours bestowed upon you. For Allah loveth not any vainglorious boaster" (Ali 2006:391)

2.2.2 Sadness: A Linguistic Perspective

According to 39 ,36 ,2010:33 المالكي, vocative, repetition and using first personal pronoun (I) are markers that denote sadness.

Semantically, there are a group of words that carry the sense of sadness such as أسف (sorry), حزن(sad),بكى (cried), أسى(sorrow) and خاف(fear) (2019:170,بوذينة)

Repetition, rhetorical question metonymy, simile and exclamatory constructions such as(واسفاه) (Oh Sorry) and وحسرتاه (Alas), as 2016:68-9(الياسين) asserts, are devices used to express the sense of sadness. Added to that, he (ibid: 73) mentions some words that denote the feeling of sadness such as (الأسى (grief), الالم (pain), الموت (death) and الوحدة (loneliness))

2018:9 ابو دوشة numerates a number of devices used to convey the idea of sadness. Vocative, rhetorical question, imperatives and pronouns.

Alliteration and assonance and (Al- jinas and alsaja') are among the phonological devices that evoke sadness (93 ,2013:85 ,منال)

3. Practical Part

3.1 Model Adopted

Relying on the forgoing discussion, it is worthy to mention that the model adopted for analyzing the following selected texts is developed on the basis of other models, such as2016) الياسين) whom mentions some *words* and devices such as simile that convey feeling of sadness semantically, 2018) ابو دوشة) whom shows markers of syntactic sadness such as *rhetorical questions*, *pronouns* and *vocatives*. 2013)منال) highlights the phonological devices (i.e. *assonance* and *alliteration*) that denote sadness, in addition to the observations made by the researcher herself. The eclectic model used for the analysis of the present study illustrates the linguistic aspects in some selected texts by Imam Hasan.

3.2 Analysis of Words of Sadness in Imam Hasan's Selected Speeches

3.2.1 Syntactic Level

Text-1-

2- Sadness is dark.

15-“She is in a dark mood”.

3- Sadness is down:

16-“He brought me down with his remarks”,

4- Sadness is fluid in a container:

17-“There was sadness in Alina’s eyes”.

5- Being sad is being lack of heat:

18-“Losing his father put his fire out”.

2.2 Sadness in Arabic

Being the opposite of happiness, sadness is one of the conditions that one experiences at stressful times2020:48, (مغـربي).

Conceptually, sadness, as (,2010:71المالكـي) sees, stands for an emotional state that results from feelings of loss, hopeless or sorrow.

2010:422 جبـل confirms that sadness means feeling pain for something for in past, present or future. 2019:19) بوذينة)defines sadness as an emotional state characterized by unpleasant feelings.

2.2.1 Types of Sadness

2020:50,52(مغربي) classify sadness into the following types:

1. Acceptable sadness: It stands for real sadness which is praised in Islam.

١٩-﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾

(التوبة:٩٢)

Nor (is there blame) on those who came to thee to be provided with” mounts(1344), and when thou saidst, “I can find no mounts for you,” they turned back, their eyes streaming with tears of grief that they had no resources where-(with to provide the expenses.” (Ali,2006:123

2. Unacceptable sadness: This type of sadness is negative and it is accompanied with doing wrong deeds.

٢٠- ﴿ لِكَيْ لا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتاكم ﴾ (الحديد:٢٣)

2.1.2 Different Perspectives on Sadness

From a linguistic point of view, Wierzbicka (1992: 548) highlights some phrases that denote sadness as:

1- "Something bad happened".

2-I felt sad (ibid: 555)

Wierzbicka (1999:60) expands his discussion saying that there are certain constructions that are used to express sadness which are as follows:

3-"He was thinking about her".

4-"He was "saddening-himself" about her".

5-"He was making himself sad by thinking about her".

6-"He was sad about her".

7- "He experienced sadness about her".

Lewis (2008:315) also remarks that "I am sad" is a phrase that revels sadness.

Psychologically, Jackson (2021:186) remarks that sadness is an ordinary state which is unavoidable. Being widely common, this emotion is related to feeling of loss or failure.

Concerning gender, Jackson (ibid: 191) adds that women tend to be sad more than men.

Some socialists see that sadness is one of the emotions that is" hard-wired" in human nature (Lewis, 2008: 23).

In addition, Fussell and Kreuz (1998:7) state a number of semantic expressions for experiences of sadness which are as follows:

9- I had a hole in my heart.

10- It just welled inside me slowly like a beach tide.

11- I fall again into my frozen heart.

12- I ached inside.

13- Everything was dark and destroyed.

2.1.3 Metaphorical Use of Sadness

Visualizing one's experience, Esenova (2011:93) attempts to portray the metaphorical use of sadness as follows:

1- Sadness is blue.

14-"He looks _blue_ today".

It is considered as an integrated of depression. In his introduction, Gu et al. (2019:1) mention that sadness is one of the basic emotions of human feeling.

Having multifarious dimensions, Sandström(2006:13), diagrams sadness as follows: Levels of Emotions (Adopted from Sandström, 2006:13)

2.1.2 Different Perspectives on Sadness

From a linguistic point of view, Wierzbicka (1992: 548) highlights some phrases that denote sadness as:

1- "Something bad happened".

2-I felt sad (ibid: 555)

Wierzbicka (1999:60) expands his discussion saying that there are certain constructions that are used to express sadness which are as follows:

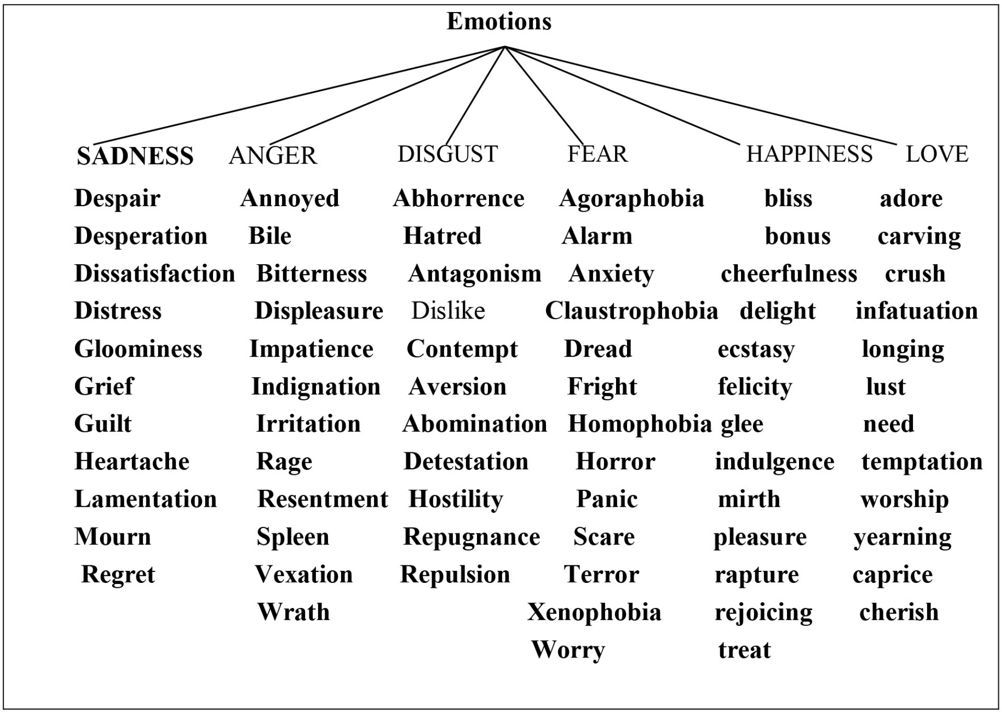

Levels of Emotions (Adopted from Sandström, 2006:13)

1. Introduction

Being a multidimensional experience, sadness is enthroned in people's hearts. Sadness can be secular or hereafter. The problem of the current study lies in answering the following questions:

1. Linguistically, what are the items used to express sadness Imam Hasan's selected speeches?

2. Is there a clear-cut distinction between sadness and other negative feelings in the texts above?

This paper aims at:

1. Investigating the linguistic items of sadness in Imam Hasan's selected speeches

2. Showing the interaction between sadness and other unfavourable feelings in the text above.

It is hypothesized that:

1. Concerning Imam Hasan's selected speeches, sadness can be conveyed linguistically.

2. it is expected that sadness has an association with other destructive senses.

The procedures adopted are:

1- Reviewing the concept of sadness and its various denotations.

2- Analyzing some selected texts from Dickens' Imam Hasan's selected speeches in terms of using devices of sadness.

2. Theoretical Part

2.1 Notion of Sadness in English

Kövecses (1990:35) views sadness as lack of power, inferiority and "being immoral and sick". Shirai1and Suzuk (2017:1) state that "the feeling of sadness is deeply ingrained in a person's life. It occurs when one loses a valued person, fails to achieve a goal, or loses their sense of control ".

Similarly, Diessner and Solom (2005:13-4) define sadness as "the opposite of happiness. It comes from loss, or expected loss, of a love object; and that loss is under circumstances in which the person feels they do not have the power or ability to regain the lost love object."

Lauwerijssen (2008:3) points out that sadness is "a transient, normal emotion".

ملخص البحث

ان الحُزُن هـو استجابة عاطفية طبيعيـة تختلف في درجاتهـا اذ انهـا تنتـاب النـاس دون تمييز. ولأنـه شعور داخـلي ، يمكـن التعبير عـن الحـزن باسـتعمال دلالات لغويـة معينـة.

ان خطـاب الإمـام الحسـن عليه السلام مـليء بمشـاعر الحُزُنْ. ان اسـتحضار الإمـام الحسـن عليه السلام لبعـض الاحـداث التاريخيـة تؤلمـه كثـيرا. اذ ان حُزُنْ الإمـام هوحـزن اخـروي. فهـو ناتـج عـن أغـراض دينيـة مثـل الخيانـة والفقـدان والخـداع. وقـد شـارك الإمـام الحسـن عليه السلام حزنـه مـع الآخرين باسـتعمال بعـض الاسـاليب اللغويـة.

تحاول الدراسة الإجابة عن الأسئلة الاتية:

١. ما هي وجهة نظر الإمام الحسن عليه السلام لمفهوم الحُزُن ؟

٢. هل للحُزُن مؤشرات مختلفة؟

٣. إظهـار العلاقـة بـين الحُزُن والمشـاعر الانفعاليـة الأخـرى مثـل الشـكوى والغضـب والألم في النصـوص المذكـوره انفـا.

وتفترض الدراسة:

١. تناول الإمام الحسن عليه السلام الحُزُن بصورة فريدة من نوعها.

٢.ان للحُزُن دلالات مختلفة في خطاب الإمام الحسن عليه السلام.

٣. وجود علاقة ايجابية بين الحُزُن والمشاعر الانفعالية الأخرى مثل الشكوى والغضب والألم.

وقـد اثبتـت النتائـج أن حُزُن الإمـام الحسـن عليه السلام هـو لامـور اخرويـة. اذ لم يدفعـه حزنـه أبـدًا إلى التشـاؤم واليـأس والهزيمـة.

Abstract

Touching all people without discrimination, sadness is a natural state that differs in its degrees. Being an inner feeling, sadness can be attained by using certain devices.

Al-Hasan's speech is loaded with feelings of sadness. It pains him so much. His sadness is a heavenly one. It results from religious purposes such as betrayal, loss and deception. Imam Hasan's share his sadness with others using some linguistic devices.

The study attempts to answer the following questions:

1. What is Imam Hasan's view of sadness?
2. Does it have various indications?
3. Is there a link between sadness and other emotional feelings?

This paper aims at:

1. Identifying Imam Hasan's concept of sadness.
2. Examining linguistic aspects of sadness in Imam Hasan's selected speeches.
3. Showing the contact between sadness and other emotional feelings, such as complaint, anger and pain in selected speeches by Imam Hasan.

It is hypothesized that:

1. Imam Hasan deals with the concept of sadness uniquely.
2. Sadness has various indications in Imam Hasan's discourse.
3. There is a positive correlation between sadness and other emotional feelings, such as complaint, anger and pain.

It is concluded that Imam Hasan's low spirit is for heavenly issues. His sadness never lead him to be pessimistic, hopeless and defeated.

Linguistic Markers of Sadness in English with Reference to Selected Speeches by Imam Hasan

Asst. Prof. Zainab Hussein Alwan

College of Tourist Sciences \ University of Kerbela

-----------(2010). Critical Stylistics: The Power of English. London: Palgrave Macmilan.
-----------and McIntyre, D. (2010). **Stylistics.** Cambridge: Cambridge University Press.
Leech, G., and Short, M. (2007). **Style in Fiction: A Linguistic Introduction to English Fictional Prose.** London : Longman.
Norgaard, N., Busse, B., and Montoro, R. (2010). Key Terms in Stylistics. London : Continuum.
Ras, I. (2020). Child victims of human trafficking and modern slavery in British newspapers. In Ringrow, H., and Pihlaja, S.(eds.) **Contemporary Media Stylistics.** London: Bloomsbury Academic. 196-197.
Simpson, P. (1993). **Language, Ideology, and Point of View**. London: Routledge.
(2004). **Stylistics : A Resource Book for Students**. London : Routledge.
Stubbs, M. (1997). Whorf 's children: critical comments on critical discourse analysis (CDA). In A. Ryan & A. Wray (Eds.), **Evolving Models of Language**: Papers from the Annual Meeting of the British Association for Applied Linguistics held at the University of Wales, Swansea, September 1996 (pp. 100–116).
Van Dijk , A. ,T.(2008) . **Discourse and Power.** Macmillan International Higher Education .
(2013). Ideology and Discourse, in Michael Freeden, Marc Stears, and Lyman Tower Sargent (eds.) **The Oxford Handbook of Political Ideologies.** London : Oxford University Press.
Wales, K., (2011). **A Dictionary of Stylistics**. London and New York: Routledge.
H. (2005). **Review of Evidentiality.** Sky Journal of Linguistics 18, 379-388
(https://quotepark.com/authors/hasan-ibn-ali/).
(https://m.facebook.com/Sayyid.Shouhadaa/photos/english-).

10. Conclusion

The analysis of the paper shows very interesting findings; besides it provides empirical evidence about the findings. The analysis of Imam Hassan (PBUH) selected speeches proves that Evidentiality is evident in most of Imam Hassan (PBUH) speeches. Evidentiality has a great role in influencing the audience by showing the sources of the information use in Imam Hassan speech. The study proves that most of the evidences used by Imam Hassan in his speeches are from the glorious Qur'an and from the Prophet Mohammed speech.

Critical Stylistic tools work efficiently in figuring out how the texts are constructed. The study finds that 'Representing Time/Space/ and Society' is the most commonly used tool. Furthermore, social deixis scores the highest frequency, due to its importance in showing proximal social relation between the speaker and the addressee. The study demonstrates that social deixis forms the closeness between the speaker and the addressee. Evidentiality with Social deixis make Imam Hassan's(PBUH) speech more influencing and help to direct the audience toward the right bath, simply because most of the evidences that are used by Imam Hasan(PBUH) speeches taken from the glorious Qur'an and Prophet Mohammed's sayings.

Finally, the study demonstrates that CS provides sufficient set of tools for analyzing both literary and non-literary texts.

Bibliography

Ali, D. and Sahat, P. (2016). Critical Discourse Analysis: As an Empirical and Rational Foundation. Riau: Lancang Kuning University.

Baker, P., Gabrielatos, C., KhosraviNik, M., Krzyzanowski, M., McEnery, T. & Wodak, R. (2008). Combining critical discourse analysis and corpus linguistics to examine discourse of refugees and asylum seekers in the UK press. Discourse Society, 19, 273–306.

Cuddon, J. and Preston, C. (2010). Dictionary of Literary Terms and Literary Theory. London: Penguin.

Halliday, M.A.K.(1994). Functional Grammar, (2nd ed.) New York: Routledge.

Jeffries, L. (2000). Don't throw out the Baby with the Bathwater: In Defence of Theoretical Eclecticism in Stylistics. PALA, Occasional Papers, 12.

The previous table (2) shows clearly the types, frequencies and percentages of this tool. The highest frequency is booked by 'Dummy Auxiliary Negation' with (5 occurrences) and (45.40% percentage). The second highest type is 'Auxiliary Negation' with (3 occurrences) and (27.20% percentage). The third rank is reserved by 'Pronoun Negation' with (2 occurrences) and (18.30% percentage), whereas the final type is 'Morphologically Negated Item' with (1 occurrence) and (9% frequency).

As for the last tool of the analysis which is **Representing Action/Event/and State,** the following table and figure presents the types of this tool.

Table (3) Types, Frequencies and Percentages of Representing Action/Event/ and State

Types	Frequency	Percentage
Material Action Process/ Intention	6	50%
Relational Process/ Intensive	3	25%
Mental Cognition/ Cognition	3	25%
Total	12	100%

The above table (3) shows clearly the types of Representing Action/Event/and State. The highest rank is booked by 'Material Action Process/ Intention' with (6 occurrences) and (50% percentages). The second rank is reserved by two types namely, 'Relational Process/ Intensive' with (3 occurrences) and (25% frequency) and the 'Mental Cognition/Cognition' also with (3 occurrences) and (25% frequency). Therefore, the last two types reserve the same rank which is the second one.

Table (1) Types, Frequencies, and Percentages of Representing Time/Space/ and Society

Types	Frequency	Percentage
Temporal Deixis	8	38%
Spatial Deixis	2	9.5%
Social Deixis	11	52.5%
Total	21	100%

It is so clear that Social Deixis reserves the highest frequency with (11) and (52.5%) percentage, therefore it is considered the most common type of this tool that is used by Imam Hassan. This types scores the highest frequency not haphazardly but according to its significance in shaping the writer/speaker ideology. Besides, using social deixis emphasizes the humbleness of Imam Al-Hassan (PBUH) and his closeness not only to followers but also to all human langauge. Evidentiality is another tool used in Imam Hassan(PBUH) speeches and it has a great role in shaping the relationship between Imam Hassan(PBUH) and the audience. The next frequency is presented by Temporal Deixis with (8 occurrences) and (38%) percentage, while the third rank is booked by Spatial Deixis with (9.5%) percentage.

Regarding the second tool, which is Negation, the following table shows the types and the percentages of each type of this tool.

Table (2) Types, Frequencies and Percentages of Negation

Types	Frequency	Percentage
Dummy Auxiliary Negation	4	40%
Auxiliary Negation	2	20%
Pronoun Negation	2	20%
Morphologically Negated Item	1	10%
Total	10	100%

"Therefore, do not oppose my commands, because of your ignorance about the right thing …" (Mental Cognition Process-cognition). (https://quotepark.com/authors/hasan-ibn-ali/).

The previous examples represent different types of this tool. The process of Material Action Intension covers most of the previous examples from number (1) to (6). This process is used to show the certainty of the writer and the speaker about what they are writing and saying. Most if not all of Imam Hassan's (PBUH) speech are strengthened with evidence either from the Glorious Quran or from Prophet Mohammed's saying. Using evidentiality in most of his speech, Imam Hassan(PBUH) proves empirically that these saying are true and are not questionable at all. The second type is Relational Process/Intensive, this process is used to show the relation between entities, in the previous examples (7 to 9) Imam Hassan (PBUH) is trying to show his closeness to the Prophet Mohammed (PBUH), by showing the audience evidence from the Glorious Qur'an about that. Finally, the third type of this process is Metal Cognition Process/ Cognition. Examples (10 to 12) represent this type of process. Actually, this process is often associated with emotion and sensation which proves empirically that the majority of Imam Hassan's(PBUH) speeches influence the audience positively.

The ideological significance of this tool is so prominent in which the writer/speaker chooses the words that suit their purpose. Therefore, it is so clear that Imam Hassan (PBUH) uses evidentiality as a technique to influence the audience' attitudes and to direct the audience toward the right path. Although Imam Hassan (PBUH) is the leader of the Islamic society at that time, yet his speeches emphasise his humble state.

9.2 The Quantitative Analysis

In this second part of the analysis, the percentages and the numbers of each tool will be given in order to form a clear image to the reader about the selected tools. The following table shows the types and the percentages of each type of Representing Time/Space/ and Society.

(٥)«...ويودع صدره ما يرديه...»   (بحار الانوار: جزء١، ص٢١٨)

"...but **fill up** their hearts with destructive subjects." (MAI) (https://quotepark.com/authors/hasan-ibn-ali/).

(٦)ولولا ما أتيت (ان لم أوقع المعاهدة) لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد...

(بحار الانوار: ج٤٤، ص٢)

"If I **had not done** this work (signed the peace treaty), nobody from amongst the Shī'as **would have remained** in this world.." (***MAI***) (https://quotepark.com/authors/hasan-ibn-ali/).

(٧)**ألست** حجة الله تعالى ذكره على خلقه... ألست الذي قال رسول الله ﷺ لي ولأخي: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا ...   (بحار الانوار: ج٤٤، ص٢)

"Am I not the proof (Hujjat) of the Almighty..." (Relational Process/Intensive) (https://quotepark.com/authors/hasan-ibn-ali/).

(٨)انا من اهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم فقال (لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربي...»   (بحار الانوار: ج٢٣،ص٢٣٢)

"I **am among** Ahlul Bayt, ..." **(Relational Process/Intensive)** (https://quotepark.com/authors/hasan-ibn-ali/).

(٩)...و اقتراف الحسنة مودتنا اهل البيت...»   (بحار الانوار: ج٢٣، ص٢٣٢)

Therefore, **earning good is showing** love for us **"(Relational Process/Intensive)** (https://quotepark.com/authors/hasan-ibn-ali/).

(١٠)"عجبت لمن يتفكر في مأكوله كيف لا يتفكر في معقوله» (بحار الانوار: جزء١، ص٢١٨)

„I wonder at those who think about their body's food, but do not think about their soul's food" (Mental Cognition Process/ Cognition). (https://quotepark.com/authors/hasan-ibn-ali/).

(١١)«ألا ترى الخضر عليه السلام لما خرق السفينة...»   (بحار الانوار: ج٤٤،ص٢)

"do not see how Al-khadher(PBUH) drawn the ship..." (Mental Cognition Process/ Cognition) (https://quotepark.com/authors/hasan-ibn-ali/).

(١٢)هكذا أنا سخطتم علي بجهلكم بوجه الحكمة فيه) (بحار الانوار: ج٤٤،ص٢)

Finally, the previous examples represent the final type of negation used in Imam Hassan sayings, which is **'Morphologically Negated items'.** This type is formed by using certain morphological forms.

The ideological significance of this tool lies in its powerful effect in creating fear in the heart of the reader/listener or to make them think in a particular way or direction. This is achieved clearly in the previous examples when Imam Al- Hassan (PBUH) told his followers not to be deceived by Muawea's speeches and not to break his deal with them because this treaty saves many souls. Besides, Imam Al Hassan reminds his followers that he is 'their Imam' by providing evidence from the Glorious Qur'an as well as from Prophet Mohammed's(PBUT) saying. By doing so, Imam Hassan makes use of *evidentiality* as an effective tool to support his speech and to provide evidence to make his speech more objective.

The last tool that will be used in the analysis is Representing Action/Event/and State. This tool is based on the view that a writer/speaker has the power to choose the words that suit their purposes including the choice of the lexical verbs. Therefore, this tool deals with meanings that are created through the verbal elements. The following examples will show this tool and its sub-divisions:

(١)انا من اهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم فقال (لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربي...» (بحار الانوار: ج ٢٣، ص ٢٣٢)

"I am among Ahlul Bayt, whom **God has made** obligatory on all Muslims to love" ***(MAI)*** (https://quotepark.com/authors/hasan-ibn-ali/).

(٢)هكذا أنا سخطتم علي بجهلكم بوجه الحكمة فيه... (بحار الانوار: ج٤٤، ص٢)

"Therefore, do not oppose my commands (Material Action Process/ Intention, henceforth MAI) (https://quotepark.com/authors/hasan-ibn-ali/).

(٣)لم يجب أن **يسفه** رأيي فيما أتيته فيما أتيته من مهادنة...(بحار الانوار: ج٤٤، ص٢)

"and do not reject my judgement..." (MAI) (https://quotepark.com/authors/hasan-ibn-ali/).

(٤)فيجنب بطنه ما يؤذيه...» (بحار الانوار: جزء١، ص٢١٨)

"Who **keeps away disturbing** food from their belly...". (MAI) (https://quotepark.com/authors/hasan-ibn-ali/).

(٣)و**إن** كان وجهه الحكمة فيما أتيته ملتبسا» "

(بحار الانوار: ج٤٤، ص٢)

"... do not reject my judgement even when the situation is complex...". **(https://quotepark.com/authors/hasan-ibn-ali/)**.

The previous examples represent negation type called 'Dummy Auxiliary Negation' which forms negation with the aid of dummy auxiliary 'Do'.

(٥)إذا كنت إماماً من قبل الله تعالى ذكره **لم** يجب أن يسفه رأيي»

(بحار الانوار: ج٤٤, ص٢)

"...then when I am the real Imam why I **have not** become one who ...". (https://quotepark.com/authors/hasan-ibn-ali/).

(٦) «ولو**لا** ما أتيت(توقيع الهدنة)

(بحار الانوار: ج٤٤، ص٢)

"If I **had not** done this work (signed the peace treaty),...". (https://quotepark.com/authors/hasan-ibn-ali/).

The previous examples represent second type of negation used by Imam Hassan (PBUH) in his speech, which is called 'Auxiliary Negation'. This type of negation is formed with the auxiliary verbs.

(٧)لما ترك من شيعتنا (بحار الانوار: ج٤٤،ص٢)

"...**nobody** from amongst the Shī'as,..". (https://quotepark.com/authors/hasan-ibn-ali/).

(٨)على وجه الأرض أحد **إلا** قتل (بحار الانوار: ج٤٤، ص٢)

"...**no one** would have remained alive ...".(https://quotepark.com/authors/hasan-ibn-ali/).

The previous two examples represent the third type of negation, which is called **'Pronoun Negation'**. This type of negation is formed with the aid of the pronouns.

(٩)لم يجب أن يسفه رأيي فيما أتيته من مهادنة أو محاربة» (بحار الانوار: ج٤٤، ص٢)

"...Indeed what you **dislik**e about unity is better for you, because things are so complicated for you..." (https://quotepark.com/authors/hasan-ibn-ali/).

ones whom Allah said about them (Those who believed and did righteous acts. Those are the companions of heaven. They will abide internally therein) (ibid).

In most of the previous examples if not all of them, Imam Al-Hassan (PBUH) uses first person pronouns in order to be closer to the reader/listener. The importance of using proximal pronoun is to make the reader/listener place themselves instead of the reader/listener. Such closeness will enable the writer/speaker to pass his viewpoint easily to the reader/listener. Besides, using *evidentiality* to give more evidence to the speech is so prominent in Imam Hassan's (PBUH) speech. *Evidentiality* can help the text originator to have greater degree of influence upon the audience, therefore it helps the speaker to achieve his goals successfully.

Regarding the second tool of the analysis, namely ***Negation***, it is used to build a version of mind which is so different from the one confirmed in the text. This tool is also related to the textual practice that includes narrative and ideological significance. Moreover, negation is used here as a generic term to refer to the conceptual practice than indicating simple negation of verbs. The following examples will show clearly this tool:

(١)يا عبد الله **لست** من شيعة علي انما انت من محبيه وانما شيعة على الذين قال الله تعالى فيهم

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون ﴾ ...»

https//:m.facebook.com/Sayyid.Shouhadaa/photos/english-)

"… you are not from the true followers of Ali(PBUH). The true followers of Ali are the ones whom Allah said about them (Those who believed and did righteous acts. Those are the companions of heaven. They will abide internally therein)" (ibid).

(٢) لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربي.

(بحار الانوار: ج ٢٣،ص ٢٣٢)

"I **do not** ask of you any reward for it except love…". (https://quotepark.com/authors/hasan-ibn-ali/).

(٣)عجبت لمن يتفكر في ماكوله كيف **لا** يتفكر في معقوله...»

(بحار الانوار: ج١،ص ٢١٨)

"but **do not** think about their soul's food." (https://quotepark.com/authors/hasan-ibn-ali/).

(https://m.facebook.com/Sayyid.Shouhadaa/photos/english-)

“**The true followers** of Ali are the ones whom Allah said about **them** (Those who believed and did righteous acts. Those are the companions of heaven. They will abide internally therein)” (ibid).

(٥) ألست حجة الله تعالى ذكره على خلقه... ألست الذي قال رسول ﷺ لي ولأخي: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا .

(بحار الانوار: ج٤٤، ص٢)

“Am **I** not the proof (Hujjat) of the Almighty being his remembrance upon his creatures? Did not the Holy Prophet of Islam (PBUH) say, “Hassan and Hussain are two Leaders (Imāms), …” (https://quotepark.com/authors/hasan-ibn-ali/).

(٦)ولولا ما **أتيت** لما **ترك من شيعتنا** على وجه الأرض أحد إلا قتل“ ... ”

(بحار الانوار: ج٤٤، ص٢)

“If **I** had not done this work (signed the peace treaty), **nobody** from amongst the Shī‘as would have remained in this world,..” (https://quotepark.com/authors/hasan-ibn-ali/).

(٧)هكذا **أنا سخطتم** علي بجهلكم بوجه الحكمة فيه...»

(بحار الانوار: ج٤٤، ص٢)

“this is how **you** accuse **me** due to your ignorance about the right thing…”(https://quotepark.com/authors/hasan-ibn-ali/).

(٨)”قال الحسن بن علي لرجل الذي قال انه من شيعة علي صلوات الله وسلامه عليه : **يا عبد الله** لست من شيعة علي انما **انت** من محبيه “...

(https://m.facebook.com/Sayyid.Shouhadaa/photos/english-)

“Imam Al-Hassan Bin Ali (PBUT) told **the man** that he said from the Shities of Ali (PBUH), **you are** not from the true followers of Ali(PBUH) “ (ibid).

(٩)...“ وانما شيعة على **الذين** قال الله تعالى **فيهم** (و الذين امنو و عملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون)...»(ibid)

٤٣

In these examples, Imam Hassan (PBUH) uses proximal relation in order to break the boundaries between him and his audience. The importance of this tool lies in drawing a close relationship between the writer/speaker and the reader/listener. Additionally, this closeness is strengthening more by using evidence from the Prophet Mohammed's(PBUH) life. Therefore, *evidentiality* is so important in making Imam Hassan's(PBUH) speech more influential and more persuasive. Having close relationship with audience, the writer/speaker will make the reader/listener see thing in the way the writer/ speaker wishes.

As for social deixis, which is used to show the social distance or proximity between the writer/ speaker and the reader/listener, the following examples present this type :

(١)"انا من اهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم فقال (لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربي"

(بحار الانوار: ج ٢٣،ص ٢٣٢)

" I am among Ahlul Bayt, whom God has made obligatory on all Muslims to love..." (https://quotepark.com/authors/hasan-ibn-ali/).

(٢)اقتراف الحسنة **مودتنا** اهل البيت ..."

(بحار الانوار: ج ٢٣،ص ٢٣٢)

"Therefore, earning good is showing love for us..." (https://quotepark.com/authors/hasan-ibn-ali/).

(٣) عجبت لمن يتفكر في ماكوله كيف لا يتفكر في معقوله...»

(بحار الانوار: جزء١، ص٢١٨)

"I wonder at those who think about their body's food.." (https://quotepark.com/authors/hasan-ibn-ali/).

(٤)وانما شيعة على **الذين** قال الله تعالى فيهم (و الذين امنو و عملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون)...»

with destructive subjects. "(https://quotepark.com/authors/hasan-ibn-ali/).

(٦)"...هكذا أنا **سخطتم** علي بجهلكم بوجه الحكمة فيه « (بحار الانوار: ج ٤٤،ص٢)

"this is how you **accuse** me due to your ignorance about the right thing..." (https://quotepark.com/authors/hasan-ibn-ali/).

The above mentioning examples represent the cases of temporal deixis or *time deixis*. This type of deictic system is so important in shaping the reader/listener attention toward the intended message (ideology) of the speaker/writer. In the previous examples Imam Hassan (PBUH) uses present tense in most of his speech. In fact, using present tense in most of the speech helps in placing the reader/ hearer closer to the writer/speaker, therefore this technique will help the speaker/writer in forming certain ideologies to the reader/listener. Besides, Imam Hassan (PBUH) uses much evidence from the Glorious Qur'an as in examples (1 and 3) as well as he (PBUH) uses evidence from the Prophet Mohammed's(PBUH) sayings as well. These pieces of evidence demonstrate that Imam Hassan speech is so influential and closer to the audience that is why Imam Hassan(PBUH) foes always afraid from his speech. Thus, *temporal deixis* helps to shape this closeness between Imam Hassan(PBUH) and his audience. Besides the use of 'evidentiality' supports Imam Hassan in achieving his goal to make his speech more authentic and realistic.

Regarding ***spatial deixis***, which is sued to show the distance between the writer/ speaker and the reader/listener. The following examples show this type of deixis:

(١)«علة مصالحتي لمعاوية علة مصالحة رسول الله ﷺ لبني ضمرة وبني أشجع، ولأهل مكة حين انصرف من الحديبية» (بحار الانوار: ج ٤٤، ص٢)

"...and even to Makkah citizen when he **left from Al-hudaybia**." (https://quotepark.com/authors/hasan-ibn-ali/).

(٢)"... ولولا ما **أتيت(لم اقدم على المعاهدة)** لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلا قتل"

(بحار الانوارج ٤٤، ص٢)

"If I had not done **this** work (signed the peace treaty), nobody from amongst the Shī'as would have remained in this world,..." (https://quotepark.com/authors/hasan-ibn-ali/).

tool has a strong connection with cognitive theory called ’Text World Theory’ because both of them help the writer to construct a certain world to the readers. There are many ways of addressing the realization of time, space and human relationship but there is one linguistic model which brings them together which is ‘Deixis’. The effect of the deictic system is to create focus on certain time, place or even social relationship. Temporal Deixis is founded in the following examples:

(١)انا من اهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم فقال ﴿ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ... ﴾ (بحار الانوار: ج ٢٣،ص ٢٣٢)

“I am among Ahlul Bayt, whom Allah has made obligatory on all Muslims to be loved. ...” (https://quotepark.com/authors/hasan-ibn-ali/)

(٢)« ألست حجة الله تعالى ذكره على خلقه... ألست الذي قال رسول الله ﷺ لي ولأخي: الحسن والحسين إماما قاما أو قعدا؟ (بحار الانوار: ج ٤٤، ص٢)

“Am I not the proof (Hujjat) of the Almighty, being his remembrance upon his creatures? Did not the Holy Prophet of Islam (PBUH) say, “Hassan and Hussain are two Leaders (Imāms),” (https://quotepark.com/authors/hasan-ibn-ali/).

(٣) « يا عبد الله لست من شيعة علي انما انت من محبيه وانما شيعة على الذين **قال** الله تعالى فيهم ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ...»

https://m.facebook.com/Sayyid.Shouhadaa/photos/english

The true followers of Ali are the ones whom Allah said about them (Those who believed and did righteous acts. Those are the companions of heaven. They will abide internally therein) (ibid).

(٤) عجبت لمن يتفكر في ماكوله كيف لا يتفكر في معقوله...»

(بحار الانوار: ج١،ص ٢١٨)

“...but **do not think** about their soul’s food.”
(https://quotepark.com/authors/hasan-ibn-ali/).

(٥)... فيجنب بطنه ما يؤذيه **ويودع** صدره ما يرديه.»

(بحار الانوار: ج١، ص ٢١٨)

“...**They keep** away disturbing food from their belly, but **fill up** their hearts

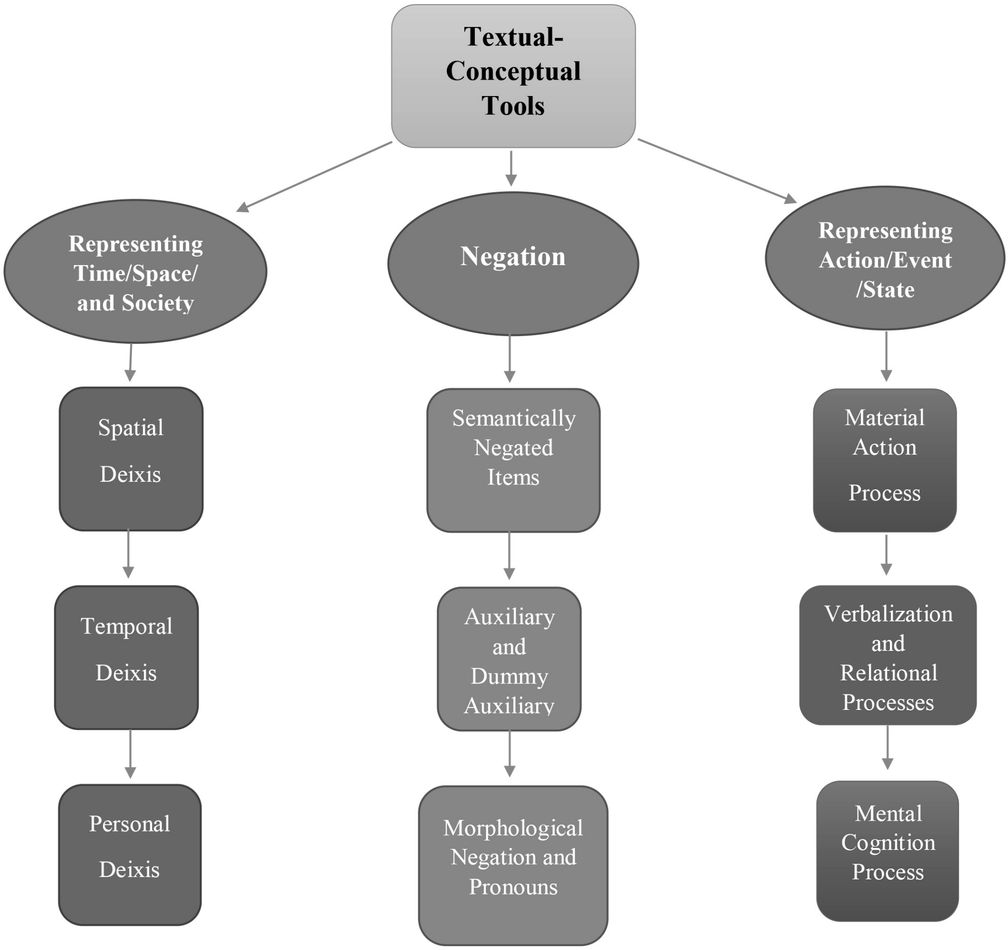

Figure (3) The Model of the Analysis.

9. The Analysis

Jeffries' model of CS is applied to the analysis which is called textual-contextual tools. The analysis is divided into two parts; the first part will be devoted to the qualitative analysis and the second part will discuss the quantitative analysis.

9.1 The Qualitative Analysis

First the qualitative analysis will be done by applying the selected tools from Jeffries' model of CS. The first tool is, Representing Time/Space/ and Society. This

8. The Model of the Analysis

CS is founded by Jeffries (2010) who designs a set of conceptual tools called CS tools. These tools are taken from different disciplines like; pragmatics, semantics, cognitive linguistics, structural and formal linguistics as well. This paper is restricted with applying three conceptual-textual tools namely; Representing time/ space/ and society, Negation, and finally, Representing action/ event and state. These three selected tools of analysis are taken from different disciplines, for example, Representing time/ space/ and society is considered as a pragmatic tool. The tool of Negation is considered as a structural tool of analysis, while Representing action/event and state tool is taken from formal linguistics. The reason behind choosing these three tools particularly is due to their closeness and relatedness to the investigated ideology.

The selected tools of analysis are designed to figure out the implicit ideologies in Imam Hassan selected sayings, since language is used to transfer ideas, viewpoints, emotions, etc. from a person to another. Therefore, language plays a crucial role in shaping our interpretation of the world and encoding the ideologies. Besides, knowing the structures and forms of the text under investigation deepens our understanding of the ideologies hidden in that text. The following figure presents the model of the analysis.

•Ideology

The term ‘ideology’ has been defined differently by different scholars. Jeffries regards ideology as the distinctive marker of her approach due to its importance in the critical studies. According to Jeffries (2010:5), the founder of CS, ideology is defined as “those ideas that are shared by a community or society […] are a very important aspect of the world that we live in, and they are, of course, communicated, reproduced, constructed and negotiated through language.” (ibid). For, Van Dijk (2013:137), ideology refers to “basic shared systems of social cognitions of groups which have control over the community’s attitudes towards particular topics such as abortion, immigration, divorce, etc.”. According to the researcher, ideology refers to set of attitudes and beliefs that are adopted by the text’s producer.

Naturalization

The process of naturalization refers to the situation in which dominant ideologies become inherent in everyday discourse when they become justified as natural and this situation is related to how things are and how they should be (Simpson, 1993 :5).

•Power

Power is regarded by many scholars as an essential concept of critical studies, because these studies are basically concerned with how power, abuse and inequality are practiced by dominant group. Moreover, this dominance is often achieved throughout the using of power (Van Dijk, 2008: 65).

7. Evidentiality

Evidentiality is a language system that indicates to the hearer how the speaker gets the conveyed content. Linguistically, evidentiality refers to the linguistics expression of the speaker’s source of the information.

The term ‘evidentiality’ is used first by Franz Boas (1938) and it refers to both linguistics and extralinguistic marker of evidentiality (Narrog, 2005:378). Therefore, evidentiality is sued to figure out where a piece of information comes from, as well as it is used to refer to the degree of reliability that is used by the speaker/writer (ibid).

6. Critical Stylistics

CS is a new branch of stylistics developed by Lesley Jeffries in (2010). CS is based on critical linguistics on the one hand and CDA on the other (Wales, 2011:401). Critical stylistic analysis intends to discover how the meaning is presented through the language (Norgaard et al., 2010: 11). CS tries to bridge the gap between CDA and stylistics through developing the critical linguistic approach to text analysis. The following figure (1) presents the bases of CS.

Figure (1) The Bases of critical stylistics

CS is concerned with the analysis of both literary and non-literary texts. As such, it departs from CDA which is mainly concerned with the analysis of political texts. This new branch of stylistics is built upon Halliday's Systemic Functional Linguistics (SFL) as well as Halliday's metafunctions (Ras, 2020:197). What differentiates CS from CDA is that CS is based on putting texts in the central position in the analysis and moving away from the political nature of CDA (ibid). The following figure represents the most commonly discussed concepts in CS:

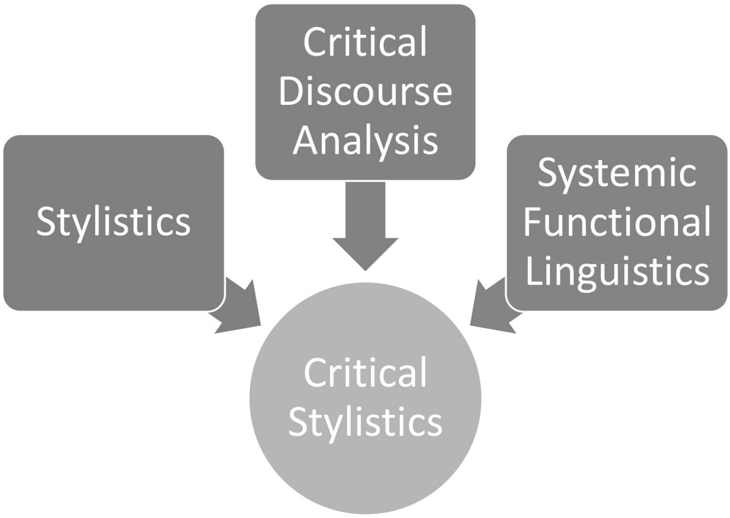

Figure (2) Concepts of Critical Stylistics

language interpretation (Simpson, 2004:3). There are different approaches of stylistics among them: linguistic stylistics, literary stylistics, general stylistics, CS, pedagogical stylistics, applied stylistics, etc.

4. Critical Discourse Analysis

The importance of discussing CDA comes from the very fact that it shares with CS the view that ideology is regarded as the backbone of the analysis. The term 'critical linguistics' is often used interchangeably with the term 'critical discourse analysis'. In fact, Halliday's systemic functional linguistics is considered the basic motivation for critical linguistics because Halliday's views direct linguistic analysis to move beyond the formal description to include also social criticism as a basis for the analysis (Halliday, 1994:101). Due to Halliday's views, many changes take place in critical studies. CDA moves beyond critical linguistics in many forms, like the relation between social practice and discourse (Ali and Sahat, 2016:4).

5 . Critiques of Critical Discourse Analysis

This section will provide the reasons behind finding critical stylistic analysis as a reaction toward the shortcomings of CDA. Like many other linguistic approaches, CDA is criticized by many linguists, among whom is Widdowson (1998) who criticizes CDA as "lacking of methodological rigour and openness and theoretical eclecticism" (Jeffries, 2000:3). Another criticism is revealed by Schegloff (1999, as cited in Jeffries, 2000) who describes CDA as being "partial or biased" (ibid: 6).

Regarding Stubbs (1997: 102), he accuses CDA as being inexplicit regarding data collection by saying that "CDA's methods of data collection and text analysis are inexplicit, that the data are often restricted to text fragments, and that it is conceptually circular…" . Furthermore, Baker et al. (2008:283), discussing the lack of representativeness in CDA, they state that CDA depends on "a small number of texts, or short texts and text fragments' and that a small-scale analysis may not be able to identify which linguistic patterns are cumulatively frequent". Thus, Baker et al.'s view supports that provided by Stubbs (1997).

To sum up, CS can be of great help in reducing the subjectivity nature of CDA because CS can overcome the lacking in the analytical tools. Therefore, CS can be provided by a systematic and comprehensive set of tools that can be used to overcome the negativity of open ended set of analytical tools used by CDA.

1.Introduction

According to Jeffries (2010:2), CS is designed to overcome the shortcomings of critical discourse analysis (CDA, henceforth) which focuses mainly on analyzing political texts. Therefore, CS is designed to extend the analysis to both literary and non-literary texts.

The present study aims to uncover the system of evidentialtiy uses in selected speeches by Imam Al-Hassan (PBUH) through applying some tools of CS. Three tools of CS will be applied, namely; Representing action/event and state, Negation, and Representing time/space/and society. The study hypothesize that Imam Hassan's (PBUH) speeches reflect a high degree of evidentiality from the Glorious Qur'an and Prophet Mohammed (PBUH) sayings. Besides, critical stylistic tools can be used to analyze literary and non-literary texts alike.

2. Stylistics

Stylistics can be viewed from different perspectives due to different stylistic approaches. Different fields contribute to the development of stylistics which are linguistics and critical approaches (Leech and Short, 2007 :12). In modern times, stylistics is regarded as an analytical science which includes different levels of language like phonology, morphology, syntax, and lexicology (Cuddon and Preston, 2010 :872).

The importance of stylistics lies in providing linguists and critics with different potentialities of interpretations. The fact that why language is so important for stylisticians is that many linguistic structures are indispensable references of textual functions (Simpson, 2004:2). According to Leech and Short (2007:11), literary stylistics aims to discover and explain the relationship between language use and the artistic function whether implicitly or explicitly. Therefore, stylistics is mainly concerned with why an author chooses this particular form rather than the other. Furthermore, Jeffries and McIntyer (2010:1) provide a new perspective of stylistics which moves away from the traditional perspective. They see stylistics as a form of cognitive relation.

3. Approach of Stylistics

Stylistics has a strong relation with linguistics, because linguistics provides stylisticians with the raw material needed in the stylistic analysis. Besides, linguistics supports stylistics with different theories that regulate the process of

ملخص البحث

تستخدم اللغة وسيلة لنقل وجهات النظر، الأفكار، المشاعر، وكذلك الأيديولوجيات،الخ. لهذا فان الكشف عن التراكيب اللغوية للنصوص مهم جداً في بناء تصورنا عن العالم وكذلك لاستخراج الأيديولوجيات داخل النصوص. ان الاسلوبية النقدية التي وضعتها جيفريز (٢٠١٠) تقدم لنا مجموعة من الأدوات النصية-المعرفية التي تساعد الباحث في الكشف عن الأيديولوجيات داخل النصوص.

تهدف الدراسة الحالية إلى الكشف عن ايديولوجية التواضع في أحاديث مختارة للإمام الحسن عليه السلام. كما انها تحاول بيان مدى إمكانية استعمال الاسلوبية النقدية في تحليل النصوص لغير الأدبية كما تدعي جيفريز.

توصلت الدراسة الى ان أيديولوجية التواضع قد استخدمت في اغلب أحاديث الإمام الحسن عليه السلام كوسيلة لتعليم اتباعه بشكل غير مباشر بضرورة اتباع مبدا التواضع والاحترام حتى مع الخصوم. علاوة على ذلك ان الدراسة الحالية قد برهنت على ان الاسلوبية النقدية هي أداة مؤثرة في الكشف عن الأيديولوجيات في مختلف أنواع النصوص.

Abstract

Language is used to mediate viewpoints, ideas, emotions, and ideologies. knowing the structure of a particular text is so important in shaping our understanding of the world as well as encoding ideologies. Therefore, different strategies can be applied to affect the reader/audience, among these strategies is Evidentiality which is used by the speaker/writer. Evidentiality is a language system that indicates to the hearer how the speaker gets the conveyed content. Critical stylistics (CS henceforth) by Jeffries (2010) provides a set of textual-conceptual tools which enable the research to uncover these strategies and other hidden ideologies by applying different sets of tools.

The present study aims to discover evidentiality that is conveyed in selected speeches by Imam Al-Hassan (PBUH). Besides, it tries to discover the usefulness of CS in studying non-literary text as it has been claimed by Jeffries (2010).

The study finds out that evidentiality from the Glorious Qur'an and Prophet Mohammed (PBUH) speeches existe in most of Imam Al-Hassan's(PBUH) selected speeches. And evidentiality becomes a distinctive feature of Imam Hassan's (PBUH) selected speeches in order to influence the audience and show them the right p

ath. Furthermore, the study proves that CS is an effective tool in figuring out ideologies from different text's types.

Critical Stylistic Analysis of Evidentiality In Selected Speeches by Imam Hassan (PBUH)

Asst. Lect. Ali Hussein Abdulameer

Karbala Directorate of Education / Iraq.

References

Al-Mahmoodi, Mohammad B. (1965). Nahj Al-s'aada. Nejaf: Al-Adab Publishing House.

Anderson, Kenton C. (2006). Choosing to preach: A comprehensive introduction to sermon options and structures. Michigan: Zondervan Academic.

Bhatia,., Flowerdew, J. and Jones, R. (2008). Approaches to discourse analysis. In, Vijay K. Bhatia, John Flowerdew and Rodney H. Jones, Advances in Discourse Studies. London & New York: Routledge.

Foucault, M. (1978). The History of Sexuality: An Introduction, Vol. I, New York: Random House.

Halliday, M.A.K. (2007). Language as social semiotic: Towards a general sociolinguistic theory. In M. A. K. Halliday, *Language and Society*. Edited by J. Webster. London: Continuum. pp. 169–202.

Laclau, E. (1988). Metaphor and social antagonisms. In C. Nelson & L. Grossberg (Eds.), Marxism and the Interpretation of Culture (pp. 249–257). Urbana: University of Illinois.

Schegloff, Emmanuel A. (1978). Between macro and micro: contexts and other connections. In, Jeffrey C. Alexander, Bernard Giesen, Richard Munch and Neil J. Smelser, The Micro-Macro Link, pp. 207-234. Berkeley: University of California Press.

Electronic Website Citing

- Collins English Online Dictionary, 2022, https://www.collinsdictionary.com/dictionary/english/discourse
- Stanford Encyclopedia of Philosophy, Philosophy of Economics: https://plato.stanford.edu/entries/economics/

According to corpus linguistic criteria, the two *Tokens* علم *'Science'* and الناس *'People'* are the most important *Tokens*. What is important to mention here is that:

1. Based on the linguistic standards of the Corps and through the process of comparison with the international encyclopedia, Al-Imam Al-Hasan's sermon focuses on علم *'Science'* as the most important *Token*.

2. The second important *Token* is الناس *'People'*. Here the *Token 'People'*, according to the International Encyclopedia, does not carry only the religious connotation but conveys other connotations such as different implications that the *Token* 'People' has. So it indicates, according to linguistic standards of the corpus, a scientific link rather than a religious one.

3. Conclusion

There is no doubt that it is impossible to isolate language from its social context due to the fact that language is a social phenomenon and it is socially constructed. Through qualitative and quantitative analysis:

the research question has been answered that sermons, as a discourse, go beyond the stage of religious discourse;

The researcher's hypothesis is valid that sermons, as a particular genre type, are aimed at increasing the awareness of society.

In Al-Hasan's sermon, it is not only the cultural situation always creates a traditional cultural discourse, but also it is possible through the *condensed discourse* to introduce new ideas even if they are unusual or abnormal to a certain society. Al-Imam Al-Hasan's socio-scientific condensed discourse is not limited to the discourse criteria proposed by more than one linguist that culture can be encoded according to personal experience, it is quite clear that even though he is a member of that culture, he narrates different coherent discourses (new trends in discourse), i.e. he is not limited himself to the culture in which he lives. Thus, condensed discourse means different text-type (genre) in conformity with the idea that discourse function determines discourse type. Social, economic, and scientific perspectives, proposed by Al-Imam Al-Hasan, reveal certain cognitive frames or mental spaces that determine the type of discourse that work as motives for the society in which he lives.

Figure 2: Types and Tokens Number in International Encyclopedia

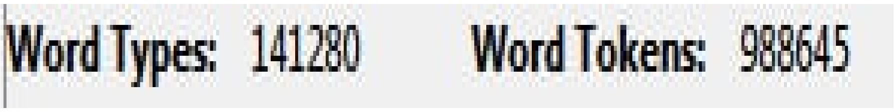

To give more detail, Table **3** illustrates the comparison with the International Encyclopedia translated to Arabic:

Table 3: Comparison of Condensed Discourse with International Encyclopedia

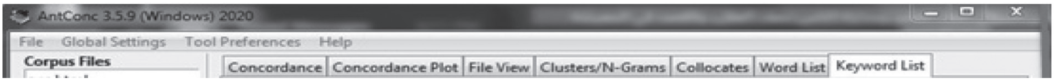

Frequency	Family Members	Rank Headwords (Rank H)	Rank Family Members (Rank F)	Headword and Family Members Frequency	Keywords
88	**72**	**1278**	**253**	**342**	حسن
12	**8**	**9780**	**4377**	**28**	السؤال
156	**23**	**659**	**326**	284	نصف
685	**31**	**102**	**37**	**1606**	علم
3	**4**	**34902**	**17091**	**6**	مداراة
1012	**7**	**69**	**67**	**1050**	الناس
71	**19**	**1616**	**465**	**211**	العقل
17	**2**	**7339**	**5540**	**22**	قصد
61	**5**	**1945**	**1483**	**76**	المعيشة
1	**1**	**55538**	**55538**	**1**	المؤونة

Rank	Freq	Keyness	Effect	Keyword
1	3	+ 44.65	0.3158	نصف
2	1	+ 17.49	0.1429	السؤال
3	1	+ 17.49	0.1429	العقل
4	1	+ 17.49	0.1429	المؤونة
5	1	+ 17.49	0.1429	المعيشة
6	1	+ 17.49	0.1429	والقصد
7	1	+ 17.49	0.1429	ومداراة
8	1	+ 12.99	0.1176	حسن
9	1	+ 8.79	0.0476	العلم

Comparing the obtained results:

1. There are similarities between Table 1 and Table 2 in Ranking and Frequency.

2. The Keyness level of the word (نصف) 'half' is also the highest among other linguistic text constituents. It has the highest level of keyness (+44.65).

3. According to the Effect level, the word (نصف) 'half' is different from Table 1. It is the highest as a Token (0.3158), and as a Type among other Types (0.9474).

4. The fourth obtained result is the Keyword level. The highest Ranking of words (keyword), according to their implications, is similar to Al-Imam Al-Hasan's proposed ranking. The keyword level starts with (نصف) 'half', (السؤال) 'questioning', and so on.

Looking for more objectivity, choosing five volumes of a scientific encyclopedia translated into Arabic. Why 5 volumes? Simply because 5 volumes consist of 988645 Tokens, 141280 Types (Figure 2). This encyclopedia is very close in its Types and Tokens number to that of Brown's Corpus of General English (electronic collection) which consists of 1000000 *Tokens* bearing in mind that Brown's Corpus is one of the most important corpora in the world.

2. Comparison can be made between data frequencies and reference corpus frequencies to pass judgment to what extent Token presents itself more times in the target corpus in accordance with its realization in the reference corpus. Here the second obtained result is the Keyness level which is the highest among other linguistic text constituents. The word (نصف) 'half' has the highest level of keyness (+ 60.66) based on the idea that it is the most cohesive constituent in the text. It works not only on the cohesive dimension of the text, but also motivates the recipient to feel the coherence of three different discourses.

3. The third obtained level is the Effect level. The word (نصف) 'half' seems the less value (0.375) among other Types (numbers of abstract categories). But if we investigate the effectiveness of the word as a Token (number of individual occurrences) rather than as a Type, the level of effectiveness will be the highest among other constituents (1.125).

4. The fourth obtained result is the Keyword level. The highest Ranking of words (keyword), according to their implications, is similar to Al-Imam Al-Hasan's proposed ranking. The keyword level starts with (نصف) 'half', (السؤال) 'questioning', and so on.

Another step closer, Al-Imam Al-Hasan's discourse can be compared to Al-Qur'an Corpora. Table 2 illustrates this:

Table 2: Comparison between Al-Hasan's Sermon and Holy Qur'an

The obtained results are as follows:

1. Stylistically, parallelism in structure in Al-Imam Al-Hasan's sermon is accompanied by different functions. The word (نصـف) 'half' has the first Rank and Frequency (three occurrences of the word Token rather than Type 'half'), it is repeated three times in the original text. In its positive implication (apart from its absolute redundancy), Repetition, as a social linguistic activity and part of individuals' conduct and behavior, implies that Al-Imam wants to reinforce, emphasize, and confirm more than one idea, ideas that can be considered as central. More than that, he wants to make a link between three discourses that are different in their functions and connotations. Repetition is used here not only as a discourse marker used for finding what to say next or to reformulate and intensify the force of a certain utterance, but also is used to develop conversation. Thus, in addition to its reasserting the preceded Token, it can be realized as a linguistic strategy used to convey a conscious individual's thought to reach a particular communicative goal (interactionally communicative developed discourse) to motivate and inspire his audience.

The focus on (نصف) 'half' repetition as a focal lexical constituent can be summarized in Figure 1:

Figure 1: Repetition Function in Condensed Discourse

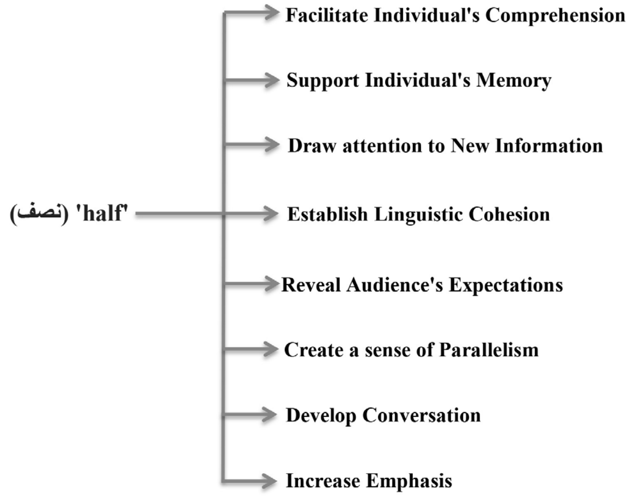

discourse by individuals are not the same. Perceiving and comprehending depend on individuals' background knowledge and to what extent they could generate frames and mental spaces taking into account that individuals' background can be triggered by different motives such as codes, signs, signals, and cues.

2. 2 Quantitative Condensed Discourse Analysis

From another research perspective, looking for more objectivity, Al-Imam Al-Hasan's sermon can be analyzed quantitatively based on corpus linguistic methodology. This type of analysis, in one of its instruments, makes it possible for the analyst to go beyond the semantic and pragmatic meaning of the utterances. It helps in studying and analyzing language according to large collections of language use (literature, news, speeches, ….) stored or computerized in Corpora.

Comparing Al-Imam Al-Hasan's sermon with general stored Arabic corpora, the following results can be identified:

Table 1: Al-Hasan's Sermon Corpus Analysis

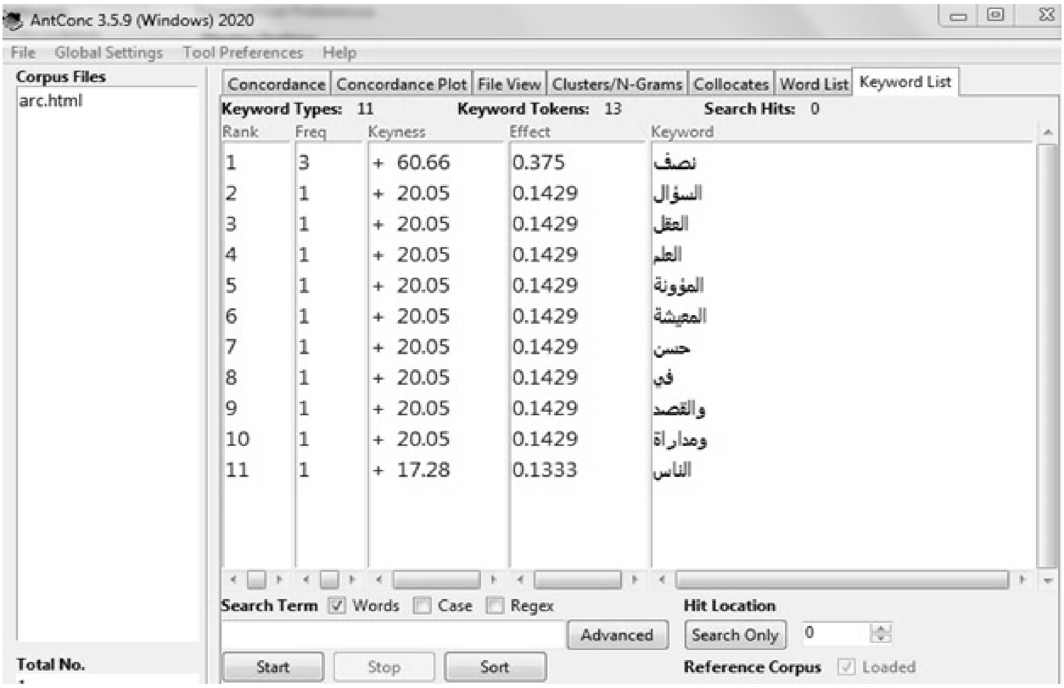

Rank	Freq	Keyness	Effect	Keyword
1	3	+ 60.66	0.375	نصف
2	1	+ 20.05	0.1429	السؤال
3	1	+ 20.05	0.1429	العقل
4	1	+ 20.05	0.1429	العلم
5	1	+ 20.05	0.1429	المؤونة
6	1	+ 20.05	0.1429	المعيشة
7	1	+ 20.05	0.1429	حسن
8	1	+ 20.05	0.1429	في
9	1	+ 20.05	0.1429	والقصد
10	1	+ 20.05	0.1429	ومداراة
11	1	+ 17.28	0.1333	الناس

there is no need to pay too much effort to understand its implications, i.e. it may be no more than answering the question ‘what should we do’ (commendatory), giving certain consideration to the idea that ‘we’ includes authentic participants’ commitment (moral adviser and audience). Moral and scientific implications are working on guiding actions and altering behaviours, that means, ‘guiding’ tells us which path the audience should follow and which action they should choose.

A step further, despite their being different (moral and scientific discourse) in their subject matters, ranging from what is wrong and right, what is good and bad (moral discourse) مداراة الناس نصف العقل ‘being courteous to people is half of the reason’ to what the knowledge is (scientific discourse) حسن السؤال نصف العلم . . . القصد في المعيشة نصف المؤونة ‘Good questioning is half of knowledge . . . and waste not want not’ are, the two discourses work on accomplishing certain social functions. So preaching, through sermons, can be moral discourse or scientific discourse, or both as in Al-Imam Al-Hasan’s sermon indicates. More than one good idea ranges from better and best, i.e. they are competitive with each other, according to the audience’s interests and desires. Additionally, from a positive stylistic point of view, Al-Hasan’s sermon has unity. The unity can be realized even in different merged discourses (more than one sermon in succession), he offers several respectable ideas which are competitive with each other. Succession and competition of sermons also raise an implication of order, i.e. such sermons, in addition to its being united, they are ordered.

More importantly, there is a certain transition in Al-Imam Al-Hasan’s sermon. Traditionally, the sermons could be perceived and comprehended as a religious subject conveying the only moral message. This message is derived from a certain religion. Al-Imam Al-Hasan’s sermon is different. In addition to its carrying religious (moral) discourse, it conveys a scientific one. Discourse as such can be categorized as a motivational discourse which is constructed not only to create emotional arousal according to the audience’s experience but also to trigger the rational or scientific audience’s thinking. Discourse here indicates that language is not easy to be perceived and understood, language is an interpretation of all life aspects and dimensions. This will lead us to have an idea that perceiving and understanding

Paths considering sermons work as effective factors in individuals' hearts and souls, while appealing to the heads and hearts can be identified through the way that he addresses the audience, saying that:

١-القصد في المعيشة نصف المؤونة . . . حسن السؤال نصف العلم

('Good questioning is half of knowledge . . . and waste not want not')

Two discourses in one condensed discourse. Both address, according to Anderson's viewpoint, the audience's mental capacities. The discourse that adopts the mental address is a rational discourse that looks for reaching the truth. Mental or rational discourse can be considered as the human power to judge and know reality, i.e., it is the realization of relationships based on data from experience, and knowledge and how this data is used to identify, distinguish, and qualify things.

Also in this regard, with reference to the Stanford Encyclopedia of Philosophy,2022, investigating the philosophy of Question, Al-Imam Al-Hasan wants, through the discourse حسن السؤال نصف العلم'Good questioning is half of knowledge', to draw the people's attention to what extent the question is important regardless of their being Elementary Questions, Wh-Questions, or embodied Questions. Not only the philosophy of questioning, but also Al-Imam Al-Hasan concentrates on the Philosophy of Economics as a rational choice that has an impact on society's standard of living (Stanford Encyclopedia of Philosophy, 2022).

٢-مداراة الناس نصف العقل

(Being courteous to people is half of the reason)

The third part, harmonies Anderson's attitude that a discourse leads and appeals to heart and soul. Discourses that appeal to or lead to the heart and soul are moral. These moral discourses aim to establish positive behaviours for the individual and society. Also, it seems that direct preaching is a strategy or one of the most important pillars which were adopted by Al-Imam Al-Hasan (peace be upon him) to convey his moral discourse considering moral discourse as one of the most important direct and effective influences in dealing with individuals. Along with this, in general, moral discourse, part of it, particularly giving advice (being courteous to people is half of the reason), is different from scientific discourse. In such discourse,

2. Methodology

The methodology of analysis consists of two dimensions:

Qualitative Condensed Discourse Analysis

Quantitative Condensed Discourse Analysis

Qualitative condensed discourse analysis is non-numerical data that focuses on thoughts and opinions while Quantitative condensed discourse analysis includes statistical procedures to give the reader a sense of objectivity. The selected discourse under analysis belongs to one of Al-Imam Al-Hasan's (peace be upon him) sermons:

«حسـن السـؤال نصـف العلـم، ومـداراة النـاس نصـف العقـل، والقصـد في المعيشـة نصـف المؤونـة».

(Al-Mahmoodi, 1965, p. 367)

(Good questioning is half of knowledge, being courteous to people is half of the reason, and waste not want not) **[Translation mine]**

2. 1 Qualitative Condensed Discourse Analysis

The adopted procedures of Qualitative Condensed Discourse Analysis are triggered by Laclau's attitude (1988, p. 254) that discourse can be investigated as "a structure in which meaning is constantly negotiated and constructed". The discourse under analysis is a sermon. The sermon can be categorized under the umbrella of conversation. It can be featured based on Schegloff's viewpoint (1978, p. 208), "primordial site of sociality" where there is a direct address to a certain or public audience and definitely such an address works on coordinating and organizing the audience's behavior. What is more in this regard, in the upcoming linguistic analysis, using the word 'condensed' is not the first use. But, in (2007), the term 'condensed' was used by Halliday as a linguistic term to refer to a particular type of utterances, called "condensed utterances" (p. 170).

Before we investigate the intended sermon, the sermon, morally, can be classified as a type of preaching. The sermon, as stated by Anderson (2006, p. 16), "could take numerous paths, each leading to different regions of the human heart and soul. Some sermons appeal to the head and others to the heart." For this reason, it is easily recognized that Al-Imam Al-Hasan (peace be upon him) focuses, more than a thousand-year ago, on these two discourse strategies: paths and appealing.

1. Introduction

Language represents one of the means through which a person can convey messages that have an epistemological, emotional, or social impact on the recipient. Regardless of whether the message is written text or saying, it serves certain intended purposes. To study the written texts, multiple theories that are in harmony with different texts have been developed to explain their exoteric and esoteric meaning. In agreement with previous text studies, the text did not remain a written text only, went beyond that, it became subject to the interaction with the brain. For this reason, linguists called it 'discourse' instead of a rigid 'text' paying attention that discourse is a text and a message.

Discourse, according to Collins English Online Dictionary 2022, is a "natural spoken or written language in context, especially when complete texts are being considered". Here context works on generating different mental spaces provide the recipient with a wide net of knowledge. In such case, the role of the recipient is to choose the optimal meaning (Optimality Theory) based on the recipient's thinking level. With this in mind, the context or the context of situation is necessary for both, the addresser and the addressee.

In parallel to this, discourse, as it is more than one complex negotiation process between text and the human mind, is a form of communication ranging from simple knowledge to highly complex construction of individuals' experience of the world. In line with this, Foucault (1978, p. 101) argues such kind of discourse complexity can be considered a decisive factor taking into account that "discourse can be both an instrument and an effect of power".

With respect to discourse complexity in written or spoken discourse keeping in mind that discourse is beyond the boundaries of separate sentences, discourse analysis can be categorized, according to Bhatia and Jones (2008, p. 1), "analysis of linguistic behavior . . . focusing primarily on the meaning constructed and interpreted as language is used in particular social contexts." Discourse analysis makes a link between abstract notions and the real world (signifier and signified), i.e. discourse analysis has been realized as a common term for effectively all linguistic works employed in the language in all its social and epistemological context.

ملخص البحث

تُظهر لنا خطابات الموعظة الدينية أن المواعظ، كخطابات تُلقى للجمهور، ليست مجرد تواصل وتفاعل ديني أخلاقي. ولكن مدار البحث، كما يُشير عنوان هذه الورقة، يبيّن بأنها خطابات رسمية مكثفة وشاملة يتبناها شخص مُؤثر معرفياً. إن حالة الخطاب المكثف ليست مكرسة فقط لتعليمات العبادة مثل الصلاة والصوم وما إلى ذلك، ولكنها تتعامل مع أنواع مختلفة من أشكال التواصل مثل الخطاب الاجتماعي والعلمي وأنواع أخرى من الخطاب. سؤال البحث: هل المواعظ، كخطابات، تتجاوز مرحلة الخطاب الديني أم لا؟ الهدف من هذه الدراسة هو التحقق إلى أي مدى ممكن أن يتناول الخطاب الديني ماوراء تعاليم العبادة. أما فرضية البحث، يفترض الباحثون أن المواعظ، كجنس أدبي معين، يهدف إلى زيادة وعي المجتمع. وفيما يخص منهجية البحث، فإنها تتكون من بعدين، (١) تحليل الخطاب النوعي المكثف، (٢) التحليل الكمي للخطاب المكثف. وتُظهر لنا نتائج البحث أن المواعظ تلعب دورًا رئيسيًا في خلق وعي مجتمعي من خلال الانفتاح على مستويات مختلفة من المعرفة.

Abstract

Religious sermon discourses show us that sermons, as discourses delivered to the public, are not merely moral religious interactions. Rather, as the title of this paper indicates, formal condensed comprehensive discourses adopted by a cognitive and affective person. The state of condensed discourse is not purely devoted to worshipping instructions such as prayer, fasting, and so on, but it deals with different types of interactions such as social, scientific, and other types of discourse. The research question is: Do sermons, as discourses, go beyond the stage of religious discourse? The aim of this study is to investigate to what extent that religious discourse goes beyond the worshipping instructions. The researchers hypothesize that sermons, as a particular genre type, are aimed at increasing the awareness of society. The methodology of analysis consists of two dimensions, (1) qualitative condensed discourse analysis;(2)quantitative condensed discourse analysis. The findings show that sermons play a central role in creating community awareness through openness to different levels of knowledge.

Condensed Discourse: Epistemological and Social Dimensions in Religious Sermons

Dr. Hussein Huwail Ghayadh
College of Basic Education
Asst.Lect.Ali Hussein
Mazaya University College.

ومن خطبة له في التقوى

اتقـوا الله عبـاد الله، وجـدوا في الطلـب، وتجـاه الهـرب، وبـادروا العمـل قبـل مقطعـات النغـمات، وهـادم اللـذات، فـإن الدنيـا لا يـدوم نعيمهـا، ولا يؤمـن فجيعتهـا، ولا تتوقـى مسـاويها، غـرور حائـل، وسـناد مائـل، فاتعظـوا عبـاد الله بالعـبر، واعتـبروا بالأثـر، وازدجـروا بالنعيـم، وانتفعـوا بالمواعـظ، فكفـى بـالله معتصـما ونصـيرا، وكفـى بكتـاب الله حجيجـاً وخصيـما، وكفـى بالجنـة ثوابـا، وكفـى بالنـار عقابـا ووبـالا.

3.One of his sermons in the piety .

Fear Allah, the servants of Allah, found in demand, towards escape, took action before the tone cutters, and destroyer the pleasures. Surely the heaven of the world will not last, nor its affliction will be secured, nor its equals will be avoided . Barrier arrogance, and an oblique brace, so admonish (servants of Allah) with the lessons, and consider the effect. Scorn at heaven and benefit from the exhortations. Allah is Sufficient for a peach and a helper, and Allah's Book is Sufficient for a Hellfire. Paradise suffices for a reward, and fire for a punishment and a reward.]

القلوب لهيبته ، وذهلت العقول لعزّته ، وخضعت الرقاب لقدرته ، فليس يخطر على قلب بشر مبلغ جبروته ، ولا يبلغ الناس كنه جلاله ، ولا يفصح الواصفون منهم لكُنه عظمته ، ولا تبلغه العلماء بألبابها ، ولا أهل التفكّر بتدابير أُمورها ، أعلم خلقه به الذي بالحدّ لا يصفه ، يُدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ...) .

اما بعد فان عليا باب من دخله كان مؤمنا ومن خرج منه كان كافرا اقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم.

Imam Ali (peace be upon him) ordered his son, Imam Hassan (peace be upon him) to address the people in the mosque of Kufa, so he ascended the pulpit, and said : (Praise be to Allah, the One without analogy, and the Permanent without composition, who is without cost, the Creator without position, and the Indefinitely Described, known without limit, the Al-Aziz, is still ancient. The hearts deterred his prestige, and minds were amazed at his dignity, and the necks were subdued to his ability, for there is no danger to the heart of a human being the amount of his might, and people do not reach his majesty. The prescribers of them do not disclose to him his greatness, and the scientists do not reach him with its core, nor the people of thought about the measures of its affairs, I know its creation, who by the limit does not describe it, perceives the eyesight, and he is the kindest expert ...)

. But afterward, Ali (peace be upon him) is the Gate of whoever came in it was a believer, and he that came out of it was an infidel. I say, “Say this, and ask forgiveness of God, the Great, for me and for you.”

ومن خطبة له في القران

ما بقي في هذه الدنيا بقية غير هذا القرآن، فاتخذوه إماما يدلكم على هداكم، وإن أحق الناس بالقرآن من عمل به وإن لم يحفظه، وأبعدهم منه من لم يعمل به وإن كان يقرأه.

One of his sermons in the holly Qur’ an .

There is no rest of this world except this Qur ‘an. So take it as a guide, and if the people deserve the Qur’ an, and keep them away from it, they are the ones who do not recite it.

واعلمـوا علـماً يقينـاً : أنّكـم لـن تعرفـوا التقـى ، حتّـى تعرفـوا صفـة الهـدى ولـن تمسّكوا بميثـاق الكتـاب ، حتّـى تعرفـوا الـذي نبـذه ، ولـن تتلـوا الكتـاب حـقّ تلاوتـه ، حتّـى تعرفـوا الـذي حرّفـه ، فـإذا عرفتـم ذلـك ، عرفتـم البـدع والتكلّـف ، ورأيتـم الفريـة عـلى الله ، والتحريـف ، ورأيتـم كيـف يهـوي مـن يهـوي ، ولا يجهلنّكـم الذيـن لا يعلمـون ، والتمسـوا ذلـك عنـد أهلـه ، فانّهـم خاصّـة نـورٍ يسـتضاء بهـم ، وأئمّـة يقتـدى بهـم ، بهـم عيـش العلـم ومـوت الجهـل ، وهـم الذيـن أخبركـم حلمهـم عـن جهلهـم ، وحكـم منطقهـم عـن صمتهـم ، وظاهرهـم عـن باطنهـم ، لا يخالفـون الحـقّ ، ولا يختلفـون فيـه ، وقـد خلـت لهـم مـن الله سـنّة ، ومـضى فيهـم مـن الله حكـم ، ان في ذلـك لذكـرى للذاكريـن ، واعقلـوه إذا سـمعتموه ، عقـل رعايـةٍ ، ولا تعقلـوه عقـل روايـة ، فـانّ رواة الكتـاب كثـير ، ورعاتـه قليـل ، والله المسـتعان.

Know with certainty : You will not know what he met, until you know the quality of guidance, and you will not adhere to the charter of the book, until you know what he renounced, and you will not read the book with the right to read it, until you know what he misrepresented, and if you know that, you know fads and arrogance, and you see the instinct on God, and the perversion, and you see how he likes who he likes, And they do not ignore you. And they sought this with his family, for they are especially light and imams to be emulated, they are the living of science and the death of ignorance, and they are the ones whose dream told you about their ignorance, and the judgment of their logic about their silence, and their appearance about their insides, they do not contradict the truth. And they do not dispute about it, and they have passed away from Allah a Sunnah, and there has passed away from Allah a judgment; surely in that is a reminder for the remembered. And make sense of it, when you hear it, and do not make sense of it, for the narrators of the Book are many, and the patrons are few.

2.One of his (peace be upon him) sermons in monotheism

أمـر الإمـام عـلي عليه السلام ولـده الإمـام الحسـن عليه السلام ليخطـب النـاس في مسـجد الكوفـة ، فصعـد المنـبر ، وقـال : (الحمـد لله الواحـد بغـير تشـبيه ، والدائـم بغـير تكويـن ، القائـم بغـير كلفـة ، الخالـق بغـير منصبـة ، والموصـوف بغـير غايـة ، المعـروف بغـير محـدود ، العزيـز ، لم يـزل قديـماً في القـدم ، ردعـت

obedience. for He is ever near to answer.

قال الله تبارك وتعالى: "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ" [البقرة: ٦٨١].

Allah Almighty said: And when My slaves ask you (O Muhammad SAW) concerning Me, then (answer them), I am indeed near (to them by My Knowledge). I respond to the invocations of the supplicant when he calls on Me (without any mediator or intercessor). So let them obey Me and believe in Me, so that they may be led aright.

فاستجيبُوا لله وآمِنوا به، فإنَّه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله أن يتعاظم، فإنَّ رِفْعَةَ الذين يعلمون عظمة الله أن يتواضعوا، وَ[عِزَّ] الذين يعرفون الله أن يتذلَّلوا [لَهُ]، وسلامةَ الذين يعلمون ما قدرة الله أن يستسلموا لَهُ، ولا ينكروا أنفسَهم بَعدَ المَعرِفَة، ولا يَضلُّوا بعد الهدى".

Respond to Allah and believe in Him, for whoever knows the greatness of Allah should not be magnified. The highness of those who know the greatness of Allah should be humble, and those who know Allah should grovel [to Him], and the safety of those who know what Allah is able to surrender to Him. They do not deny themselves after knowledge, nor do they go astray after guidance. "

All the types of speech act are performed with a perlocutionary effect on the addressees. Such performance are enhanced or imposed depending on the message which the speaker aspires to deliver. That is, with the performance of the speech acts, the speaker wants the addresses to do the right things, to be nearer to Allah(Praise be to Him), to believe in Him and be away from committing sins. This validates the second hypothesis:

Speech acts affect FSAs and FTAs of politeness principle.

Bibliography

Baresova,Ivona.(2016).Politeness Strategies in Cross Cultural Perspectives. Filozoficka Fakulta:University of Palackeho.

Brown ,Penelope and Levinson Stephen.(1987).Politeness Some Universal Language Usage .Newyork: Cambridge University Press.

Finegan, E.(2012). Language: Its Structure and Use (6th ed.). Wadsworth: Cengage Learning.

Searle, J. R. (1979). Expression and Meaning. Studies of the Theory of Speech Acts. Cambridge: CUP.

Thomas,Jenny.(1995,1996).Meaning in Interaction :an Introduction To Pragmatics . Addison Wesley : Longman Publishing.

Yule,George.(1996).Pragmatics. Oxford :Oxford University Press.

Appendix

1.One of his (peace be upon him) wisdoms

قال ﷺ: أيَّها الناس، إنَّه من نصحَ لله وأخذ قوله دليلاً، هُدِيَ للتي هي أقْوَم، وَوَفَّقه الله للرشاد، وسَدَّده للحسنى.

He said(peace be upon him): "O people, whoever advises Allah and takes His word for a guide, He has been guided to the most upright, has guided him to the best, and Allah gave him guidance and lead him for the good.

فإنَّ جار الله آمِنٌ محفوظ، وعَدوُّه خائف مخذول، فاحترسوا من الله بكثرة الذكر، واخشوا الله بالتقوى، وتقرَّبوا إلى الله بالطاعة، فإنه قريب مجيب.

A neighbor of Allah is secure, and his enemy is fearful, let down. So, beware of Allah with much remembrance, and fear Allah with piety, approach Allah through

Sermon: 3

Locutionary	Illocutionary	Perlocutionary
اتقوا الله عباد الله	Ordering	Bald on Record
جدوا في الطلب	Ordering	Bald on Record
بادروا العمل	Ordering	Bald on Record
فان الدنيا لايدوم نعيمها ولاتؤمن فجيعها	Stating	Be pessimistic
لا تتوقى مساوئها	Warning	Be pessimistic
غرور حاذل ،سناد مائل	Stating	Be pessimistic
فاتعظوا عبدا الله بالعبر	Ordering	Bald on Record
اعتبروا بالاثر	Ordering	Bald on Record
ازدجروا بالنعيم	Advising	Bald on Record
انتفعوا بالمواعظ	Advising	Bald on Record
كفى بالله معتصماً ونصيراً	Stating	Promise
وكفى بالكتاب حجيجاً وخصيماً	Stating	Promise
كفى بالجنة ثواباً	Stating	Promise\ Give gifts to H
وكفى بالنار عقاباً ووبالاً	Stating	Bald on Record

The speaker(P.B.U.H) begins his sermon by using a series of direct speech act of ordering. He (P.B.U.H) orders people directly without minimizing the imposition on the addressee's face. People are ordered to believe in Allah(Praise be to Him) and be hard righteous workers. They are ordered to be preached by lessons and learned by sins.

The speaker(P.B.U.H) uses the speech acts of stating trying to minimize FTA . Positive politeness strategies of giving gifts to H and promising are issued by the speaker. People are promised to have paradise as a reward.

Finally, the speaker (P.B.U.H) imposes FTAs on the addressee's face by using bald on record strategy. People's faces are threatened by reminding them of hell as a place and punishment in case they never do righteous deeds.

6.Conclusions

The current paper has come up with the following conclusions:

Al-Imam A-Hassan(Peace be upon him) performs different types of speech act :advising, warning, praising, promising, and requesting. This confirms the first hypothesis:

the speaker (P.B.U.H) performs different types of speech acts

لا يضلوا بعد الهدى	Stating	Assert or presuppose S's knowledge and concern for H's wants.
واعلموا علماً يقيناً انكم لن تعرفوا التقى حتى تعرفوا صفة الهدى	Assertion	Offer, Promise
لن تمسكوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نبذه	Assertion	Assert or presuppose S's knowledge and concern for H's wants.
لن تتلوا الكتاب حق تلاوته حتى تعرفوا الذي حرفه	Assertion	Assert or presuppose S's knowledge and concern for H's wants.

The above sermon is uttered by Al-Imam Al-Hassan(P.B.U.H) expressing his wisdoms. The sermon begins with a supplication to Allah(Praise be to Him), then advising people to do what Allah(Praise be to Him) orders . Doing so, FTAs is mitigated .

On the other hand, FTA occurs when the speaker(P.B.U.H) implies the speech act of warning in order to warn people; anyone who stands as enemy to Allah (Praise be to Him) h\she will be alarmed and scared.

In order to be more convincing, Al-Imam Al-Hassan(P.B.U.H) endeavors to remind the addressees of a Quranic verse. He declares that Allah(Praise be to Him) is the nearest One whenever people appeal to Him. So, appeal to Allah(Praise be to Him) and believe in Him.

Al-Imam Al-Al-Hassan(P.B.U.H) delivers a series of valuable advice; those who know the Greatness of Allah(Praise be to Him), they should behave modestly. Those who know the ability of Allah(Praise be to Him), they should be very humble.

To the last, the speaker (P.B.U.H) asserts the fact that being pious is not achieved unless we have faith in Allah(Praise be to Him). If faith is terminated, there will be bad consequences. Without faith, people will neither know their Holy Quran nor do they have the ability to rehearse it.

Sermon :2

Locutionary	Illocutionary	Perlocutionary
من نصح لله واخذ قوله هدي للتي هي اقوم	Advice	Bald on Record
وفقه الله للرشاد وسدده للحسنى	Supplication	Assert or presuppose S's knowledge and concern for H's wants
فان جار الله أمن	Statement	Assert or presuppose S's knowledge and concern for H's wants
عدوه خائف مخذول	Warning	Bald on Record
ف احترسوا من الله بكثرة الذكر	Warning	Bald on Record
و اخشوا الله بالتقوى	Warning	Bald on Record
و تقربوا الى الله بالطاعة فانه قريب مجيب	Advice	Bald on Record
واذا سالك عبادي عني فاني قريب	Statement	Include S and H in the Activity
اجيب دعوة الداعي اذا دعاني	Promise	Include S and H in the Activity
فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون	Request	Include S and H in the Activity
فاستجيبوا لله وامنوا به	Request	Assert or presuppose S's knowledge and concern for H's wants.
فإن رفعة الذين عرفوا عظمة الله ان يتواضعوا	Advice	Include S and H in the Activity
وعز الذين يعرفون جلال الله ان يتذللوا	Advice	Include S and H in the Activity
سلامة الذين يعرفون ماقدرة الله ان يستسلموا له لا ينكروا انفسهم بعد المعرفة	Advice	Assert or presuppose S's knowledge and concern for H's wants.

Sermon :1

Locutionary	Illocutionary	Perlocutionary
الحمد لله الواحد بغير تشبيه	Speech act of praising enhancing supplication	Presuppose common ground among addressees
الدائم بغير تكوين	praising	Presuppose common ground among addressees
القائم بغير كلفة	Praising	Exaggerate
الموصوف بغير غاية	Praising	Exaggerate
العزيز لم يزل قديما في القدم	praising	Assert common ground
ردعت القلوب لهيبته	warning	State the FTA as a general rule
ذهلت العقول لعزته	praising	Exaggerate
لايبلغ الناس كنه جلاله	Praising	Exaggerate

The speaker (P.B.U.H) praises Allah (Praise be to Him) to mitigate FTAs on the addressee's face. He mentions the features of the Creator which have already been presupposed as a common ground with addressees. Allah(Praise be to Him) has no partner and he never be similar to others.

To the last of the sermon, the speaker (P.B.U.H) praises Allah(Praise be to Him) in an exaggerated way. That is, Allah (Praise be to Him) is never described for an end. All hearts are scared due to His status and all minds are overwhelmed due to His glory.

-Include both S and H in the activity. For example:

Let's have a pizza.

-Give(or ask) reasons.

The rain has stopped ,why do not you go home right now.

-Give gifts to H (goods, sympathy ,understanding ,cooperation).

I am sorry that this happened with you.

3.1.3 Negative Politeness

Negative politeness is a" redressive conduct that is addressed to the addressee's negative face and his desire to have the liberty of an action without being obstructed" (Brown and Levinson,1987:129).

An example of negative politeness is, *Can you pass me the salt ,please?*

There are different negative politeness strategies stated by Brown and Levinson in (Baresova,2016:49-55) which are:

-Be pessimistic.

I don't anticipate that you could lend me your car.

-Minimizing the imposition .

I need a minute from your time Dr.

-State the FTA as a general rule .For example:

Phones are outside sir.

3.1.4 Off Record

Off record is an "indirect usage of the language which precise meaning has to be interpreted by the addressee depending on the context" (Brown and Levinson,1987:11).

Examples of the off record strategy:

-The tea is embittered.

-I knocked the door fifty times ,but no one had opened.

4.The Model

Randomly chosen, three of Al-Imam Al-Hassan's (P.B.U.H) sermons are analysed according to Searle's (1979)classifications of speech act and Brown and Levinson(1987) positive politeness strategies.

5.The Analysis

each face has two aspects .The first aspect is *“Positive Face”* which expresses the “interlocutor’s volition to be fairly good , estimated and acceptable by others and to be a member of the group”. The second aspect is the “*Negative Face*” which “expresses the interlocutor’s volition not to be impeded , disrupted or imposed upon. It indicates the interlocutor’s desire to be independent and free” (Brown and Levinson, 1987:169).

3.1Politeness Strategies

3.1.1 Bald on Record Strategy

A “strategy in which the speaker says or asks something directly without minimizing the imposition on the addressee’s face”. (Yule,1996:63) . For example *:Give me the book*.

3.1.2 Positive Politeness

Positive politeness can be defined by Brown and Levinson (1987:101) as a” strategy that is used to minimize the threats on the addressee’s positive face” .For example:

-You looked tired ,can I help you.

-I know how much you worked hard to get this mark.

There are different types of positive strategies:

- Exaggerate (interest ,approval ,sympathy with H)For example:

That is so awful , my heart is cutting for you.

-Seek agreement(select a safe topic on which the agreement is anticipated)

A-I had an accident in my way.

B-OMG, an accident.

-“Presuppose/raise/assert common ground” (small talk, point of view operation, personal –Centre Switch :S to H , place switch, presuppose knowledge of H’s wants , attitudes and values, presuppose familiarity in S-H relationship).

I had really difficult time to get this mark. didn’t I?

-“Assert or presuppose” “S’s knowledge and concern for H’s wants”. For example:

I know you don’t like shopping ,but this one will really be enjoyable. Do come.

-“Offer, Promise”.

I will come to visit you when I come to London.

and Levinson(1987) model of FSAs and FTAs are eclected for the analysis of the data.

2.Speech Act

According to Finegan(2012:2), speech acts are achieved through language. They consist of three main parts; "locutionary", "illocutionary", and "perlocutionary". The utterance of words is the locutionary act. The intended meaning of the utterance is the illocutionary act such as promising, advising, threatening, warning. What the addressee understands is the perlocutionary act; that is to say, the effect of the act on the addressee.

To deal with this aspect of human communication, different classifications of speech acts are proposed. Searle(1979) states the following types of speech acts.

Assertive\Representative : "they refer to those utterances which are either true or false" such as suggesting, describing, stating.

Directives: "utterances which are directed to the addressee to do something" such as requesting, commanding, advising.

Commissives: "utterances which commit the addressee to do something" such as promising, threatening, vowing.

Directives: "utterances which require a change in the state of affairs" such as threatening, vowing, offering.

Expressives: "utterances which express the speaker's attitudes" such as greeting, thanking ,apologizing.(ibid.).

3.Politeness and Face Management

One of the most influential and acceptable theory of politeness is put by Brown and Levinson who form their theory on the concept of face .This term is proposed for the first time by an American sociolinguist who is Erving Goffman .He defines face as "the positive social value a person effectively claims for himself by the line of others assume he has taken during a particular conduct" (Thomas ,1995:168).

This definition makes more sense if it is read more precisely. "The positive social value" means that people desire to have a value by leaving a positive impression in the minds of others in their society. It is stated by Brown and Levinson that

ملخص البحث

الدراسة الحالية هي دراسة تداولية لظاهرتي حفظ ماء الوجه واراقة ماء الوجه لخطب الإمام الحسن ﵇.تحاول الدراسة الاجابة عن الأسئلة الآتية: ١-ما الافعال الكلامية في خطبة الإمام الحسن ﵇؟ ٢- كيف ينجز الإمام الحسن ﵇ هذه الافعال؟

وفقا للأسئلة اعلاه تهدف الدراسة الى تفسيرعمل نظرية التأدب في خطبة الإمام الحسن ﵇.

كما وتهدف الدراسة الى ايجاد ماهية و كيفية عمل الافعال الكلامية في خطبة الإمام الحسن﵇.

تفترض الدراسة ان المتحدث ﵇ يستعمل مختلف الافعال الكلامية في خطبته. الافعال الكلامية تأثر على حفظ واراقة ماء الوجه لنظرية التأدب.

من الجدير بالذكران نظرية سيرل(١٩٧٩) للأفعال الكلامية براون ولفنسن (١٩٨٧) للتأدب اختيرت انموذجاً لتحليل خطبة الإمام الحسن ﵇.

Introduction

This study endeavors to shed light on two pragmatic phenomena :Speech act and politeness which are considered important in human social interaction. These two phenomena are explicated within the realm of religious discourse. Three of Al-Imam Al-Hassan(P.B.U.H) sermons are pragmatically analysed to answer the following questions:

What type of speech acts does Al-Imam Al-Hassan(P.B.U.H) perform ?

2. How does he (P.B.U.H) perform speech acts?

In accordance with the above questions, the paper aims to:

explicate the pragmatic principle of politeness which works in Al-Imam Al-Hassan(P.B.U.H) sermons.

2. It tries to find out the what and how performance of speech acts in the sermons .

To achieve the aims of the study,It is hypothesized that

1.the speaker (P.B.U.H) performs different types of speech acts .

2. Speech acts affect FSAs and FTAs of politeness principle.

It is worth mentioning that Searl's (1979) model of speech act theory and Brown

Abstract

The current paper is a pragmatic study of face saving (FSAs)and face threatening(FTAs) acts issued in Al-Imam Al-Hassan(P.B.U.H) sermons. It tries to find out answers to the following questions:1. What type of speech acts does Al-Imam Al-Hassan(P.B.U.H) perform ?2. How does he (P.B.U.H) perform speech acts?

In accordance with the above questions, the paper aims to explicate the pragmatic principle of politeness which works in Al-Imam Al-Hassan(P.B.U.H) sermons. It tries to find out the what and how performance of speech acts in the sermons .

It is hypothesized that the speaker (P.B.U.H) performs different types of speech acts . Speech acts affect FSAs and FTAs of politeness principle.

It is worth mentioning that Searl's (1979) model of speech act theory and Brown and Levinson(1987) model of FSAs and FTAs are eclected for the analysis of the data.

A Pragmatic Study of Politeness in Al-Imam Al-Hassan (Peace be upon him) Selected Sermons

Dr. Zina Abdul-Hussein Khudhair Ashammari
Imam Ja›afar Al-Sadiq University \ College of Arts
Department of English

Title: Academic researches that participating in the activities of the ninth annual international scientific conference on the thought of Imam Hassan Al-Mujtaba

Publisher: Al-Ameed Scientific and Intellectual Society- Publishing department

General supervision: Aqeel Abdul Hussein Al-Yasiri

Prof. Dr. Shawqi Mustafa Al-Moussawi

Follow-up and implementation: Asst. Lect. Dhiea Mohammed Hassan

Technical Management: Asst. Lect. Ali Razzaq Khudhair

Print Output: Ali AL-Mudaffer - Ahmed Hashem

Number of copies: 250

2023 AD - 1445 AH

ISBN: 978-9922-680-36-1

Deposit number in the House of Books and Documents in Baghdad (958)

Secretariat general of Al Abbas Holy shrine. Al ameed Inernational Center for Research and Studies, author

Events Al-Ameed Fourth Global Academic Conference. third Volume.- First Edition.- karbala [Iraq] : The holy Abbasid threshold, Al ameed Inernational Center for Research and Studies, Department of Publishing, 2019.

2 volume ; 24 cm

Includes bibliographical references.

The Arabic text includes abstracts in Arabic and English.

1. Civilization, Arab--Western influences 2. Karblal (Iraq)--Intellectual life. 3. Civilization, Arab. A. Title

LCC : DS36.82.A2 A8396 2018

DDC : 301.2917492704

Cataloging Center and Information Systems- Library and House of Manuscripts of Al-Abbas Holy Shrine